

# التحبير

## لمن أضيغ من التفسير

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحميري الزعفراني

### محتوى المجلد

المهمات من معاني سورة الفاتحة وآية الكرسي  
وقفات وعبر من قصة يوسف عليه السلام  
تأملات في سورة (ق)  
الإيلاف في تفسير سورة (ق)  
فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر  
النبراس في تفسير سورتي الإخلاص  
البيان لنداءات الله عز وجل في القرآن  
البيان لآيات الدعاء في القرآن



المهمات من معاني سورة الفاتحة وأية الكرسي  
وقفات وعبر من قصة يوسف عليه السلام  
تأملات في سورة (ق)  
الإيلاف في تفسير سورة (ق)  
فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر  
النبراس في تفسير سورتي الإخلاص  
البيان لنداءات الله عز وجل في القرآن  
البيان لأيات الدعاء في القرآن

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزّعكري

المهمات من معاني سورة الفاتحة وآية الكرسي

## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفية من خلقه وخليله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تسليماً كثيراً، **أما بعد:**

فهذه تعليقةٌ مختصرةٌ على سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن العظيم كان أصلها كلمة في مسجد السنة بالقرن والقائم عليه الشيخ جمعان لحمر حفظه الله وجزاه خيراً.

ثم رأيت أن تفرد في هذا المختصر وزدتُ عليها بعض النقولات تتميمًا للفائدة. ولي بحمد الله **عَزَّجَلَّ "فتح الكريم في تفسير السبع المثاني والقرآن العظيم"**، وهو كتاب واسع وسفر كبير ذكرت فيه المهمات تفصيلاً وإجمالاً لكن اكتفيت هنا بالاختصار، وبالله التوفيق وأسأله العون.



## من نعم الله عز وجل إنزال القرآن

فإن من نعم الله **عَزَّوَجَلَّ** على عباده العظيمات وهباته الجليلات لهو إنزال القرآن، هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جعله الله تعالى، موعظة وشفاء ورحمةً ونورًا، وهو الكتاب المبين، والكتب الحكيم، وكلام رب العالمين، وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وفضائله مذكورة فيه ومذكورة في كثير من الأحاديث.

وقد نقل السيوطي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «الإتقان» عن بعضهم، أن أسماء القرآن في القرآن تزيد على خمسين، ومعلوم أن كل اسم من أسماء القرآن يتضمن صفة وربما تضمن ودل على أكثر من ذلك.

وقد اشار الشوكاني **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى في «مقدمة تفسيره» أن أبلغ الوصف للقرآن ما وصفه الله **عَزَّوَجَلَّ** به، ووصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وهو الكتاب المبارك قال تعالى: ﴿**كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩].

فهو مبارك في تلاوته، ومبارك في معانيه ومواعظه، ومبارك في تدبره، ومبارك في العمل به، ومبارك في الاستشفاء به، إلى غير ذلك من البركات العظيمات والهبات الجليلات التي جعلها الله **عَزَّوَجَلَّ** لهذا الكتاب، فهو كلامه تعالى وصفته.

ومن عجيب شأنه أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أنزل كتبًا كثيرة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ**﴾ [الحديد: ٢٥]، فكل رسول له كتاب من الله **عَزَّوَجَلَّ** يتعبد به ويدعو إليه.

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: **وَسِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْكَتُبِ وَالشَّرَائِعِ، وَالشَّوَابِ وَالْعِقَابِ انْتَهَى إِلَى هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، حَتَّى قِيلَ:**

أَنْزَلَ اللَّهُ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، جَمَعَ مَعَانِيهَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِي هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِي الْقُرْآنِ فِي الْمُفْصَّلِ، وَجَمَعَ مَعَانِي الْمُفْصَّلِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَمَعَانِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. اهـ من «مدارج السالكين» (١/ ٩٥).

وسورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فِي الْبُخَارِيِّ (٤٦٤٧)، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّى ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِي؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» ثُمَّ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ»، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لِيَخْرُجَ فَذَكَرْتُ لَهُ، وَقَالَ: «هِيَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾» [الفاتحة] **السَّبْعُ الْمَثَانِي**.

وفي هذا دليل على مسألة مهمة وهي تفاضل القرآن الكريم، وتفاضل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وهذه مسألة مهمة وأدلتها كثيرة وقد أطلت في النقل عن العلماء في التفسير الموسع لهذه السورة.

﴿فهي أعظم سورة في القرآن بنص حديث رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومما يدل على عظمتها وفضلها أن الله افترض علينا قراءتها في كل ركعة وأنها تغني عن غيرها ولا يغني غيرها عنها في الصلاة.

﴿ومن فضلها أنها رقية، فعن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: نَزَلْنَا مَنَزِلًا، فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٍ، لُدِّعَ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا، مَا كُنَّا نَظُنُّهُ يُحْسِنُ رُقِيَّةً، فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ، فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا، وَسَقَوْنَا لَبَنًا، فَقُلْنَا: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقِيَّةً؟ فَقَالَ: مَا رَقَيْتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا تُحَرِّكُوهَا

حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟ افْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن هنا خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهذه الأمة، فعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ». أخرجه مسلم (٨٠٦).

ومن هنا جامعة بين الدعاء والثناء.

ولها أسماء عظيمة:

• فهي القرآن العظيم.

• وهي السبع المثاني.

• وهي الفاتحة.

• وهي الصلاة.

• وهي الرقية.

• وهي أم الكتاب.

• وهي أم القرآن.

• وهي الحمد.

• وزاد بعضهم الكافية.

• والشافية.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١).

وذكروا لها غير ذلك وكثرة الاسماء الثبوتية تدل على الكمال والقرآن العظيم  
صفة الله تعالى فكل اسم يتضمن صفة.

وهي سبع آيات كما هو نص القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ  
الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] ونص السنة وعليه الإجماع وما ذكر غير  
ذلك فهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعول عليه.

### هل البسمة آية:

❦ إلا أن العلماء اختلفوا هل البسمة آية من آياتها أو ليست من آياتها؟

والصحيح الذي عليه المحققون أنها ليست آية من الفاتحة، بل ولا من كل سورة

وهي بعض آية من سورة النمل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

وأشهر حديث يستدل به على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم (٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ

الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]،

قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا

قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. وفي رواية:

«قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي».

فلم يذكر فيه البسملة فقسم الله **عَزَّوَجَلَّ** سورة الفاتحة بينه وبين عبده الثلاث الآيات الأول، وهي قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١﴾ **الَّذِي تَحْتَمِنُ الرَّجِيمُ** ﴿٢﴾ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، فهذه في حق الله **عَزَّوَجَلَّ** حمداً وثناءً ومجدداً على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

والآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥]، هي التي بين العبد وبين الله **عَزَّوَجَلَّ**، ف﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ بيان لحق الله **عَزَّوَجَلَّ**، و﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ﴿٥﴾ بيان لحال العبد واستعانته بالله **عَزَّوَجَلَّ** واعتماده عليه.

ثم القسم الآخر وهو الدعاء ثلاثة آيات وهي: ﴿ **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ﴿٦﴾ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. فصارت سبع آيات بغير البسملة على الصحيح من أقوال العلماء.

ومعلوم: أن إثبات البسملة آية من الفاتحة يوجب قراءتها في كل صلاة وعدم الاثبات لا يوجب القراءة وإنما تكون قراءتها من المستحبات.

وهدي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الإسرار بالبسملة في الصلاة كما في حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ﴿١﴾». أخرج البخاري (٧٤٣)، ومسلم (٣٩٩) بألفاظ كثيرة.

ولم يثبت عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الجهر مطلقاً كما ذكر ذلك الدارقطني مع أنه **رَحِمَهُ اللَّهُ** يرجح الجهر وألف رسالة في ذلك.

وما جاء من حديث نعيم بن عبد الله المجرى، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فَقَرَأَ: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ﴿١﴾، ثُمَّ قَرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٧] فَقَالَ: «**آمِينَ**». فَقَالَ النَّاسُ: آمِينَ وَيَقُولُ: كُلَّمَا سَجَدَ «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، وَإِذَا قَامَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي

الإثنتين قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَسْبَهُكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ"، رواه النسائي في «سننه» (٩٠٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٦٨٨، ٤٩٩)، وغيرهم، فقد أعلَّ العلماء زيادة الجهر بـ ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيمِ﴾ وأنه شذ بها نعيم المجرم، وأطال في بيان ذلك الزيلعي في «نصب الراية».

وعند الترمذي (٢٤٤): عَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْفَلٍ، قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ، أَقُولُ: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيمِ﴾، فَقَالَ لِي: أَيُّ بُنْي مُحَدَّثٍ إِيَّاكَ وَالْحَدَّثُ، قَالَ: وَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ الْحَدَّثُ فِي الْإِسْلَامِ، يَعْنِي مِنْهُ، قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَ عُمَرَ، وَمَعَ عُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُهَا، فَلَا تَقُلْهَا، إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَقُلْ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْفَلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَغَيْرُهُمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ لَا يَرَوْنَ أَنْ يَجْهَرَ بِـ ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيمِ﴾، قَالُوا: وَيَقُولُهَا فِي نَفْسِهِ. انتهى.

وقراءة سور الفاتحة ركن في الصلاة لحديث عبادة بن الصّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»، وفي رواية «بِأَمِّ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>، وفي بعضها «بِأَمِّ الْقُرْآنِ»، وهذا الحديث متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وقد ألف البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى جزء في «القراءة خلف الإمام» واثبت أن قراءة الفاتحة واجبة على المأموم والإمام والمنفرد.

(١) أخرجه البخاري في «القراءة خلف الإمام» (٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

وبوب في " صحِيحه " بَابُ وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ.

ولا تسقط قرأتها إلا عن العاجز الذي لم يتمكن أو لم يستطع حفظها كرجل أسلم ووجبت عليه الصلاة فإذا عَلِمَ الفاتحة ربما خرجت عليه الصلاة قبل أن يصلي فله أن يصلي بغير الفاتحة وأن يقول بدلاً عن الفاتحة: **«سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»**، لما روى أحمد (١٩١٠)، وأبو داود (٨٣٢)، والنسائي (٩٩٨)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلَّمْنِي مَا يُجْزئُنِي مِنْهُ، قَالَ: **«قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** فَمَا لِي، قَالَ: **«قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي»**، والحديث مخرج في (إرواء الغليل) (٣٠٣).

### معاني البسملة:

فأما معاني البسملة فعلى ما يأتي قوله: **﴿بِسْمِ﴾** الباء للاستعانة، وقيل للمصاحبة والأول أظهر وأشهر إذ أن العبد يسمي الله تعالى متبركا بذكره مستعينا به في تيسير أمره وتفريج كربه. والاسم: مشتق من السمو الذي هو العلو وقيل من السمة والأول أظهر لأنه يجمع على أسماء ويصغر على سُمِّي ولو كان مشتقا من السمة لجمع على سمات ويصغر على سُمِّيَّة، وهل الخلاف في هذا عقدي؟ فقد ذهب بعض العلماء إلى أن الخلاف عقدي من حيث أن القول باشتقاقه من السمة قول المبتدعة الذين يزعمون أن الله **عَزَّوَجَلَّ** كان ولا صفات له حتى وصفه عباده وسموه وهذا قول المعطلة.

وقوله: ﴿اللَّهُ﴾ اسم الجلالة علم على الذات العلية مختص بالله وعليه جميع مدار الأسماء الحسنی وهو الاسم الأعظم على الصحيح من أقوال العلماء وهو مشتق من الإله.

### قال رؤبة ابن العجاج:

لله دُرُّ الغَايِنَاتِ الْمُوَدَّةِ ❀ ❀ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْلِهِي  
أي: من تعبدي.

قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ من أسماء الله الحسنی، وهو من الاسماء المختصة بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو على وزن فعلان وزيادة المباني دليل على زيادة المعاني، وقد أنكره كفار قريش كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠]، وكأن هذا والله أعلم من باب المكابرة إذ قد وجد في أشعار العرب قول الشنفرى أو لبعض الجاهلية الجهلاء.

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا ❀ ❀ أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا  
وهو متضمن لصفة الرحمة المتعلقة بالذات على ما يأتي.

قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ من أسماء الله الحسنی وليس بمختص فقد سمي الله تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** رؤوفاً رحيمًا.

وهو دال على صفة الرحمة المتعدية ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فالحكمة إذا فيما أظن وأرى والله أعلم من افتتاح القرآن بالبسملة:

❖ **أولاً:** للتبرك بذكر الله تعالى.

❖ **ثانياً:** الاستعانة بالله تعالى.

❖ **ثالثاً:** تقديم اسم الله تعالى على من سواه.

❖ **رابعاً:** التحصن من الشيطان الرجيم وجنده.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا والله أعلم السر العظيم في كون البسملة تضمنت الأسماء الثلاثة العظيمة حتى يدخل تحتها كل وصف حسن، والتنزه من كل ما يضاد ذلك وبالله التوفيق والله أعلم.

قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ① ﴾.

**الْحَمْدُ:** هو ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله وآلته القلب واللسان، ويكون على الصفات اللازمة كالجمال والكمال، والمتعدية كالإحسان والرحمة والكرم.

والله **عَزَّوَجَلَّ** قد افتتح خمس سور بالحمد: سورة الفاتحة: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ① ﴾ [الفاتحة: ٢]، وسورة الأنعام: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [الأنعام: ١]، وسورة الكهف: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ① ﴾ [الكهف: ١]، وسورة سبأ، وهي: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ① ﴾ [سبأ: ١]، وسورة فاطر، وهي: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولِي أَبْصَارٍ مَشْنَى وَتِلْكَ رُؤْيُوعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ① ﴾ [فاطر: ١].

وقد حمد الله تعالى نفسه في مواطن كثيرة غيرها، وهكذا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أمر بحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** وحث عليه ولازمه.

و(ال) في الحمد للاستغراق، أي: جميع المحامد ثابتة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

واثبات المحامد يتضمن إثبات كل كمال لله **عَزَّوَجَلَّ**، كمال السمع، وكمال البصر، وكمال القدرة، وكمال الإرادة، وكمال الخلق، وكمال الحكمة، وكمال القوة، وكمال المشيئة، وغير ذلك من الصفات.

ويستلزم نفي جميع النقائص، فهاتان الكلمتان (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) إذا تأملتهما جيداً وجدت فيهما إثبات جميع الكمال، ونفي جميع النقص عن الله **عَزَّوَجَلَّ**. كما أن كلمة (سُبْحَانَ اللَّهِ) تتضمن نفي جميع النقائص وتستلزم إثبات جميع الكمال لله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن إثبات الكمال يلزم منه نفي النقيصة ونفي النقيصة يلزم منه إثبات الكمال.

ولهذا جُمع بينهما في عدة مواطن في الأذكار، كأذكار الصباح والمساء، وفي أذكار الصلاة، وغير ذلك.

قوله: ﴿رَبِّ﴾ من أسماء الله تعالى الحسنى، ويُستعمل بالألف واللام أو مضافاً ولا يستعمل مع غيره إلا مضافاً وغير محلي بالألف واللام.

**ومن معانيه:** السيد والمالك والمربي، قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: الرَّبُّ هُوَ: الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ، وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلِإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. اهـ من "التفسير" (١/١٣١).

**وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:** رَبُّوْبِيَّتُهُ لِلْعَالَمِ تَتَّصَمَنُ تَصَرُّفُهُ فِيهِ وَتَدْبِيرُهُ لَهُ وَنَفَاذَ أَمْرِهِ كُلِّ وَقْتٍ فِيهِ، وَكَوْنُهُ مَعَهُ كُلَّ سَاعَةٍ فِي شَأْنٍ: يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَإِنْكَارُ ذَلِكَ إِنْكَارُ رَبُّوْبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ. انتهى من "الصواعق المرسله" (٤/١٢٢٣).

فالرب من أسماء الله الحسنى ولم يُذكر في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الذي أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وفيه ذكر الاسماء الحسنى. ومن الأوجه التي أعلها بها العلماء أن اسم الرب الذي كان يدعوا به جميع الأنبياء ليس مذكوراً فيه.

وهو من الاسماء الحسنى بدلالة القرآن والسنة وزيادة ذكر الاسماء الحسنى في الحديث مدرجة عن الوليد بن مسلم، وقيل عن غيره وقد أعلها الحفاظ. وإنما

المحفوظ ما روى البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

**والربُّ:** هو المرابي للعالم الحافظ لهم المعين لهم لاسيما المسلم، فربوبية الله له ربوبية إعانة وحفظ وكلاءه ونصر وتأييد فمن هذه الناحية فيها ترغيب إذ أن الله ربك محيطٌ بك وعالم بحالك ولن يضيعك ولن يترك هملاً؛ بل أنعم عليك بنعم كثيرة بها تعلم ما يجب عليك ووفقك وهداك وسددك وكم من نعم الله **عَزَّوَجَلَّ** الرب على عباده وفيها ترغيب من حيث أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو المتصرف في هذا الكون. وربوبيته على عباده عامة وخاصة، فربوبيته لجميع العباد عامة ربوبية قهر وقدرة ولا يعجزه شيء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قوله: ﴿ **الْعَالَمِينَ** ﴾: كل ما سوى الله **عَزَّوَجَلَّ** عالم، سواء في ذلك الجن والأنس والملائكة والأرض وما فيها. وسموا (عالم) من العلامة، فالعلامة هي الآية التي تبين الشيء وتدل عليه فهذا الكون بما فيه علامة على قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** وعلى أن لهذا الكون خالقاً ورازقاً ومالكاً ومدبراً.

وفي هذه الآية بيان للنوع الأول من أنواع التوحيد:

☞ وهو توحيد الربوبية: وهو أفراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالخلق والملك والتدبير.

☞ وتوحيد الألوهية: هو أفراد الله بالعبادة أو بأفعال المكلفين.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** رب جميع العالمين مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، ويلزم من ذلك أنه الإله الحق وما سواه باطل، قال الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي**

**الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الحج: ٦]

والنوع الثالث توحيد الأسماء والصفات: وهو أفراد الله **عَزَّجَلَّ** بأسمائه وصفاته. والاهتمام بالتوحيد من المهمات لا سيما مع كثرة المخالفين للكتاب والسنة النبوية الصحيحة وقد تكلمت على هذا الباب بتوسع في كتابي «فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد».

فتجد أن كثيرًا ممن يقول لا إله إلا الله قد علق قلبه بحرز أو قبة أو قبر ونحو ذلك.

### وقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

ثنى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بهذين الاسمين العظيمين الجليلين، وهما اسمان عظيمان من اسماء الله الحسنی دالین علی إثبات صفة الرحمة لله **عَزَّجَلَّ**؛ إلا أن اسم الرحمن أبلغ من اسم الرحيم، والقاعدة عند اهل اللغة ان زيادة المباني تدل على زيادة المعاني كما تقدم.

فالرحمن على وزن فعلان وهو من الاسماء المختصة بالله **عَزَّجَلَّ**، ولم يُسَمَّ به إلا مسيلمة الكذاب من باب المكابرة، وقد كانت العرب تعرف الرحمن ولكن المكابرة والعناد وفي حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ قُرَيْشًا صَالِحُوا النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لِعَلِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «اَكْتُبْ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنْ اَكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ...»<sup>(١)</sup>.

وفي القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، فهو من الاسماء المختصة ولا يجوز ان يسمى غير الله به، كاسم (الله)، والظاهر، والقاهر، والمتكبر، والجبار، والرحمن، وغير ذلك من الاسماء المختصة.

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٤).

وأما اسم ﴿الرَّحِيمِ﴾ فليس من الاسماء المختصة؛ ولهذا سمي الله عزَّوجلَّ محمداً رحيمًا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

و﴿الرَّحْمَنُ﴾ رحمن الدنيا والآخرة ورحمته للبر والفاجر، و﴿الرحيم﴾ خاصة بالمومن ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ورحمته للكافر بإطعامه واستصحاحه وغير ذلك مما يتعلق به في حياته الدنيا وأما في الآخرة فلا رحمة له.

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد» (١/٢٤)، إلى أن (الرحمن) دال على الصفة القائمة بالذات، و﴿الرحيم﴾ دال على تعلقها بالمرحوم، ولهذا لم يجئ اسم الرحمن متعديا في القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ولم يقل: رحمانا، وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما.

وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سماه الله تعالى حمداً كما تقدم في الحديث القدسي. ولما قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ سماه ثناءً.

### والفرق بين الحمد والثناء:

أن الثناء تكرر الحمد، وإلا فالأصل أن الثناء من الحمد؛ لكن إذا تكرر الحمد مرة أو مرتين أو ثلاث يسمي ثناءً.

قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وفي بعض القراءات ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، فكلاهما من الأسماء الحسنی وقد ذكر العلماء أوجه للإتيان بمالك وملك، ولخصها ابن عثيمين رحمه الله تعالى في تفسيره للفاتحة وذكرها أيضاً غيره من المتقدمين لاسيما فيما أولف في أوجه القراءات.

فمالك الذي له الملك، أي أنه متصرف فيما يملك، قالوا: وقد يكون مالك لا ملك، وقد يكون ملك لا مالك.

ملك كحال الملوك على الأرض، على الدول يكون ملك لكن ليس مالك لكل شيء ولا متصرف لكل شيء؛ بينما جُمع في حق الله بأنه ملكٌ ومالكٌ، وهذا يدل على عظمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وملك الله تعالى دال على عظمته وربوبيته، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] أي يوم الجزاء، وهو يوم القيامة، اليوم الآخر، سمي يوم الدين لأن الناس يجازون بأعمالهم، فالمؤمن يجازى على إيمانه والكافر يجازى على كفره ولا سواء ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧] قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَتَخْصِيصُ الْمُلْكِ يَوْمَ الدِّينِ لَا يَنْفِيهِ عَمَّا عَدَاهُ، لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِحْبَارُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَذَلِكَ عَامٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ. انتهى من «التفسير» (١/ ١٣٤).

وفي الحديث الذي تقدم قوله: «مَجْدَنِي عَبْدِي»، والفرق بين المجد والحمد: أن المجد من أنواع الحمد، إلا أن الحمد أعم والمجد أخص، فإذا قلت: الحمد لله الهادي المحسن المنعم كان هذا حمداً وليس بمجد؛ لكن إذا قلت: الحمد لله العظيم القاهر القوي الظاهر الجبار كان هذا مجداً وهو حمد.

فالمجد يكون بصفات العظمة والجلال والكبرياء لأن كلمة (م ج د) تدل على السعة قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٥] على قراءة الكسر أي: العرش الواسع العظيم.

وعلى قراءة الضم ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٥] يكون المجد من أسماء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وفي هذا الباب الفارق بين المدح وبين الحمد فالمدح لا يشترط فيه المحبة أو التعظيم فقد يمدح الإنسان ما لا يحب بينما الحمد لا يكون إلا مع المحبة والتعظيم. ومنه الفرق بين الشكر والحمد فإن الشكر يكون بثلاث آلات: وهي اللسان والقلب والجوارح. والحمد يكون بالتين: وهما القلب واللسان. والشكر يكون على الصفا المتعدية كالإحسان، والحمد يكون على الصفات اللازمة والمتعدية.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾.

ثم يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] العِبَادَةُ فِي اللَّغَةِ مِنَ الدَّلَّةِ، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ، وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ، أَي: مُذَلَّلٌ، وَفِي الشَّرْعِ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ.

وَقَدَّمَ الْمَفْعُولُ وَهُوَ ﴿إِيَّاكَ﴾، وَكُرِّرَ: لِإِلْهَتِمَامِ وَالْحَضَرِ، أَي: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ. وَالَّذِينَ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنِيَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥] فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤُ مِنَ الشُّرْكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَالتَّفْوِيزِ إِلَى اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**. وَهَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٢﴾ [هُود: ١٢٢]، ﴿قُلْ هُوَ

الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴿٢٩﴾ [المُلْك: ٢٩]، ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١﴾﴾ [المُزَّمِّل: ٩]. قاله ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «التفسير» (١/ ١٣٤).

أي نعبد إياك وقدم المفعول ليدل على اختصاص الله بالعبادة وفي هذا دليل على أفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة وأنها حقه ولا يجوز أن يُشرك معه غيره لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا؛ ولهذا دعت جميع الرسل إلى هذا الحق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَنَا عَبْدُ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَفَعْنَا رُبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالعبادة حق الله عَزَّوَجَلَّ، وهي أنواع: قولية، وفعلية، ومالية، واعتقادية، فلا يجوز أن يصرف شيء من أنواع العبادات لغير الله لا القولية، ولا الفعلية، ولا الاعتقادية، ولا المالية، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

وقبول العبادة أي كانت متوقفة على شرطين وهما:

١- الإخلاص لله بالتوحيد، قال الله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] وقال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] وفي "الصحيحين" عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مِمَّا نَوَى»<sup>(١)</sup>، وفي مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧).

عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»، والأحاديث في الباب كثيرة يعسر حصرها، وسنخرج عن الموضوع.

ويدل عليه هنا قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] فهي دالة على الإخلاص بأوضح عبارة وأحسن بيان على ما تقدم بيانه.

٢- والشرط الثاني هو: المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إذ يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ١١﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ١٥﴾ [النساء:٦٥]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه<sup>(١)</sup>، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

ولما كان الإنسان عاجزًا عن فعل المأمور وترك المحظور إلا بعون الله، قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة:٥] والاستعانة: طلب العون، والمعنى أننا نستعينك يا الله على عبادتنا لك.

وفي هذا كمال التوكل وصدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ، والتوكل واجب وفرض وحتم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣﴾ [المائدة:٢٣].

وإذا لم يعن الله العبد فلن يستطيع أن يصلي صلاةً، ولا زكاةً، ولا حجًا، ولا ذكرًا، ولا هدايةً، ولا شيئًا من ذلك، ولهذا قال موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ ١٤﴾ [الأعراف:١٤]، وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

تُعِين عَلَيَّ» أخرجه أحمد (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥١٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحديث في "الصحيح المسند" (٦٠٦) لشيخنا مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن وصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمن يحب، فقد قال لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» رواه أبو داود (١٥٢٢)، والحديث في "الصحيح المسند" (١١٠٧) لشيخنا مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى ❀❀ ❀❀ فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ فالفضل لله عَزَّوَجَلَّ أن فرض علينا فرائض ثم أعاننا على الإتيان بها، ففي هذه الآية ما يجب على الإنسان من وجوب الخضوع لله عَزَّوَجَلَّ واستشعار العجز والنقص والفقر والحاجة إلى الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْشُرَ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥] فما تستطيع أن تفعل شيئاً لا أن تقوم، ولا أن تصلي، ولا أن تذكر الله، فربما يضيق صدرك إلى غير ذلك.

ولكن إذا أعان الله سهلت عليك الأمور وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا» أخرجه ابن السني في "عمل اليوم الليلة" (٣٥١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في "الصحيح المسند" (٧٣) لشيخنا مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذه الآية بين الله وبين العبد، أولها إخبار بما يجب على العبد من حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخاتمها أن العبد مستعين وخاضع وفقير وراجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. **والعبادة:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات.

**قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ بِغَايَةِ الدُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُدَلَّلٌ، وَالتَّعَبُّدُ: التَّدَلُّلُ وَالْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحَبَّيْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ خَاضِعًا لَهُ، لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ، وَمَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلا مَحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُجَبَّبًا خَاضِعًا، وَمِنْ هَاهُنَا كَانَ الْمُتَكَبِّرُونَ مَحَبَّةَ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ مُنْكَرِينَ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ لِكُونِهِ مَحْبُوبًا لَهُمْ، بَلْ هُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ، وَوَجْهُهُ الْأَعْلَى نِهَايَةُ بُغْيَتِهِمْ مُنْكَرِينَ لِكُونِهِ إِلَهًا، وَإِنْ أَقْرَأُوا بِكُونِهِ رَبًّا لِلْعَالَمِينَ وَخَالِقًا لَهُمْ، فَهَذَا غَايَةُ تَوْحِيدِهِمْ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الرَّبُوبِيَّةِ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، وَلَمْ يَخْرُجُوا بِهِ عَنِ الشِّرْكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٨٥]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، وَلِهَذَا يُحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِهِ عَلَى تَوْحِيدِ إِلَهِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.**

وَالِاسْتِعَانَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: الثِّقَّةُ بِاللَّهِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَثِقُ بِالْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ مَعَ ثِقَّتِهِ بِهِ لِاسْتِعْنَائِهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَعَ عَدَمِ ثِقَّتِهِ بِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَى اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِ.

وَالتَّوَكُّلُ مَعْنَى يَلْتَمِسُ مِنْ أَصْلَيْنِ: مِنَ الثِّقَّةِ، وَالِاعْتِمَادِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَهَذَا الْأَصْلَانِ وَهُمَا التَّوَكُّلُ، وَالْعِبَادَةُ قَدْ ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، فَرَنَّ بَيْنَهُمَا فِيهَا، هَذَا أَحَدُهَا.

**وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَعْبُودِ وَالْمُسْتَعَانَ عَلَى الْفَاعِلَيْنِ، فَفِيهِ: أَدْبُهُمْ مَعَ اللَّهِ بِتَقْدِيمِ اسْمِهِ عَلَى فِعْلِهِمْ، وَفِيهِ الْإِهْتِمَامُ وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ بِهِ، وَفِيهِ الْإِيذَانُ بِالِاخْتِصَاصِ، الْمُسَمَّى بِالْحَضَرِ، فَهُوَ فِي قُوَّةٍ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ، وَالْحَاكِمِ فِي**

ذَلِكَ ذَوْقُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفِقْهُ فِيهَا، وَاسْتِقْرَاءُ مَوَارِدِ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ مُقَدِّمًا، وَسَيِّبُوهُ نَصًّا عَلَى الْإِهْتِمَامِ، وَلَمْ يَنْفِ غَيْرَهُ.

وَلِأَنَّهُ يُفْبِحُ مِنَ الْقَائِلِ أَنْ يُعْتَقَ عَشْرَةَ أَعْبُدِ مَثَلًا، ثُمَّ يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ: إِيَّاكَ أَعْتَقْتُ، وَمَنْ سَمِعَهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَغَيْرُهُ أَيْضًا أَعْتَقْتُ، وَلَوْلَا فَهْمُ الْإِخْتِصَاصِ لَمَا فُبِحَ هَذَا الْكَلَامُ، وَلَا حَسَنَ إِنْكَارُهُ.

وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١]، كَيْفَ تَجِدُهُ فِي قُوَّةٍ: لَا تَرْهَبُوا غَيْرِي، وَلَا تَتَّقُوا سِوَايَ، وَكَذَلِكَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] هُوَ فِي قُوَّةٍ: لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ بِسِوَاكَ، وَكُلُّ ذِي ذَوْقٍ سَلِيمٍ يَفْهَمُ هَذَا الْإِخْتِصَاصَ مِنْ عِلَّةِ السِّيَاقِ. وَلَا عِبْرَةَ بِجَدَلٍ مَنْ قَلَّ فَهْمُهُ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابُ الشَّكِّ وَالتَّشْكِيكِ، انْتَهَى مِنْ «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/ ٩٥، ٩٨).

وقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمَسْتَقِيمَ﴾ ١

هذا دعاء من العبد لله عَزَّجَلَّ، وفي هذا أدب الدعاء، وهو أن الإنسان إذا أراد أن يدعو الله عَزَّجَلَّ يقدم الحمد لله والثناء والمجد ويتوسل لله عَزَّجَلَّ بأسمائه وصفاته فإن ذلك أحرى أن يستجاب له ثم بعد ذلك يأتي بالدعاء.

وفي حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَلْ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ - أَوْ لغيره -: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالتَّهْنِئَةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ بَيِّنَاتٍ شَاءَ». أخرجه ابو داود (١٤٨١)، والحديث في «الصحيح المسند» (١٠٦٤) لشيخنا مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللهُ.

والهداية المراد بها هنا: هداية التوفيق ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].  
أي: وفقنا إلى الصراط المستقيم والصراط هو الطريق.

والهداية أقسام ذكرها غير واحد من أهل العلم كالراغب في «المفردات» وابن القيم في كثير من كتبه.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ "بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ" (٣٥/٢): الْهِدَايَةُ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٌ: أَحَدُهَا: الْهِدَايَةُ الْعَامَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الْخَلْقِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]: أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ صُورَتَهُ الَّتِي لَا يَشْتَبِهُ فِيهَا بَعْضُهُ بِغَيْرِهِ، وَأَعْطَى كُلَّ عَضْوٍ شَكْلَهُ وَهَيْئَتَهُ، وَأَعْطَى كُلَّ مَوْجُودٍ خَلْقَهُ الْمُخْتَصَّ بِهِ ثُمَّ هَدَاهُ لِمَا خَلَقَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ .

قَالَ وَهَذِهِ الْهِدَايَةُ تَعُمُّ الْحَيَوَانَ الْمُتَحَرِّكَ بِإِرَادَتِهِ إِلَى جَلْبِ مَا يَنْفَعُهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ.

قَالَ وَلِلْجَمَادِ أَيْضًا هِدَايَةٌ تَلِيْقُ بِهِ، كَمَا أَنَّ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَانَ هِدَايَةً تَلِيْقُ بِهِ وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهَا وَصُورُهَا، وَكَذَلِكَ لِكُلِّ عَضْوٍ هِدَايَةٌ تَلِيْقُ بِهِ، فَهَدَى الرَّجُلَيْنِ لِلْمَشْيِ، وَاللِّسَانَ لِلْكَلامِ، وَالْعَيْنِ لِكَشْفِ الْمُرْتَبَاتِ، وَهَلَمَّ جَرًّا.

وَكَذَلِكَ هَدَى الزَّوْجَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ إِلَى الْإِزْدِوَاجِ وَالتَّنَاسُلِ وَتَرْبِيَةِ الْوَلَدِ، وَالْوَلَدَ إِلَى التَّقَامِ التَّدْيِيِّ عِنْدَ وَضْعِهِ، وَمَرَاتِبُ هِدَايَتِهِ سُبْحَانَهُ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا هُوَ.

الثَّانِي: هِدَايَةُ الْبَيَانِ وَالذَّلَالَةِ وَالتَّعْرِيفِ لِتَجْدِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَطَرِيقِي النَّجَاةِ وَالْهَلَاكِ.

وَهَذِهِ الْهِدَايَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْهُدَى التَّامَّ فَإِنَّهَا سَبَبٌ وَشَرْطٌ لَا مُوجِبٌ، وَلِهَذَا يَنْتَقِي الْهُدَى مَعَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

[فصلت: ١٧] أَيْ: بَيْنَا لَهُمْ وَأَرْشَدْنَاهُمْ وَذَلَّلْنَاهُمْ فَلَمْ يَهْتَدُوا. وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ

لَتَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الثَّالِثُ: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ، وَهِيَ الْهِدَايَةُ الْمُسْتَلْزِمَةُ لِلْإِهْتِدَاءِ فَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ»، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، فَفَقِيَ عَنْهُ هَذِهِ الْهِدَايَةَ وَأَثَبَتْ لَهُ هِدَايَةَ الدَّعْوَةِ وَالْبَيَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الشورى: ٥٧].

الرَّابِعُ: غَايَةُ هَذِهِ الْهِدَايَةُ وَهِيَ الْهِدَايَةُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِذَا سَبَقَ أَهْلُهُمَا إِلَيْهِمَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [يونس: ٩]، وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وَقَالَ فِي حَقِّ أَهْلِ النَّارِ: ﴿\* أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٥٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣]. انْتَهَى.

فَالْإِنْسَانُ يَسْأَلُ اللَّهَ الْهِدَايَةَ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَهْمِيَةِ سُؤْلِهَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا سُؤْلَهُ إِيَّاهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. وَوَصَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْهِدَايَةَ وَالسَّدَادَ، فَعَنَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ، بِأَهْدَىٰ هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادِ السَّهْمِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٢٥).

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ،

وَتَوَلَّيْنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». أخرجه أحمد (١٧٨).

وكان من دعائه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** سؤال الهدى والتقوى كما في حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» رواه مسلم (٢٧٢١).

وكم دعا لأناس بها كأم أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** مَا أَكْرَهُ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعْتُ أُمَّيَ خَشَفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاعْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا وَعَجِلْتُ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَارْجِعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَاتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشُرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهُ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمَّيَ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خَلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. أخرجه مسلم (٢٤٩١).

ودعا لدوس ففي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند البخاري (٤٣٩٢) قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: إِنَّ دَوْسًا قَدْ هَلَكْتَ عَصْتُ وَأَبْتُ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَتِ بِهِمْ»**، وأخرجه مسلم (٢٥٢٤).

فالهداية يحتاجها الإنسان في جميع لحظاته وسكناته وإذا خُذل الإنسان منها خُذل، نسأل الله السلامة.

وقوله تعالى: **﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفاتحة: ٦]، ويقرأ بالزاي والسين، والصراط قال في بيانه ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "مدارج السالكين" (٣٣ / ١): وَلَا تَكُونُ الطَّرِيقُ صِرَاطًا حَتَّى تَتَّصِمَنَّ خَمْسَةَ أُمُورٍ: الْإِسْتِقَامَةَ، وَالْإِيصَالَ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَالْقُرْبَ، وَسَعَتَهُ لِلْمَارِّينَ عَلَيْهِ، وَتَعْيْنَهُ طَرِيقًا لِلْمَقْصُودِ، وَلَا يَخْفَى تَضَمُّنُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ.

فَوَصْفُهُ بِالِاسْتِقَامَةِ يَتَضَمَّنُ قُرْبَهُ، لِأَنَّ الْخَطَّ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ أَقْرَبُ خَطٍّ فَاصِلٍ بَيْنَ نُقْطَتَيْنِ، وَكُلَّمَا تَعَوَّجَ طَالَ وَبَعُدَ، وَاسْتِقَامَتُهُ تَتَضَمَّنُ إِيصَالَهُ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَنَصْبُهُ لِجَمِيعِ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَسْتَلْزِمُ سَعَتَهُ، وَإِصَافَتُهُ إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَوَصْفُهُ بِمُخَالَفَةِ صِرَاطِ أَهْلِ الْغَضَبِ وَالضَّلَالِ يَسْتَلْزِمُ تَعْيْنَهُ طَرِيقًا. اهـ.

والصراط المستقيم هو الإسلام كما فسره النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فيما رواه الإمام أحمد في "مسنده" (١٧٦٣٤)، والترمذي في "جامعه" (٢٨٥٩) وغيرهما، عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاءٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ - ثُمَّ يَبِينُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذَا الْمَثَلِ الْعَظِيمِ، قَالَ: - وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ:**

حَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

وهذا الصراط المعنوي الذي من استقام عليه، سَلِمَ عَلَى الصراط الحسي؛ لأن هناك صراط يوم القيامة وهو الجسر الممدود على متن جهنم نعوذ بالله من شرها فمن سار على هذا الصراط وسلك السبيل الذي افترضه الله **عَزَّوَجَلَّ** على عباده سَهَّلَ عليه المرور على ذلك الصراط، فعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «...ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ. وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مَزَلَّةٍ. فِيهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ. تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شَوْيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ. فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ العَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ، وَالرَّكَابِ، فَتَاجِ مُسَلِّمٍ، وَتَحْدُوشِ مُرْسَلٍ، وَمَكْدُوشِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فعلى قدر الاستقامة على الصراط في الدنيا تكون الاستقامة على الصراط الحسي في الآخرة، وعند ابن ماجه (١١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطِّينِ عَنِ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطِّينِ عَنِ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الخَطِّ الأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفي قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿\* فَلْيَتَّخِذُوا لِنَفْسِهِمْ مَا هُمْ بِمُعْتَدِينَ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

يَبْغِ أَشَدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَتْ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْتَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأَنْعَام: ١٥١-١٥٣] فكل ما تضمنته هذه الآيات من صراط الله تعالى.

وفيها دليل على وجوب التمسك بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي دين الله عَزَّجَلَّ الحق، ولا سبيل للعبادة كما يجب إلا بسلوكتها فأوجب الله طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وحذر من مخالفته وسلب الإيمان ممن لم يرض بحكمه فقال: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وجعل التأسى به علامة إرادته: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقطع الخيرة مع خيرته فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقرن طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطاعته فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، ومن خالف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ادعائه لمحبة الله كان كاذبًا في دعواه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وجعل رحمته الواسعة لمتبع ملته فقال تعالى: ﴿\* وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكُ قَالِ عَدَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

فَسَأَكُفُّهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِلَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ  
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ  
يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ  
وَعَزَّزُوا وَتَصَرَّفُوا وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ  
يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨]، وأخبر أن الجنة

لأهل طاعته والنار لأهل معصيته، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ  
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣-١٤]، وكفى الله  
عزَّجَلَّ رسوله ومن اتَّبعه، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤]، وأوجب الإيمان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقرنه  
بالإيمان بنفسه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى  
رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

ابتلى الله عزَّجَلَّ المؤمنين بطاعته وفرَّق بها بين أهل ولايته وأهل معصيته قال الله  
عزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ  
الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ  
رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

﴿٧﴾

أي: أن هذا الصراط الذي يسأل الهداية عليه وإليه هو صراط المنعم عليهم، والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، فأنت حين تقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، تقول: اللهم اجعلني على طريق من أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

أنعم الله عزَّوجلَّ عليهم بالهداية، هداية التوفيق والتسديد، وأنعم الله عزَّوجلَّ عليهم بالاستقامة على دينه وعلى شرعه، ومعنى ذلك أن المنعم عليهم هم صفوة البشرية وأعلامهم منزلة الأنبياء والمرسلين، حيث اصطفاهم الله بالوحي المبين وجعلهم هداة إلى طريقه القويم وإلى جنات النعيم.

ويليهم في الرتبة الصديقون وسموا بذلك لصدقهم وتصديقهم ظاهراً وباطناً وأعلامهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويليهم الشهداء وهم أصناف وأعلامهم منزلة من قتل لإعلاء كلمة الله تعالى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمُطْعُونُ، وَالْمُبْطُونُ، وَالْغَرَقِيُّ، وَصَاحِبُ الْهَذْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ثم يليهم الصالحون بأصنافهم.

وفي الآية أنه يجب على العبد أن يكون مكثراً لسواد أهل الحق مبتعداً عن أهل

الباطل.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤).

ثم قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٧]، أي: لا تجعلني مع هؤلاء وفي هذا تمييز لطريق أهل الحق والاستقامة، وطريق أهل الضلال والخيانة. والمغضوب عليهم: هم اليهود، والضالون: هم النصارى، وقد جاء مفسراً في بعض الأحاديث فعن عدي بن حاتم الطائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالَّةٌ». رواه أحمد (١٩٣٨١)، والترمذي (٢٩٥٣)، وابن جرير (١/١٨٦، ١٩٤)، وابن أبي حاتم (١/٣١) وله شواهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقد دل كتاب الله على معنى هذا الحديث، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْمُنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]، والضمير عائد إلى اليهود، والخطاب معهم كما دل عليه سياق الكلام.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة:١٤]، وهم المنافقون الذين تولوا اليهود باتفاق أهل التفسير، وسياق الآية يدل عليه، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ آيَاتٍ مَا يُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٣] وذكر في آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ وهذا بيان أن اليهود مغضوب عليهم.

وقال في النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] إلى قوله: ﴿قُلْ يَتَّهَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧]. وهذا خطاب للنصارى كما دل عليه السياق، ولهذا نهاهم عن الغلو، وهو مجاوزة الحد، كما نهاهم عنه في قوله: ﴿يَتَّهَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

**الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ** ﴿ [النساء: ١٧١] الآية . واليهود مقصرون

عن الحق، والنصارى غالون فيه. انتهى من «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٧٧).

وعند التحقيق كلهم ضال، وكلهم مغضوبٌ عليه، لكن الغضب في حق اليهود أظهر لأنهم علموا ولم يعملوا، والضلال في حق النصارى أظهر لأنهم جهلوا وعملوا، ولهذا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّ النَّصَارَى عَبْدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَالْيَهُودُ عَرَفُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ. انتهى قاله ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤).

ففي السورة ردٌّ على أصحاب وحدة الأديان الذين يزعمون أن هذه الأديان سماوية وأن هذه الأديان متفقة وأن هذه الأديان كذا وكذا.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** قد ذمَّ اليهود وذمَّ النصارى وأخبر أن طريقهم غير مرضي وغير

سوي.

فمن هنا تعرف أن الله تعالى قسم الناس في هذه السورة إلى ثلاثة أقسام:

❦ **الأول:** المنعم عليهم.

❦ **الثاني:** المغضوب عليهم.

❦ **والثالث:** الضالون.

ومن فائدة معرفة هذا التقسيم ما ذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٩٣)

عن المعاني التي تضمنتها هذه السورة، قال: فَصُلِّ فِي بَيَانِ تَضَمُّنِهَا لِلرَّدِّ عَلَى

الرَّافِضَةِ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة: ٦] إِلَى آخِرِهَا.

وَوَجْهُ تَضَمُّنِهِ إِبْطَالَ قَوْلِهِمْ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَسَمَّ النَّاسَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُنْعَمٌ

عَلَيْهِمْ: وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَاتَّبَعُوهُ، وَمَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ:

وَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَرَفَضُوهُ، وَضَالُّونَ: وَهُمْ الَّذِينَ جَهِلُوا فَأَخْطَئُوهُ.

فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْرَفَ لِلْحَقِّ، وَاتَّبَعَ لَهُ كَانَ أَوْلَىٰ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هُمْ أَوْلَى بِهِذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الرَّوَافِضِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَهَلُوا الْحَقَّ وَعَرَفَهُ الرَّوَافِضُ، أَوْ رَفُضُوهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ الرَّوَافِضُ.

ثُمَّ إِنَّا رَأَيْنَا آثَارَ الْفَرِيقَيْنِ تَدُلُّ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ مِنْهُمَا، فَرَأَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَتَحُوا بِلَادَ الْكُفْرِ، وَقَلَبُوهَا بِلَادَ إِسْلَامٍ، وَفَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ وَالْهُدَى، فَأَثَرُهُمْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَرَأَيْنَا الرَّافِضَةَ بِالْعَكْسِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَإِنَّهُ قَطُّ مَا قَامَ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا كَانُوا أَعْوَانَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَمْ جَرُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْ بَلِيَّةٍ؟ وَهَلْ عَآثَتْ سُيُوفُ الْمُشْرِكِينَ عِبَادِ الْأَصْنَامِ مِنْ عَسْكَرٍ هُوَ لَأَكُو وَذَوِيهِ مِنَ التَّنَّارِ إِلَّا مِنْ تَحْتِ رُءُوسِهِمْ؟ وَهَلْ عَطَلَتْ الْمَسَاجِدُ، وَحُرِّقَتِ الْمَصَاحِفُ، وَقَتِلَ سَرَوَاتُ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاؤُهُمْ وَعِبَادُهُمْ وَخَلِيفَتُهُمْ، إِلَّا بِسَبَبِهِمْ وَمِنْ جَرَائِهِمْ؟ وَمُظَاهَرَتُهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَأَثَرُهُمْ فِي الدِّينِ مَعْلُومَةٌ.

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؟ وَأَيُّهُمْ أَحَقُّ بِالْغَضَبِ وَالضَّلَالِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟

وَلِهَذَا فَسَّرَ السَّلَفُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَأَهْلَهُ: بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ كَمَا فَسَّرُوهُ، فَإِنَّهُ صِرَاطُهُمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ عَيْنُ صِرَاطِ نَبِيِّهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَغَضِبَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَحُكِمَ لِأَعْدَائِهِمْ بِالضَّلَالِ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَفِيعُ الرَّيَاحِيِّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَهُمَا مِنْ أَجْلِ التَّابِعِينَ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَاهُ»، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]: «هُمْ أَلْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، وَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّ آلَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ عَلَى طَرِيقِ

وَاحِدَةٍ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَمُؤَالَاةٌ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَتَنَاوُؤُهُمْ عَلَيْهِمَا، وَمُحَارَبَةٌ مِنْ حَارِبًا، وَمُسَالَمَةٌ مِنْ سَالَمًا مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الْأُمَّةِ خَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ: الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ هُمْ أَتْبَاعُهُ، وَالْمَنْغُضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمْ الْخَارِجُونَ عَنِ اتِّبَاعِهِ، وَأَتْبَعُ الْأُمَّةَ لَهُ وَأَطْوَعَهُمْ أَصْحَابُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَأَتْبَعُ الصَّحَابَةَ لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَشَدُّ الْأُمَّةِ مُخَالَفَةً لَهُ هُمُ الرَّافِضَةُ، فَخِلَافُهُمْ لَهُ مَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ فِرْقِ الْأُمَّةِ، وَلِهَذَا يُبْغِضُونَ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا، وَيُعَادُونَهَا وَيُعَادُونَ أَهْلَهَا، فَهُمْ أَعْدَاءُ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَتْبَاعُهُ مِنْ بَنِيهِمْ أَكْمَلُ مِيرَاثًا؟ بَلْ هُمْ وَرَثَتُهُ حَقًّا. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ طَرِيقُ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَطَرِيقُ أَهْلِ الْعُضْبِ وَالضَّلَالِ طَرِيقُ الرَّافِضَةِ.

وَبِهَذِهِ الطَّرِيقِ بَعَيْنُهَا يُرَدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ، فَإِنَّ مُعَادَاتَهُمُ الصَّحَابَةَ مَعْرُوفَةٌ. اهـ.  
وتضمنت هذه السورة كما تقدم الكلام على التوحيد، والإشارة إلى اليوم الآخر، والإشارة إلى القدر، بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].  
وفيهما ترغيبٌ، لقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، وهكذا لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وفيهما ترهيبٌ، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وأيضًا مما يدل عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فإذا لم يهتد الإنسان فهذا ترهيب له وأنه لا خير فيه.

وفيهما أحكام أخر ذكرها أهل العلم بتوسع لاسيما ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» وقد ذكرنا في كتابنا «فتح الكريم في تفسير السبع المثاني والقرآن العظيم» شيئاً كثيراً بحمد الله من ذلك.

وأختم بما قاله ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «تفسيره» (١٤٣/١)، حيث قال: اشْتَمَلَتْ

هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ، عَلَى حَمْدِ اللهِ وَتَمَجِيدِهِ وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِذِكْرِ  
أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَهُوَ يَوْمَ الدِّينِ، وَعَلَى  
إِرْشَادِهِ عِبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّصَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقَوْتِهِمْ، وَإِلَى إِخْلَاصِ  
الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَوْجِيدِهِ بِالْأَلُوْهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ  
مُمَاثِلٌ، وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، وَتَشْيِيتِهِمْ  
عَلَيْهِ حَتَّى يُفْضِي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْحَسِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُنْفِصِي بِهِمْ إِلَى  
جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جَوَارِ النَّبِيِّينَ، وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

وَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،  
وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكِ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُخْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ الْمَغْضُوبُ  
عَلَيْهِمْ وَالصَّالُونَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وَحَذَفُ الْفَاعِلِ فِي الْعَضْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ  
تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [المجادلة: ١٤]، وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ  
الصَّلَاةِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَصْلَهُمْ بِقَدْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ  
اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وَقَالَ: ﴿مَنْ  
يُضِلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذُرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. إِلَى غَيْرِ  
ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تَقُولُهُ  
الْفِرْقَةُ الْقُدْرِيَّةُ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ، مِنْ أَنَّ الْعِبَادَ هُمْ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَهُ،  
وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بَدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتْرَكُونَ مَا يَكُونُ فِيهِ صَرِيحًا فِي الرَّدِّ  
عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالْغَيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِذَا رَأَيْتُمْ  
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ». يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فَلَيْسَ - بِحَمْدِ اللَّهِ -  
 لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصَلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ مُفَرِّقًا بَيْنَ  
 الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ  
 حَمِيدٍ.

وأحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## المهمات من معاني آية الكرسي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل

عمران: ١٧٠].

﴿يَتَابِعُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله **عَزَّجَلَّ** وطاعته فهي خير الزاد وخير اللباس وأعظم وصية، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وجعل الله **عَزَّجَلَّ** كرامة الإنسان بقدر تقواه لربه فقال **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، وسئل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند الشيخين: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟

قَالَ: «أَتَقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ، قَالَ: «فِيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ» قَالَوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَهُوا»<sup>(١)</sup>.

ثم إن الله رحيم بعباده المؤمنين ولطيف بهم؛ ولذلك شرع لهم كل عمل يؤدي إلى سلامتهم من الشرور والآثام في الدنيا، ويؤدي إلى سلامتهم من العذاب في الآخرة، ومن ذلك أنه أنزل إليهم قرآنا يتلى على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ [الزمر: ١]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝﴾ [فصلت: ٢]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [السجدة: ٢].

وهذا الكتاب الذي أنزله الله تعالى حوى بين دفتيه خيري الدنيا والآخرة، وفيه شفاء لما في الصدور، كما أنه فيه شفاء للأبدان قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝﴾ [الإسراء: ٨٢]، وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما يدل على هذا المعنى، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَتَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٍ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُهُ بِرُفِيَّةٍ، فَرَفَاهُ فَبِرًّا، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُفِيَّةً - أَوْ كُنْتَ تَرْفِي؟ - قَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأَمِّ الْكِتَابِ، قُلْنَا: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي - أَوْ نَسْأَلِ - النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُفِيَّةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١).

وقد ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه الأمين **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كثيراً من أوصاف القرآن وفوائده فهو: النور، والوحي، والكتاب الحكيم، والكتاب المبين، وهو موعظة ورحمة للمؤمنين، وهو الكتاب المبارك في أحكامه، وأخباره، وقراءته، وتدبره، وتعقله، وجميع ما يتعلق به وأدلة ذلك مذكورة في موطئها.

وإن من آياته المباركات التي يحفظها الصغار والكبار، وتحفظه النساء والرجال إلا من لم يهتم بما يصلحه، لهي آية الكرسي هذه الآية العظيمة: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد سأل رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أَبِي بَنَ كَعْبٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، عنها؟ كما في «صحيح مسلم» (٨١٠): فَقَالَ: «يَا أَبَا الْمُثَنِّرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُثَنِّرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُثَنِّرِ**».

**قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح مسلم» (٩٤/٦):** قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا تَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكُونِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أَصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَالوحدانية وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ وَهَذِهِ السَّبْعَةُ أَصُولُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. اهـ.

فهي آية عظيمة وعظمها لما تضمنت من المعاني الجليلة المتعلقة ببيان كمال الرب تعالى واتصافه بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

وإلا فإن القرآن كله كلام الله ووحيه وتنزيله، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغُهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

**ومن شأنها: أنه يحال بين العبد وبين الشياطين حين قرأتها:**

كما صح عن أبي هريرة، وأبي الدرداء، وأبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وغيرهم، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: وكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَأ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنْتَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ

الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصِيحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»، رواه البخاري (٢٣١١)، بصورة التعليق وهو ثابت.

وهذه الآية ينبغي على الإنسان أن يحرص على الإتيان بها لاسيما في زمن قلَّ الإيمان وضعف وكثر فيه الشرور والآثام وكثير من الناس صاروا مصيدة للشيطان هذا بسحرٍ، وهذا بعينٍ، وهذا بمسٍ، أو غير ذلك من الأمراض الشيطانية التي تصيب الإنسان، فلو تحصن العبد بهذه الآية العظيمة لحفظه الله **عَزَّوَجَلَّ** من بين يديه ومن خلفه وصرف عنه الشيطان.

وبيان معاني هذه الآية على ما يأتي إن شاء الله تعالى. فقد تضمنت جملاً كثيرة كل جملة منها شاملة كاملة في بيان ما لله تعالى من الكمال المقدس في وحدانيته، وحياته، وقيوميته، وملكه التام الشامل، وعلمه بكل معلوم مع عجز العباد عن الإحاطة بأسمائه وصفاته أو بشيء من علمه إلا بما دلهم عليه، وعظم كرسيه الذي هو موضع قدمه على ما يأتي إن شاء الله تعالى، وعدم عجزه عن حفظ السموات والأرض ومن فيهما، وبيان علوه على خلقه ذاتاً وقهراً وقدرًا، وبيان عظمته وكبره تعالى، وسعته فهو الواسع الحكيم وهو الكبير المتعال.

**قال الزَّمَخْشَرِيُّ:** فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَرْتَبَّتِ الْجُمْلُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ عَطْفٍ؟ قُلْتَ: مَا مِنْهَا جَمَلَةٌ إِلَّا وَهِيَ وَارِدَةٌ عَلَى الْبَيَانِ لِمَا تَرْتَبَّتْ عَلَيْهِ، وَالْبَيَانُ مَتَّحِدٌ بِالْمَبِينِ، فَلَوْ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا عَاطِفٌ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَاثِهَا،

فالأولى: بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه، والثانية: لكونه مالكا لما يدبره، والثالثة: لكبرياء شأنه، والرابعة: لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم، المستوجب للشفاعة وغير المرتضى، والخامسة: لسعة علمه، وتعلُّقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله وعظم قدرته. انتهى. يعني غالب الجمل وإلا فبعض الجمل فيها معطوفة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَعُودُهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، انتهى «من اللباب في علوم الكتاب» (٤/ ٣٢٥).

### قول الله عزَّجَلَّ في هذه الآية: ﴿اللَّهُ﴾.

اسم الله الأعظم عليه مدار جميع الأسماء الحسنَى والصفات العلى مشتق من الإله: وهو المعبود محبة وتعظيمًا وهو متضمن لجميع معاني الأسماء الحسنَى والصفات العلى ودال عليها وهو الحق تعالى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، وقد أنزل الله تعالى كتابه ووحيه وذكر فيه من أسمائه وصفاته ما يكون طريقاً إلى معرفة العباد لربهم تعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/ ٥٥): فَاسْمُ اللَّهِ ذَالٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا بِالذَّلَالَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُ ذَالٌ عَلَىٰ إِلَهِيَّتِهِ الْمُتَمَصِّنَةِ لِثُبُوتِ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَعَ نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ.

وَصِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ: هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ، الْمُنَزَّهَةُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَعَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، وَلِهَذَا يُضَيَّفُ اللَّهُ تَعَالَى سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى إِلَى هَذَا الْإِسْمِ الْعَظِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَيُقَالُ: الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَا يُقَالُ: اللَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. انتهى.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

أخبر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن نفسه المقدسة أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له وهذه أعظم كلمة وأعظم شهادة وأعظم خبر: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وأعظم ما يجب أن يُعْلَمَ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، فأخبر الله **عَزَّجَلَّ** أنه المتفرد بالألوهية والمتفرد بالتصرف في هذا الكون العظيم فلا شريك له في عبادته ولا شريك له في خلقه ولا شريك له في أسمائه وصفاته.

فهو المستحق تعالى للعبادة إذ هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير وهو المتصف بصفات الجمال والكمال والعظمة والكبرياء.

وفي القرآن كثير من الآيات المتضمنة لهذه الكلمة والدالة على معناها فمنها:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَدَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغْلِظًا فَنظَرَ نَدِيمًا لَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحِيدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢-٤].  
وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٦٠]. إلى غير ذلك.

ومنها ما هي دالة على معنى لا إله إلا الله لجمعها بين النفي والاثبات وهذا كثير:

• فمنها قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا قَالَ ابْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦].  
﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٧].  
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

• وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وفصائل كلمة (لا إله إلا الله) كثيرة فهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨].  
قال ابن عيينة: "ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا. انتهى" كلمة الإخلاص "لابن رجب (٥٣).

من قالها عصم ماله ودمه، ومن أبأها فماله ودمه هدر، ففي «صحيح مسلم» (٢٣) عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمِ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحِسَابَهُ عَلَى اللَّهِ».

وهي أول ما يُطلب من الكفار عندما يُدعون إلى الإسلام فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» الحديث، أخرجاه في «الصحيحين»<sup>(١)</sup>. وهي أفضل الذكر، ففي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رواه أحمد (٦٩٦١)، والترمذي (٣٥٨٥).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَالْحَاكِمُ (١٨٣٤) وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وهي أثقل شيء في الميزان: فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلَّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُخَصِّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، رواه ابن حبان (٦٢١٨)، والنسائي (١٠٩١٣)، والحاكم (١٩٣٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

يُخْرِجَاهُ، والصحيح أنه ضعيف بهذا السند ففيه دراج عن أبي الهيثم لكن له شواهد منها حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** عند أحمد (٦٥٨٣)، في وصية نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لولده وفيه: «**أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا إِلَهَ اللَّهِ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بَيْنَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، فَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.**»

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمْتَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَمْ تَعُدُّ، أَلَمْ تَحْسَبْ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السَّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، فَتُوضَعُ السَّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِلَّاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى: «الْبِطَاقَةُ: الرُّقْعَةُ، وَأَهْلٌ مِصْرَ يَقُولُونَ لِلرُّقْعَةِ: بِطَاقَةٌ». أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٠) واللفظ له، والترمذي (٢٦٣٩).

وهي مفتاح الجنة وأمان من العذاب، فعن أَبِي ذَرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أبيضٌ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَعْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»، رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

وعن أبي هريرة **رضي الله عنه**، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَحَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْغِي رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** حَتَّى آتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَذُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبَا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فِإِذَا رِبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَيْتِ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدُولُ - فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا، فَحَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَآتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهُوَ لَاءِ النَّاسِ وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضْرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَزْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فِإِذَا هُوَ عَلَى أَثْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ، فَضْرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيْ ضَرْبَةً خَرَزْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِي يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهْمُ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «فَخَلِّهْمُ»، رواه مسلم (٣١).

وهي موجبة لشفاعته المصطفى **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»، رواه البخاري (٩٩).

وهي أفضل الأعمال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَوُحِّيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْرًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»، رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُضْبِحُ، كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَوُحِّيتَ عَنْهَا مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدَلٌ رَقِيبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَئِذٍ حَتَّى يُمِيسِيَ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمِيسِيَ، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ»، رواه أحمد (٨٧١٩).

وهذا قليل من كثير في فضل هذه الكلمة العظيمة.

وقوله تعالى: ﴿الْحَيُّ﴾.

ذو الحياة الكاملة من كل وجه الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فثبوت الحياة يلزم منه نفي الموت، ونفي الموت يلزم منه إثبات الحياة.

وفي حديث ابن عباسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، كَانَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»**، أخرجه مسلم (٢٧١٧).

وقال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾**﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾**﴾ [القصص: ٨٨].

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الكافية الشافية» (٣٦):

وله الحياة كمالها فلاجل ذا ❀❀ ما للممات عليه من سلطان  
وكذلك القيوم من أوصافه ❀❀ ما للمنام لديه من غشيان  
وكذاك أوصاف الكمال جميعها ❀❀ ثبتت له ومدارها الوصفان

وقوله تعالى: ﴿**الْقَيُّومُ ﴿١٥﴾**﴾.

هو القائم بنفسه المقيم لغيره إذ هو الغني وغيره فقير إليه فما من مخلوق في هذه الحياة إلا وهو مُتَمَتِّعٌ لإقامة الله له مهما عظم وزنه وكثر ماله وكثر أتباعه فهو الفقير إلى الله: ﴿**\* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾**﴾ [فاطر: ١٥].

وفي حديث ابن عباسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: **«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حَقًّا، وَالسَّاعَةَ حَقًّا، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ». أخرجه البخاري (١١٢٠).

فالله **عَزَّجَلَّ** مقيم للسَّموات والأرض ومن فيهن، ولهذا جاء في حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو [كثيرًا]: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ»، أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦١٢)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

فيتوسل إلى الله **عَزَّجَلَّ** بهذين الاسمين العظيمين، تدعو حيًّا سميعًا قريبًا مجيبًا، وتدعو قيوماً قادراً لا يعجزه شيء، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في النونية:

هذا ومن أوصافه القيوم والـ ❀❀  
 فالأول استغناؤه عن غيره ❀❀  
 والوصف بالقيوم ذو شأن كذا ❀❀  
 والحي يتلوه فأوصاف الكمال ❀❀  
 فالحي والقيوم لن تتخلف الـ ❀❀  
 قيوم في أوصافه أـمـرـان  
 والفقر من كل إليه الثاني  
 موصوفه أيضا عظيم الشأن  
 هما لأفق سمائها قطبان  
 أوصاف أصلا عنهما ببيان

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

وذلك لِكَمالِ حياته وقيوميته لا تأخذه سنة وهي مقدمة والنعاس، ولا يأخذه نوم وهو النوم المستغرق، فالله **عَزَّجَلَّ** لِكَمالِ حياته وكمال قيوميته متنزّه عن جميع أنواع النقائص.

ولهذا تجد الإلتقان في ملك الله **عَزَّجَلَّ**؛ لأنه الحي الذي لا يموت يمسك السماء أن تقع على الأرض، ولا يغيب عنه شيء من أعمال العباد وأفعالهم ومن مصالحهم، وفي حديث أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ **عَزَّجَلَّ** لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبُغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفُضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

رواه مسلم (١٧٩).

فالله **عَزَّجَلَّ** منزّه عن ذلك، منزّه أن يغيب عنه شيء لِكَماله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

وهذا من عظيم شأنه تعالى أنه مالك السموات والأرضين وما فيهن وما بينهما وقد قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال جل ذكره: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ  
 يَدِينُهُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ  
 لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٩].

فبين سبحانه في هذه الآيات أن له الملك المطلق والتصرف المطلق في العالم العلوي والسفلي، ومع ذلك أبى الكفار إلا عبادة الطواغيت من دونه تعالى فالملك ملكه في الدنيا والآخرة مالك يوم الدين، ويوم القيامة حين تفتى الخلائق يأخذ الله عز وجل السموات بيمينه، ويأخذ الأرض بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين [بيده الأخرى]، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

فأعرف قدرك أيها الإنسان مهما كثر مالك واتباعك وعظم شأنك فأنت فقير إلى الله عز وجل وأنت ملوكه ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، وتقرير ملك الله تعالى للعالم في القرآن كثير فمن أراد تتبع ذلك وجدته.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

وذلك لكمال قوته وقهره وعظمته لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه سبحانه وتعالى، بينما المخلوقين المربوبين تجد أن الناس يأتون إليهم هذا يشفع عنده في زواجه، والآخر يشفع عنده في مال، والآخر في عفو وفي غير ذلك، ومن غير إذن وقد يحرجه.

أما الله عز وجل لملكه التام وتصرفه المطلق فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، قال الله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾

[الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿\* وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦].

والناس في الشفاعة ثلاثة أقسام:

**الأول:** من أثبتها للأوثان والأصنام والمقبورين وهذا شرك أكبر مخرج من الملة وهي أحد أسباب عبادة الكفار لمعبوداتهم.

**الثاني:** من نفاها مطلقا وهم الخوارج والمعتزلة ومن إليهم، لا سيما الشفاعة في خروج الموحدين من النار على ما يأتي.

**الثالث:** أهل السنة والجماعة وقد توسطوا في ذلك فاثبتوا منها ما كان بشرطه على ما تقدم.

فشروط الشفاعة المقبولة عند الله تعالى ثلاثة: رضئ الله عن الشافع، والمشفوع له، وإذن الله تعالى للشافع.

وهذا لكمال قهره وقوته **سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ**، ولهذا يأتي يوم القيامة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويسجد بمقدار جمعة كما جاء في بعض أحاديث الشفاعة ويحمد الله بمحامد يفتح الله **عَزَّجَلَّ** له بها حتى يقول الله **عَزَّجَلَّ** يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع.

وقد ذكر الله تعالى الشفاعة في القرآن منفية ومثبتة فالمثبتة ما كملت شروطه المذكورة.

والمنفية هي التي تطلب من الألهة المربوبة أو تكون لغير المسلم.

قال الذهبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في مقدمة كتابه «إثبات الشفاعة» (٢٠): فشفاعات نبينا

**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سبعة:

• **فأولها:** شفاعته الكبرى العامة في الخلائق، الخاصة به حين يرغب الخلق إليه، فيشفع في أهل الموقف ليقضى بينهم، وذلك هو المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

• **الثانية:** شفاعته إذ يسجد ويحمد ربه، ثم يقول: «أَمْتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَذْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ»<sup>(١)</sup>، والحديث في الصحيح.

• **الثالثة:** شفاعته في دخول سائر أهل الجنة، الجنة، كما خرج مسلم من طريق أنسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

• **الرابعة:** شفاعته في من دخل النار من أهل الكبائر. قال: «فِيحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». إلى أن قال في الثالثة: «يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»<sup>(٢)</sup>.

• **الخامسة:** شفاعته في بعض أهل النار حتى يخفف من عذابه كما في الصحيح من حديث أبي سعيد أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** ذكر عمه أبا طالب، فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث العباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قال: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمْرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأُخْرِجَتْهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ»، رواه مسلم<sup>(٤)</sup>.

• **السادسة:** شفاعته في قوم استوجبوا دخول النار بذنوبهم، فيشفع فيهم، فلا يدخلون النار ويدخلون الجنة.

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٤) برقم (٢٠٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

• **السابعة:** يشفع في رفع درجات أقوام وزيادة نعيمهم، كما في حديث أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** دعا لأبي سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لما قبض، فقال: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمُهْدِيِّينَ»**، وذكر الحديث. أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>. انتهى.

وأهل البدع من المعتزلة والخوارج ينكرون شفاعة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في إخراج أصحاب الكبائر من الموحدين من النار مع أن الأدلة في «الصحيحين» وغيرها ترد قولهم الفاسد، ومن ذلك حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُونَ لِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»** <sup>(٢)</sup>، وذكر الحديث بطوله، إلى أن قال: **«فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاسَلْ تُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»**، متفق عليه <sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ للبخاري: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»**، وعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»**، أخرجه أحمد

(١) برقم (٩٢٠).

(٢) متفق عليه، البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) واللفظ له.

(٣) وهذا لفظ البخاري.

(١٣٢٢٢) وغيره، وهو حديث صحيح ذكر طرقه وصححه شيخنا مقبل الوداعي **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في كتاب «الشفاعة».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

فيه: إثبات المشيئة لله تعالى، وهذا في القرآن كثير منه قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] فمشيئته نافذة لا راد لها.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

أي: ما أمامهم وما خلفهم احاطته بالمعلومات ظاهرها وغائبها قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، فالغيب: ما غاب عنك. والشهادة: هو الظاهر، فالله عز وجل عالم بكل شيء كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

مهما بلغ علم العباد فإنهم عاجزون قاصرون أن يبلغوا شيئاً من علم الله إلا إذا أطلعهم الله **عَزَّجَلَّ** على ذلك: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وللآية معنى آخر وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿٦٧﴾﴾ [طه: ١١٠]: أنهم لا يعلمون شيء من أسمائه وصفاته إلا بما أخبرهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** عنه. وفي الآية دليل إلى مذهب أهل الحق إلى أن أسماء الله تعالى وصفاته غير داخلة تحت عدد معلوم لنا، ومن هذا الباب ينبغي أن ثبت لله **عَزَّجَلَّ** ما أثبتته لنفسه من أسماء وصفاته كما يليق بجلاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** وكما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ولا يجوز أن نصف الله **عَزَّجَلَّ** بشيء لم يرد في الكتاب والسنة فإن الله **عَزَّجَلَّ** له الكمال المطلق من كل وجه وهذا الباب لا يعرف كيف هو إلا الله تعالى.

قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، ليس له نظير ولا مثل ولا معين ولا ظهير بل **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** القوي القدير.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

يخبر تعالى عن عظم مخلوقاته ومنها كرسیه، قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «الكرسي: موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره»، رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٨)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٩٠)، والدارمي في «الرد على المريسي»، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (٥٨٦)، والحاكم في «المستدرک» (٣١١٦)، وصححه علي شرط

الشيخين ووافقهم الذهبي، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (١٠٢)، وأحمد شاکر في «عمدة التفسير» (١٦٣/٢).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَلَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ»، رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (٥٨٨)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٦٠)، وابن جرير (٥٣٨/٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٩)، وغيرهم، وصحح إسناده ابن حجر في «الفتح» (١٩٩/٨)، والألباني في «مختصر العلو» (١٢٣-١٢٤).

وهذان الأثران لهما حكم الرفع ويدلان على إثبات القدمين لله تعالى، وعلى هذا درج أهل السنة. والكرسي كالمرقاة إلى العرش كما قال ذلك غير واحد من أهل العلم.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الكرسي هو العرش، وهذا قول باطل فهما مخلوقان متغايران.

قَالَ تَعَالَى مَبِينًا بَعْضُ أَوْصَافِ الْعَرْشِ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥]، ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل: ٢٦]، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧]، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧].

وَفِي دُعَاءِ الْكَرْبِ الْمَرْوِيِّ فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي حَدِيثِ الْأَوْعَالِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «هَلْ تَذُرُونَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَيْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ، لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ». وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، بِسَنَدِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، مِنْ حَدِيثِ الْأَطِيطِ، أَنَّهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ كَمَا كَذَا، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ، مِثْلَ الْقُبَّةِ» الْحَدِيثَ.

**قلت**: أصح منه ما جاء عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالتِّي تَلِيهَا مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالتُّرْبِيِّ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ التُّرْبِيِّ، وَالمَاءِ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ عَلَى المَاءِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ».

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ». يُرْوَى وَفَوْقَهُ بِالنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، أَي: وَسَقْفُهُ.

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ إِلَى أَنَّ الْعَرْشَ فَلَكٌ مُسْتَدِيرٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ مُحِيطٌ بِالعَالَمِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَرَبَّمَا سَمَّوَهُ: الْفَلَكَ الْأَطْلَسَ، وَالفَلَكَ التَّاسِعَ! وَهَذَا

لَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الشَّرْعِ أَنَّ لَهُ قَوَائِمَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ». انتهى من «شرح الطحاوية» (٢٥٤).

ومن أهل البدع من ذهب إلى أن العرش: هو الملك، والكرسي: هو العلم، وهذه أقوال مخالفة للعقيدة الصحيحة وبالله التوفيق.

وجاء في وصف هذا الكرسي: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»<sup>(١)</sup>. كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والله عَزَّوَجَلَّ فوق ذلك وأعظم من ذلك، فانظر إلى هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة الواسعة الجلييلة خالقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكبير المتعال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَفُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

أي: لا يُكرِثه ولا يُعجزه حفظ السموات والأرض، وهذا لكمال علمه وقدرته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، بل انظر إلى عدد المخلوقات التي في السموات والأرض ومع ذلك يحفظها الله عَزَّوَجَلَّ وقد قدر أقاتها، وقد رعاها، وقد راعها، وقد راعها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يشغله شيء عن شيء، وكل يوم هو في شأن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يرفع هذا ويخفض هذا، ويعطي هذا ويمنع هذا، فعن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَلْفَ الصَّلَاةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ لَا

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦١).

مَانِعٍ لِمَا أُعْطِيَتْ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعَتْ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، أخرجه البخاري (٦٦١٥)، ومسلم (٥٩٣).

فلا ينفع صاحب العظمة من الله عظمته فإن الله **عَزَّجَلَّ** هو القاهر الظاهر القوي الجبار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «تَفْسِيرِهِ» (٥٢١/١): وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَفُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾** أي: لَا يُثْقَلُهُ وَلَا يُكْرِثُهُ حِفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا فِيهِمَا، وَمَنْ بَيْنَهُمَا، بَلْ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ، يَسِيرٌ لَدَيْهِ، وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، الرَّقِيبُ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا حَقِيرَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَهُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَسِيبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الرَّقِيبُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. اهـ.

وقوله تعالى: **﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾**.

العلي في عليائه على عرشه بائن من خلقه قال تعالى: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [طه:٥]، وقال تعالى: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [الحديد:٣]، وفي قول المؤمن في السجود: **﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى﴾** دليل على ذلك، ومن الأدلة على علو الله تعالى قوله: **﴿أَمْنَمُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾** [الملك:١٦]، وغير ذلك من الأدلة المبسوطة في موطنها.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله عليّ في عليائه ولا يجوز بحال أن يعتقد المسلم أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كل مكان بذاته فإن هذه عقيدة فرعونية وهذه عقيدة حلولية اتحادية وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على تكفير هذه الطائفة التي تعتقد أن الله **عَزَّجَلَّ** في كل مكان بذاته بل هو معنا بعلمه وبصره وسلطانة وقهره، فهو عليّ على

عرشه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو العلي الظاهر العظيم الكبير كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ١﴾ [الرعد: ٩].

ولهذا جاء في السنة أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان إذا نزل سَبَّحَ وإذا صعد كبر قال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** في شأن هذا الأمر: كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أسفاره إذا علا صعدًا كبر، وإذا نزل واديًا سَبَّحَ، وذلك أن العالي على الشيء قد يتعاضم في نفسه، فيرى أنه كبير، فكان من المناسب أن يكبر الله **عَزَّوَجَلَّ** فيقول: الله أكبر، وأما إذا نزل فالنزول سفول فناسب أن يسبح الله **عَزَّوَجَلَّ** عند السفول، هذه هي المناسبة. اهـ<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿الْعَظِيمِ ٢٥٠﴾.

أي: صاحب العظمة الكبير **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وفي حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند أبي داود (٨٧٣)، أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقول في ركوعه: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: قَالَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ»، أخرجه أبو داود (٤٠٩٠).

وقد قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٦﴾ [الواقعة: ٧٤]، وكان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول في ركوعه: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ» كما في مسلم (٧٧٢) عَنْ حَدِيثِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وفي مسلم (٤٧٩) أيضًا: من حديث ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** السَّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تَرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي مُهِيتُ أَنْ

(١) «لقاء الباب المفتوح» (١٠٢).

أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ **عَزَّوَجَلَّ**، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهَدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «الكافية الشافية» (٢٠٣):**

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ ❀ ❀ — عظيم لا يحصيه من إنسان فهذه آية عظيمة ينبغي علينا أن نحفظها وأن نُحَفِّظَ من استطعنا من المسلمين، وأن نحفظ ما دلت عليه من المعاني العظيمة الجليلة فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** يُتوسل إليه لاستجابة الدعاء بأسمائه وصفاته وهذه الآية تضمنت من الأسماء ومن الصفات ومن الجمل التي تدل على عظمة الله **عَزَّوَجَلَّ**، ما فيها بلاغ حتى نلقى الله **عَزَّوَجَلَّ** وما فيها زاجر لكل مبطل ومتكبر ونسال الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرحمنا وإياكم وأن يغفر لنا وإياكم وأن يوفقنا وإياكم لتدبر القرآن والحمد لله.

**ما يؤخذ من الآية الكريمة، آية الكرسي:**

- ١- إثبات الألوهية لله، وانفراده بذلك.
- ٢- إثبات صفة الحياة وهي من الصفات الذاتية.
- ٣- إثبات صفة القيوم.
- ٤- تنزيه الله عن السنة والنوم والعجز، لما في ذلك من المنافاة لكمال حياته وقيوميته وقدرته.
- ٥- إثبات سعة ملكه، وأنه تعالى له ما في السموات وما في الأرض ملكًا وخلقًا، وليس له في ذلك شريك ولا منازع، وأن الجميع عبيده، وتحت قهره وسلطانه.
- ٦- إثبات سعة علمه، وأنه محيط بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأنه لا ينسى ولا يغفل، ولا يلهيه شأن عن شأن.

٧- اختصاصه - سبحانه - بالتعليم، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما أعلمهم الله  
جَلَّ وَعَلَا.

٨- إثبات الشفاعة بإذنه؛ لقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾  
[البقرة: ٢٥٥].

٩- أن عظمة الكرسي من جملة الأدلة على عظمة الله.

١٠- إثبات علو الله على خلقه.

١١- الترقى في نفي النقص من الأضعف إلى نفي الأقوى؛ لأن من لا تغلبه  
السنة قد يغلبه النوم لأنه أقوى.

١٢- إثبات المشيئة.

١٣- الحث على الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية والعبادة، فلا يكون عبداً إلا  
الله، ولا يتجه بالعبادة إلا الله، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله وما يأمر به من الطاعات.

١٤- أن العبادة لا يملكون الأعيان ملكاً مطلقاً، وإنما يملكون التصرف فيها  
على مقتضى الشرع.

١٥- إن شعور الإنسان بأن ما في السموات وما في الأرض وكل شيء ملك لله  
سبب لقمع حدة الشره والطمع والحرص والتكالب على الدنيا.

١٦- أن استحضار ذلك وأن ما في يده عارية إلى أمد محدود يكسب في النفس  
القناعة والرضا بما يحصل من الرزق والسماحة والجودة بالموجود، والزهد في  
الدنيا، والإقبال على الآخرة.

١٧- أن العباد لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً.

١٨- إثبات الرد على المشركين القائلين بأن أصنامهم تشفع.

- ١٩- الرد على القدرية القائلين بأن الله - سبحانه - لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.
- ٢٠- الرد على من زعم أن الكرسي علمه أو أنه قدرته أو ملكه، أو نحو ذلك.
- ٢١- أن النوم والسنة صفة نقص؛ ولهذا نزه **جَلَّ وَعَلَا** نفسه عنهما.
- ٢٢- تنزيه الله عن الولد والزوجة، والرد على من نسب ذلك إلى الله.
- ٢٣- الرد على من قال أن ما هناك سماء، وإنما هو فضاء.
- ٢٤- أن في السموات خلق لله لا يعلمهم إلا هو **جَلَّ وَعَلَا**.
- ٢٥- أن الكرسي أوسع من السموات والأرض.
- ٢٦- أن العباد لا يجرؤون على الشفاعة والتكلم إلا بإذنه، وذلك لجلاله وعظمته. انتهى أفاده السلطان **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى كما في تفسيره لآية الكرسي<sup>(١)</sup>.

وتمت المراجعة

في ٢٢ / محرم / ١٤٣٩هـ

مركز السنة بمسجد الصحابة بالغيضة

المهرة - اليمن

(١) «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية» (٣٨) لأبي محمد عبد العزيز السلطان (المتوفى: ١٤٢٢هـ).

وقفات وعبر من قصة يوسف عليه السلام

## وقفات وعبر من قصة يوسف عليه السلام

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.**

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل

عمران: ١٣٠].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أَمَّا بَعْدُ:**

ففي العشر الأواخر من رمضان، من عام (١٤٤٠هـ) صلى بنا الأخ سليمان المالي بسورة يوسف أغلبها في ركعة واحدة، فتاقت نفسي إلى استنباط ما فيها من العلوم النافعة، والفوائد الماتعة فشرعت من ليلتها في مسجد الصحابة بمدينة الغيضة على مسامع طلاب العلم ومن إليهم، في تعليقة مختصرة على المعاني المنيفة من هذه السورة الشريفة، وكانت بعنوان: (وقفات وعبر من قصة يوسف **عليه السلام** وما فيها من معتبر) ثم زدت عليها من أقوال أهل العلم ما يناسب المقام.

فإن هذه السورة مشتملة على أحسن القصص، فهي من أولها إلى آخرها مشتملة على ما يتعلق بيوسف **عليه السلام**، وما مر به وما لحقه وأباه من المحنة، والله المستعان.

**قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٥):** قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَذَكَرَ اللَّهُ أَقَاصِيصَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَرَّرَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي وُجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ بِالْفَاطِطِ مُتَبَايِنَةٍ عَلَى دَرَجَاتِ الْبَلَاغَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ قِصَّةَ يُوسُفَ وَلَمْ يُكَرِّرْهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ مُخَالَفٌ عَلَى مُعَارَضَةٍ مَا تَكَرَّرَ، وَلَا عَلَى مُعَارَضَةٍ غَيْرِ الْمُتَكَرَّرِ. اهـ

ومعلوم أن دراسة مثل هذه الوقائع والأحداث فيها الدعوة إلى زيادة الإيمان وحسن التأسي بالأنبياء والمرسلين، والثبات على الدين والصبر على الأذى ما الله به عليم كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٨٧] ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآئِهِمْ فَسَاءَ الَّذِي كَفَرُوا بِهَا لَيْسُوا يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتِدَةٌ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام:٨٧-٩٠].

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى الزعكري  
في الثالث والعشرين من شعبان لعام اثنين وأربعين وأربع مائة وألف



## الوقفه الأولى

في قول الله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [يوسف: ١-٢].

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٢/ ٦٩): فَهَذَا يَتَضَمَّنُ إِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ أَكْمَلُ الْأَلْسِنَةِ وَأَحْسَنُهَا بَيَانًا لِلْمَعَانِي فَنَزُولُ الْكِتَابِ بِهِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ نُزُولِهِ بِغَيْرِهِ وَهُوَ إِنَّمَا خُوِطِبَ بِهِ أَوَّلًا الْعَرَبُ لِيَفْهَمُوهُ ثُمَّ مَنْ يَعْلَمُ لُغَتَهُمْ يَفْهَمُهُ كَمَا فَهَمُوهُ ثُمَّ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ لُغَتَهُمْ تَرَجَمَهُ لَهُ مَنْ عَرَفَ لُغَتَهُمْ وَكَانَ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ بِهِ عَلَى الْعَرَبِ أَوَّلًا وَالْإِنْعَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَعَانِيهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَهُ غَيْرُهُمْ. اهـ

## الوقفه الثانية

في قوله تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠): ثُمَّ ذَكَرُوا: لِمَ سُمِّيَتْ أَحْسَنَ الْقَصَصِ؟ فَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ قِصَّةٌ تَتَضَمَّنُ مِنَ الْعِبَرِ وَالْحِكَمِ وَالنُّكْتِ مَا تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْقِصَّةُ. وَقِيلَ: لِامْتِدَادِ الْأَوْقَاتِ بَيْنَ مُبْتَدَأِهَا وَمُنْتَهَاهَا. وَقِيلَ لِحُسْنِ مُحَاوَرَةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَاهُمْ وَإِعْضَائِهِ عَنْ ذِكْرِ مَا تَعَاطَوْهُ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَرَمِهِ فِي الْعَفْوِ. وَقِيلَ لِأَنَّ فِيهَا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ وَالْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالْإِنْعَامَ وَالطَّيْرَ وَسِيرَ الْمُلُوكِ وَالْمَمَالِيكَ وَالتُّجَّارِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءَ وَمَكْرَهُنَّ وَحِيلَهُنَّ وَفِيهَا أَيْضًا ذَكَرَ التَّوْحِيدَ وَالْفِقْهَ وَالسِّيَرِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُعَاشِرَةَ وَتَدْبِيرِ الْمَعَاشِ فَصَارَتْ أَحْسَنَ الْقَصَصِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَقِيلَ فِيهَا ذَكَرَ الْحَبِيبَ وَالْمَحْبُوبَ.

وَقِيلَ "أَحْسَنُ" بِمَعْنَى أَعْجَبَ. وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ قِصَّةَ يُوسُفَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ "الْقِصَصَ" بِالْفَتْحِ هُوَ النَّبَأُ وَالْحَبْرُ وَيَقُولُونَ هِيَ أَحْسَنُ الْأَخْبَارِ وَالْأَنْبَاءِ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ الْمُرَادَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ بِالْكَسْرِ وَهُؤُلَاءِ جُهَّالٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ:

(أَحْسَنَ الْقِصَصِ): قِصَّةُ يُوسُفَ وَحَدَاها بَلْ هِيَ مِمَّا قَصَّه اللهُ وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي أَحْسَنِ الْقِصَصِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾﴾، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرِدُ بِأُنسَانَا مِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فَبَيَّنَ أَنَّ الْعِبْرَةَ فِي قِصَصِ الْمُرْسَلِينَ وَأَمَرَ بِالنَّظَرِ فِي عَاقِبَةِ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ بِالنَّصْرِ. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ قِصَّةَ مُوسَى وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِ أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ وَلِهَذَا هِيَ أَعْظَمُ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُذَكَّرُ فِي الْقُرْآنِ ثَنَّاها اللهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِها وَبَسَطَها وَطَوَّلَها أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِها؛ بَلْ قِصَصُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ - كَنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ - أَعْظَمُ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَلِهَذَا ثَنَّى اللهُ تِلْكَ الْقِصَصَ فِي الْقُرْآنِ وَلَمْ يَثْنِ قِصَّةَ يُوسُفَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِينَ عَادُوا يُوسُفَ لَمْ يُعَادُوهُ عَلَى الدِّينِ بَلْ عَادُوهُ عَدَاوَةً دُنْيَوِيَّةً وَحَسَدُوهُ عَلَى مَحَبَّةِ أَبِيهِ لَهُ وَظَلَمُوهُ فَصَبَرَ وَاتَّقَى اللهُ وَابْتَلَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بِمَنْ ظَلَمَهُ وَبِمَنْ دَعَاهُ إِلَى الْفَاحِشَةِ فَصَبَرَ وَاتَّقَى اللهُ فِي هَذَا وَفِي هَذَا وَابْتَلَى أَيْضًا بِالْمَلِكِ فَابْتَلَى بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَصَبَرَ وَاتَّقَى اللهُ فِي هَذَا وَهَذَا فَكَانَتْ قِصَّتُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْقِصَصِ . إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ رَحْمَةُ اللهِ .

### الوقفه الثالثة

قال تعالى: ﴿وَأَنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

هذا كقوله تعالى: ﴿وَوَعَدَكَ صَاحِبًا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]، فمن لم يتعلم الكتاب والسنة الصحيحة فهو في غفلة وجهالة.

### الوقفه الرابعة

في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

أن الرؤيا من وحي الله، وفيها بشارات ونذارات، إذ أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد رأى رؤيا في صغره فُسِّرَتْ على تفسير عظيم إلا أن أباه عَلَيْهِ السَّلَامُ حذره من قص الرؤيا على إخوانه؛ لما قد يسبب من الكيد والمكر لا سيما الحسد إذ أنه يقع بين الإخوة والنظراء والأصحاب، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، وفيه: جواز كتم الرؤيا ولا يُحدث بها الإنسان إلا من يُحب.

### الوقفه الخامسة

في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ رَبِّيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٥].

فيها بيان لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَنْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ» أخرجه أحمد .  
قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ مُسَلَّم (١٥ / ١٨): وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي

الرُّؤْيَا الْمَكْرُوهَةَ وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا فَسَبَّهُ أَنَّهُ رَبَّمَا فَسَّرَهَا تَفْسِيرًا مَكْرُوهًا عَلَى ظَاهِرِ صُورَتِهَا وَكَانَ ذَلِكَ مُحْتَمَلًا فَوَقَعَتْ كَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٌ وَمَعْنَاهُ أَنهَا إِذَا كَانَتْ مُحْتَمَلَةً وَجْهَيْنِ فَفُسِّرَتْ بِأَحَدِهِمَا وَقَعَتْ عَلَى قُرْبِ تِلْكَ الصِّفَةِ قَالُوا وَقَدْ يَكُونُ ظَاهِرُ الرُّؤْيَا مَكْرُوهًا وَيُفَسَّرُ بِمَحْبُوبٍ وَعَكْسُهُ وَهَذَا مَعْرُوفٌ لِأَهْلِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فِي الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَةِ الْحَسَنَةِ لَا تُخْبِرُ بِهَا إِلَّا مَنْ تُحِبُّ فَسَبَّهُ أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ لَا يُحِبُّ رَبَّمَا حَمَلَهُ الْبُغْضِ أَوْ الْحَسَدِ عَلَى تَفْسِيرِهَا بِمَكْرُوهٍ فَقَدْ يَقَعُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ وَإِلَّا فَيَحْصُلُ لَهُ فِي الْحَالِ حُزْنٌ وَنَكْدٌ مِنْ سُوءِ تَفْسِيرِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

### الوقفه السادسة

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف: ٦].

منَّةُ الله **عَزَّجَلَّ** على يوسف بتعليمه من تأويل الأحاديث، فتفسير الرؤيا من العلم لا سيما إذا كان المعبر لها يفسرها على أوجه القرآن والسنة وأمثال العرب.

### الوقفه السابعة

أن صلاح الذرية من الأمور المهمة والمتعينة التي يتمناها كل مسلم.

فهذا يعقوب يرجو أن الله يتم نعمته على يوسف كما أتمها على أبويه أي: جديه إبراهيم وإسحاق، فإن الجد أب، وفعلاً كان ليوسف هذه المنزلة فهو رسول بن رسول بن رسول بن رسول، ولا يُعلم عن أحد نال هذه المرتبة غير يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتَقَاهُمْ**» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ، قَالَ: «**فِيُوسُفُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**» قَالُوا:

لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ، قَالَ «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَهُوا» متفق عليه .

### الوقفه الثامنة

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ۗ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧-٨].

ما يقع في قلوب الإخوة إذا رأوا من الأب ميولاً إلى بعضهم، وربما يكون الظن منهم مع أن الأب يلازم العدل، والظن يبعثون أنه ملازم للعدل مع الأبناء؛ لأنه رسول كريم إلا أن المحبة قد تتفاوت في قلب الإنسان، لكن الأبناء أحياناً إذا رأوا من أبيهم شيئاً حملوه على محمل غير محمود، فهؤلاء ظنوا أن أباهم يُفضل يوسف عليهم؛ بسبب محبته له، فعند ذلك بدأوا في المكر بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### الوقفه التاسعة

في قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَادِقِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: ٩-١٠].

حرص الشيطان على إيقاع الإنسان في المعصية الكبيرة، فانظر كيف قذف في القلب: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩]، ولو حصل ذلك لكان مبتغاه، فهي من أكبر المعاصي بعد الشرك، فعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» متفق عليه، لكن لما تراجعوا فيما

بينهم، قال بعضهم: ﴿أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف:٩]، يعني: اضربوه ضربًا شديدًا موجعًا حتى لا تقوم له بعدها قائمة، ثم كان الرأي الأخير: أنهم رأوا أن يضعوه في الطريق وهذا من جهة فيه رحمة وإن كان فيه بغي وظلم إلا أنه أهون من القتل، والله الحكمة فلو قتلوه لكان لهم ما أرادوا من عدم رؤيته ولكن الله عزَّوجلَّ غالب على أمره.

### الوقفه العاشرة

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَكٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف:١١-١٢].

الكيد والمكر في الحصول على المطلوب، فإنهم أرادوا أن يتخلصوا منه ولا قدرة لهم في التخلص منه أمام أبيهم؛ لأن الابن مع أبيه في حرز يحوطه وينصحه ويدافع عنه، لكن طلبوه أن يرسله معهم للعب والرعي.

**وفيه:** أن مبتغي الشر يُظهره في صورة الخير وربما يزكي نفسه من قولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَكٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف:١٢]، ومن قولهم: ﴿قَالُوا لَئِن آكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف:١٤].

### الوقفه الحادية عشرة

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُّنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف:١٣]، استغل في إخفاء يوسف عليه السلام، ولربما لو لم يسمعهم هذه الكلمة لذهبوا يتلمسون أعداء، لكن لما وجدوا هذه الكلمة، أخذوا بها، فمجرد أن أخفوه وألقوه في البئر رجعوا إلى أبيهم قالوا: أكله الذئب كما تخوفت، فبعض

ينبغي للإنسان ألا يفتح بعض الأمور أمام الناس، فقول يعقوب: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف:١٣]، استغل في إخفاء يوسف عليه السلام، ولربما لو لم يسمعهم هذه الكلمة لذهبوا يتلمسون أعداء، لكن لما وجدوا هذه الكلمة، أخذوا بها، فمجرد أن أخفوه وألقوه في البئر رجعوا إلى أبيهم قالوا: أكله الذئب كما تخوفت، فبعض

الكلام يحتاج أن يُتحرز منه ولا يُظهره، لا سيما بين الأطفال، والنساء، والأعاجم، ومن لم يطلع على أشياء التي لا يصلح أن يُطلع عليها، فأنت حين تضع هذه المسائل أمامهم كأنك تدلهم على البحث عنها ويقع بعد ذلك ما يحذر، وعن عَلِيٍّ: «**حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» أخرجه البخاري.

### الوقفة الثانية عشرة

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ**﴾ [يوسف: ١٥].

أن بعض الجماعات قد تجتمع على باطل، وليست جماعة المسلمين فقد قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ**»، لكن قد يتمالأ أهل بلد أو قبيلة أو بيت على باطل، فانظر هؤلاء الإخوة كلهم أجمعوا على وضع يوسف في ذلك الجُب ولم يعاض أحد منهم فقال: هذا أخونا ارفقوا به وأحيطوه؛ وذلك بسبب ما كان قد عُرس في القلب من الحقد، والحسد، فالحقد والحسد مرضان عظيمان إذا تسلطا على لإنسان أذهبا منه كل خلق نبيل إلا من رحم الله.

### الوقفة الثالثة عشرة

في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [يوسف: ١٥].

[يوسف: ١٥].

إحاطة الله لعبادة المؤمنين، ففي هذه الشدة، وهذه الضيقة أوحى إلى يوسف **عَلَيْهِ السَّلَام** مع صغر سنه، والله أعلم ما نوع هذا الإيحاء: أنه سيعيش حتى يُخبرهم بصنيعهم هذا كالمعاتب لهم والمنتصر عليهم، وهذا فيه تسلية.

### الوقفه الرابعة عشرة

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَابْكُلْهُ الذِّبْطُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَوَكُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٦-١٧].

أن من جاءك يبكي فلا تستعجل في الحكم له، كما قال بعضهم: إذا جاءك رجلٌ ورأسه يسيل دمًا فلا تحكم له لعل الثاني مقتول، ويقول العامة: ضربني وبكى، وسبقني واشتكى، فهؤلاء جاءوا أباهم عشاءً يبكون على أخيه: أن قد أكله الذئب، وأنهم أصابهم الحزن وغير ذلك، والعجيب فيما يذكر بعضهم: أن الذئب لا يأكل الإنسان، مع أنه قد يقتله، ومما يذكره أهل التفسير: أن لباس يوسف لم يكن مقطوعًا وهذا دليل على أنهم خلعوه ووضعوه في الدم، وهذه قاعدة قد يستفيدها أصحاب البحث وهي العمل بالقرائن وما يسمى باللوث .

### الوقفه الخامسة عشرة

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

أي: أن ما من صاحب جريمة إلا ويترك آثارًا؛ تدل على جريمته، فسقطة لسان منه، أو تسقط بطاقته في المكان، أو يفعل فعله ما يتنبه لها، فقد يكون الأثر في ثوبه، أو قد يكون الأثر في حركته وزجلته، فهؤلاء تركوا ملابس يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من غير تقطيع فَعُرِفَتْ بالقرائن: أن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حي يُرْزَق، ولذلك لم يأت أباه اليأس .

### الوقفة السادسة عشرة

أن فقد الابن أو الأخ أو صاحب أو الزوج أو أي شيء أعظم من موته، لا سيما إذا فُقد ولم تجد ما يدل عليه.

فتبقى قلقًا حزينًا تتخيل أنه يقع به كل شيء، إن كانت امرأة تظن أنها تُهان وغير ذلك، وإن كان ولدًا لا تدري ما حاله، فيبقى الإنسان حزينًا، وربما يلحقه الهم والحزن والأمراض والأسقام على فقد ولده، بينما لو مات لكان أسهل، وهذا سيأتي.

### الوقفة السابعة عشرة

أن الرجل قد يُغلب من أقاربه.

فهذا يعقوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أحاط به أبنائه وكانوا إحدى عشر وكلهم رجال فغلبوه ومع ذلك يقول: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٨]، أي صبر لا شكوى معه.

### الوقفة الثامنة عشرة

فضيلة الصبر.

فبنفس هذه الآية احتجت عائشة حين اتهمت بما برأها الله منه قالت: **قَوْلَ اللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾** [يوسف: ١٨] أخرجه البخاري.

### الوقفة التاسعة عشرة

أن الإنسان إذا غُلب قد لا يستطيع أن يتكلم، أو يبين أو يفصح، ويرى أن السكوت أسلم ما يمكن أن يقوم به.

فيعقوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يزد على هذه الكلمة؛ لأن الجدل ما سيكون وراءه طائل،

أنتم قتلتموه؟ قالوا: ما قتلناه، وربما ترتفع الأصوات ويقع ما لا يُحمد، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأعوذ بك من غلبة الرجال».

### الوقفه العشرون

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف: ١٩].

أن الله إذا أراد أن يحفظ الإنسان هياً له سُبُل الحفظ من حيث لا يدري ولا يعلم، رجل في برية قد ألقى في بئر عتيقة، وربما جاءه الظلام والوحشة ومع ذلك جاءت رفقة من الناس في إبلهم ومراكبهم، فأرسلوا من يأتيهم من بالماء، فأنقذ الله عزَّوَجَلَّ يوسف بهذه الرفقة التي جاءت للسُّقيا، ومثله: رجل يضيع في البحر وإذا بسفينة تظهر، أو رجل يلحقه ضرر وإذا بالله يأتي بالفرج: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥-٦].

عَسَىٰ فَرْجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِنَّهُ ❀❀ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ

### الوقفه الواحدة والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: ٢٠].

زهد المبطلين في أصحاب الحق؛ وذلك أن إخوة يوسف على القول بأنهم المراد بقول الله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، باعوه بثمن زهيد يسير ولم يستطع عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما جاء ببعض الروايات أن يقول: هؤلاء إخوتي؛ لأنهم ربما يقتلون، وقيل: بأن يهوذا نصحه بعدم الإخبار خوفاً عليه منهم لكن سكت حتى باعوه بدراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين، ولو طلبوا ثمن أغلى مع ما هو عليه من

الجمال وما هو فيه من الوسامة ورغبة الناس فيه لربما أخذوا أكثر من هذا الثمن، لكن لشدة ما في قلوبهم عليه أرادوا أن يتخلصوا منه ولو بالمجان كما يُقال.

### الوقف الثانية والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَنُعَلِّمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٢١].

فرح عزيز مصر بالولد لما رأى فيه من الصفات الخلقية والخلقية، وأن الله قد يُهيئ من يقوم بالإنسان من حيث لا يحتسب، فهياً الله لموسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بفرعون يُربيه، وكان سبب هذه التهيئة زوجة فرعون، وهنا هياً الله **عَزَّجَلَّ** ليوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بعزيز مصر حيث لم يكن له ولد، فقال لامرأته: ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**﴾ [يوسف: ٢١]، أكرمي، وربيه، وأطعميه، وأسقيه، حاولوا في قتله فهياً الله له بيت ملك يعيش فيه على أحسن العيش، والحال، ورُعي في ذلك البيت رعاية الولد: ﴿**عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾ [يوسف: ٢١]، قيل: أن العزيز لم يكن له ولد فأراد أن يتبناه فربوه تربية الولد حتى قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ**﴾ [يوسف: ٥٦].

### الوقف الثالثة والعشرون

أن التمكين ليس كما يزعم الحزبيون: أنه لا يكون التمكين إلا أن يبدأ من رأس السلطة.

**فالصحيح:** أن التغيير يكون بتعليم الناس الخير، والتمكين يكون بإقامة دين الله على أي حال كان، فيوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يقول الله **عَزَّجَلَّ** بشأنه: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ**﴾ [يوسف: ٥٦]، حين أخذ وبيع من بيت هذا الرجل، لكن تمكينه في توحيده،

تمكينه باستقامته، تمكينه في نبوته، تمكينه بامتثال شريعة الله.

### الوقفه الرابعة والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿٢٢﴾ [يوسف: ٢٢].

أن التكليف إنما يقع على الإنسان بالبلوغ، أما قبل البلوغ فلا تكليف من قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢]، فعن عَن عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ» أخرجه أبو داود.

وآتاه الله النبوة والرسالة؛ بسبب إحسانه: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ [يوسف: ٢٢]، وأعظم الإحسان الذي كان يتميز به يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: التوحيد كما سيأتي إن شاء الله، والنبوة: هي محض منة الله، ليس كما يقول الفلاسفة: بأنها تُنال بالرياضة أو أنها تُكتسب.

### الوقفه الخامسة والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

[يوسف: ٢٣].

شدة الابتلاء والاختبار، وقُلْ من يصبر عليه: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، وهذا من أعظم أنواع البلاء: بلاء الشهوة: وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ»، متفق عليه عن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد يصبر الرجل على المال لا يسرق، وعن الخمر لا يشرب،

ويصبر عن أشياء كثيرة لكن أن يوجد له مثل هذا الموقف هذا لا يثبت عليه إلا حُخلص المؤمنين الذين يثبتهم رب العالمين، ولذلك قال سعيد بن المسيب: إن تأمنوني على ملء هذا البيت ذهبًا وجدت نفسي عليه أمينًا، وإن تأمنوني على جارية سوداء لا أجد نفسي عليها أمينًا، وبهذا تعلم شدة فتنة المرأة على الرجل، وفتنة الرجل على المرأة.

فالمراة بمجرد ما يعطيها الرجل كلمة جميلة وإذا بها كما يقال: فريسته:

خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَنًا ❀ ❀ وَالغَوَانِي يَغْرُهُنَّ الشَّاءُ

فهذه بلية عظيمة حصلت ليوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وممن؟ ممن رُبِّيَ في بيتها، فلها عليه فضل النعمة والتربية، وتعتبر كالسيدة له، وأمرها بالنسبة له ملزم كما سيأتي، ومع ذلك هيأت الأمور فهي متزينة، والأبواب مغلقة، وربما قد طردت الحشم والخدم:

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، دعته إلى نفسها صراحةً بدون تلميح، وهذا من أعظم الفتنة موقف عظيم ثبت الله فيه هذا النبي الكريم، وإذا به يقول: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، لا يمكن أن يقع مني هذا الفعل، ما السبب؟ ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، تربى في بيت النبوة والرسالة يعلم الحلال من الحرام، وقيل: أراد أن العزيز سيده أحسن إليه فلا يجازيه بهذا الفعل المستقبح، وكان مراقبًا لله يخشى الظلم: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [٢٣] [يوسف: ٢٣]، دليل على أن المعاصي ظلم، وربما كان ظلمه لنفسه بالمعصية، وظلمه للمرأة بتخيبها وظلمه لسيدة بخيانتها.

**قال ابن القيم في الداء والدواء (ص: ٢٠٨):** فَأَخْبَرَ عَنْ عِشْقِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ، وَمَا رَاوَدَتْهُ وَكَادَتْهُ بِهِ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا يُوسُفُ بِصَبْرِهِ وَعَفْتِهِ وَتَقْوَاهُ، مَعَ أَنَّ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَمْرٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ صَبَرَهُ اللَّهُ، فَإِنَّ مُوَاقَعَةَ الْفِعْلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّاعِي وَزَوَالِ الْمَنَاعِ، وَكَانَ الدَّاعِي هَاهُنَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ أَحَدُهَا: مَا رَكَّبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي طَبْعِ الرَّجُلِ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا يَمِيلُ

الْعَطْشَانُ إِلَى الْمَاءِ، وَالْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ، حَتَّىٰ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا يَصْبِرُ عَنِ النَّسَاءِ، وَهَذَا لَا يُدْمُ إِذَا صَادَفَ حَالًا، بَلْ يُحْمَدُ كَمَا فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ يُوْسُفَ بْنِ عَطِيَّةِ الصَّفَارِ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَائِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - : «حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ، أَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ» .

الثَّانِي: أَنَّ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَابًّا، وَشَهْوَةٌ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ أَقْوَى.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ عَزْبًا، لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا سُرِّيَّةٌ تَكْسِرُ شِدَّةَ الشَّهْوَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ غُرَبَةٍ، يَتَأْتَى لِلْغَرِيبِ فِيهَا مِنْ قَضَاءِ الْوَطْرِ مَا لَا يَتَأْتَى لَهُ فِي وَطَنِهِ وَيَبِينُ أَهْلِهِ وَمَعَارِفِهِ.

الخَامِسُ: أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، بِحَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَدْعُو إِلَى مَوَاقِعَتِهَا.

السَّادِسُ: أَنَّهَا غَيْرُ مُتَمَنِّعَةٍ وَلَا آبِيَّةٍ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُزِيلُ رَغْبَتَهُ فِي الْمَرْأَةِ إِبَاؤُهَا وَامْتِنَاعُهَا، لِمَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ دُلِّ الْخُضُوعِ وَالسُّؤَالِ لَهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَزِيدُهُ الْإِبَاءُ وَالْامْتِنَاعُ إِرَادَةً وَحُبًّا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَرَادَنِي كَلْفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ ❀❀ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا  
فَطِبَاعُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ عِنْدَ بَدْلِ الْمَرْأَةِ وَرَغْبَتِهَا، وَيَضْمَحِلُّ عِنْدَ إِبَائِهَا وَامْتِنَاعِهَا، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْقُضَاةِ أَنَّ إِرَادَتَهُ وَشَهْوَتَهُ تَضْمَحِلُّ عِنْدَ امْتِنَاعِ امْرَأَتِهِ أَوْ سُرِّيَّتِهِ وَإِبَائِهَا، بِحَيْثُ لَا يُعَاوِدُهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ وَإِرَادَتُهُ بِالْمَنَعِ فَيَسْتَدُّ شَوْقَهُ كُلَّمَا مَنِعَ، وَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ بِالظَّفْرِ بِالضَّدِّ بَعْدَ امْتِنَاعِهِ وَنِفَارِهِ، وَاللَّذَّةُ بِإِدْرَاكِ الْمَسْأَلَةِ بَعْدَ اسْتِصْعَابِهَا، وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَىٰ إِدْرَاكِهَا.

السَّابِعُ: أَنَّهَا طَلَبَتْ وَأَرَادَتْ وَبَدَلَتْ الْجُهْدَ، فَكَفَّتَهُ مُؤَنَّةُ الطَّلَبِ وَذَلَّ الرِّغْبَةُ إِلَيْهَا، بَلْ كَانَتْ هِيَ الرَّاغِبَةَ الدَّلِيلَةَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ فِي دَارِهَا، وَتَحْتَ سُلْطَانِهَا وَقَهْرِهَا، بِحَيْثُ يَخْشَى إِنْ لَمْ يُطَاوِعْهَا مِنْ  
أَذَاهَا لَهُ، فَاجْتَمَعَ دَاعِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ لَا يَخْشَى أَنْ تَبِمَّ عَلَيْهِ هِيَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جِهَتِهَا، فَإِنَّهَا هِيَ الطَّالِبَةُ  
الرَّاعِبَةُ، وَقَدْ غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَغَيَّبَتِ الرُّقَبَاءَ.

العَاشِرُ: أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَمْلُوكًا لَهَا فِي الدَّارِ، بِحَيْثُ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَحْضُرُ  
مَعَهَا وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْأُنْسُ سَابِقًا عَلَى الطَّلَبِ وَهُوَ مِنْ أَفْوَى الدَّوَاعِي، كَمَا قِيلَ  
لِامْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الزَّنَى؟ قَالَتْ: قُرْبُ الْوِسَادِ، وَطُولُ  
السَّوَادِ، تَعْنِي قُرْبَ وَسَادِ الرَّجُلِ مِنْ وَسَادَتِي، وَطُولَ السَّوَادِ بَيْنَنَا.

الحَادِي عَشَرَ: أَنَّهَا اسْتَعَانَتْ عَلَيْهِ بِأَيِّمَةِ الْمَكْرِ وَالِإِحْتِيَالِ، فَأَرْتَهُ إِيَّاهُنَّ، وَشَكَتَ  
حَالَهَا إِلَيْهِنَّ؛ لَتَسْتَعِينَنَّ بِهِنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ هُوَ بِاللَّهِ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي  
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ٣٣].

الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّهَا تَوَعَّدَتْهُ بِالسَّجْنِ وَالصَّغَارِ، وَهَذَا نَوْعٌ إِكْرَاهٍ، إِذْ هُوَ تَهْدِيدٌ مَنْ  
يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ وَفُوعٌ مَا هَدَّدَ بِهِ، فَيَجْتَمِعُ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَدَاعِي السَّلَامَةِ مِنْ ضَيْقِ  
السَّجْنِ وَالصَّغَارِ.

الثَّلَاثَ عَشَرَ: أَنَّ الزَّوْجَ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ الْعِيرَةُ وَالنَّحْوَةُ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَهُمَا، وَيُبْعِدُ كَلًّا  
مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، بَلْ كَانَ غَايَةً مَا قَابَلَهَا بِهِ أَنْ قَالَ لِيُوسُفَ: ﴿أَعْرِضْ عَن هَذَا﴾  
وَلِلْمَرْأَةِ: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ إِتْنَا مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٥﴾﴾ وَشِدَّةُ الْعِيرَةِ لِلرَّجُلِ  
مِنْ أَفْوَى الْمَوَانِعِ، وَهُنَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عِيرَةٌ.

وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا فَاتَّرَ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَخَوْفَهُ، وَحَمَلَهُ حُبُّهُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ اخْتَارَ  
السَّجْنَ عَلَى الزَّنَى. اهـ

## الوقفة السادسة والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

الهم بالباطل قد يقع من كثير من الناس حتى من الأخيار: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، همت به أن يأتيها، قال بعض أهل القراءات: الوقف على هذه الكلمة فيها فائدة: ليتحقق همها: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، خاطرة، ولكنه لم يؤخذ على ما في النفس، لقول رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ وَحَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ**» متفق عليه عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.  
فهمة كان عابراً، واختلف العلماء في هذا الهم الذي همه يوسف **عَلَيْهِ السَّلَام** فقالوا: هم بضرها، هم بنهرها، والصحيح: أنه هم بها، وهذه خاطرة لا تؤثر في إيمان العبد، وأنه سرعان ما طردها والدليل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، لو كان هم بضرها ما يحتاج إلى برهان، لكنه هم بها حقيقةً همًا زال سريعاً؛ لقوة إيمانه ولعظم مراقبته لله **عَزَّجَلَّ**، وأراه الله برهاناً، اختلفوا في هذا البرهان ما هو؟ وهو الإيمان الذي في قلبه، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٩٧): فَالْهَمُّ اسْمٌ جِنْسٍ تَحْتَهُ "نَوْعَانِ" كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الْهَمُّ هَمَّانِ: هَمٌّ خَطَرَاتٍ وَهَمٌّ إِصْرَارٍ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَإِذَا تَرَكَهَا لِلَّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ**»، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُكَهَا لِلَّهِ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ حَسَنَةٌ وَلَا تُكْتَبْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَيُؤْسَفُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** هَمَّ هَمًّا تَرَكَهُ لِلَّهِ وَلِذَلِكَ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ لِإِخْلَاصِهِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِلذَّنْبِ وَهُوَ الْهَمُّ وَعَارِضُهُ الْإِخْلَاصُ الْمَوْجِبُ لِانْصِرَافِ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ لِلَّهِ.

فِيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَصُدْرُ مِنْهُ إِلَّا حَسَنَةٌ يُثَابُ عَلَيْهَا؟ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ وَأَمَّا مَا يُنْقَلُ: مِنْ أَنَّهُ حَلَّ سَرَائِيلَهُ وَجَلَسَ مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ وَأَنَّهُ رَأَى صُورَةَ يَعْقُوبَ عَاثًا عَلَى يَدِهِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ مِمَّا لَمْ يُخْبِرِ اللَّهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ مَاخُودٌ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ كَذِبًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْحًا فِيهِمْ وَكُلُّ مَنْ نَقَلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَعَنَهُمْ نَقَلَهُ؛ لَمْ يَنْقُلْ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ عَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَرْفًا وَاحِدًا. اهـ

**المهم:** أن الله قذف في قلبه بغض هذا الشر وسلمه الله، وهذا من عناية الله بأوليائه:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٤١﴾ [يوسف: ٤١]؛ لأن الإنسان مهما بلغ علمه، وعلا شأنه، وعظمت مرتبته إذا ابتلي بهذا الشر سقط، في شر الشهوات والشبهات، فالمسلم يكون حذرًا مراقبًا لله عز وجل مجاهدًا نفسه في البعد عن الحرام، فأحاط الله بأوليائه وحفظهم كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، بأصناف المدافعة.

وفي مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَاتَّبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَاقْبِرِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: «بَلَى لِلنَّاسِ كَافَّةً» .

**الشاهد:** أن هذا الرجل وجد امرأة على حالةٍ يعني: لا تسلم فيها النساء مع

الرجال، وتمكن منها وحين الفعله ماتت آتته فحفظه الله، وكما حفظ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### الوقفه السابعة والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبْتَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف: ٢٥].

**فيه:** وجوب الفرار من المعصية، عرفت أنك في شر انعزل لا تبقى مستسلمًا؛ لأن الشيطان قد يهجم، والنفس قد تضعف، والعدو قد يخضم، لكن مباشرة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ هرب إلى الباب ليخرج، والمرأة أسرع إلى الباب لتؤكد إغلاقه، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبْتَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ﴾، لحرصها عليه، فبينما هو على ذلك قبضته قبضة شديدة انقطع منه الرداء ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، وفوجئت بأن زوجها على الباب، فلا بد أن تبرر نفسها.

### الوقفه الثامنة والعشرون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٦-٢٧].

التهمة للبريء، وهذا يقع كثيرًا لا سيما من النساء، فإن المرأة حين ضاق بها الحال وخشيت انكشاف الأمر بادرت إلى اتهام يوسف بالفعل؛ لأن الزوج حين وصل على الباب رأى منظرًا يُشعر بهذا الأمر، وربما قال بلسان الحال أو المقال: ما معك مع هذا الشاب في هذا المكان المعزول؟ فقالت له: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ [يوسف: ٢٥]، حكمت عليه بالسجن: ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

[يوسف:٢٥]، ويُسلم الله مع قوة الدعوى، لكن انظر كيف نجاه الله وسلمه.

### الوقفه التاسعة والعشرون

تبرئه الإنسان لنفسه.

فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** لما قفل بصفية قال: **«إِنَّمَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ»**، متفق عليه عن صفية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، فالإنسان يُبرئ نفسه مما يلوث، وهنا قال يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **«قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي»** [يوسف:٢٦]، وأنا لا رغبة لي ولا طمع ولا حرص فيها.

### الوقفه الثلاثون

في قوله تعالى: **«فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»** [يوسف:٢٨].

**فيها:** التحاكم والدعاوى إن لم تكن عليها بينات أصحابها أديعاء، والحكم الشرعي: أن البينة على المدعي، واليمين على من أنكر هذا في شرعنا، فهم تحاكموا إلى حاكم من أهلها: **«وَشَهِدَ شَاهِدٌ»** [يوسف:٢٦]، أي: حكم حاكمٌ وقضى: **«مِنْ أَهْلِهَا»** [يوسف:٢٦]، فقضى على القرينة حيث قال: **«إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ»** [يوسف:٢٦]، انظروا إلى القميص المقدود فهو قرينة: فإن كان مُقبلاً عليها وهي تدافع عن نفسها سيكون القطع من الأمام؛ لأنه حين يُقبل عليها ستمسكه من الأمام، وإن كان هارباً منها سيكون القطع في الثوب من الخلف، **«فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ»** [يوسف:٢٨]، فعرف عند ذلك أن يوسف بريء من تهمة المرأة كبراءة الذئب من دمه: **«إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»** [يوسف:٢٨]، وهذا واقع فإن مكر النساء شديد إلا أن يسلم الله.

## الوقفه الواحدة والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف: ٢٩].

ضعف الأولياء سبب لفساد النساء، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، هو معرض **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، والعزيز يلتفت إلى المرأة بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ [يوسف: ٢٩]، يعني: بعد هذا الظلم وهذه القرائن لا يزيد على نهرها بهذه الكلمة، كان حقه أن يزرعها، وأن يؤدبها، وأن يرد الاعتبار ليوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

## الوقفه الثانية والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَهْأَنَ نَفْسُهَا قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف: ٣٠].

**فيه:** أن الأمر المكتوم قد ينتشر وفي المثل: كل سرٍ جاوز الأثنين شاع، فهذا الأمر حدث في قصر ليس إلا المرأة ويوسف لكن خرج الأمر إلى زوجها، ثم وصل الأمر إلى الحاكم الذي حكم بينهم، ثم ذهب الحديث واستشرى بين النساء، فأصبحن يتحدثن كما هي عاداتهن حتى عاد الأمر إلى المرأة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠]، فأى أمر يظنه الإنسان لم ينتشر إذا قد خرج منه إلى غيره ربما انتشر حتى قال بعضهم: إذا أفشيت سرّك فلا تلم من أفشاه وإنما لم نفسك.

## الوقفه الثالثة والثلاثون

أن الجرأة قد تقع.

يعرف هذا من حالة النساء في تناقل الأخبار، فأصبحت النساء يتحدثن عن شدة

حب هذه المرأة ليوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وربما اختلقت القصص الكثيرة.

### الوقفه الرابعة والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

أنها لما سمعت بمكرهن أرادت أن تدافع عن نفسها بإقناعهن فيما وقعت فيه، وإنما لو اعتذرت منهن وقالت: هذا الأمر على غير الوجه الذي بلغكن أو اتقين الله تتكلمن في هذا الموضوع الإنسان يزل ويخطئ، وقد أمرني زوجي أن أستغفر وكذا كان أهون، لكن ما زالت في غيها: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾ [يوسف: ٣١]، أرسلت إليهن وجعلت لهن مكاناً يجلسن فيه ويتكنن فيه وأعطتهن سكاكين حادة: ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، وكان قد أوتي شطر الحُسن: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، قال بعضهم: ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣١]، أي: حِضْن، والذي يظهر أنه ليس هذا، إنما عظمْن شأنه في نفوسهن؛ لأن الجمال سبب المحبة والشغف لا سيما بين الرجال والنساء، فهؤلاء نساء رأين جمالاً لا نظير له، وحسن لا مثيل له، فعند ذلك لشدة ما لحقهن من الأمر قطعن أيديهن بدون شعور؛ لأن المرأة تنظر فيه وتقطع، وليس معنى: ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، أنها أبانت اليد من الرسغ، وإنما سالت الدماء، فعند ذلك قلن: ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١]، يعني: لا يكون هذا بشراً: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ [يوسف: ٣١].

## الوقفه الخامسة والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۗ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٢].

فيها: أن بعض المبطلين قد يعترف بتهمته إذا رأى أن دواعيها موجودة: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، أي: اعترفت: لقد جالستُ ورأيتُ شخصًا لا صبر لي على البعد عنه: ﴿وَلَقَدْ رَاودْنُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، اعترفت اعترافًا صريحًا بينًا ظاهرًا كما دعته إلى نفسها صراحةً، وهي معذورة عند النساء، فالنساء اللاتي حضرن المجلس لم يقلن لها: لا يجوز لك هذا، ولا تستطيعين هذا، لكن أقرتهن بأنها معذورة: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، فاعترفت بسلامة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من الذنب، ولكن هذا الاعتراف فيما بينهن، لم يكن هذا الاعتراف أمام الناس حتى يُبرأ.

## الوقفه السادسة والثلاثون

أن صاحب الباطل قد يتهادى في باطله مع علمه أنه على باطل.

فانظر إلى قولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٢]، يعني: تتمالأ وتقسّم أنه إن لم يُطعها ويواتيها فيما تريد ليكونن مصيره السجن.

## الوقفة السابعة والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

إذا خيرت بين أمرين في أحدهما السلامة لدينك فاختر السلامة لدينك، فيوسف خُير بين أمرين: سلامة الجسم والبدن والعيش على أكمل الحالات، لكن مع التربص لإيقاعه في الفتنة، أو السجن حتى قال بعض أهل العلم: متى يصير الإنسان مُكرهاً في هذا الأمر؟ قالوا: يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** تحمل السجن سبع سنين ولم يرض بالإكراه، فليس كل من قيل له: افعل، يقول: أنا مُكره، ألبس البنطلون، قال: مُكره، أحلق اللحية، قال: مُكره، ادخل الجهة الاختلاطية، قال: مُكره، هذا يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** سبع سنين كما يذكر المفسرون في سجن، يحافظ على صيانة نفسه، وفيه: عِظَم الطاعة في قلوب أولياء الله: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، سجن، عذاب، شدة، ضيق، كما قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (أنا جنتي وبستاني في صدري، أنا سجنِي خلوة، وقتلي شهادة، وسفري سياحة).

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٥ / ١٣٠): وَفِي قَوْلِ يُوسُفَ: ... عِبْرَتَانِ: "إِحْدَاهُمَا": اخْتِيَارُ السِّجْنِ وَالْبَلَاءِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي. و"الثَّانِيَةُ": طَلَبُ سُؤَالِ اللَّهِ وَدُعَائِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْقَلْبَ عَلَى دِينِهِ وَيَصْرِفَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَإِلَّا فَإِذَا لَمْ يُثَبِّتِ الْقَلْبَ صَبَا إِلَى الْأَمْرَيْنِ بِالذُّنُوبِ وَصَارَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَفِي هَذَا تَوَكُّلٌ عَلَى اللَّهِ وَاسْتِعَانَةٌ بِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْقَلْبَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَفِيهِ صَبْرٌ عَلَى الْمِحْنَةِ وَالْبَلَاءِ وَالْأَدَى الْحَاصِلِ إِذَا ثَبَّتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ. اهـ

وأنه مهما بلغت ديانتك وصيانتك ارجع إلى الله؛ لأن المخلوق البشري ضعيف، البشرية إذا تسلطت على الإنسان يضعف؛ ولذلك الشيطان لما رأى آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** له

فم وأذن وأنف عَلِمَ أنه خلق لا يتمالك، فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿وَأَلَّا تَصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣]، أي: من المُخْطِئِينَ والواقِعِينَ في الشر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي»، أخرجه أحمد عن شَكْلِ بْنِ حُمَيْدٍ .

فالجأ إلى ربك أيها المسلم في حفظ فرجك، وسمعك، وبصرك، وجميع شأنك.

### الوقفه الثامنة والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٤].

فمها: عظم استجابة الله لعباده، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[غافر: ٦٠]

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٤]، أخبر الله أنه سميع لدعاء من دعاه، عليم بحال أوليائه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى ❀❀ فَاوَّلَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

### الوقفه التاسعة والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِكِ لَيْسَ جُنْتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف: ٣٥].

إصرار أهل الباطل على باطلهم، مأخوذ من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِكِ لَيْسَ جُنْتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف: ٣٥]، مع ظهور الدلائل الواضحة

لبراءته إلا أنهم أبوا إلا السجن، وقد جعل الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب: أن اللجوء إلى القوة والسلطان إذا وجدت الحجة والبرهان من مسائل الجاهلية.

### الوقفه الأربعون

في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: ٣٧].

فيها: بيان لعلم تفسير الرؤيا، فمنها ما يكون على ظاهرها، ومنها ما يكون مع تأويل فيها، وأن الرؤيا تُعرض على أهل العلم: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، فأخذ من هذا الوجه: أنه يخدم الملك وربما ناوله هذا الشراب، ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف: ٣٦]، فأوله أنه يُصلب ويموت، وقد رأى عمر بن الخطاب كأن ديكاً نقره ثلاث نقرات فكان أجله.

### الوقفه الواحد والأربعون

رد العلم إلى الله عزَّوجلَّ من قوله: ﴿ذَلِكَ مَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

فينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة أن يُضيفها إلى الله، فإن الله يرضى لعباده ذلك، وفي حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرِنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» متفق عليه.

وقد عتب الله عزَّوجلَّ على موسى عَلَيْهِ السَّلَام حين لم يرد العلم إليه؛ ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ تَمَارَى، هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ الْفَرَارِيُّ فِي

صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أَبِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا الْخَضِرُ» متفق عليه.

### الوقفه الثانية والأربعون

بيان أن أعظم منة يمتن الله بها على العبد: ترك دين المشركين: من قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

وليس معنى ذلك: أن أسرة يوسف كانوا على الكفر حاشاهم، فقد كان أبوه نبي، وجده نبي، وجده الأعلى نبي، وإخوانه على الإسلام؛ ولكنه يُخبر عن الحال الذي هو فيه؛ حال عزيز مصر ومن إليه كانوا يكفرون بالله ولم يتبع ملتهم.

ولذلك أضاف الله نعمة الإسلام إليه بقوله: ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

### الوقفه الثالثة والأربعون

في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨].

فيها بيان مسألة فرضية وهي: أن الجد أبٌ مأخوذ من قول الله عزَّجَل: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، فسماهم آباء، وبهذه الآية وما في بابها ورث ابن عباس الجد وقال: من شاء باهله أن الجد أبٌ، وهي كقوله تعالى: ﴿أَمْرٌ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ

إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴿البقرة: ١٣٣﴾، وحتى العم لا بأس أن يقال له أب من باب الاحترام، وهو من العصبات.

### الوقفه الرابعة والأربعون

في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: ٣٨].

فيها: أن الشرك لا يجوز في كل شريعة فهو ذنب عظيم عند الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وهنا يقول: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، يدخل فيه الشرك الأكبر والأصغر، من حيث عدم المغفرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]، إلا أن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار.

### الوقفه الخامسة والأربعون

أن الهداية إلى الإسلام هي فضل الله العظيم على عباده: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨].

فإذا هداك الله للإسلام والسنة فاعلم أنه تفضل عليك وأنعم عليك نعمة عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١]، فاشكر نعمه يزيدك من فضله: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

## الوقفه السادسة والأربعون

في قوله تعالى: ﴿يَصْبِحِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

**فيها:** جواز محاوره أهل الباطل بالحجة والبرهان، وفيه: الدعوة إلى الله عز وجل، وفيه: إبراز الحججة من قوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ٣٩]، أيهما خير أن يكون لك إله واحد هو المتصرف ملكاً وأمرًا ونهيًا، أم تكون هناك عدة آلهة تختلف أوامرهم ومقاصدهم؟ لأن تدد الإلهة يفضي إلى الفساد العريض، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فكان الجواب: أن الإله الحق: هو: ﴿الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، الواحد القاهر لمخلوقاته، والقهار: صيغة مبالغة.

## الوقفه السابعة والأربعون

في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

**فيها:** أن الكفار قد اتخذوا آلهة صنعوها بأنفسهم وسموها آلهة وهذه التسميات لا تفيدها شيء، فهي في شرع الله أصنام وأوثان لا يجوز أن يُصرف لها شيء من الطاعة والعبادة، ومن صرف لها شيئاً من ذلك كان من المحرومين من مغفرة رب العالمين.

## الوقفه الثامنة والأربعون

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

أن الحكم لله، الحكم الكوني: الذي لا بد أن يقع، والحكم الشرعي: الذي يجب أن

يُطَاعُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** فِيهِ، وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

### الوقفه التاسعة والأربعون

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَصْلِحِ السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُضَلُّ فَتَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤١].

**فيها بيان:** أن التوحيد هو أمر الله الشرعي لعباده، وأنه الدين القويم والصراف المستقيم فمن ضيعة ضاعت دنياه وأخراه، إذ أن الله لا يقبل من مشرك عملاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

**وفيها بيان:** أن أكثر الناس لا يشكرون، ولا يعلمون، ولا يؤمنون، فلا عبرة بالكثرة ولا التفات إليها، وإنما الجماعة في الحق، والله المستعان.

### الوقفه الخمسون

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

**فيها:** أن الرؤيا الحق تقع على ما أولت عليه إن كان المعبر لها على علم ودراية.  
**وفيها:** جواز الاستعانة بالحي الحاضر القادر، وأن هذا لا يناقض التوحيد؛ لقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: ٤٢]، أي: استيقن أنه لن يقتل منهما: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، أي: عند ملكك الأمر الناهي لك، فإن الرب يجوز أن يُطلق على غير الله **عَزَّوَجَلَّ** لكن بغير أن يُحلى بالألف واللام، وإنما هي ربوبية مقيدة، كقول بعضهم:

رَبَابَهُ رَبَّاهُ الْبَيْتِ ❀❀ تَضْبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ  
 لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ ❀❀ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ  
 وكما قيل: من رَبِّ الدار؟ وأنا رَبِّ إبلي وهكذا.

### الوقفه الواحدة والخمسون

في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَلَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَمَّا فِي السِّجْنِ بِضَعَ سِنِينَ

﴿٤٢﴾ [يوسف: ٤٢].

**فيها:** جواز إضافة الهم السيء والفعل السيء إلى الشيطان مع أننا نعتقد أن الله خالق كل شيء إلا أن الإنسان إذا وقع في المعصية كالزنا، وشرب الخمر، وترك الصلاة ونحو ذلك ما يقول: الله أراد مني ذلك، أو الله **عَزَّوَجَلَّ** قدر لي بذلك هذا لا يصح، وإنما يضيف هذا الأمر إلى الشيطان: الشيطان أغواني، الشيطان كان سبب في هذا الأمر، فإن تاب وأناب وتاب ورد الأمر عند ذلك إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** فلا حرج، ففي الصحيحين عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ وَاصْطَفَاهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَلَوْنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟» .

### الوقفه الثانية والخمسون

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرٍ يَأْسُتُ بِأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوبِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلِيمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

[يوسف: ٤٣-٤٤].

**فيها:** أن رؤيا الملك هي التي كانت سبباً في الفرج عن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وأن

الرؤيا عبارة عن رموز يعبرها المعبر لها، وفيه: طول مُكث يوسف في السجن، فقد بقي في السجن بضع سنين، والبضع ما بين الثلاث إلى التسعة، والمشهور: أنه لبث سبع سنين ظُلماً وعدواناً، وفيه: شدة البلاء على الأنبياء والمرسلين، والسجن شديد والله لو وضعت في مدينة وقالوا لك: ممنوع تخرج من هذه المدينة وأنت تذهب للسوق وترجع إلى البيت وتدخل وتخرج لشعرت بضيقه، فكيف إذا وضعت في غرفة قد أحاطت بها جدرانها واحتوتها أركانها.

### الوقفه الثالثة والخمسون

أن الله إذا أراد شيئاً أمضاه من حيث لا يظن الإنسان.

فانظروا إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَام الذي أُلقي في غيابة الجب ونسيه الإخوان والخلان، بل ونسيه من ظلمه، يتنعمون وهو في سجنه، حين أراد الله عَزَّجَلَّ سلامته أرى الملك هذه الرؤيا التي احتاج الناس إلى تفسيرها.

### الوقفه الرابعة والخمسون:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِزَعُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ

فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ [يوسف: ٤٥].

الأمّة تأتي على عدة معاني في القرآن، ففي هذا الموطن على معنى الزمن وبمعنى الملة في قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وبمعنى الإمام في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، وبمعنى الطائفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلٰوةَ﴾ [النحل: ٣٦] وأن العالم والداعي إلى الله عَزَّجَلَّ سيحتاج إليه ولو بعد حين، يحتاجه الموافقون والمخالفون، فانظروا إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَام من الذي احتاج إليه؟ احتاج إليه من سجنه وظلمه، فأرسل إليه لتفسير رؤياه ويدخل فيها:

## الوقفة الخامسة والخمسون

في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ حُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦].

**فيها:** أن الناس إذا رضوا عن الشخص نادوه بأحب وأفضل أسمائه وصفاته، وفيه بيان أن العلم لا يُكتم حتى وإن سألك عدوك أو خصمك، والنبى **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فهذا يوسف **عليه السلام** حين سأله هذه المسألة وفيها سبب لنجاتهم مع شدة مظلمتهم له فسرّها لهم، ولم يقل: اخرجوني من السجن حتى أفسرها لكم بل فسرّها لهم على الوجه الأكمل.

## الوقفة السادسة والخمسون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُونَهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [٤٧] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ [٤٨] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩].

**فيها:** أن الرؤيا إذا صدقت وصدق التعبير تقع؛ لأنها من وحي الله **عز وجل**، يقول النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «**فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا**»، متفق عليه عن أبي قتادة .

**وفيها:** أن الرؤيا عبارة عن رموز، فالبقرة رمز للسنة فإن كانت سمينة عظيمة الخواصر تُفسر بالسنة التي فيها السعة والخير، وإن كانت عاجفة تُفسر بالسنة المجذبة، وهكذا إذا رأى إنسان ثورًا يُذبح لعله رجل عظيم يُقتل، وإذا رأى غنمًا في

بيته فُسِرَت بالبركة لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوَسَلَةِ**: «**الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا، وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ**»، فالإبل قد تكون عز وقد تكون علامة على الحقد؛ لأنهم يقولون: أحقد من جمل. **وفيهما أيضاً**: أن الرؤيا قد تتأخر الوقوع لاسيما رؤيا الخير كما يقول أهل التعبير كما في قصة يوسف، وفي هذه الرؤيا سبع سنين وهم يزرعون ويأكلون ويشربون، ثم سبع شداد، ثم سنة يقع فيها الخير ويتوسع الناس.

### الوقفه السابعة والخمسون

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٠].

المكافئة لمن أحسن إليك، فإن الملك حين فسر يوسف هذه الرؤيا أراد أن يكافئه، وهذا أمر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوَسَلَةِ** يقول: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تُجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»، أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

### الوقفه الثامنة والخمسون

صبر الأنبياء وعدم التعجل، والسعي في براءة النفس.

فإن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَام** بعد هذه المدة جميعاً حين جاءه الرسول: بالخروج، قال: ﴿**أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾ [يوسف: ٥٠]، ما يُريد أن يخرج إلا وقد بُرئت ساحته، وهذا من تمام علمه وفقهه مع أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوَسَلَةِ** يقول كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السُّجْنِ طَوَّلَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**».

## الوقفة التاسعة والخمسون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥١-٥٢].

**فيها:** أن الدعوى لا تُقام إلا بعد السماع من الخصم، فيوسف **عَلَيْهِ السَّلَام** ادعى على النساء هذه الدعوى التي وقعت منهن ما السبب الذي جعلهن يحضرن إلى ذلك المجلس، فأراد يوسف أن يُبرئ نفسه، ومع ذلك الملك أرسل إليهن: ﴿مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، وإنما كان الحال أن امرأة العزيز أدخلت لظهار عذرها أمامهن حتى لا يُعيرنها بأنها أرادت عبداً أو خادماً أن يكون معها مع أنها زوجة العزيز وزوجة أعظم رجالات مصر في حينه.

## الوقفة الستون

الاعتراف بالحق فضيلة من قول امرأة العزيز: ﴿الْفَن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٥١].

لأنهم قد رأوا من الدلائل على صدق يوسف ما يمتنع معه الاستمرار في الكذب، في مبدأ الأمر لم يجمع بين يوسف وخصومه، وإنما سمعوا من خصومه وقبلوا دعواهم، واستمروا في سجنه والتنكيل به إلى غير ذلك، أما الآن، وقد أظهر الله فضله، فالحال أنه وقت المحاققة، فمع ظهور هذه الدلائل يُستحال أن تقول امرأة العزيز: بلى هو راودني، كيف راودك وهو قد أتى بدلائل كثيرة، وحكم الحاكم بأن قمصيه قد من دبر، وجاءت النسوة وشهدن أنهن ما رأين عليه شيئاً، ولو كان يريد

سوءً حين دخلن هؤلاء النسوة لكان له ذلك، ولكنه بعيد كل البعد عن مداخل الشيطان ومصائبه: ﴿أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، وعند ذلك لم تُعير؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وينبغي لجميع عباد الله أن يكونوا رجاعين عن ذنوبهم وأخطائهم ممثلين لأمر ربهم، وانظر اعترفت بذنبها وأنت عليه: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، والسبب في اعترافها: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]، أي: ليعلم زوجها أنها لم تقع في الفاحشة، وإنما كان الأمر مراودة، وهذا هو الصحيح في معنى الآية أنه من قول امرأة العزيز، وقيل المعنى: بأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَام هو الذي قال ذلك: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ [يوسف: ٥٢]، الملك: ﴿أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]، وإني مُبرأ، وهذا لإزالة ما في النفوس، فقد يكون بينك وبين أخيك شيء ويتم المسامحة ظاهراً وتبقى شيء في النفوس تظهر في أوقاتها، فإياك إياك إياك أن تُبقي في نفسك شيئاً على أخيك، بل حاول كل المحاولة في تبرئة نفسك وفي إظهار محاسنها وفي السلامة مما في النفوس، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاقِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، هذا خبر من الله عَزَّجَلَّ أن الخائن لا يوفق ولا يعان.

### الوقفة الواحدة والستون

في قوله تعالى: ﴿\* وَمَا أْبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٣].

هل هذا قول يوسف أم قول المرأة؟ اختلف فيه أيضاً، والذي يظهر: أنه قول المرأة، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام وغيره: ﴿\* وَمَا أْبْرَأُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣]، مما وقع فيها من الهم والوسوسة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٤):** وَيُقَالُ النَّفْسُ ثَلَاثَةً أَنْوَاعٍ: وَهِيَ "النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ" الَّتِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا اتِّبَاعُ هَوَاهَا بِفِعْلِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي. وَ "النَّفْسُ اللَّوَامَةُ" وَهِيَ الَّتِي تُذْنِبُ وَتَتُوبُ فَعَنْهَا خَيْرٌ وَشَرٌّ لَكِنْ إِذَا فَعَلْتَ الشَّرَّ تَابَتْ وَأَنَابَتْ فَتَسْمَى لَوَامَةً لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الذُّنُوبِ وَلِأَنَّهَا تَتَلَوَّمُ أَي تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَ "النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ" وَهِيَ الَّتِي تُحِبُّ الْخَيْرَ وَالْحَسَنَاتِ وَتُرِيدُهُ وَتُبْغِضُ الشَّرَّ وَالسَّيِّئَاتِ وَتَكْرَهُ ذَلِكَ وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ لَهَا خُلُقًا وَعَادَةً وَمَلَكَةً. فَهَذِهِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَإِلَّا فَالنَّفْسُ الَّتِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ. اهـ

### الوقفة الثانية والستون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

**فيها:** جواز أن يُزكى المرء نفسه إذا كانت تزكيته لنفسه لمصلحة دينية أو دنيوية للمسلمين، ولا يتعارض هذا مع قول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** [النجم: ٣٢]، فهذا زكى نفسه بعلمه بكيفية سياسة الناس في هذه الفترة، وكذلك لحذقه وأمانته، وإنك لتعجب حين ترى حزياً يُزكى نفسه مستدلاً بما حصل من يوسف، ذاك زكى نفسه وأقره الشرع.

**قال شيخ الإسلام كما في مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٥٦٤):** وَأما سُؤالُ الْوَلَايَةِ فَقَدْ ذَمَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأما سُؤالُ يُوسُفَ وَقَوْلُهُ ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ فَلِأَنَّه كَانَ طَرِيقًا إِلَى أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَعْدِلَ بَيْنَ النَّاسِ وَيَرْفَعَ عَنْهُمْ الظُّلْمَ وَيَفْعَلَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُوهُ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ حَالَهُ وَقَدْ عِلْمَ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا مَا يؤولُ إِلَيْهِ حَالُ النَّاسِ فَفِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَنَحْوِهَا مَا يُوجِبُ الْفَرْقَ بَيْنَ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ وَبَيْنَ مَا نَهَى عَنْهُ. اهـ

### الوقفة الثالثة والستون

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦].

فيها: أن الفرج يأتي بعد الشدة، فخرج من السجن ليكون ممكناً في الأرض، وأن هذا الفرج هو رحمة الله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦].

### الوقفة الرابعة والستون

في قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].

فيها: أن الأجر الحقيقي: هو الأجر المدخر في الآخرة؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلثِي أَجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أَجُورُهُمْ»، متفق عليه، وقال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧]، وقال: ﴿وَلِالْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤]، وقال: ﴿بَلْ نُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

### الوقفة الخامسة والستون

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَيِّكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف: ٥٩].

فيها: الضرب في الأرض من أجل تحصيل المعاش والمكاسب.

**وفيها:** أن الإنسان لا يُعاجل من يعرفه لا سيما من كان يريد التخفي بالإخبار بشأنه، وإنما يقضي له حاجته بدون تعريفه بنفسه، أو طلب التعريف إلا إذا احتاج لذلك؛ لأنه عرفهم ولم يقل لهم: أنا أخوكم مع أنه المتمكن في ذلك الوقت.

### الوقفه السادسة والستون

جواز الحيلة الشرعية.

من قوله: ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ

﴿يوسف: ٥٩﴾، فهذه حيلة شرعية لطلب أخيه إليه.

### الوقفه السابعة والستون

في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ﴿٦٠﴾

[يوسف: ٦٠].

**فيها:** جواز التهديد، لكن ينبغي أن يكون المهدد به بحسبه، فبعضهم ربما يُهدد بالموت فيصاب بالجنون أو غير ذلك، يُصاب بالسكتة القلبية وهذا من قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ﴿٦٠﴾ [يوسف: ٦٠].

### الوقفه الثامنة والستون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَرَّوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [يوسف: ٦١].

استئذان المالك فيما يملك، واستئذان الوالد فيما يقدم عليه المرء.  
**وفيها:** جواز المراضاة فإن الإنسان قد تطلب منه طلباً يعتذر، أو امرأة قد تُخطب وتعتذر، أو الأب يُستأذن به من أجل مسألة فيعتذر، فلك أن تكرر ذلك حتى يقع الإذن.

### الوقفة التاسعة والستون

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِوَتَيْتَيْهِ أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

إكرام ذوي الأرحام ومن يكون تحت تصرف الإنسان، فقد أكرم إخوانه برد أموالهم التي اشتروا بها إليهم مع أنه قد دفع لهم المقابل، والمداراة لنيل المطلوب فحين رد بضاعتهم ركنوا إليه.

### الوقفة السبعون

من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣].

أي: مُنِعَ منا الكيل في المستقبل أما الماضي قد أعطاهم وأكرمهم.

### الوقفة الواحدة والسبعون

في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣].

فأرادوا أن يُطمئنوا أباهم فالناس يخافون على المسافر، فلك أن تقول: لا تخاف عليه إن شاء الله أعينه وأكون معه ما استعطت إلى ذلك سبيلاً ولا يقع إلا الخير.

### الوقفة الثانية والسبعون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

أن من أصيب من إنسان بشيء قد لا ينساه، وكما يُقال: كيف أوادعك وهذا أثر فأسك، فقال لهم يعقوب **عَلَيْهِ السَّلَام**: كيف آمنكم عليه وأنتم قد فعلتم بأخيه ما فعلتم، ومع ذلك واتاهم إلى إرادتهم؛ للمصلحة المتحققة لهم.

## الوقفة الثالثة والسبعون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَلْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضَلْعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: ٦٥].

الفرح بخيري الدنيا والآخرة، وهذا يُشعر من قوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَلْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ٦٥]، لما فتحوا ما اشتروه من مصر وجدوا الثمن والقيمة قد رُدت مع ما اشتروه ففرحوا: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي﴾ [يوسف: ٦٥]، أي: شيء نبغيه فوق هذا: ﴿هَذِهِ بِضَلْعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥]، أموالنا التي ذهبنا نشترها بها قد رُدت إلينا سالمة: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [يوسف: ٦٥]، من جلب الميرة: وهو الطعام، فنجلب لهم الطعام ليتقوتوه، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، هذا على الوعد، ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]، لأنه كان يُعطي لكل واحد حمل بعيره، ففيها: الفرح بالخير إذا أصاب الإنسان.

## الوقفة الرابعة والسبعون

فعل الأسباب الشرعية في التكسب، وأن هذا لا يُناقض التوكل.

فلم يقل لهم أبوهم: توكّلوا على الله واجلسوا، ولكن توكّلوا على الله واذهبوا إلى ما أنتم فيه.

## الوقفه الخامسة والسبعون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٦].

فيها: أخذ الموثيق والعهود وتعظيم الناس لهذا الشأن؛ لأن نقض الميثاق والعهد ينذر بانتقام الله **عَزَّجَلَّ** من الناقض: ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا حَيَاتِكَ فَقَدْ حَاوُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ﴾ [يوسف: ٦٦].

## الوقفه السادسة والسبعون

### الاستثناء.

فإياك أن تجزم على أمرٍ مستقبلي وإنما قل: إن شاء الله، نرجو من الله، افعل بقدر استطاعتك من قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، فقد استثنى، فأحياناً تقول له: أنا أعيرك هذا القلم لكن ترده إليّ، يقول: أوعدك أني أردته إليك، فإذا ما ضاع منه قال: أنت قد وعدتني، لكن لك أن تقول: إلا أن يتلف عليك، إلا أن ينتهي منك، إلا أن يسرق عليك، ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: كفيلاً، وفيه جواز أن يكون الله كفيلاً، لكن مع الحرص على الوفاء، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: اتَّيَّنِي بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأَتَيْتِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَفَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَّ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ

مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِي بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِي بِكَ، وَأَنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمْهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَجَّعَتْ فِيهِ، ثُمَّ انصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِإِلَيْهِ، فَإِذَا بِالْحَشْبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِإِلَيْكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آدَى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْحَشْبَةِ، فَانصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»، أخرجه البخاري.

### الوقفه السابعة والسبعون

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧].

**فيها:** دلالة على العمل بالأسباب الشرعية في الحذر من العين، وأن هذا لا ينافي التوحيد أو التوكل على ما قال بعض أهل العلم من قوله: ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧]، أي: حتى لا يُصابوا بالعين؛ لأنهم كانوا إحدى عشر عدد طيب والعين حق، وفيه: أن الإنسان لا يتخوف من العين تخوفاً شديداً، نعم هي حق كما أن القتل حق، والموت حق، والغرق حق، واصطدام السيارة حق، والنار حق وغير ذلك، قد تقع هذه الأشياء، لكن ما يبقى الإنسان متخوف من العين كأنه يتخوف من القتل، إذا وقعت العين أتى بالأذكار الشرعية، أما

بعضهم ربما يحمم وجه ابنه حتى لا يظهر وجهه حسن فيصاب بالعين، يعمل في سيارته كذا حتى لا يُصاب بالعين، يبقى هو وأولاده في خوف، وربما سبقت إليهم العين؛ فتوكل على الله واعمل السبب ولن يُصيبك إلا ما قدر الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧]، فإن شاء الله أن يُصيبك بشيء أصابك، وإن شاء أن يُسلمك سلمك، وفعل الأسباب الشرعية لا تُناقض التوكل: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف: ٦٧]، الحكم الكوني لله وجودًا، والحكم الشرعي لله يجب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والتوكل: هو صدق الاعتماد على الله **عَزَّوَجَلَّ**.

### الوقفه الثامنة والسبعون

في قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

فيها: الامتثال لطاعة ولي الأمر في طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**: وهو هنا الأب: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٨]، فدخلوا من حيث أمرهم أبوهم مع أنهم بعيدون عنه، مع أن جلب المنافع ودفع المضار إلى الله.

### الوقفه التاسعة والسبعون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يوسف: ٦٩].

إناس المظلوم والمغبون والضعيف، فانظر إلى يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لما دخل عليه أخوه آواه إليه ولاطفه بالكلام وأمنه؛ لأنه خرج مع إخوانه وهو خائف أن يقع منهم ما وقع مع يوسف؛ ولذلك أخذ عليهم أبوهم العهد والميثاق، فلما دخلوا على

يوسف أوى هذا المستضعف من بينهم وطمنه وقال: ﴿إِنِّي أَنَا أَحْوَكُ فَلَا تَبْتَسِ﴾ [يوسف: ٦٩]، لا تُبالي: ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، فأنت في حصن حصين ومنعة.

**وفي هذا الكلام:** تطمين له لما سيأتي من التهمة، لو كان لا يعلم بأنه أخ له ثم جاءت هذه التهمة ورجع إخوانه إلى بلدهم وأخذ رقيقاً ربما شق ذلك عليه ويوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أوحى الله إليه بما يُطمن قلبه: ﴿لَتَبْتَئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

### الوقفة الثمانون

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتَمَّ الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَدْرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

**فيها:** أن الأذان يُطلق على رفع الصوت: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يوسف: ٧٠]، ليس معناه أنه قال: الله أكبر الله أكبر، وإنما رفع صوته وقال لهم: ﴿أَيَّتَمَّ الْعَيْرُ﴾ [يوسف: ٧٠]، ويقصد أصحاب العير، وهذا دليل لمن يقول بالمجاز مع أن الصحيح خلافه: ﴿إِنَّكُمْ لَسَدْرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، ناداهم على الجمع مع أن السارق واحد، لكن جواز التهمة للجمع لخشية التمالؤ، فإذا تمالأ قوم على قتل، على سرقة، على اغتصاب على غير ذلك، كان الحكم شاملاً للجميع.

### الوقفة الواحدة والثمانون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَقَبُلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: ٧١].

السؤال عما يحصل، ما سبب هذه التهمة العظيمة؟ أنكم تتهموننا بالسرقة، لا تقولون هذا إلا لأنكم فقدتم شيئاً ما هو؟ فأخبروهم: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ﴾

[يوسف:٧٢]، نوع من الآنية يُوزن به.

### الوقفه الثانية والثمانون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾

﴿٧٢﴾ [يوسف:٧٢].

**فيها:** جواز المكافئة على العمل، وهي من قوله: ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف:٧٢]، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

### الوقفه الثالثة والثمانون

جواز الكفالة، من قوله: ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٢﴾ [يوسف:٧٢].

**والزعيم:** الكفيل، وعن أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْنَتِي فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»، والكفالة تنقسم إلى قسمين:

**الأول:** كفالة نفس.

**الثاني:** كفالة مال.

فإذا كفلت شخصًا كفالة النفس معناه: أنك تلتزم إذا حل الأجل بإحضاره، وإذا كفلت كفالة مال معناه: إذا حل الأجل لزمك الدفع، مثلًا: أقول: أنا ضمين على زيد، لا بد أن يُبين ضمين إحضار أم ضمين دفع؛ لأنه قد يكون فقير لا يستطيع أن يدفع المبلغ الذي تعين على زيد، لكن يستطيع أن يحضره بقوته، فإذا جاء الأجل قال: هذا غريمكم فافعلوا به ما تريدون مما أباحه لكم الشرع، وأما الآخر فيقول: هذا المال يُدفع إليكم.

### الوقفة الرابعة والثمانون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا

سَاطِرِينَ ﴿٧٣﴾ [يوسف: ٧٣].

فيها: دفع التهمة، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته، فهؤلاء دفعوا عن أنفسهم التهمة بالقول واليمين: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا

سَاطِرِينَ ﴿٧٣﴾ [يوسف: ٧٣]، وفيه: أن السرقة إفساد.

### الوقفة الخامسة والثمانون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ

فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ [يوسف: ٧٤-٧٥].

فيها: التأديب فإذا كان سارقاً ووجدناه ما جزاؤه؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي

رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: ٧٥]، قيل: أن يكون عبداً سنة: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

﴿٧٥﴾ [يوسف: ٧٥]، بذنبه يتحمل ما وقع عليه.

### الوقفة السادسة والثمانون

في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ

كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخِي أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ

دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

فيها: دلالة على التعمية، من قوله: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾

[يوسف: ٧٦]، فلو ذهب مباشرة يبحث لها في وعاء أخيه ثم استخرجها، لربما قالوا:

والله ما عملتوها إلا حيلة، لكن بدأ كأنه يبحث في أوعيتهم حقاً، فلا بأس أن يُعْمَى

الإنسان، التعمية مشروعة لا لإضاعة الحق ولكن للحصول على المطلوب. قالوا: اجتمع مجموعة فكان منهم سارق، فدخلوا على رجل فقال لهم: أنا أعرف السارق، قالوا: كيف؟ قال: هذه الآلة أو هذا الشيء السارق إذا وضع يده فيه مسكته، وغير السارق لا يتأثر فيه، فجعل البريء يضع يده ويمشي، فلما وصل السارق تهبب لم يضع يده ومشى، ثم إن الرجل جمعهم فجعل يشم أيديهم وينظر فيها، فوجد أن جميعهم قد وقعت علامة في أيديهم إما رائحة وإما لون وذلك ليس في يده شيء فقال له: أنت السارق، وبعضهم ربما بالقلب يأتي يُصافح هذا وهذا وهذا ما شاء الله كلهم مطمئن، فإذا وجد المتهم يبدأ قلبه يضح.

### الوقفه السابعة والثمانون

أن بعض الأعمال وإن كان ظاهرها الضعة فهي للرفعة.

فأراد الله أن يرفع يوسف وأخاه بهذه الحيلة الشرعية.

### الوقفه الثامنة والثمانون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

فيها: دلالة على أن من وقع في شر أو معصية إلا أن يتوب توبة نصوحة وإلا ربما تقع فيه روااسب، والظلم يجر إلى الظلم، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧]، يعني: سبحان الله ما وجدوا ما يقولوه إلا أن يتهموا يوسف بالسرقة، يريدون أن ينفوا عنهم التهمة وأن هذا ليس منا وليس أخونا هذا تأثر بأخيه الذي هو أكبر منه، وهذا ظلم فوق ظلم، ظلّم حين ألقوه

في البئر ثم ظلَّ حين قيل له هذا القول، الأولي أن يعترفوا بخطئهم الأول والأخير، لكنهم أبوا إلا أن يجرحوا قلبه.

### الوقفه التاسعة والثمانون

إثبات صفة الكيد لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي من صفات المقابلة على ما يليق بجلاله .

قال ابن القيم في **إعلام الموقعين (٣/ ١٧١)**: فَتَسَبَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْكَيْدَ إِلَى نَفْسِهِ

كَمَا نَسَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾

﴿١٦﴾ [الطارق: ١٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، وَفِي

قَوْلِهِ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَسْمِيَةَ ذَلِكَ مَكْرًا وَكَيْدًا وَاسْتَهْزَاءً وَخِدَاعًا مِنْ بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ

وَمَجَازِ الْمُقَابَلَةِ نَحْوُ: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ

أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وَقِيلَ وَهُوَ أَصَوَّبُ: بَلْ

تَسْمِيَّتُهُ بِذَلِكَ حَقِيقَةٌ عَلَى بَابِهِ؛ فَإِنَّ الْمَكْرَ إِيْصَالُ الشَّيْءِ إِلَى الْغَيْرِ بِطَرِيقِ خَفِيٍّ،

وَكَذَلِكَ الْكَيْدُ وَالْمُخَادَعَةُ، وَلَكِنَّهُ نَوْعَانِ: فَبِيحٌ وَهُوَ إِيْصَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ،

وَحَسَنٌ وَهُوَ إِيْصَالُهُ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ عِقُوبَةً لَهُ؛ فَالْأَوَّلُ مَذْمُومٌ وَالثَّانِي مَمْدُوحٌ، وَالرَّبُّ

تَعَالَى إِنَّمَا يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ عَدْلًا مِنْهُ وَحِكْمَةً، وَهُوَ تَعَالَى يَأْخُذُ الظَّالِمَ

وَالفَاجِرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ لَا كَمَا يَفْعَلُ الظَّالِمَةُ بِعِبَادِهِ.

وَأَمَّا السَّيِّئَةُ فَهِيَ فِعْلَةٌ مِمَّا يَسُوءُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعُقُوبَةَ تَسُوءُ صَاحِبَهَا؛ فَهِيَ سَيِّئَةٌ

لَهُ حَسَنَةٌ مِنَ الْحَكَمِ الْعَدْلِ، وَإِذَا عَرَفْتُ ذَلِكَ فَيُوسُفُ الصَّدِيقُ كَانَ قَدْ كِيدَ غَيْرَ مَرَّةٍ:

أَوَّلُهَا أَنَّ إِخْوَتَهُ كَادُوا بِهِ كَيْدًا حَيْثُ احْتَالُوا بِهِ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، ثُمَّ إِنَّ امْرَأَةَ

الْعَزِيزِ كَادَتْهُ بِمَا أَظْهَرَتْ أَنَّهُ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ثُمَّ أُودِعَ السِّجْنَ، ثُمَّ إِنَّ النُّسُوءَةَ كَادُوهُ

حَتَّى اسْتَعَاذَ.

بِاللَّهِ مِنْ كَيْدِهِنَّ فَصَرَفَهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ يُعْقُوبُ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءُوسَكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] وَقَالَ الشَّاهِدُ لِمَرْأَةِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] . وَقَالَ: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠] فَكَادَ اللَّهُ لَهُ أَحْسَنَ كَيْدٍ وَأَلْطَفَهُ وَأَعَدَلَهُ، بَانَ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ كَمَا أَخْرَجُوا يُوسُفَ مِنْ يَدِ أَبِيهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، وَكَادَ لَهُ عَوَضَ كَيْدِ الْمَرْأَةِ بَانَ أَخْرَجَهُ مِنْ ضَيْقِ السَّجْنِ إِلَى فِضَاءِ الْمُلْكِ، وَمَكَّنَهُ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وَكَانَ لَهُ فِي تَصْدِيقِ النَّسْوَةِ اللَّاتِي كَذَّبْنَهُ وَرَاوَدْنَهُ حَتَّى شَهِدَنَ بِبِرَائَتِهِ وَعِفَّتِهِ، وَكَادَ لَهُ فِي تَكْذِيبِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِنَفْسِهَا وَاعْتِرَافِهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي رَاوَدَتْهُ وَأَنَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ؛ فَهَذِهِ عَاقِبَةُ مَنْ صَبَرَ عَلَى كَيْدِ الْكَائِدِ لَهُ بَغْيًا وَعُدْوَانًا. اهـ

### الوقفة التسعون

كظم الغيظ، من قوله: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾

[يوسف: ٧٧].

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وفيها: عدم التسرع، فإن يوسف بأخذه لأخيه يريد أن يصل إلى ما هو أعلى من هذا، فلو قال لهم: أنتم السارق قالوا: وما أدراك، وإلا أنت متعصب أو غير ذلك، لكن أسرها يوسف في نفسه وهذا خلق الكريم، فالكريم قد يضغط نفسه ولا يكون متعجلاً متسرعاً وإن هُضم، يعني: يقولون فيه سارق وهو نبي كريم وملك مصر في حينه، إلا أنه قال: ﴿أَنْتُمْ سُرُّ مَكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧]، لعله أراد أن يدفع التهمة عن يوسف وعن بنيامين.

## الوقفة الواحدة والتسعون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

**فيها:** المراجعة والشفاعة إلا في الحدود وإلا رجل سُجِنَ أو أُخِذَ تشفع فيه، وفيه: جواز إظهار العذر، كأن تقول اترك هذا أمه محتاجه، أولاده ينتظرونه إلى غير ذلك.

**وفيها:** جواز المبادلة في السجن، رجل مسجون يريد أن يرجع إلى زيارة أهله وأرحامه، وربما خشوا عدم رجوعه له أن يُعطي ضمينًا، إلا أنهم الآن يقومون بالضمانة التجارية بمعنى: أنه يتحمل ما لزم هذا المضمون، فلو وجدت ضمانة حضورية هذا يُسجن بدل عنك وأنت تذهب لقضاء حاجتك فإذا انتهيت رجعت إليه فهذا جائز.

## الوقفة الثانية والتسعون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩].

**فيها:** البعد عن الظلم، فقد تجد من يأخذون الجار بجرم الجار، فينبغي أن الإنسان لا يأخذ إلا الظالم بجريته وفعل نفسه.

## الوقفة الثالثة والتسعون

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

**فيها:** جواز المناجاة وأهمية ذلك، فإنهم فعلوا ذلك للتشاور: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا

مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴿ [يوسف: ٨٠]، أي: جعلوا يتشاورون فيما بينهم، هل يرجعون جميعًا ويتركونه، هل يبقون جميعًا حتى يُخرجونه، فكان الشور من كبيرهم: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ [يوسف: ٨٠]، أي: ارجعوا أنتم وأنا سأبقى، وهذا أيضًا فيه ربط على قلب يعقوب، وفيه إبقاء للأمل، فلو رجعوا جميعًا لربما نسوه، أو خشوا أن يرجعوا مرة أخرى فيُسجنوا، لكن ذهبوا جميعًا وبقي الأخ الأكبر يتلطف في أخيه.

وفيها: دليل لمذهب أهل الحق: بأن لن لا تُفيد التأييد من قوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠]، فلو كانت لن تُفيد التأييد ما كان في تقييدها بإذن الأب مصلحة.

### الوقفه الرابعة والتسعون

في قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ [يوسف: ٨١].

فيها: التلطف في الإخبار، ما تأتيه وتقول له: ابنك سارق لا سيما في مثل هذا الحال رجل ما عنده تلك التهمة ولا حول شيء، تصل وتقول له: ولدك سارق، أو ابنك كذا، لكن تلتطف والله يا أخي قد يطيش الإنسان، قد يتطلع لمال الغير، النفس ضعيفة، أو الناس يزعمون أن ابنك كذا وما نراه كذا، لكن ماذا نقول للناس، يعني: الإنسان يُبدي العذر ويتلطف في حال الإخبار، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ [يوسف: ٨١]، أخبرنا بما أخبرونا، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يوسف: ٨١]، قد يكون بريء في نفس الأمر.

## الوقفه الخامسة والتسعون

في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢].

ذكر الحجة والبينة فيما يذكره الإنسان: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أسأل أهل القرية الذين كنا عندهم، ما يسأل المساكن والبيوت، ﴿وَالْعَيْرَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أصحاب العير التي أقبلنا فيها، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢]، في نقلنا.

## الوقفه السادسة والتسعون

فيه بيان: أن ما ادعاه أصحاب المجاز مجازاً ليس بصحيح.

حيث زعموا أنه قال: القرية، وهي حقيقته في البيوت مجاز في الناس، والصحيح: أن القرية تطلق على البيوت، كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقَرْيِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧].

قال الشنقيطي في منع جواز المجاز (ص: ٢٧): قوله: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ من وجهين أيضاً:

**الأول:** أن إطلاق القرية وإرادة أهلها من أساليب اللغة العربية أيضاً كما قدمنا.

**الثاني:** أن المضاف المحذوف كأنه مذكور لأنه مدلول عليه بالاقضاء، وتغيير الإعراب عند الحذف من أساليب اللغة أيضاً كما عقده في "الخلاصة" بقوله: وما يلي المضاف يأتي خلفاً ❀❀ عنه في الإعراب إذا ما حذفاً مع أن كثيراً من علماء الأصول يُسمون الدلالة على المحذوف في نحو قوله: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف: ٨٢] دلالة الاقتضاء.

واختلفوا هل هي من المنطوق غير الصريح، أو من المفهوم. اهـ

### الوقفه السابعة والتسعون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

أن من لُدغ من جُحر لا يُلدغ منه مرتين، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ»، فيعقوب عليه السلام مع أخذه للميثاق من أبنائه حين أتوه بهذا العُذر ما قبل منهم: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ٨٣]، هذه مكيدة أخرى لهذا الابن المحبوب إلى أبيه.

قال ابن القيم بدائع الفوائد (٣/ ١١٢): وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه مرارا يقول: "ذكر الله الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل فالصبر الجميل الذي لا شكوى معه والهجر الجميل الذي لا أذى معه والصفح الجميل الذي لا عتاب معه" اهـ

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، فيها: أن الإنسان يصبر الصبر الجميل فلا يتسخط ولا يُصخب ولا يرفع صوته؛ لأن التسخط ما سيحقق له شيء كرفع الصوت، إنما يُذهب صحته وربما أضعف حُجته، لكن صبر جميل يظهر معه الهدوء والسكينة وغير ذلك، وما شاء الله سيكون.

### الوقفه الثامنة والتسعون

الرجاء في الله لا ينقطع أبداً.

فإن الله لا يُعجزه شيء: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]، وعسى في حق الله موجبة، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، بحالي، ﴿الْحَكِيمُ﴾ [٨٣]

[يوسف: ٨٣]، في أفعاله.

### الوقفة التاسعة والتسعون

في قوله تعالى: ﴿وَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

**فيها:** أن المصائب تتفاوت وهذا حاصل فقد يموت شخص ويبكي أبوه وأمه على الذي قد مات قبله، فلو مات طفل صغير فيذكرون الذي مات كبيراً أو الذي كان له عندهم منزلة، يكون الكبير أو المحبوب وهكذا، فيعقوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الذي فُقد في هذا الوقت هو بنيامين ومع ذلك بكى على يوسف؛ ولشدة بكائه: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤]، حزن شديد في فقد الولد، لو مات كان أهون، لو سُجن كان أهون، لكن أن يضيع ما تدري أين هو أهو حي أو ميت، والأسف يأتي بمعنيين: **الأول:** بمعنى الغضب، وهذا ثابت لله **عَزَّجَلَّ** على ما يليق بجلاله، لقول الله **عَزَّجَلَّ:** ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ [الزخرف: ٥٥].

**الثاني:** بمعنى الحزن.

وهو هنا بمعنى الحزن، فالأسف بمعنى: الحزن منتفي عن الله **عَزَّجَلَّ**.

### الوقفة المتممة للمائة

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ تَدَّكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥].

**فيها:** شدة الحزن والوجد على فراق المحبوب، وفيه: بيان للمثل: (النار لا تحرق إلا من داس عليها)، فإن من يراجع يعقوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا يعلم مرارة الفراق.

## الوقفة الواحدة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمْتُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ [يوسف: ٨٦].

فيها: الشكوى إل الله عزوجل، وأن الشكاء إلى الناس كما يقول العامة: مذلة، وقد قال بعضهم أبياتاً:

لَا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أَوْ عَاذِرٍ ❀ ❀ حَالِيكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ  
فَلرَحْمَةُ الْمتوجعين ❀ ❀ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ  
يعني: لا تظهر حالك للعاذل الذي يذمك، ولا للعاذر الذي يعذرک ويلتمس لك  
الأعذار؛ لأن العاذل يشمت بك، والعاذر يتألم عليك، فوطن نفسك على الصبر،  
وحين شكى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على ربه بقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾  
﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، نصره الله، وهكذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام.

## الوقفة الثانية بعد المائة

أن الحزن لا يسلم منه أحد.

إلا أنه في حق المؤمن كفارة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ  
الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصْبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزْنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا،  
إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ» متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الوقفة الثالثة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْبَسُوا مِنْ رَوْحِ  
اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

إرسال من يأتي بالخبر، وقيل: الفرق بين التحسس والتجسس: أن التحسس

يكون في الأمر المحمود، والتجسس يكون في غير ذلك، وقيل: هو بمعنى واحد، فقد جاء في قراءة: (ولا تحسسوا)، وفي قراءة: (ولا تجسسوا).

### الوقفه الرابعة بعد المائة:

وهنا مسألتان:

**الأولى:** اليأس من روح الله.

**والثانية:** القنوط من رحمة الله.

وكلاهما من كبائر الذنوب وعظيم الآثام كما صح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند عبد الرزاق وغيره: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْكِبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ»؛ لأن اليأس من روح الله والقنوط من رحمته تعطيل لله عَزَّجَلَّ من صفات كماله وعظيم جلاله كالرحمة، والمغفرة، والعفو، والتجاوز، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد، ولو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب ما طمع في جنته أحد، فكن وسطاً في باب الرجاء والخوف، إلا أنك غلب جانب الرجاء عند الموت، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ».

### الوقفه الخامسة بعد المائة

التحذير من مشابهة الكافرين من قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا

الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

والتشبه بالكافرين كبيرة عظيمة، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴿٣١﴾ [الروم: ٣١]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، أخرجه

أحمد عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الوقفه السادسة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْءَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

[يوسف: ٨٨].

فيها: الشكوى على القادر لدفعها ورفعها، والضر الذي أصابهم بنقص المعاش وفقد الأحبة، فاجتمع عليهم همان قالوا: ﴿وَجِئْنَا بِبِضْءَةٍ مُّزْجَلَةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]، ليست بالطيبة وليست بالكاملة وإنما بين ذلك.

## الوقفه السابعة بعد المائة

طلب الوفاء في الكيل من قوله: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف: ٨٨].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «زِنِ فَأَرْجِحْ»، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١-٣]، والزيادة في الكيل تنفع المشتري ولا تضر البائع، وقد جاء عن حذيفة وأبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَتَى اللَّهَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ أَتَيْتَنِي مَالَكُ، فَكُنْتُ أَبَايُ النَّاسِ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأَنْظُرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِدَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»، يعني: تجوز في الكيل، أو في الحجم، أو في الثمن، فمن فعل ذلك له أجر من الله عَزَّوَجَلَّ: «نَحْنُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي».

### الوقفه الثامنة بعد المائة

أن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين ثدان.

قال تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ [النبا: ٣٦]، وقال: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦]، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، أي: يجازيهم بقبول أعمالهم وبمضاعفة أجورهم، ومنه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ».

### الوقفه التاسعة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

فيها: العتاب الحميد من قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، فلم يقل لهم: أنا يوسف وسأنتقم منكم وأنتم فعلتم وأذيتم أخي، وإنما وضع لهم السؤال كالموبخ لهم على صنيعهم السيء، وأن هذا الفعل صدر منهم في حال جهلهم، والجهل جهلان:

**الأول:** جهلٌ بمنعَى: فقد العلم.

**الثاني:** جهلٌ بمعنَى: الجهالة في الفعال بمخالفة العلم، وهذا هو الذي قصده يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### الوقفه العاشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَإِنَّمَا أَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩٠].

فيه: استخدام القرائن، فلو كانوا يعرفون أنه يوسف من أول يوم لما عجبوا من

هذا الأمر، لكن علموا ذلك بقرينة الحال فإن يوسف قصته عجيبة ولا يعلم ما فعلوا به من البشر إلا يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وإلا الذين اشتروه ما يدرون ما هي قصة يوسف، أبوه لا يدري ما هي قصة يوسف بعد أن أخذوه، فاستدلوا بالقرينة على أنه يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

### الوقفه الحادية عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ﴿٩٠﴾

[يوسف: ٩٠].

فالتقوى إذا لازمت العبد فعل بها المأمور وترك المحذور، ويكون بها الصبر على المقدور، والإنسان مأمور بهذه الثلاثة: فعل المأمور، وترك المحذور، والصبر على المقدور، فإن فعل ذلك فهو سعيد في الدنيا والآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

### الوقفه الثانية عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَأَلَّفُوا** ﴾ [يوسف: ٩١].

**فيها**: القسم بدون استحلاف من قولهم: ﴿ **تَأَلَّفُوا** ﴾ [يوسف: ٩١]، وقد كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كثيراً ما يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»، ويقول: «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**»، ويقول: «**لَا وَمُصْرَفِ الْقُلُوبِ**»، من غير أن يُستحلف، والحلف يؤتى به لتوكيد المحلوف عليه.

### الوقفه الثالثة عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا** ﴾ [يوسف: ٩١].

**فيها**: أن المنة لله في الخفض، والرفع، والإعطاء، والمنع، والحفظ وغير ذلك،

فانظر كيف رد الأمر إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهكذا ينبغي لجميع الموحدين أن يكون على هذا الأمر، هجيرهم بالإخبار عن الله ونعمه على العباد.

### الوقفه الرابعة عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١].

**فيها:** الاعتراف بالخطأ، وهذا إنما يتميز به الخُلس والجِلة، وإلا فإن كثيرًا من الناس تتجاري بهم أهواؤهم وتلاعب بهم نفوسهم، والاعتراف بالذنب فضيلة، قال بعض أهل العلم: حال الإنسان مع الخطأ ثلاث حالات:

**الأولى:** أن يقول: ما فعلت.

**الثانية:** أن يقول: فعلت وقصدي كذا.

**الثالثة:** أن يقول: فعلت وأعتذر، وهذه أكمل الحالات حيث اعترف بجريرة نفسه وتخلص من خطئه، فقولهم: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١]، هو اعتذار بصورة الخبر، أي: كنا خاطئين حين تمالأنا عليك وألقيناك في تلك المفازة الموحشة، وبعناك بثمانٍ بخسٍ دراهم معدودة، زد على ذلك حين اتهموه بالسرقة والله المستعان، والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

## الوقفه الخامسة عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَنْبِئَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

وهذا فعل الكرام، الكريم إذا ملك عفا، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لسلمة: «**مَلَكْتَ فَاسْجِحْ**»، أي: تجاوز، و عن عائشة، قالت: قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - : «**أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ**» أخرجه أبو داود .

وقد اجتمعت في حالهما حُسن الخصال، فالأخوة اعتذروا عن خطئهم، ويوسف تجاوز عن خطئهم وزلتهم حتى أنه لم يعاتبهم كما سيأتي في آخر الأمر، بل أضاف ما وقع بينه وبينهم من الشيطان، وهكذا إذا وقع بين الأخ وأخيه شيء يُضاف الأمر إلى نزغات الشيطان فإنه حريص على تفتيت الأخوة وتمزيقها، وهو يفرح إذا طاش الأخوة بعضهم على بعض، وينبغي للمجتمع المسلم أن يكون بعيداً عن الطيشان:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفَيْشَانِ مِمَّا ❀❀ عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ  
فمن نشأ على الطيشان يبقى في طيشانه لا ينتفع الناس بدعوته ولا يستفيدون من طريقته، ومن تربى على السكينة والتؤدة والهدوء والتجاوز يُرجى أن يرفعه الله **عَزَّجَلَّ**، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» أخرجه مسلم .

## الوقفه السادسة عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧].

**فيها:** أن الإنسان إذا وقع منه خطأ على أخيه أن يكون همه تجاوز الله بطلب التجاوز من أخيه؛ لأن الحقوق مبناها على المشاحة سواء كان الحق مالا أو قولاً أو فعلاً، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في حديث المفلس: «**فِيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ**

حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»

أخرجه مسلم، وهنا يقول: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي: يتجاوز عنكم. ولذلك فاعلم أن الحقوق التي يقع فيها الناس فيها حق لله، وحق للمخلوق، فما كان للمخلوق لا بد أن يُستوفى إما في الدنيا بالعمو أو الأرش أو القصاص، وإما في الآخرة بالحسنات، وما كان لله **عَزَّوَجَلَّ** فهو مبني على العفو والصفح: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي: يتجاوز عنكم فيما سلف من سيء أمركم ويوفقكم لخير أعمالكم: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

### الوقفه السابعة عشرة بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنْتُنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

دلالة على البشارة وما فيها من أسباب الفرج: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]، فأراد أن يستبشر يعقوب **عَلَيْهِ السَّلَام** بشم ريح يوسف، ويجعل الله **عَزَّوَجَلَّ** في ذلك كرامة عظيمة وهذا من دلائل النبوة.

### الوقفه الثامنة عشرة بعد المائة

التوسعة والعتاء.

فإنه على من أساء فإنه من تمام الكرم إذا كان أهلاً لذلك، فانظر إلى يوسف **عَلَيْهِ السَّلَام** قال: ﴿وَأَنْتُنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]، حتى لا تبقى عليهم تبعه، فيأتون بأبيهم ثم يحتاجون إلى سفر آخر.

## الوقفة التاسعة عشرة بعد المائة

من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف: ٩٤].

**فيها:** التخوف من العتاب، وهذا يقع كثيرًا بين الآباء والأبناء لا سيما إذا كُبر الأب وضعف ربما تنمر عليه أبنائه وأصبح هجيرهم: أنت متوهم، وأنت تخرف، وأنت كذا، وقد يختلفون من حيث حُسن الخلق من عدمه في العبارة، بل إن بعضهم ربما يضحك إذا تكلم أبوه بشيء فيتأثر الأب، أو ربما يقول: لو كنت أنا لكان كذا فيتأثر الأب، فينبغي للإنسان أن يراعي مشاعر أبيه وأمه ومن إليهم، ولا تقل: بأنهم لا يتأثرون، إذا كُبر سنهم ورق عظمهم واحدودبت ظهورهم يتأثرون مما لا يتأثر منه في أمر قد ولي وربما بكوا ورُفعت أصواتهم، وبين الحين والآخر يتذكرون مثل تلك المواقف التي صدرت من ولدهم.

**وفيها:** أن الإنسان يُخفف اللوم إلا ما لا بد منه؛ لأن القلوب تتأثر:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرُوا وَدَّهَا ❀ ❀ شِبْهُ الزَّجَاجَةِ كَسَرَهَا لَا يُجْبَرُ

وانظر كيف حصل ما تخوفه، قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ

الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥]، أي: في أمرك السابق من الظن بحياة يوسف ويوسف قد

ذهب، وأصحاب هذا القول هم الذين عنده من الأحفاد ونحوه، أما الذين جاءوا

بالبشارة ما سيقولون هذا الكلام، لكن قد كان ذهب بعضهم وبقي بعضهم، فالذين

عنده لما أخبرهم أنه يجد ريح يوسف قالوا: هذا من الضلال القديم الذي أنت عليه

والله المستعان، والضلال قد يُطلق على مخالفة الهدى، وقد يُطلق على الجهل:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧].

## الوقفة العشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿قَلَمًا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦].

فيها: فضل البشارة، والنبى **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** كان إذا جاءه وفد ربما بشرهم، ففي حديث عمران بن حصين **رضي الله عنهما**، قال: أتى نفر من بني تميم النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**». قالوا: يا رسول الله قد بشرتنا فأعطينا، فرأيي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. أخرجه البخاري.

﴿قَلَمًا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [يوسف: ٩٦]، أي: الثوب والقميص: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦]، كرامة من الله **عز وجل**: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦]، صفح وعتاب كريم حميد.

## الوقفة الواحدة والعشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨].

فيها: طلب الدعاء والاستغفار من الرجل الصالح من قولهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]، والرجل الصالح ينبغي ألا يبخل على غيره بالدعاء، فإن عند رأسه ملك موكل يقول: آمين ولك بمثل، كما في حديث أبي الدرداء **رضي الله عنه** في مسلم: ثم إن الدعاء شفاعته، والنبى **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول: «اشفعوا تؤجروا، وليقض الله **عز وجل** على لسان نبيه ما أحب»، ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]، إما في ساعة إجابة، وإما أن يلازم ذلك.

وقد ذهب ضلال القرامطة: إلى أن يوسف هو الحقيقة، قالوا: بمجرد ما قالوا:  
﴿**أَسْتَغْفِرُ لَنَا**﴾ [يوسف: ٩٧]، قال: ﴿**لَا تَتُوبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ**﴾ [يوسف: ٩٩]؛ لأنه الحقيقة  
عندهم، بمعنى: أنه الله عندهم.

وأما يعقوب لما لم يكن كذلك: ﴿**أَسْتَغْفِرُ لَنَا**﴾ [يوسف: ٩٧]، قال: ﴿**سَوْفَ**  
﴿**أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**﴾ [يوسف: ٩٨]، وهذا كلام باطل إنما يوسف عفا عن حقه ورجى  
من الله التجاوز عنهم، ويعقوب وعدهم بذلك والاستمرار عليه، أو أنه يستغفر لهم  
في الحال إذ لا مانع من ذلك.

### الوقف الثانية والعشرون بعد المائة

من قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ**﴾ ﴿١٠٠﴾ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

أي: أدخل أبويه عليه ورحب بهم وأهل، وفي بعض الإسرائيليات: بأن يوسف  
عليه السلام لا ولد له، والسبب في ذلك: أنه ما قام لأبيه حين دخل عليه، وهذا لا دليل  
عليه لا من قريب ولا من بعيد، ويوسف من الأبرار عليه السلام.

يدل عليه قوله: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [يوسف: ١٠٠]، إكراماً لهم، ﴿**وَخَرُّوا لَهُ**  
﴿**سُجَّدًا**﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي: إخوانه، ولعل هذا كان صائغاً في شريعتهم للتحية لا للعبادة،  
﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي: هذا حقيقة  
رؤياي من قبل قد وقعت بعد التفسير السابق.

### الوقفه الثالثة والعشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾

[يوسف: ١٠٠].

ففيها: رد الخير إلى الله عز وجل جلبًا ونفعًا.

### الوقفه الرابعة عشرة بعد المائة

في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

أضاف الشر الذي حصل إلى الشيطان، ففي مسلم: عن جابر رضي الله عنه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ بَيَّسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»، فانظر أين وصل الشيطان بالإنسان، جعل ابن آدم يقتل أخاه، وجعل إخوة يوسف يلقونه في اليم مع أنهم أبناء أنبياء، وأخوهم نبي، وهم أهل إيمان إلا أن الشيطان له نزغات بين الإخوة.

### الوقفه الخامسة والعشرون بعد المائة

من قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

فيه: الاعتراف بفضل الله الواسع، والتوسل إلى الله عز وجل بنعمته على العبد، ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠١]، خالق السماوات والأرض، وفيها التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١]، دعاء بصورة خبر، كأنه يقول: تولني في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣٧٠ / ٨): وَالصَّحِيحُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلِ الْمَوْتَ وَلَمْ يَتَمَتَّهُ. وَإِنَّمَا سَأَلَ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ يَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ فَسَأَلَ الصِّفَةَ لَا

الْمَوْصُوفَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ؛ وَأَمَرَ بِهِ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ؛ وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ مِنْهُمْ ابْنُ عَقِيلٍ وَغَيْرُهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. اهـ

### الوقفه السادسة والعشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ظن بعضهم: أنه دعا على نفسه بالموت وليس كذلك، وإنما دعا لنفسه بالثبات على دين الله عزَّ وجلَّ حتى يلقى الله عزَّ وجلَّ، وهذا كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُبْتَتِ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، وكقوله: «يَا مُصْرَفَ الْقُلُوبِ صَرَّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، وكقول عبد الله بن مسعود: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَزِيدُ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ".

### الوقفه السابعة والعشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا

أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

أي: أن الله عزَّ وجلَّ يقول لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ذلك الذي تقدم ذكره من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وما جرى بينه وبين إخوته في صغره وكبره: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ [يوسف: ١٠٢]، من أمور الغيب التي: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩]، وإما أطلعه الله عليها، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٢]، ما كنت عندهم، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف: ١٠٢]، إذ بيتوا أمرهم المنكر واجتمعوا عليه، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، بيوسف ومع ذلك: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠].

### الوقفه الثامنة والعشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وهذه آية عظيمة فيها تسلية للمؤمنين، وأن أكثر الناس على غير الاستقامة قال الله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، ففي البيت الواحد، وفي المدينة والواحدة، وفي القبيلة الواحدة، وفي القطر الواحد أكثر الناس عندهم ضعف في الاستقامة، وأقل الناس هم أصحاب الاستقامة ظاهراً وباطناً.

### الوقفه التاسعة والعشرون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤].

[يوسف: ١٠٤].

لأن سؤال الأجر يضرهم ويزهدهم في الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالِكُمْ﴾ [سبأ: ٣٦]، وفيما تدعوهم إليه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ذكر يتلى فيستفيد منه المؤمنون الذي: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

### الوقفه الثلاثون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

يعني: هذه القصة التي ذكرناها لك فيها من العبر الشيء الكثير، لكن هؤلاء الذين يُشركون وينددون كم من آية يمرون عليها معرضين فيمرون على أخبار قوم فرعون، وقوم نوح، وقوم لوط، وقوم إبراهيم، وقوم موسى، وقوم عيسى ولا

يستفيدون منها، وينظرون إلى الآيات الكونية كالشمس، والقمر، والنجوم: ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٥٥]، أي: لا يزداد إيمانهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥].

### الوقفه الواحدة والثلاثون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

[يوسف: ١٠٦].

**قيل:** ما يؤمن أكثرهم بالله في الربوبية إلا وهو مُشرك في الألوهية كما فسرها بعض السلف، يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر ولكنهم يُشركون بأن العبادة خاصة لله **عَزَّوَجَلَّ** لا يجوز أن يُشرك معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا، وفي هذه الآية وعيد عظيم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٦]، يُثبت لهم إيمان بالله بالجملة، ثم يقول: ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، يُثبت لهم الشرك الذي لا يغفره الله ولا يتجاوز عن صاحبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

### الوقفه الثانية والثلاثون بعد المائة

في قوله تعالى مُهددًا للكفار: ﴿أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ

السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٧].

أقامت قريش ومن إليها: ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾ داهية وصاعقة ومصيبة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧]، كما أتت الذين من قبلهم فتهلكهم، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يوسف: ١٠٧]، يوم القيامة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٧]،

معرضون في غمرتهم ساهون.

### الوقفه الثالثة والثلاثون بعد المائة

بيان شأن الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وماهيته، من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

أي: أن طريق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الدعوة إلى الله، فلتأسى به في ذلك، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ علم: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، تعالى، لا إلى غيره وهذا دليل الإخلاص، ومن اتبعني يدعون إلى الله على بصيرة، وقيل: المعنى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: على علم ودراية بحال الدعوة وحال المدعو، فهذا هو فقه الدعوة: أن يكون عندك خبرة بحال الداعي، وحال المدعو، وحال ما يدعى إليه: ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فيه: فضيلة الاتباع، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، تنزيه الله عن جميع النقائص والمعائب، وتزكية النفس مما هي عليه بدون غرور أو عجب من قوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، أو فيها البراءة من الشرك: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٦٢-٦٧].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٦٥ / ١٥): فَمَجْمُوعُ أُمَّتِهِ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةً قَاطِعَةً فَأُمَّتُهُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَيَّ صَلَاحَةً وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَّةِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ مِنَ الدَّعْوَةِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ سَقَطَ عَنْهُ

وَمَا عَجَزَ لَمْ يُطَالَبَ بِهِ. وَأَمَّا مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ؛ وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَى هَذَا وَقَدْ تَقَسَّطَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ تَارَةً وَبِحَسَبِ غَيْرِهِ أُخْرَى؛ فَقَدْ يَدْعُو هَذَا إِلَى اعْتِقَادِ الْوَاجِبِ وَهَذَا إِلَى عَمَلِ ظَاهِرٍ وَاجِبٍ وَهَذَا إِلَى عَمَلِ بَاطِنٍ وَاجِبٍ؛ فَتَنَوُّعُ الدَّعْوَةِ يَكُونُ فِي الْوُجُوبِ تَارَةً وَفِي الْوُقُوعِ أُخْرَى. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ تَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ لِكَيْفَا فَرْضٍ عَلَى الْكِفَايَةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهَذَا شَأْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَبْلِيغِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ الدَّعْوَةَ نَفْسَهَا أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ الدَّاعِيَ طَالِبٌ مُسْتَدْعٍ مُفْتَضٍ لِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ بِهِ؛ إِذِ الْأَمْرُ هُوَ طَلْبٌ لِلْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَاسْتِدْعَاءٌ لَهُ وَدُعَاءٌ إِلَيْهِ فَالدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ الدُّعَاءُ إِلَى سَبِيلِهِ فَهُوَ أَمْرٌ بِسَبِيلِهِ وَسَبِيلُهُ تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ. وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمَا وَاجِبَانِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ وَجُوبَ فَرَضِ الْكِفَايَةِ لَا وَجُوبَ فَرَضِ الْأَعْيَانِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بَلْ كَوُجُوبِ الْجِهَادِ.

وَالْقِيَامُ بِالْوَاجِبَاتِ: مِنَ الدَّعْوَةِ الْوَاجِبَةِ وَغَيْرِهَا يَحْتَاجُ إِلَى شُرُوطٍ يُقَامُ بِهَا. اهـ

### الوقفه الرابعة والثلاثون بعد المائة

في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾

[يوسف: ١٠٩].

أي: ما أرسلنا إليهم ملائكة رادًا على طلبهم لنزول الملائكة: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿[الفرقان: ٢١-٢٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩]، فالنبوة والرسالة لا تكون إلا في الرجال

خلافًا لما ذهب إليه ابن حزم والقرطبي: من أن مريم ابنة عمران كانت نبيه، وإنما هي الصديقة، ومن شروط الرسول: أن يكون إنسيًا، حرًا، ذكرًا، عاقلًا، وقيل غير ذلك من الشروط، لكن بعضها ليس عليه دليل، ﴿نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وفي هذه الآية تسلية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام في النبوات (٢/ ١٠٠٤): فالرسل تكون من الإنس إلى الثقلين، والنذر من الجن باتفاق العلماء.

هل يكون من الجن رسلًا؟!

واختلفوا: هل يكون في الجن رسل؟ والأكثر على أنه لا رسل فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾. وعن الحسن البصري قال: لم يبعث الله نبيًا من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء. ذكره عنه طائفة. اهـ

### الوقفة الخامسة والثلاثون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

أي: هؤلاء الكفار المشركين والمنمدين: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ممن هو أشد منهم بطشًا وأكثر جمعًا، ومع ذلك دمر الله عليهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، أي: التفات وإخبار: أن الحياة السعيدة هي حياة المؤمنين الخُالص، فله الدار الآخرة كاملة موفاه لا نقص فيها.

## الوقفة السادسة والثلاثون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَنَجَّىٰ مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

قُرئت: (كُذِّبُوا)، ولا إشكال فيها، فقد كذبهم قومهم، وأما: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [يوسف: ١١٠]، أي: استيقنوا أنهم قد كُذِّبُوا قيل: المعنى قد كذبهم قومهم، وقيل: بأنه وقع في أنفسهم شيء تجاوز الله عنه ولم يؤاخذهم به كقوله عَزَّجَلَّ: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وكقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب: ١٠]، أو المعنى أيضًا قيل: خشوا أن يكذبهم أتباعهم ويقولون: أنتم وعدتمونا بالنصر والتمكين وإلى الآن ما هو إلا الهزيمة فينا، فعند الشدة والضيقة يأتي النصر: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، والله عَزَّجَلَّ خير الناصرين، ﴿فَنَجَّىٰ مَن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]، يُنجي الله عَزَّجَلَّ من شاء من الفتن والمحن، ﴿وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، عذابنا كما قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]، فكلُّ يهلكه الله بما شاء، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، الظالمين الكافرين.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٥ / ١٧٥): قِرَاءَتَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ. وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقْرَأُ بِالتَّثْقِيلِ وَتُنَكِّرُ التَّخْفِيفَ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ - وَهُوَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ مُخَفَّفَةً قَالَتْ - مَعَاذَ اللَّهِ لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا - قُلْتُ: فَمَا هَذَا النَّصْرُ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ بِمَنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ

وَوَدَّعَتِ الرُّسُلَ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ لَعَمْرِي لَقَدْ اسْتَيْمَنُوا  
 أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ. وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي  
 مُلَيْكَةَ يَقُولُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾  
 حَفِيظَةً ذَهَبَ بِهَا هُنَالِكَ وَتَلَا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ءَالَآ  
 إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ فَلَقِيَتْ عُرْوَةَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَعَاذَ اللَّهِ  
 وَاللَّهِ مَا وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا عَلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ  
 الْبَلَاءُ بِالرُّسُلِ حَتَّى ظَنُّوا وَخَافُوا أَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَهُمْ يُكذِّبُهُمْ؛ فَكَانَتْ تَقْرُؤُهَا:  
 ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مُثَقَّلَةً. فَعَائِشَةُ جَعَلَتْ اسْتَيْسَاسَ الرُّسُلِ مِنَ الْكُفَّارِ  
 الْمُكذِّبِينَ وَظَنَّهُمُ التَّكْذِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَلَكِنَّ الْقِرَاءَةَ الْأُخْرَى ثَابِتَةٌ لَا يُمَكِّنُ  
 إِنْكَارُهَا وَقَدْ تَأَوَّلَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَظَاهِرُ الْكَلَامِ مَعَهُ وَالآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا إِنَّمَا فِيهَا اسْتِبْطَاءُ  
 النَّصْرِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ تُبْطِئُ لِطَلَبِ التَّعْجِيلِ. وَقَوْلُهُ:  
 ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قَدْ يَكُونُ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَمَّتْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي  
 أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ وَالظَّنُّ لَا يُرَادُ بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْإِعْتِقَادُ  
 الرَّاجِحُ كَمَا هُوَ فِي اصْطِلَاحِ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي الْعِلْمِ وَيُسَمُّونَ الْإِعْتِقَادَ  
 الْمَرْجُوحَ وَهَمَّا بَلْ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ  
 الْحَدِيثِ» وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿١٧﴾﴾. فَالْإِعْتِقَادُ الْمَرْجُوحُ  
 هُوَ ظَنٌّ وَهُوَ وَهُمْ وَهَذَا الْبَابُ قَدْ يَكُونُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ الْمَغْفُوفِ عَنْهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلِّمْهُ أَوْ تَعْمَلْ» وَقَدْ  
 يَكُونُ مِنْ بَابِ الْوَسْوَسَةِ الَّتِي هِيَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ «أَنَّ الصَّحَابَةَ  
 قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَا لَأَنْ يُحْرَقَ حَتَّى يَصِيرَ حُمَمَةً أَوْ يَخْرَ  
 مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ: أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «أَوْقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا:

نَعَمْ. قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ مَا يَتَعَاظَمُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَاسَةِ». فَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي هِيَ تَعْرِضُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مِنْهَا مَا هُوَ ذَنْبٌ يَضَعُفُ بِهِ الْإِيمَانُ وَإِنْ كَانَ لَا يُزِيلُهُ. وَالْيَقِينُ فِي الْقَلْبِ لَهُ مَرَاتِبٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ عَفْوٌ يُعْفَى عَنْ صَاحِبِهِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ يَقْتَرِنُ بِهِ صَرِيحُ الْإِيمَانِ.

اهـ

### الوقفه السابعة والثلاثون بعد المائة

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

أي: قصص الكافرين، وقصص الأنبياء والمرسلين فيها عبرة لأولي الأبواب، ﴿مَا كَانَ﴾ [يوسف: ١١١]، أي: هذا القرآن، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١]، أي: حديثاً مفترى، مكذوب، ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١]، من التوراة والإنجيل، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، مما يحتاجه الإنسان في دينه ودنياه، ﴿وَهُدًى﴾ [يوسف: ١١١]، دلالة إلى الخير، ﴿وَرَحْمَةً﴾ [يوسف: ١١١]، سلامة من الشر والضير، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، إنما يستفيد منه المؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُعْطِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۚ سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۚ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۚ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۚ﴾ [الأعلى: ٩-١٢].

### الوقفه الثامنة والثلاثون بعد المائة

أن القرآن حق من الله عز وجل، وأنه لا يخالف الحق الذي أوحاه الله عز وجل على من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإنما ما وقع من ذلك فإما أن يكون نسخاً في

الأحكام، أو تحريفًا من اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، ولذلك تجد اتفاق الكتب والرسول على التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

### الوقفه التاسعة والثلاثون بعد المائة

ما في القرآن من البركة العظيمة والعظة الكريمة يستفيدها من أمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** رسولاً ونبياً.

حيث أنزل الله لأ هذا القرآن للتعقل والتدبير والإيمان والانقياد، فتأمل كيف افتتح الله السورة بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، وختمها بقوله: ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [يوسف: ١٣١]، تجد ما يحار المتكلم عن الإفصاح به وبيانه، والله الموفق.

### الوقفه الأربعون بعد المائة والأخيرة:

تعيين تعقل القرآن وتدبره.

فستجد تحت كثير من ألفاظه العامة ما يستدل به على الحوادث الخاصة، ومن أراد ذلك فليرجع إلى كتب أحكام القرآن، تجد أن هذه السورة قد حوت أحكاماً كثيرة في البيوع والرهن والضمان وغيرها .

هذا مُلخص لما تضمنته هذه السورة، والحمد لله رب العالمين.  
وكان الانتهاء من مراجعته عصر يوم السبت: ٢١ / شعبان / ١٤٤٢ هـ .



تأملات في سورة (ق)

## تأملات في سورة ق

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**الحمد لله** والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أما بعد:**

فإننا نحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** الذي جمعنا في هذا المسجد وهذا الوقت، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** لنا ولكم المزيد من فضله، وقد يسر الله **عَزَّوَجَلَّ** أن سمعنا في هذا الصباح سورة (ق) وهي من السور التي كان يهتم بها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بها كثيرًا في خطبه وفي صلاته.

أما الصلاة فصح عن جابر بن سمرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في مسلم: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كان يقرأ في الفجر بق والقرآن، ونحوها.

وأيضًا: من قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "صَلَّيْتُ وَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَقَرَأَ: ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ حَتَّى قَرَأَ: وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتِ سُورَةِ [ق آيَةَ ١٠-]، قَالَ: فَجَعَلْتُ أُرَدِّدُهَا، وَلَا أُدْرِي مَا قَالَ". أخرجه مسلم

لأنه جعل يتفكر في النخلة وفي خلق النخلة التي خلقها الله **عَزَّوَجَلَّ** وذكرها في هذا الموطن.

وأما الخطبة فقد صح عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس . رواه مسلم

والتأمل لهذه السورة والمتفكر في معانيها العظيمة يعلم السر في حرص النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على قراءتها فهي سورة وعظ وتذكير وسورة تخويف وبشارة وتظهر حياة الإنسان منذ خلقه الله **عَزَّجَلَّ** وحتى يصير إلى جنةٍ ونهر.

**وفيها:** من كون الله **عَزَّجَلَّ** جعل على العباد من يسطر لهم أعمالهم وأقوالهم وفيها أن القرين السيئ يتبرأ من صاحبه يوم القيامة ويرد الخطأ على صاحبه.

**وفيها:** أن جهنم خلق عظيم لا يزال يلقي فيها وتقول هل من مزيد، هل من مزيد حتى يضع الجبار قدمه فيها فتقول قط قط و دليل ذلك: ما روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»**.

وفيها رحمة الله **عَزَّجَلَّ** لعباده إذ يزلف لهم الجنة ويقرب لهم الجنة: **﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾**.

**وفيها:** أن دخول الجنة لها أسباب، ومن أسبابها: حفظ حدود الله **عَزَّجَلَّ**، والإنابة إلى الله **عَزَّجَلَّ**، والتوبة والرجوع إليه، قال تعالى: **﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ حَبِطَتِ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْكُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾**.

**وفيها:** تحذير الله **عَزَّجَلَّ** من الغرور في هذه الدنيا والركون إليها، فقد أخبر أنه أهلك من هو أشد قوة وأكثر جمعا، فقال **عَزَّجَلَّ**: **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾**.

هل من مهرب إلى غير الله **عَزَّجَلَّ** ؟

لا، قال تعالى: **﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِّمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾**.

**وفيها:** قدرة الله العظيمة إذ خلق السموات والارض في ستة أيام، ولم يخلق الله **عَزَّجَلَّ** السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لعجزه أو لضعفه فهو القوي العزيز

الذي لا يعجزه شيء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٣٦)، وإنما اقتضت حكمته ذلك وإلا فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وفي آخرها الحث على تسبيح الله **عَزَّوَجَلَّ** في أواخر الليل وفي أدبار السجود. ثم كانت الموعظة البليغة التي كتبت من هذه السورة، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٣٧﴾﴾، يخرجون من قبورهم حفاةً عراةً غرلاً، كما صح ذلك عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقبله كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ (٣٦).

وقوله: ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٣٦﴾﴾: يدل على تحقق هذا اليوم ووقوع هذا اليوم لا محالة.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٣٦﴾﴾: والصيحة صيحتان صيحة الإماتة وصيحة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾. وأخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** أن الذكر تنفع من كان له قلب هذه المواعظ وهذه البشارات والندارات التي تضمنتها هذه السورة وما في بابها من السور إنما يتنفع بها من: ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

فيا أيها المسلمون إن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد أنعم علينا بهذا الكتاب العظيم الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤١﴾﴾ [فصلت: ٤١].

وحفظه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من عبث العابثين ومن تحريف المحرفين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥١﴾﴾.

فينبغي للمسلمين أن يهتموا بهذا الكتاب قراءةً وحفظاً وتدبراً وعلماً وعملاً فإنه من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وقد قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قالوا: نعم قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرْفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرْفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا». أخرجه ابن حبان عن أبي شريح العدوي الخزاعي الكعبي وهو في "الصحيح المسند".

وفي حديث زيد بن أرقم عند مسلم: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ.

ومن بركة هذا الكتاب ومن فضل الله علينا: أن الله شرع لنا قراءته في صلواتنا، وشرع لنا قراءته في غير ذلك، فالإنسان مهما بلغ إعراضه وهو مسلم ما يزال مسلماً لا بد أن يقرأ آيات من القرآن الكريم ولو لم يكن إلا قراءة سورة الفاتحة، ومن أسمائها: فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ [الحجر: ٨٧]. وكذلك: الرقية، والصلاة، فالحمد لله لها أسماء كثيرة وهذا من بركتها.

والمتأمل لبقاء هذه الطائفة المنصورة الفرقة الناجية مع كثرة المخالفين والمعارضين والمحاربين يجد أنه بعد توفيق الله **عَزَّوَجَلَّ**: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** حفظ لهم هذا الكتاب فاعتقدوا بما فيه ودعوا إليه، وحرموا ما فيه، وإذا قرن الإيمان بالقرآن والعمل بالقرآن فيدخل فيه الإيمان بالسنة والعمل، وضل غيرهم وهم بحمد الله كما

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

فلما تمسك أهل السنة والجماعة بهذا الدين القويم والصراط المستقيم وأخذوا عقائدهم من الأدلة الثابتة سلم لهم دينهم، وتفرق وابتدع غيرهم؛ كما جاء في الصحيحين: عن معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»، وأخرجه مسلم من حديث ثوبان، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَّهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

والله ليس بقوتهم، ولا بفصاحتهم ولا بكثرة أموالهم، ولا بوجهاتهم، ولكن لما يحملون من دين الله العظيم، من دين الله الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، النور الذي أنزله الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والرحمة التي أنزلها الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والفضل العظيم من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾.

ففضل الله **عَزَّ وَجَلَّ** هو: القرآن والإسلام، وهذه السنة والطريقة طريقة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فالفرح يكون بأخذ القرآن والسنة، والعمل بهما هو خير مما يجمعون من طمع الدنيا وزينتها.

أيها المسلمون، إننا والله نرى بركة التمسك بهذه الطريقة السلفية الصحيحة؛ وذلك لأنها دين الله أولاً، والتمسك بدين الله **عَزَّ وَجَلَّ** سبب لكل خير، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧﴾. فالتمسكون بالكتاب والسنة هم المصلحون.

**الأمر الثاني:** أن هذه الطريقة توصل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا سبيل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا منها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

**الثالث:** أنها هذه الطريقة هي طريقة من اصطفى الله سبحانه تعالى من الأنبياء والمرسلين، ومعلوم أن طريقة المصطفين غير طريقة غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

فينبغي أن نأخذ بهذه الطريقة التي جعلها الله **عَزَّوَجَلَّ** طريقة المصطفين الأخيار من الأنبياء والمرسلين ومن المهاجرين والأنصار.

**الأمر الرابع:** أن هذه الطريقة وإن بعدَ العهد النبوي ما زالت هي الطريقة التي كانت في عهد رسول الله **عَزَّوَجَلَّ** لم تتغير ولم تتبدل، صلواتهم كصلاة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، اعتقاداتهم كاعتقاد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، حججهم كحج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، صيامهم كصيام رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، معاملتهم للناس كمعاملة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، أخلاقهم وكل ما يفعلون ويزدرون هذه الطائفة سائرة على سيرة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، ففيها الخير العظيم.

**الأمر الخامس:** أن هذه الطريقة هي التي سلكها المهاجرون والأنصار الذين هجروا بلدانهم وضحوا بأموالهم وقدموا أنفسهم رخيصة لأجلها؛ ففي حديث أنس بن مالك عند مسلم: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** أفردَ يومَ أُحُدٍ في سبعةٍ من الأنصارِ ورجلينِ من قريشٍ . فلما رَهقوه قال: «من يردُّهم عنا وله الجنةُ، أو هو رفيقي في الجنةِ؟»، فتقدَّم رجلٌ من الأنصارِ، فقاتل حتى قُتِلَ، ثم رَهقوه أيضًا. فقال: «من يردُّهم عنا وله الجنةُ، أو هو رفيقي في الجنةِ؟»، فتقدَّم رجلٌ، من الأنصارِ، فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعةُ، فقال رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** لصاحبيه

«ما أنصفنا أصحابنا»، وهم يدافعون عن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فهم رفقاء رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في الجنة.

فيا أيها المسلم أنت كذلك إن دافعت عن دين الله وحفظت كتاب الله وعملت بما فيه وامت على سنة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وكنت من حملتها والمدافعين عنها فعسى أن تكون مع رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في الجنة.

**السادس:** أن الدين قد وقع فيه التفرق بصورة عجيبة حتى أن الفرق الأساسية وصلت إلى ثلاثة وسبعين فرقه، قال عنها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»، وفي رواية: «كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ». فالاثنتين والسبعين فرقة هي فرق الضلال وهذه الطائفة والفرقة مازالت على ما كان عليه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لم تغير ولم تبدل.

**السابع:** أن بقاء هذه الطائفة وهذه الفرقة أمنة للأمة، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث أبي موسى عند مسلم: "صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: «أَحْسَبْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ»، قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

**ومعنى الحديث:** أن هذه الطريقة أيضًا هي أمنة للأمة، فإذا ذهب هذه الطريقة أتى الأمة ما توعده وهي: الساعة، فلا تقوم الساعة إلا بعد قبض الله **عَزَّوَجَلَّ** لهذه الطائفة المنصورة الفرقة الناجية؛ ففي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيَابِنِ إِلَّا قَبَضَتْهُ».

وهكذا جاء من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ ... ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيَابِنِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَيْدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ». أخرجه مسلم.

وعن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ». رواه مسلم.

وهذه الطريقة هي الطريقة التي يُسأل عنها الناس يوم القيامة، فمن غير عنها وبدل طرد من الحوض المورود وحُرم من خيرات عظيمات، ومن تمسك بها كان ممن يسقيه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** من حوضه؛ ففي حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال لكعب بن عجرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ أَمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قال: وما أمارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قال: «أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَيْدِي، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي - هَؤُلَاءِ هُمُ السُّفَهَاءُ يَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَيْدِي رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وَيَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَى حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يَصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يَعْنِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَى حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاغٌ نَفْسُهُ فَمُعْتَقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمَوْبِقُهَا». أخرجه أحمد وهو في الصحيح المسند.

لم يقل أنهم قد صاروا في ما هو شر من ذلك وما هو دون ذلك، ولكن الذين يصدقونهم ويعينونهم على البدعة والباطل الذي هم فيه.

فمن يزهّد بمثل هذا الشرف العظيم؟!، وهل تجد مثل هذه البشارة في غير هذه الفرقة: الفرقة الناجية المنصورة، صلّحت عقائدهم، وصلّحت عباداتهم، وصلّحت أخلاقهم، وصلّحت آخرتهم، انظر إلى غيرهم بنظرة عامة تجد أن بعضهم يعبد القبور ويسمي فعله توحيداً، ويشرك ويندد ويسمي طريقته مولداً لرسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلّم**، بل من عجيب ذلك: أن يجعل هذا المولد هو المراد بقول الله **عزّ وجلّ**: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، لا والله ما يكون المراد بهذه الآية المولد أبداً؛ لأن المولد بدعة محدثة جاء من النصارى وجاء من الباطنيين، فكيف يكون فضل الله؟!، فضل الله ما يفعله رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلّم**، وما يفعله أبو بكر **رضي الله عنه**، وما يفعله عمر **رضي الله عنه**، وما يفعله عثمان **رضي الله عنه**، وما يفعله علي **رضي الله عنه**، وما تفعله القرون المفضلة حتى يأتي المتهوكون الحيارى الذين قلدوا اليهود والنصارى فيزعمون أن هذا قول الله، وأن هذه رحمة الله أنى تكون رحمة الله وهم مشركون وينددون؟!، بل هذه نقمة الله وعذاب الله **عزّ وجلّ** لمن لم يتب منه، والله من مات على المولد وعاش على المولد مشركاً مندداً فهو على خطر عظيم، فلم يكن المولد ولن يكون في يوم من الأيام رحمة الله **عزّ وجلّ**، ولا فضل الله **عزّ وجلّ** أبداً؛ لأن فضل الله ورحمته القرآن والإسلام، وفضل الله ورحمته السنة، وأنتم ترون ما يقع من هذه المشاهد والزيارات من ذبح لغير الله، ومن الاستغاثة بغير الله، ومن شرك وتنديد، وأقل أحوال الذين يذهبون إلى هذه القبور والمشاهد: أن يكونوا مبتدعة ضلالاً يتعرضون إلى الوعيد العظيم، ما بالك إذا اقترنت بدعتهم بدعاء الرسول **صلى الله عليه وعلى آله وسلّم**، أو بدعاء المقبورين، أو

باعتماد أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يحضر، أو بالذبح والنذر لغير الله، أو بالتوكل والاعتماد والخوف والخشية والمحبة لغير الله سبحانه تعالى.

فطريقة أهل السنة هي الطريقة المرضية والسوية؛ لأنها طريقة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خير البرية، فرضها الله عليه وأكرمه بها، وأكرم من سار على سيرها، فلا تستوحش يا أيها السني من قلة السالكين، ولا تستوحش أيها السني؛ لأنك على طريقة مرضية وعقيدة سوية. إن مت عليها كنت من أهل الجنان، ومن الشاربيين من حوض رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومن المظلمين تحت ظل عرش الله **عَزَّ وَجَلَّ** يوم القيامة، ومن الذين يمرون على الصراط كالمح البصر والبرق، وغير ذلك مما ذكره النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

لا تستوحش أيها السني من كثر من يخالفك أو يعارضك أو يزهده منك، ولا تغتر أيضاً بنفسك على أنك وأنك، فما من فضل هو فيك فهو من الله، وما من توفيق سلكته فهو من الله، وما من عبادة أديتها كما يحب الله **عَزَّ وَجَلَّ** فهو من الله.

فينبغي لنا أن نكون على حالين مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: حال الخوف، وحال الرجاء والطمع فيه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فالخوف يمنع الإنسان من العجب والرياء وسلوك الحرام، والرجاء يربط الإنسان بربه يرجو رحمته ويخاف عذابه، وأما عند الموت فكله رجاء فلا يموتن أحدكم إلا هو يحسن الظن بالله؛ كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم: سمعتُ رسولَ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، قبل موته بثلاثة أيام، يقول **«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: يقول الله تعالى: **«أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي،**

وإن ذكرني في ملام ذكرته في ملام خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولاً». متفق عليه.

أيها المسلمون، قد من الله عليكم في هذه البلاد الطيبة بنعمة عظيمة وهي: سلامة عقائدكم، وسلامة طريقكم الذي تسيرون فيه مع كثرة المخالفين فيه، وكثرة المنددين، وكثرة المحاربين لسنة رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، فعليكم بالعلم وإياكم أن تضيعوه أبداً؛ لأن العلم نور وأمنة ومن أسباب الاستقامة والرفعة، ومن أسباب الخشية، والعالم طالب العلم بعيد من تسلط الشيطان إلا إذا أخلد إلى الأرض، فإذا أخلد إلى الأرض تسلط عليه الشيطان، وأما مادام مع العلم اعتقاداً وعملاً ودعوة فو على خير، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٢﴾﴾.

وأما إذا تمسك بالأرض وأحب الدنيا الزائلة فقد مثله الله **عز وجل** بحيوانين اثنين وهما من اخص الحيوانات:

**الأول:** الكلب، قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

**والثاني:** الحمار، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

أيها السني لا تكن كغيرك، لا بد أن تتميز على غيرك في الاعتقاد، وتتميز على غير بالعبادة، وتتميز على غير في المعاملة، وتتميز على غيرك في لباسك وهيئتك وفي جميع أحوالك وسكناتك؛ لأنك تسير على الدليل، ومن حَكَمَ الدليل على نفسه كان أجره عظيمًا.

**سفيان الثوري رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ:** "إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل".

**ويقول أيضًا:** "إنما العلم كله بالآثار".

فالاتباع الاتباع، والعمل العمل بما يؤدي إلى مرضاة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ونسال الله لنا ولكم التوفيق والسداد والإعانة.

**وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت نستغفرك وأتوب إليك.**



# الإيلاف في تفسير سورة (ق)

## تفسير سورة ق

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن أهدى بهداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

أما بعد:

فإن فهم القرآن وتدبره وتعقله مما أمر الله **عَزَّجَلَّ** به قال تعالى: ﴿**أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ**

**الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]،

وقال تعالى: ﴿**أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى:

﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ**﴾ [القمر: ١٧]، ومن هنا فإن أكثر القرآن

سماعاً، وتداولاً، وحفظاً، وصلاة لهو المفصل بل قصار المفصل، وأوسطه أكثر من

غيره حيث يقرأه الصغير والكبير والعالم وغيره في الصلوات المكتوبات، وفي النوافل

والمستحبات، ويحفظونه في صباهم، وربما بدأوا الحفظ منه في غالب حال الناس

حتى يتمرنوا على الحفظ والقراءة والأخذ والتلقين، وفي البخاري (٤٩٩٦) ومسلم

(٨٢٢) وللفظ لمسلم: **عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ**

**فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ أَوْ مِنْ مَاءٍ**

**غَيْرِ يَاسِنٍ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا قَالَ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفْصَلَ فِي**

**رَكْعَةٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذَا كَهَذَا الشُّعْرِ إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، وَلَكِنْ**

**إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّظَائِرَ**

**الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. ثُمَّ قَامَ عَبْدُ**

اللَّهُ فَدَخَلَ عَلَقَمَةً فِي إِثْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: قَدْ أَخْبَرَنِي بِهَا.

وقد جاء تفصيل هذه السور في سنن أبي داود (١٣٩٦) ولفظه: (أتى ابن مسعود رجُل، فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة، فقال: أهدأ كهذا الشعر، ونثراً كثير الدقل، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة، الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت، وتون في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وويل للمطققين وعبس في ركعة، والمذثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة). قال أبو داود: هذا تأليف ابن مسعود رحمه الله.

وأول ما نزل من القرآن المفصل: ففي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال أي الكفن خير؟ قالت ويحك وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية أعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمْرٌ ﴿٦٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السورة.

**والشاهد من الحديث:** ما جاء في المفصل من الترغيب والترهيب وكونه أول ما

أنزل الله **عَزَّوَجَلَّ** على نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فيحتاج المسلم إلى معرفة معانيه ومفرداته لا سيما مع بعد الناس عن معرفة العربية التي نزل بها، فلو سألت أحدهم عن معنى: ﴿**وَالْعَدِيدَاتِ ضَبْحًا** ١﴾ [العاديات:١]، ما عرفها والله المستعان، والمتأمل لهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القراءة في الصلاة يعلم ذلك ولعله يأتي في مواطنه فقد قرأ بالزلزلة في (الركعتين) وكان يقرأ في ركعتي الفجر بسوره (الكافرون والإخلاص).

وقرأ في بعض أسفاره في الفجر (بالمعوذتين)، وقرأ في العشاء (بالتين) و﴿**أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ**﴾ [العلق:١]، و(الانشقاق)، وأمر معاذاً أن يقرأ بوسط المفصل (والضحى) (والليل)، ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ١﴾ [الشمس:١]، و﴿**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ١﴾ [الأعلى:١]، وقرأ في الفجر: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ١﴾ [التكوير:١]، و﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ**﴾ [الإنسان:١]، و(السجدة) و(ق) وغيرها من السور.

وقرأ في المغرب بـ: ﴿**وَالطُّور** ١﴾ [الطور:١]، ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا** ١﴾ [المرسلات:١]، وأغلبه بقصار المفصل: ففي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وكان يقرأ في المغرب بقصار المفصل وفي العشاء بوسط المفصل والفجر بطول المفصل. أخرج أبو داود..

وقد أنكر ذلك زيد بن ثابت ولعله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إنما أنكر المداومة عليها، ففي البخاري (٧٦٤): عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: ما لك تقرأ في المغرب بقصار المفصل وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بطولي الطولين؟ قال: قلت ما طولي الطولين؟ قال: الأعراف، والأخرى الأنعام، قال: وسألت أنا ابن أبي مليكة فقال لي من قبل نفسه: المائدة والأعراف.

قال الشيخ الألباني: صحيح (٨١٢) وهذا لفظه: وقرأ في الظهر والعصر بـ:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝﴾ [الطارق:١]، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝﴾ [البروج:١]، ونحوها وقرأ في الظهر: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝﴾ [الذاريات:١]، وغير ذلك.

والشاهد من هذا الاهتمام بالمفصل: دراسة، وحفظاً، وعملاً، وفهماً، ومن هذا

الباب شرعت بعون الله وأسأله العون والتمام في تفسير بعض سورته بما أرجو نفعه لي ولغيري من المسلمين.

وكانت كتابة هذه المقدمة في ١٧ / جماد الثانية / ١٤٣٨ هـ  
بمنزلي بالشرائع مكة حرسها الله. (عبد الحميد الحجوري).



## تفسير سورة ق

## أول المفضل:

أختلف العلماء فقالوا: بعض سورة الحجرات، وجمهورهم على أنها ق، قال ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسير سوره ق: وهذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح، وقيل: من الحجرات. وأما ما يقوله العامة: إنه من (عَم) فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعترين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه، باب "تحزيب القرآن".

ثم قال: حدثنا مُسَدَّد، حدثنا قُرَّان بن تمام، (ح) وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد سليمان بن حبان - وهذا لفظه - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده - قال عبد الله بن سعيد: حدثني أوس بن حذيفة - ثم اتفقا، قال: قدمنا على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بني مالك في قبة له - قال مُسَدَّد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من ثقيف، قال: كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا - قال أبو سعيد: قائما على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام - فأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه قريش، ثم يقول: لا سواء وكنا مستضعفين مستذلين - قال مُسَدَّد: بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم ويدالون علينا. فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت عنا الليلة! قال: "إنه طراً علي حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه".

**قال أوس:** سألت أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: كيف تحزبون القرآن؟

فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده.

ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر، به.  
ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الرحمن، هو ابن يعلى الطائفي به.

**إذَا: عَلِمَ هذا، فإذا عدت ثمانية وأربعين سورة، فالتى بعدهن سورة "ق".**

**بيانه:**

**ثلاث:** (البقرة، وآل عمران، والنساء).

**وخمس:** (المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة)

**وسبع:** (يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل).

**وتسع:** (سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والم، السجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس).

**وثلاث عشرة:** (الصفات، وص، والزمر، وغافر، وحم، السجدة، وحم عسق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات).

ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**. فتعين أن أوله سورة "ق" وهو الذي قلناه، والله الحمد والمنة.

**قلت:** بالنسبة للحديث الذي ساقه ابن كثير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ضعيف في سنده عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى وهو الطائفي قال البخاري فيه نظر وعثمان بن عبد الله بن أوس قال الحافظ في التقريب مقبول يعني إن توبع وإلا فلين.

**قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١/٢٢١):** وَالْمُفْصَّلُ: مَا وَلِيَ الْمَثَانِي مِنْ قِصَارِ السُّورِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ السُّورِ بِالْبَسْمَلَةِ وَقِيلَ لِقَلِّهِ الْمُنْسُوخِ

مِنْهُ وَلِهَذَا يُسَمَّى بِالْمُحَكَّمِ أَيْضًا كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ الْمَفْصَّلَ هُوَ الْمُحَكَّمُ وَآخِرُهُ سُورَةُ النَّاسِ بِلَا نِزَاعٍ وَاخْتَلَفَ فِي أَوَّلِهِ عَلِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ قَوْلًا:

**أحدها:** (ق) لحديث أوس السابق قريبا قلت الحديث ضعيف على ما تقدم والجمهور على هذا التقسيم.

**الثاني:** (الحجرات) وصححه النووي.

**الثالث:** (القتال) عزاه الماوردي للأكثرين.

**الرابع:** (الجاثية) حكاة القاضي عياض.

**الخامس:** (الصفات).

**السادس:** (الصف).

**السابع:** (تبارك) حكى الثلاثة بن أبي الصيف اليماني في نكته على التنبيه.

**الثامن:** (الفتح) حكاة الكمال الذماري في شرح التنبيه.

**التاسع:** (الرحمن) حكاة ابن السيب في أمالية عن الموطأ.

**العاشر:** (الإنسان).

**الحادي عشر:** (سبح) حكاة بن الفرakah في تعليقه على المرزوقي.

**الثاني عشر:** (الضحى) حكاة الخطابي ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور

في التكبير وعبارة الراغب في مفرداته المفصل من القرآن السبع الأخير.

وقال أبو القاسم بن حبيب: أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ أنبأنا الحسين بن

الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: (أنزل الله مائه

وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع

علوم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، والقرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصل

ثم أودع علوم المفصل بفاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير

جميع الكتب المنزلة).

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة به: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ١﴾ علم الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ [الفاتحة: ٢-٣]، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة به: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، ومعرفة المعاد وإليه الإشارة به: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤]، وعلم العبادات وإليه الإشارة به: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وعلم السلوك وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة به: ﴿وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ ٥﴾ أهديتنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ [الفاتحة: ٥-٦]، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧]، فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

كذلك أول سورة "اقرأ"، فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال؛ لكونها أول ما أنزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة والبدء فيها باسم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفه فعل، وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ٥﴾ [العلق: ٥]، ولهذا قيل: إنها جديرة أن

تسمى عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله. اهـ  
وسوره ق مكية بالإجماع وتقدم قول الجمهور أنها أول سور المفصل، وقد قر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر والعيد، وكان يخطب بها في الجمعة ففي صحيح مسلم (٤٥٧): عن قطبة بن مالك قال: صليت وصلى بنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقرأ: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ [ق:١]، حتى قرأ: ﴿وَالنَّحْلِ بِإِسْقَاتِ﴾ [ق:١٠]، قال: فجعلت أرددها ولا أدري ما قال.

وأخرج (٤٥٨): عن جابر بن سمرة قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ [ق:١]، وكانت صلاته بعد تخفيفاً وعن سماك قال: سألت جابر بن سمرة عن الصلاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان يخفف الصلاة ولا يصلي صلاة هؤلاء، قال: وأنبأني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ [ق:١].

وفي مسلم (٨٩١): عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيد: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ [ق:١]، و﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ ١﴾ [القمر:١].

وفي مسلم أيضاً (٨٧٢): عن عمرة بنت عبد الرحمن عن أخت لعمرة قالت: أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ [ق:١]، من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقرأ بها على المنبر كل جمعة.

وأخرج (٨٧٣): عن بنت الحارثة بن النعمان قالت: ما حفظت "ق" إلا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً.

وفي لفظ عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ [ق:١]، إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

قوله تعالى: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال شيخ الإسلام كما في مجموع فتاوى (٢٢٦/٢٢): وقد تنازع العلماء هل هي آية أو بعض آية من كل سورة أو ليست من القرآن إلا في سورة النمل، أو هي آية من كتاب الله حيث كتبت في المصاحف،

وليست من السور على ثلاثة أقوال، والقول الثالث هو أوسط الأقوال وبه تجتمع الأدلة، فإن كتابة الصحابة لها في المصاحف دليل على أنها من كتاب الله وكونهم فصلوها عن السورة التي بعدها دليل على أنها ليست منها.

وقد ثبت في الصحيح أي مسلم: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: **«أُنزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ»**، فقرأ: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾** [الكوثر: ١]، إلى آخرها.

وثبت في الصحيح: أنه أول ما جاء الملك بالوحي قال: **﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾** [العلق: ١-٥]، فهذا أول ما نزل ولم ينزل قبل ذلك: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**.

وثبت عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في السنن أنه قال: **«إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»**، وهى ثلاثون آية بدون البسملة.

وثبت عنه في الصحيح مسلم: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾** [الفاتحة: ٢]، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾** [الفاتحة: ٣]، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾﴾** [الفاتحة: ٤]، **قَالَ: حَمِدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِلَيْكَ نَعْبُدُ وَإِلَيْكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾** [الفاتحة: ٥]، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾** [الفاتحة: ٦-٧]، **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**، فهذا الحديث صحيح صريح في أنها ليست من الفاتحة ولم يعارضه حديث

صحيح صريح، وأجود ما يروى في هذا الباب من الحديث إنما يدل على أنه يقرأ بها في أول الفاتحة لا يدل على أنها منها؛ ولهذا كان القراء منهم من يقرأ بها في أول السورة، ومنهم من لا يقرأ بها، فدل على أن كلا الأمرين سائغ، لكن من قرأ بها كان قد أتى بالأفضل، وكذلك من كرر قراءتها في أول كل سورة كان أحسن ممن ترك قراءتها؛ لأنه قرأ ما كتبه الصحابة في المصحف، فلو قدر أنهم كتبوها على وجه التبرك لكان ينبغي أن تُقرأ على وجه التبرك وإلا فكيف يكتبون في المصحف ما لا يُشرع قراءته، وهم قد جردوا المصحف عما ليس من القرآن حتى أنهم لم يكتبوا التأمين، ولا أسماء السور، ولا التخميس والتعشير ولا غير ذلك، مع أن السنة للمصلي أن يقول عقب الفاتحة: آمين، فكيف يكتبون ما لا يُشرع أن يقوله وهم لم يكتبوا ما يشرع أن يقوله المصلي من غير القرآن، فإذا جمع بين الأدلة الشرعية دلت على أنها من كتاب الله وليست من السورة. أهـ

قوله: ﴿سَمِئًا﴾ الباء للاستعانة، والاسم المشتق من السمو وهو الارتفاع، وقيل: من السمة والصحيح الأول؛ لأنه يُجمع على أسماء ويصغر على سمي، ومصادر الكلمات تعرف بردها إلى أصولها وتصغيرها، ولو كانت مشتق من السمة لجمع على سمات وصغر على وسيم، والقول باشتقاقه من السمو هو قول المحققين من أهل السنة كشيخ الإسلام وغيره بل جعلوا هذا الاختلاف مما له أثر في العقيدة.

قوله: ﴿عَلَّمَ﴾ علم على الذات العلية وهو أعرف المعارف وعليه مدار جميع الأسماء، ولم يأت تابعا، وهو الاسم الأعظم على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنی فهو مشتق من الإله كما قال رؤبة بن العجاج: لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي.

قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ علم على الله عز وجل وهو من الأسماء المختصة، وقد جاء في القرآن على الأسمية وجاء تابعا قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

[طه:٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، وأنكره بعض قريش لما قالوا: "وما الرحمن " فإما أن يكون مكابرة أو أنه كان معلومًا عند بعض العرب ولم يكن معروفًا عندهم، وقد وجد في إشعار العرب: (ألا قَضَبَ الرحمن ربي يمينها) وهو دال على صفة الرحمة المتعلقة بالذات، وهذه الرحمة عامة للمؤمنين والكفار والطائعين والفجار وغيره.

و ﴿الرَّحْمَنُ﴾ من أسماء الله الحسنی وليس مختصًا به فقد سمى الله عزَّجَلَّ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رؤفًا رحيمًا في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وفي حديث جبير بن مطعم في الصحيحين وسماه الله رؤفًا رحيمًا وهذا الاسم دال على صفة الرحمة المتعدية قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، في أقوال كثيرة وفضائل عظيمة ذكرتها في شرحي على العقيدة الواسطية والله الحمد والمنه ومنه التوفيق والعصمة.

والإتيان بالبسملة في مقدمة الأفعال فيه من البركة الشيء العظيم، فالعبد حين يأتي بها في مقدمة فعلة يكون مستعينًا بالله عزَّجَلَّ ومن أستعان بالله أعانة ولن يعجز الله عزَّجَلَّ شيئًا، ويكون متحرزًا من الشيطان، ففي صحيح مسلم (٢٠١٨): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَيْتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَكْتُمُ الْمَيْتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَذْرَكْتُمُ الْمَيْتَ وَالْعِشَاءَ.»

قوله تعالى: ﴿ق﴾ أختلف العلماء في هذه الحروف المقطعة في أول السور، فمنهم من لم يجعل لها معنى وقال: إنما هي من حروف المعجم ذكرها الله عزَّجَلَّ في

أول كثير من السور؛ لإظهار معجزة القرآن فيقال: يا معشر قريش هذا الكتاب الذي أنزله الله **عَزَّجَلَّ** على محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مكون من هذه الحروف فأتوا بمثلة أو عشر سور مثله أو حتى سورة، وفي كل ذلك يعجزون قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وأغلب سور القرآن التي أفتتحها **عَزَّجَلَّ**، فهذه الأحرف يكون بعدها ذكر القرآن لبيان شرفه ومنزلته على ما يأتي إن شاء الله.

ومنهم من قال: لها معنى، واختلفوا في هذا المعنى فروي أنها أسماء الله **عَزَّجَلَّ**، وقيل: الإشارة إلى عدد سنين هذه الأمة، وقيل: أسماء القرآن، وقيل: أسماء السور، وقيل غير ذلك، وكل ذلك مما لا دليل عليه، والقول الأول ذكره مع ذكر أوجه ابن جرير في تفسير سورة البقرة وهو الأقرب، وقد نقلت عن العلماء نقلًا موسعًا في ذلك في تفسيري لأوائل سورة البقرة وبالله التوفيق.

**قال الشوكاني في فتح القدير (٣٥/١) في رده على كلام الزمخشري في معاني هذا الأسماء:** وأقول هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها وبيانه أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيك كما قال فهذا متيسر بأن يقال لهم هذا القرآن هو من الحروف التي تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها فيكون هذا تبكيكًا وإلزامًا يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز، وتعمية وتفريق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة، فإن هذا مع ما فيه من التطويل الذي لا يستوفيه سامعه إلا بسماع جميع هذه الفواتح هو أيضًا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقل شيئًا منه فضلًا عن أن يكون تبكيكًا له وإلزامًا للحجة أيا كان، فإن ذلك هو أمر وراء الفهم مترتب عليه ولم يفهم السامع

هذا ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدي لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه إلى بعض هذا فضلاً عن كله.

ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها، وذلك النصف مشتمل على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا إسلامي، ولا مقرر ولا منكر، ولا مسلم ولا معارض، ولا يصح أن يكون مقصداً من مقاصد الرب سبحانه الذي أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به.

وهب أن هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيداً أنه كلام بليغ أو فصيح؛ وذلك لأن هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى يتصف بهاذين الوصفين، وغاية ما هناك أنها من جنس حروف كلامهم ولا مدخل لذلك فيما ذكر.

وأيضاً لو فُرِضَ أنها كلمات مترتبة بتقدير شيء قبلها أو بعدها لم يصح وصفها بذلك؛ لأنها تعمية غير مفهومة للسامع إلا بأن يأتي من يريد بيانها بمثل ما يأتي به من أراد بيان الألغاز والتعمية وليس ذلك من الفصاحة والبلاغة في ورد ولا صدر بل من عكسهما وضد رسمهما، وإذا عرفت هذا فاعلم أن من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازماً بأن ذلك هو ما أَرَادَهُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**، فقد غلط أقبح الغلط وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط فإنه إن كان تفسيره لها بما فسرهما به راجعاً إلى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك، وإذا سمعه السامع منهم كان معدوداً عنده من الرطانة، ولا ينافي ذلك أنهم قد يقتصرون على أحرف أو حروف من الكلمة التي يريدون النطق بها فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن تقدم ما يدل عليه ويفيد معناه بحيث لا يلتبس على سامعه كمثل ما تقدم ذكره.

ومن هذا القبيل ما يقع منهم من الترخيم وأين هذه الفواتح الواقعة في أوائل

السور من هذا وإذا تقرر لك أنه لا يمكن استفادة ما ادعوه من لغة العرب وعلومها لم يبقَ حينئذ إلا أحد أمرين:

**الأول:** التفسير بمحض الرأي الذي ورد النهي عنه والوعيد عليه، وأهل العلم أحق الناس بتجنبه والصد عنه والتكذب عن طريقه، وهم أنقى الله سبحانه من أن يجعلوا كتاب الله سبحانه ملعبة لهم يتلاعبون به ويضعون حماقات أنظارهم وخزعبلات أفكارهم عليه.

**الثاني:** التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع: وهذا هو المهيع الواضح والسبيل القويم بل الجادة التي ما سواها مردوم، والطريقة العامرة التي ما عداها معدوم، فمن وجد شيئاً من هذا فغير ملوم أن يقول بملء فيه ويتكلم بما وصل إليه علمه ومن لم يبلغه شيء، من ذلك فليقل: لا أدري أو الله أعلم بمراده، فقد ثبت النهي عن طلب فهم المتشابه ومحاولة الوقوف على علمه مع كونه ألفاظاً عربية وتراكيب مفهومة، وقد جعل الله تتبع ذلك صنيع الذين في قلوبهم زيغ فكيف بما نحن بصدده فإنه ينبغي أن يقال فيه إنه متشابه المتشابه على فرض أن للفهم إليه سبيلاً ولكلام العرب فيه مدخلاً فكيف وهو خارج عن ذلك على كل التقدير.

وقال: فإن قلت هل ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الفواتح يصلح للتمسك به؟ قلت: لا أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في شيء من معانيها: اهـ

وعلى ما تقدم من اختلاف العلماء في تفسير قول الله **عَرْجَلٌ**: ﴿ق﴾ فروى ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة: أنه قسم أقسم الله به، وهذا من أسماء الله **عَرْجَلٌ**، وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن، وقال آخرون: معنى ذلك قضي الأمر، وقيل: اسم الجبل المحيط بالأرض، ذكر هذه الأقوال الطبري في تفسيره، وذكر الأقوال الفراء وزاد على من زعم أنه اسم جبل فكأنه قال: هو "قاف والله" وكان ينبغي لرفعه أن

يظهر؛ لأنه اسم وليس بهجاء فلعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال الشاعر:  
 قلنا لها فقي فقالت قاف).

**قلت:** كل هذه الأقوال مفتقرة إلى الدليل الذي تقوم به الحجة، وما بقي معنا إلا القول الذي قدمناه من أن: ﴿ق﴾ من الأحرف الهجائية التي أفتح الله عز وجل بها كثيراً من سور القرآن ولا معاني لها وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ هذا قسم من الله عز وجل بهذا الكتاب العظيم، وقد أقسم الله عز وجل به في غير سورة فقال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ [ص:١]، وقال تعالى: ﴿حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ١﴾ [الزخرف:١-٢]، والله عز وجل يقسم بما شاء فقد قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١﴾ [الشمس:١]، وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [الضحى:١-٢]، وقال غير ذلك.

**وأما القرآن:** فهو صفته تعالى تكلم به حقيقة على ما هو مبين في غير ما موطن بحمد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، والأدلة على أن القرآن كلام الله عز وجل كثيرة. [من كتاب سلامة الخلف].

ويجوز للمكلف أن يحلف بالقرآن وبما هو من صفات الله عز وجل كعزته وقوته وقدرته ووجهه إلى غير ذلك.

وأما الحلف بآيات الله عز وجل مُطلقاً فلا بد من تفصيل فيه، فإن أراد الآيات الشرعية فنعم إذ هي كلامه ووحيه وتنزيله، وإن أراد الآيات الكونية كالشمس، والقمر، والنجوم فلا يجوز؛ لأنها مخلوقة، والحلف بالمخلوق شرك، فعند الترمذي من حديث ابن عمر **رضي الله عنهما** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».

والقرآن مشتق من الجمع، وقيل: من القراءة وكلاهما صحيح، فهو مجموع من سور وآيات وحروف وكلمات وهو مقروء متلو.

**والقرآن:** هو الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:٢]، أتم الله **عَزَّوَجَلَّ** به الدين قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وحفظه عن تحريف المحرفين فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجر:٩]، وصانه عن الباطل، قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:٤٢]، أنزله الله **عَزَّوَجَلَّ** للندارة والبلاغ، قال تعالى: ﴿لَا تُذَكِّرْهُ بِهِ وَمَنْ بَلَغْ﴾ [الأنعام:١٩]، الى غير ذلك من أوصافه التي وصفه الله **عَزَّوَجَلَّ** بها.

وسماه: نورًا، ورحمةً، وشفاءً، وذكرى، وهدى، وروح، وهو الكتاب الكريم، والعظيم، والمبين، والحكيم، ولا يستطيع واصف أن يأتي في وصفه بمثل ما قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه، إذ أن أسماء القرآن أعلام وأوصاف، فكل اسم يدل على صفة كمال، فأسأل الله أن يجعلنا من أهله.

**قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فِي مَقْدَمَةِ تَفْسِيرِهِ:** فأى عبارة تبلغ أدنى ما يستحقه كلام الحكيم من التعظيم، وأي لفظ يقوم ببعض ما يليق به من التكريم والتفخيم، كلا والله إن بلاغات البلغاء المصاقع، وفصاحات الفصحاء البواقع، وإن طالت ذيولها، وسالت سيولها، واستنت بميادينها خيولها تتقاصر عن الوفاء بأوصافه، وتتصاغر عن التشبث بأدنى أطرافه، فيعود جيدها عنه عاطلاً، وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً، فهو كلام من لا تحيط به العقول علماً ولا تدرك كنهه الطباع البشرية فهماً، فالاعتراف بالعجز عن القيام بما يستحقه من الأوصاف العظام أولى بالمقام وأوفق

بما تقتضيه الحال من الإجلال والإعظام. اهـ

وقوله: ﴿الْمَجِيدُ ١٥﴾ أي: ذو المجد، والمجد: السعة، وفسره سعيد بن جبير: بالكريم، روى هذا القول الطبري في تفسيره، وقد سمي الله عزَّجَلَّ نفسه وعرشه وكتابه: بالمجيد قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٥]، فعلى الرفع هو وصف لله عزَّجَلَّ وعلى قراءة الكسر هو وصف للعرش.

**قال الراغب في المفردات في غريب القرآن ص: (٧٦٠): المجد: السعة في الكرم والجلال يقال: مجد يمجد مجداً ومجادة، وأصل المجد في قولهم مجدت الإبل إذا حصلت في مرعى كثير واسع، وقد أمجدها الراعي وتقول العرب: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفرار وقولهم في صفة الله تعالى: المجيد أي: يجري السعة في بذل الفضل المختص به.**

وقوله في صفة القرآن: ﴿قَبَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١٦﴾ [ق: ١٦]، فوصفه بذلك بكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية، وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧]، وعلى نحوه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ١١﴾ [البروج: ١١]، وقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٥]، فوصفه بذلك لسعة فيضه وكثرة جوده، وقُرئ: (المجيد) بالكسري فلجلالة وعظم قدرته، وما أشار إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «وَمَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةِ أَلْقَاهَا مُلْقٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ»، وعلى هذا قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٥﴾ [النمل: ٢٥]، والتمجيد من العبد لله في القول وذكر الصفات الحسنة ومن الله للعبد بإعطائه الفضل. اهـ

**قوله:** والتمجيد من العبد لله بالقول كما تقدم معناه في الحديث: «وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي»، (أخرجه مسلم)، فالقرآن مجيد كريم ذو سعة في علومه، ومواعظه، ووعدته ووعيده، وبركته، ويعرف ذلك من

أتخذته أمامه وفهمه بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، فكم من آية قصيرة المبني عظيمه المعنى على ما ترى وتسمع وبالله التوفيق.

**وقال رحمه الله:** وأشرت و في كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (١) إن القرآن - وإن كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه - فإنه:

١- كالبدر من حيث التفت رأيته - يهدي إلى عينيك نورًا ثاقبًا.

٢- كالشمس في كبد السماء وضوؤها - يغشى البلاد مشارقًا ومغاربًا، لكن محاسن أنواره لا يثقفها إلا البصائر الجليلة، وأطابب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفاها لا ينالها إلا النفوس النقية، كما صرح تعالى به فقال في وصف متناوليه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، وقال في وصف سامعيه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

وذكرت أنه كما لا تدخل الملائكة الحاملة للبركات بيتًا فيه صورة أو كلب، كذلك لا تدخل السكنيات الجالبة للبينات قلبًا فيه كبر وحرص، فالخبثات للخبثين والخبثون للخبثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، ودللت في تلك الرسالة على كيفية اكتساب الزاد الذي يرقى كاسبه في درجات المعارف، حتى يبلغ من معرفته أقصى ما في قوة البشر أن يدركه من الأحكام والحكم، فيطلع من كتاب الله على ملكوت السموات والأرض، ويتحقق أن كلامه كما وصفه بقوله: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. اهـ

**قال ابن كثير رحمه الله:** واختلفوا في جواب القسم فحكى بن جرير عن بعض النحاة أن قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، وفي هذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد

وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم متلقى لفظاً وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ١-٢]. اهـ قوله تعالى: ﴿بَلِ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ يقول تعالى ذكره: إن الكفار حين كذبوا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في النبوة والرسالة لم يكن ذلك بكونهم غير عالمين بصدقه فقد كانوا يشهدون بذلك مقرين به، وكانوا يسمونه الصادق الأمين، ولكن تكذيبهم كان بعجبٍ من إنذارهم من عقاب الله عَزَّوَجَلَّ وإخباره لهم بالبعث والنشور وهذا التعجب منهم تعجب استغراب وإنكار وتكذيب. وذهب ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أن تعجبهم من كونه تعالى بُعِثَ إليهم رسولاً من بني آدم فقالوا: هلا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً، ورجحه الرازي ونقله عنه الشوكاني فقال: الظاهر أن قولهم هذا إشارة إلى مجيء المنذر ولا يبعد أنهم من الأمرين: من كونه جاءهم رسول من أنفسهم، ومن كونه أخبرهم بالبعث والنشور كما يأتي.

وقوله: ﴿مُنْذِرٌ ۝١﴾ أي: نذير قال تعالى: ﴿وَجَاءَكَ النَّذِيرُ ۝٣٧﴾ [فاطر: ٣٧]، وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأصل النذارة الإخبار مع التخويف قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتَهُمْ نَارًا تَأْتِي ۝١٤﴾ [الليل: ١٤]، قال تعالى: ﴿أَنْذَرْتَهُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١٣].

وقوله: ﴿مِنْهُمْ ۝١﴾ أي: من أنفسهم حسباً ونسباً يعرفون صدقه وأمانته، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۝١٢ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٣﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]،

وفي حديث هرقل الطويل: وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ، تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. متفق عليه.

قوله: ﴿فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ﴾ \* وتعجبهم هذا صادر عن استكبارهم عن قبول الحق والاستجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلا فإن الله عز وجل قد ذكرهم من الآيات البينات والحجج الواضحات ما فيه مقنع لإثبات البعث والنشور، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۗ﴾ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٧٨-٨٣].

قوله تعالى: ﴿أَوَدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ \* أي: كيف تعمل لنا الإعادة بعد أن متنا وكنا ترابًا، كما قال الله عز وجل في سورة المؤمنون: ﴿قَالُوا أَوَدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوَدَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَّاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون: ٨٢-٨٣].

وفي المستدرک (٣٦٠٦): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ الْعَاصِرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَّبَعْتُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ».

قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۖ﴾ \* أي: مستبعد عن العقول أو الأفهام أو العادة أو الإمكان ذكر ذلك الشوكاني، والذي يظهر: أنهم استبعدوا رجوعهم بعد الموت عقلاً وعادة وإمكاناً مع أن الله عز وجل قد ذكر الدلائل على سهولة ذلك وحصوله قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨١-٨٢].

٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَهَسَوَى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠]، يقول تعالى ذكره مبيناً قدرته على ما نفوه من بعد رجوع الإنسان بعد موته: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ وأحصينا: ﴿مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ والأرض تأكل من بن آدم كل شيء إلا عجب الذنب، ففي البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ، وَفِيهِ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وفي المسند رقم (٨٢٨٣): «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ، فَإِنَّهُ مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرْكَبُ»، وعجب الذنب: عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص يجعله الله سبباً ظاهرًا لإنشاء الخلق مرة أخرى والله أعلم.

وفي لفظ البخاري: «ثُمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ بِهِ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: دليل على أنها تأكل جميع الأجساد ويستثنى من ذلك أجساد الأنبياء ومن شاء الله من الشهداء، ففي الحديث عن أوس بن أوس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَكثُرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرَمْتَ؟ - قَالَ: يَقُولُونَ: بَلِيَّتْ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ»، أخرجه أبو داود (١٠٤٧). قال الشيخ الألباني: صحيح.

والدليل أنها لا تأكل أجساد الشهداء: ففي صحيح البخاري (١٣٥١): عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من

يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فإن عليّ دينًا فاقض واستوص بأخوتك خيرًا، فأصبحنا فكان أول قتيل ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعت هنية غير أذنه.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾: أي: حافظ لعدتهم وأسمائهم وما ينقص منهم وهو اللوح المحفوظ قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝١١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝١٢﴾ [البروج: ٣٢١-٣٢٢]، وهو الكتاب المكنون والمذكور وفي قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٨-٧٩]، وهو أم الكتاب كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩]، وقد جاءت في وصفه أحاديث لا يثبت منها شيء والله أعلم.

وهو الكتاب المضاف إلى الله **عَزَّجَلَّ** كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»، متفق عليه.

وقد كتب الله تعالى في مقادير الخلائق، ففي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - يَقُولُ «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

وعند أبي داود: عن عبادة بن الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - يَقُولُ «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ إِنِّي

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» .

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ ﴿٥٠﴾ بخبر تعالى عن سبب كفرهم وعنادهم وبغيهم واستبعادهم ما هو يسير على الله تعالى، والأدلة على وقوعه شرعية وعقلية وفطرية، وأن هذا السبب هو التكذيب بالحق الذي هو القرآن والرسالة، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٤٧]. وقوله: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ ﴿٥٠﴾ أي: ملتبس مختلط، قيل: فيه الشيء المنكر المتغير أما سمعت قول الشاعر:

فَحَالَتْ وَالتَّمَسَّتْ بِهِ حَشَاهَا ❀❀ مخرر كأنه خوط مَرِيجٌ

وهذا القول مروى عن بن عباس كما في الدر المنثور وهذا حال من خرج من الحق إلى الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ [الأنعام: ١١٧]، وكما قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ [الصف: ٥]، وكان اضطرابهم في القرآن وفي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فتارة يقولون في القرآن سحر، وتارة قول البشر، وتارة أساطير الأولين، وكذلك في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حيث قالوا: ساحر، وكذاب، ومسحور، ومجنون، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ [الذاريات: ٥٢]، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ﴿٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [ص: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْتَرِيَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿٤١﴾ وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُحْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥٠﴾ [الفرقان: ٤-٥].

**قال ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٢٧):** لما تركوا الحق وعدلوا عنه مرج عليهم أمرهم والتبس فلا يدرون ما يقولون وما يفعلون، بل لا يقولون شيئاً إلا كان باطلاً، ولا يفعلون شيئاً إلا كان ضائعاً غير نافع لهم، وهذا شأن كل من خرج عن الطريق الموصل إلى المقصود، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، وقد كشف هذا المعنى كل الكشف بقوله عز وجل: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ فَأِنَّ تَصْرُوفَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٣٢]. اهـ

والواجب على المسلم قبول الحق والانقياد له منذ قرع الحق لسمعه، فمن أستجاب وانقاد شرح الله له صدره وتيسر أمره، ومن لا فلا، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فاتوا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها، قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما افتراها القوم، دلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل

اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ورواه من حديث يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، فذكر مثله ولفظه: «فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَاتَزَلَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ.».

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: ٦]، هذا استدلال من الله عَزَّوَجَلَّ بآيته الكونية على صحة الآيات الشرعية، بل ويأمر تعالى بالنظر في السماء وبنائها وما فيها من الكواكب، والنجوم التي زينها بها، وإلى الأرض وعظم خلقها وما فيها من الجبال والرواسي، فيستدل بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ على قدرته على الخلق والاعادة بعد الموت ومثل هذه الآية كثير.

فقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ لماذا لا يستدلون بآيات الله الكونية وما فيها من العجائب على صدق خبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى قدرته التي لا تخلف عنها شيء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤]، والنظر هنا يشمل نظر البصر والبصيرة، قال

تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾  
 [الأعراف: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ  
 رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

**وقال الراغب في تفسيره:** النظر نظران: نظر بصر وبه يدرك المحسوسات، ونظر بصيرة وبه يدرك المعقولات، ونظر البصر كالخادم لنظر البصيرة وإن كان كلاهما سبيل إلى المعرفة. اهـ

قوله: ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ وهي الأجرام السبعة المحكمة المتقنة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، وكل ما علا فهو سماء على ما يأتي.

قوله: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧]، وكما قال تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا ﴿٤٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٤٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبا: ١٢].

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْنَاهَا﴾ أي: زينها بالكواكب والنجوم كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥].  
 وكما قال: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١٢]. فهذه النجوم التي زين الله عز وجل بها السماء الدنيا منها ما يُرجم به الشياطين، ومنها ما يُهتدي به، وقد سلطها الله عز وجل على مسترقي السمع قبل مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨-٩].

وفي مسلم (٢٢٢٩): عن عبد الله بن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي -  
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله -  
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم- رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله -  
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «مادًا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم كنا نقول:  
 «وَلَدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -  
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «فَاتَمَّتْ لَا يُرْمَى بِهَا لَوْتٌ أَحَدٌ وَلَا لِحْيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا  
 سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ  
 الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا  
 قَالَ - قَالَ - فَيَسْتَخِيرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
 فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمُونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ  
 وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ».

وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢٩١٣/٩): عن قتادة قال: إن الله تبارك وتعالى إنما جعل  
 هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوماً  
 للشياطين.

فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال: رأيه وأخطأ لحظةً وأضاع نصيبه، وتكلف ما  
 لا علم له به، وأن أناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس  
 بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما  
 من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والذميم، وما علم  
 هذا النجم وهذه الدابة، وهذا الطائر بشيء من الغيب، وقضى الله أنه لا يعلم من في  
 السماوات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون، ولعمري لو أن أحدًا  
 علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل  
 شيء، وأسكنه الجنة يأكل فيها رغدًا حيث شاء، ونهى عن شجرة واحدة، فلم يزل به

البلاء حتى وقع بما نهي عنه.

ولو كان يعلم الغيب لعلمته الجن حين مات نبي الله سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فلبثت تعمل له حولاً في أشد الهوان لا يشعرون بموته: ﴿**مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**﴾ [سبأ:١٤]، أي: تأكل عصاه، ﴿**فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّتَ لِجَنُودِهِ**﴾ [سبأ:١٤]، وهي في مصحف ابن مسعود: (تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب الممين)، وكانت الجن تقول قبل ذلك: أنها تعلم الغيب وتعلم ما في غد فابتلاهم الله بذلك، وجعل موت سليمان للجن عظة.

قوله: ﴿**وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾ [سبأ:١٤]، أي: وليس فيها من صدوع ولا شقوق وفتوق، كما قال تعالى: ﴿**فَأَرْجِعْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ**﴾ [الملك:٣]، بل هي مبنية محكمة ولها أبواب كما قال تعالى: ﴿**لَا تَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ**﴾ [الأعراف:٤٠]، وفي حديث المعراج شيء من ذلك.

**وفي مسلم (٢٥٤):** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ**».

قوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضُ مَدَدْنَهَا**﴾ [سبأ:١٤]، أي: بسطناها ووسعناها كقوله تعالى: ﴿**وَالْيَاقِينُ**﴾ [سبأ:١٤]، وفيها البحار، والجبال، والأنهار، والوهاد، والأودية إلى غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿**وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي**﴾ [سبأ:١٤]، أي: طرح الله فيها الجبال الرواسي العظيمة؛ لثبيتها كما قال تعالى: ﴿**وَالْقَيْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ [النحل:١٥]، وكما

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد:٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء:٣١]، كما قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ [النمل:٦١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٧) أي: وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن، وقد روى الطبري هذا القول عن ابن عباس، وقال ابن زيد الحسن: المنظر، والمراد بالزوج هنا: الصنف والنوع تسقى بماء واحد، ثم يقع التفاضل بينها في اللون، والطعم، والريح، والحجم كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد:٣]، وقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابِ وَرَزَعٍ وَنَخِيلٌ صَبْوَانٌ وَعَيْرٌ صَبْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤].

قوله تعالى: ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٨) أي: أن هذه الآيات العظيمة من خلق السموات وما زينها به من الكواكب والنجوم، وما فيها من الإتقان والأرض وما فيها من الجبال الرواسي والثمار المتنوعة فيها تبصرة لكم وذكر، واستدلوا بها على وحدانية الله عز وجل، وفيها ذكر وعظة للمتذكرين.

وقوله: ﴿عَبْدٍ﴾ المراد به هنا: المسلم المنقاد، وقوله: ﴿مُنِيبٍ﴾ (٨) أي: مخبت خائف رجاع إلى الله عز وجل، وفي هذا دلالة على أن أسباب الذكرى أنها يتتبع بها المؤمنون كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١١]، و كما قال تعالى: ﴿وَذَكَرْنَا لِلذَّكَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق:٩]، بعد أن بين الله عز وجل قدرته على كل شيء، وأنه خلق وأتقن ما هو أكبر من الإنسان وأشد بياناً؛ لقدرته على بعثه بعد موته ضرب هذا المثل، وأنه كما أحيى الأرض الموات التي قد

أضمحل نباتها فكذاك يحيى الموتى بعد أن صاروا ترابًا ورفاتًا.

وقد ضرب الله **عَزَّجَلَّ** نحو هذا المثل في كثير من سور القرآن منها قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَوَسَّى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٧٨-٨٢].

فقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ أي: من السحاب ماءً نافعًا طيبًا، وكل ما علا فهو سماء قال تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبا: ١٤-١٦]، وكقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا وَأَخْلَا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّاقًا عُلبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهَّهَا وَأَنَّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَّكُمُ وَالنَّعِيمِ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، ومع بركته ونفعه فهو طهور كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ [الأنفال: ١١].

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾؛ لأن المطر ينزل شيئًا فشيئًا، وبما يعبر عنه بإنزال؛ لأنه تجيء به الأودية والشعاب، أفاده العثيمين.

وقوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ والجنة كل بستان ذي شجر يستر بأشجار الأرض قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف: ٣٩]، قيل: وقد تسمى الأشجار الساترة جنة، وعلى ذلك حمل قول الشاعر: من النواضح تسقى جنة سحقا أفاده الراغب.

ومن هذا الباب اختلف العلماء على الجنة التي كان فيها آدم هل هي جنة الخلد

أم من جنات الأرض قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فقالت طائفة من أهل العلم: بأنها جنة غير جنة الخلد، والذي يظهر: أنها جنة الخلد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۝﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، وفي حديث الشفاعة الطويل: «وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَتَهُ **أَيُّكُمْ آدَمُ؟**»، وهم يستشفعون في دخول جنة الخلد، وقد توسعت في قصه آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وما فيها من العقائد والآداب والأحكام في مؤلف مستقل.

وقوله: ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝﴾ وهو الزرع الذي يُراد لحبة وادخاره، وقال ابن أبي زمنين: والمعنى الحب الحصيد، فأضاف الحب إلى الحصيد كما يقال: صلاة الأولى يراد الصلاة الأولى، ومسجد الجامع يراد المسجد الجامع.

والحبوب: هي أحد الأقوات التي امتن الله **عَزَّجَلَّ** بها على عباده قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعَبًّا وَقُصْبًا ۝ وَرَيْثُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَلَكْهًا وَأَنَا ۝ مُتَعَا لَكُمْ وَلِيُنْعِمَكُمْ ۝﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ يقول ومما ثبت من الأمطار النخل الطويل المرتفع الباسق وهو الذاهب طولاً من جهة الارتفاع. وقوله: ﴿أَهَا طَلَعٌ﴾ أي: ما طلع منها وهو التمر المعروف، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَرُزُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَظِيرٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨].

وقوله: ﴿نَضِيدٌ﴾ أي: منضود بعضه فوق بعض، وذلك قيل أن يفتح فإذا أنشق جف الطلعة وتفرق فليس بنضيد ونحوه قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، وقد قرأ بعضهم وطلع منضود أفاده بن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿رِزْقًا﴾ يقول تعالى ذكره: فعلنا ذلك من إنزال المطر، وما لحقه من

إنبات الجنات والحب الحصيد، والنخل الباسقات؛ رزقاً وعتاء للعباد أي: للمخلوق الحي، فالرزق: العطاء.

قوله ﴿لِلْعِبَادِ﴾ يشمل المؤمنين والكافرين، فكلهم عبيد الله من حيث العبادة الكونية القدرية لا الشرعية قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وكم يمنن الله عزَّجَلَّ على عباده في كتابه العظيم بما أنعم عليهم من الأرزاق لعلهم يعرفون نعمة الله عزَّجَلَّ عليهم فيشكرونه عليها، وحال أغلب الناس العكس من ذلك قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، وأخبر تعالى عن عجز الآلهة المزعومة عن رزق عابديها فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]، فالرزق منه تعالى قال عزَّجَلَّ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فقد يُسمى الماء رزقاً.

وفي قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤]، يقول شكركم على ما يأتي إن شاء الله كما ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ يقول: وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء بلداً ميتاً، ولما كانت بلدة مؤنثة اللفظ مذكرة المعنى صح أن توصف بوصف مذكر، وقد أخبر الله تعالى في مواطن من إحياء الأرض الموات بالمطر فقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾ [الحج: ٥]، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَنزِي الْأَرْضَ حَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الْأُذَى أَحْيَاهَا لَمَعِي الْمَوْثِقُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال في آيات كثيرات: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥]، وموتها قحولتها وخلوها من النبات وحياتها اخضرارها وازدهارها، ومنه قولهم: أرض موات أي: لا زراعة فيها، وقد

بوب البخاري في صحيحة: (باب من أحيا أرضًا مواتًا)، قال الحافظ: بفتح الميم والواو والخفيفة، قال القزاز: الموات الأرض التي لم تُعمر شبهت العمارة بالحياة وتعطيها بفقد الحياة، وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك ملكه سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد، سواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن، وهذا قول الجمهور وعن أبي حنيفة لا بد من إذن الإمام مطلقًا، وعن مالك فيما قرب وضابط القرب ما بأهل العمران إليه حاجة من رعي ونحوه، واحتج الطحاوي للجمهور مع حديث الباب بالقياس على ماء البحر والنهر، وما يصاد من طير وحيوان فإنهم اتفقوا على أن من أخذه أو صاده يملكه سواء قرب أم بعد، سواء أذن الإمام أو لم يأذن له. اهـ

وقوله: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١) يقول: كذلك البعث يوم القيامة، قال ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى.

وهذه المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقد أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يقسم للكفار على إثبات البعث تأكيدًا لوقوعه مع شدة إنكارهم له فقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ يقول ذكره لكفار قريش: أن تكذيبكم للبعث والرسالة قد سلكه أسلافكم وأشباهكم ونظراؤكم من المعرضين الذي يرد عن القوم

الظالمين، وفي هذه الآية وعيد لكفار قريش ومن في بابهم من حيث أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ليملي للظالم ثم إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر، كما قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»**، وقال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَخَذ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** [هود: ١٠٢]، وفيها تسليته لرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ومن معه من المؤمنين من جهتين:

**الأول:** أنه ليس بأول رسول كذبه قومه، كما قال تعالى: **﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾** [فصلت: ٤٣].

**الثاني:** ما تقدم بيانه من سوء عاقبة المعرضين والمكذبين.

قوله: **﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾** أي: الذين أرسل إليهم نوح **عَلَيْهِ السَّلَام** وهو أول رسول أرسله الله **عَزَّوَجَلَّ** إلى أهل الأرض، كما في حديث الشفاعة وكان بينه وبين آدم **عَلَيْهِ السَّلَام** عشره قرون، وهو الأب الثاني للبشرية بعد آدم **عَلَيْهِ السَّلَام**، كما قال الله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾** [الصافات: ٧٧]؛ وذلك حين حملهم في السفينة في الطوفان.

قوله: **﴿وَأَصْحَابُ الرَّيِّ﴾** ذكر ابن جرير في تفسيره اختلاف في أصحاب الرس فقيل: هم قريه من ثمود، وروى هذا القول عن ابن عباس، وقال آخرون: بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج، وروى هذا القول قتاده، وقال آخرون: هم قوم رسوا نبيهم في بئر، وروى هذا القول عكرمة وعليه جمهور المفسرين.

وعن ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ، وَذَلِكَ أَنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ نَبِيًّا إِلَىٰ أَهْلِ قَرْيَةٍ فَلَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدٌ إِلَّا ذَلِكَ الْأَسْوَدُ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ عَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحَفَرُوا لَهُ بئراً فألقوه فيها، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم، قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحطب على ظهره، ثم يأتي بحطبه فيبيعه،**

فِيَشْتَرِي بِهِ طَعَامًا وَشَرَابًا، ثُمَّ يَأْتِي بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَيَزْفَعُ تِلْكَ الصَّخْرَةَ فَيُعِينُهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَيَكْلِي إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، ثُمَّ يُعِيدُهَا كَمَا كَانَتْ، قَالَ: فَكَانَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ يَوْمًا يَحْتَطِبُ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَجَمَعَ حَطْبَهُ وَحَزَمَ حَزْمَتَهُ وَفَرَعَ مِنْهَا؛ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَهَا وَجَدَ سِنَّةً فَاضْطَجَعَ فَنَامَ، فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ سَبْعَ سِنِينَ نَائِمًا، ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ فَتَمَطَّى، فَتَحَوَّلَ لِشِقِّهِ الْآخَرَ فَاضْطَجَعَ، فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ سَبْعَ سِنِينَ أُخْرَى، ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ فَاحْتَمَلَ حَزْمَتَهُ، وَلَا يَحْسِبُ إِلَّا أَنَّهُ نَامَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَجَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ فَبَاعَ حَزْمَتَهُ، ثُمَّ اشْتَرَى طَعَامًا وَشَرَابًا كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْحُفْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا الَّتِي كَانَتْ فِيهِ فَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَقَدْ كَانَ بَدَأَ لِقَوْمِهِ فِيهِ بَدَاءً، فَاسْتَخْرَجُوهُ وَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْأَسْوَدِ مَا فَعَلَ، فَيَقُولُونَ: مَا نَدْرِي، حَتَّى قَبِضَ اللَّهُ النَّبِيَّ، فَأَهَبَّ اللَّهُ الْأَسْوَدَ مِنْ نَوْمَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ».

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمه عن ابن اسحاق عن محمد بن كعب مرسلًا وفيه غرابه ونكاره، ولعل فيه إدراجًا والله أعلم.

وأما ابن جرير فقال: لا يجوز أن يجعل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن؛ لأن الله أخبر عنهم أنه أهلكتهم وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا بنبيهم اللهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم.

وأختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج فالله أعلم.

قوله: ﴿وَتَمُودُ﴾ ﴿١٧﴾ هم قوم صالح دعاهم إلى عبادة الله **عَزَّجَلَّ** فطلبوه آية فجعل الله **عَزَّجَلَّ** الناقة فعقروها فدمر الله عليه بسببها، قال تعالى: ﴿وَإِلَى نَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ

فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿١٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَيْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ فِتْلَتِكَ يَبُوءُهَا خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [النمل: ٤٥-٥٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ نَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذْ أَبْعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَبُوهَا فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَبُوا أَنَّهُمْ مُجْرِمُونَ ﴿١٤﴾ [الشمس: ١١-١٤].

قوله تعالى: ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ [ق: ١٣].

قوله: ﴿وَعَادٌ﴾ هم قوم هود عليه السلام قال تعالى: ﴿\* وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقد دمر الله عز وجل عليهم بالريح، قال تعالى: ﴿\* وَأَذْكُرُ عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ نُذَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢١-٢٥]، وقال تعالى: ﴿\* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر: ٦]. ﴿إِمْ دَاتِ أَيْمَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الفجر: ٧]. ﴿\* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ لَمَّ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦-٨].

قوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ هو عدو الله الذي قال قولته الشنيعة: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾

﴿[النازعات: ٩٤]﴾، وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

كان قد قتل رجال بني اسرائيل لا سيما الأطفال خوفاً من الرسول الذي يدمر الله ملكه على يديه، فشاء الله تعالى أن يُربى موسى عليه السلام في بيت فرعون، وقد قص الله عز وجل في كثير من سور القرآن قصته لتكون عبرة لمن بعده من الجبارين والمتكبرين، وكان آخر أمره أن أغرقه الله عز وجل في اليم واستجاب الله عز وجل دعوة موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ كَمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْمُونَ ﴿٨٩﴾ \* وَجَوْرْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَحُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

[يونس: ٨٨-٩٤].

قوله: ﴿وَالْحَوْنَ لُوطٍ﴾ ﴿١٣﴾ أي: وقوم لوط، وهو لقول الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٩﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ١٦١-١٧٣]، فقد أتو بمنكر فضيع، وفعل قبيح: وهي فعلة اللواط والاكْتفاء بالذكران والاستغناء عن النساء التي خلقهن الله لما خلقن له، ونعوذ بالله من مسخ الفطر، وقد سمي الله عز وجل هذه الفعلة فاحشة، قال تعالى:

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصِيرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل: ٥٤]، واتفق الصحابة رضوان الله عليهم على قتل متعاطيها بكرًا كان أو محصنًا، وإنما اختلفوا في كيفية قتله.

**قال ابن القيم في الداء والدواء (ص: ١٦٨):** وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ اللُّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ، كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ. وَقَدْ اِخْتَلَفَ النَّاسُ: هَلْ هُوَ أَغْلَظُ عُقُوبَةً مِنَ الزَّانِي، أَوِ الزَّانِي أَغْلَظُ عُقُوبَةً مِنْهُ، أَوْ عُقُوبَتُهُمَا سَوَاءٌ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

**القول الأول:** فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَخَالِدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْمَرٍ، وَالزُّهْرِيُّ، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمَالِكٌ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةٍ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ - فِي أَصْحَاحِ الرَّوَايَاتَيْنِ عَنْهُ - وَالشَّافِعِيُّ - فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ - إِلَى أَنَّ عُقُوبَتَهُ أَغْلَظُ مِنَ عُقُوبَةِ الزَّانِي، وَعُقُوبَتُهُ الْقَتْلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، مُحْصِنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصِنٍ.

**القول الثاني:** وَذَهَبَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ - فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِهِ -، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ - فِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ عَنْهُ -، وَأَبُو يُوسُفَ، وَمُحَمَّدٌ: إِلَى أَنَّ عُقُوبَتَهُ وَعُقُوبَةَ الزَّانِي سَوَاءٌ.

**القول الثالث:** وَذَهَبَ الْحَاكِمُ وَأَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّ عُقُوبَتَهُ دُونَ عُقُوبَةِ الزَّانِي، وَهِيَ التَّعْزِيرُ، قَالُوا: لِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ مِنَ الْمَعْاصِي لَمْ يُقَدَّرِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِ حَدًّا مُقَدَّرًا، فَكَانَ فِيهِ التَّعْزِيرُ، كَأَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالِدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

**قَالُوا:** وَلَا أَنَّهُ وَطْءٌ فِي مَحَلٍّ لَا تَشْتَهِيهِ الطَّبَاعُ، بَلْ رَكَّبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّفْرَةِ مِنْهُ حَتَّى الْحَيَوَانَ الْبَهِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ حَدٌّ كَوَطْءِ الْإِنْتَانِ وَغَيْرِهَا قَالُوا: وَلَا أَنَّهُ لَا يُسَمَّى زَانِيًا لُغَةً وَلَا شَرْعًا وَلَا عُرْفًا، فَلَا يَدْخُلُ فِي النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى حَدِّ الزَّانِينَ.

**قَالُوا:** وَقَدْ رَأَيْنَا قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ، أَنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهَا طَبِيعِيًّا اكْتَفِي بِذَلِكَ الْوَازِعِ مِنَ الْحَدِّ، وَإِذَا كَانَ فِي الطَّبَاعِ تَقَاضِيهَا، جُعِلَ فِي الْحَدِّ بِحَسَبِ اقْتِضَاءِ الطَّبَاعِ لَهَا، وَلِهَذَا جُعِلَ الْحَدُّ فِي الزَّنى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ دُونَ أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالِدَمِّ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ

**قَالُوا:** وَطَرَدُ هَذَا، أَنَّهُ لَا حَدَّ فِي وَطْءِ الْبُهَيْمَةِ وَلَا الْمَيْتَةِ، وَقَدْ جَبَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الطَّبَاعَ عَلَى النَّفَرَةِ مِنْ وَطْءِ الرَّجُلِ رَجُلًا مِثْلَهُ أَشَدَّ نَفَرَةً، كَمَا جَبَلَهَا عَلَى النَّفَرَةِ مِنْ اسْتِدْعَاءِ الرَّجُلِ مَنْ يَطُؤُهُ بِخِلَافِ الزَّنى، فَإِنَّ الدَّاعِيَ فِيهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

**قَالُوا:** وَلِأَنَّ أَحَدَ التَّوَعِينِ إِذَا اسْتَمْتَعَ بِشَكْلِهِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْحَدُّ، كَمَا تَسَاحَقَتِ الْمَرْأَتَانِ وَاسْتَمْتَعَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِالْأُخْرَى.

**قَالَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ:** وَهُوَ جُمُهورُ الْأُمَّةِ، وَحَكَاهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ إِجْمَاعًا لِلصَّحَابَةِ، لَيْسَ فِي الْمَعَاصِيِ أَعْظَمُ مَفْسَدَةً مِنْ هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ، وَهِيَ تَلِي مَفْسَدَةَ الْكُفْرِ، وَرَبَّمَا كَانَتْ أَعْظَمُ مِنْ مَفْسَدَةِ الْقَتْلِ، كَمَا سَنَبِّئُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

**قَالُوا:** وَلَمْ يَبْتَلِ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ قَوْمِ لُوطٍ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَعَاقِبَهُمْ عُقُوبَةً لَمْ يُعَاقَبْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ بَيْنَ الْإِهْلَاكِ، وَقَلْبِ دِيَارِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَالْخُسْفِ بِهِمْ، وَرَجْمِهِمْ بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ، فَنَكَّلَ بِهِمْ نَكَالًا لَمْ يُنَكَّلْهُ أُمَّةٌ سِوَاهُمْ، وَذَلِكَ لِأَعْظَمِ مَفْسَدَةِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الَّتِي تَكَادُ الْأَرْضُ تَمِيدُ مِنْ جَوَانِبِهَا إِذَا عُمِلَتْ عَلَيْهَا، وَتَهْرُبُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِذَا شَاهَدُوهَا، خَشِيَةَ نَزُولِ الْعَذَابِ عَلَى أَهْلِهَا، فَيُصِيبُهُمْ مَعَهُمْ، وَتَعَجُّ الْأَرْضُ إِلَى رَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَكَادُ الْجِبَالُ تَرُوءُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَقَتْلُ الْمَفْعُولِ بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ وَطْئِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا وَطِئَهُ قَتَلَهُ قَتْلًا لَا تُرْجَى الْحَيَاةُ مَعَهُ بِخِلَافِ قَتْلِهِ فَإِنَّهُ مَظْلُومٌ شَهِيدٌ، وَرَبَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي آخِرَتِهِ.

**قَالُوا:** وَالِدَلِيلِ عَلَى هَذَا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَدَّ الْقَاتِلِ إِلَى خَيْرَةِ الْوَلِيِّ، إِنْ

شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا، وَحَتَمَ قَتَلَ اللُّوطِيَّ حَدًّا، كَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - الصَّرِيحَةُ الَّتِي لَا مُعَارِضَ لَهَا، بَلْ عَلَيْهَا عَمَلُ أَصْحَابِهِ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أَجْمَعِينَ .  
 وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: أَنَّهُ وَجَدَ فِي بَعْضِ ضَوَاحِي الْعَرَبِ رَجُلًا يُنْكِحُ كَمَا تُنْكِحُ الْمَرْأَةُ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - فَاسْتَشَارَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الصَّحَابَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** - فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَشَدَّهُمْ قَوْلًا فِيهِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ وَاحِدَةٌ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهَا، أَرَى أَنْ يُحَرِّقَ بِالنَّارِ، فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ فَحَرَّقَهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: يُنْظَرُ أَعْلَى بِنَاءٍ فِي الْقَرْيَةِ، فَيُرْمَى اللُّوطِيُّ مِنْهَا مُنْكَبًا، ثُمَّ يُتَّبَعُ بِالْحِجَارَةِ.

وَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدَّ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ قَوْمِ لُوطٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي رَوَى عَنِ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ».

رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ، وَاحْتَجَّ الإِمَامُ أَحْمَدُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ. قَالُوا: وَثَبَتَ عَنْهُ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ»، وَلَمْ يَجِئْ عَنْهُ لَعْنَةُ الزَّانِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ لَعَنَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ، فَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهِمْ فِي اللَّعْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَكَرَّرَ لَعْنَ اللُّوطِيَّةِ، وَأَكَّدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَطْبَقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - عَلَى قَتْلِهِ، لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ فِيهِ رَجُلَانِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي صِفَةِ قَتْلِهِ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ اخْتِلَافًا مِنْهُمْ فِي قَتْلِهِ، فَحَكَاهَا مَسْأَلَةً نِزَاعٍ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَهِيَ بَيْنَهُمْ مَسْأَلَةُ إِجْمَاعٍ لَا مَسْأَلَةَ نِزَاعٍ.

**قَالُوا: وَمَنْ تَأْمَلُ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَتْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**

**﴿٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢]، وَقَوْلُهُ فِي اللُّوَاطِ: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ**

**الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ [العنكبوت: ٢٨]، تَبَيَّنَ لَهُ تَفَاوُتُ**

مَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَكَرَ الْفَاحِشَةَ فِي الزَّيْنِ، أَيُّ هُوَ فَاحِشَةٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَعَرَفَهَا

فِي اللُّوَاطِ، وَذَلِكَ يُفِيدُ أَنَّهُ جَامِعٌ لِمَعَانِي اسْمِ الْفَاحِشَةِ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ الرَّجُلُ، وَنَعْمَ

الرَّجُلُ زَيْدٌ، أَيُّ أَتَا تُونَ الْخِصْلَةَ الَّتِي اسْتَقَرَّ فُحْشُهَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، فَهِيَ لِظُهُورِ فُحْشِهَا

وَكَمَالِهِ غَنِيَّةٌ عَنِ ذِكْرِهَا، بِحَيْثُ لَا يَنْصَرِفُ الْإِسْمُ إِلَى غَيْرِهَا، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ فِرْعَوْنَ

لِمُوسَى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ [الشعراء: ١٩]، أَيُّ:

الْفِعْلَةُ الشَّنْعَاءُ الظَّاهِرَةُ الْمَعْلُومَةُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ شَأْنَ فُحْشِهَا بِأَنَّهَا لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَهُمْ، فَقَالَ: ﴿مَا

**سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ [العنكبوت: ٢٨]، ثُمَّ زَادَ فِي التَّأَكِيدِ بِأَنَّ صَرَخَ**

بِمَا تَشْمِزُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَنْبُو عَنْهُ الْأَسْمَاعُ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبَاعُ أَشَدَّ نَفْرَةً، وَهُوَ إِتْيَانُ

الرَّجُلِ رَجُلًا مِثْلَهُ يَنْكِحُهُ كَمَا يَنْكِحُ الْأُنْثَى، فَقَالَ: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**

[الأعراف: ٨١].

ثُمَّ تَبَّهَ عَلَى اسْتِعْنَائِهِمْ عَنِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْحَامِلَ لَهُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ الشَّهْوَةِ لَا

الْحَاجَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا مَالَ الذَّكَرُ إِلَى الْأُنْثَى، وَمِنْ قَضَاءِ الْوَطْرِ وَلَذَّةِ الْإِسْتِمْتَاعِ،

وَحُصُولِ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي تَنْسَى الْمَرْأَةُ لَهَا أَبْوَيْهَا، وَتَذْكُرُ بَعْلَهَا، وَحُصُولِ النَّسْلِ

الَّذِي هُوَ حِفْظُ هَذَا النُّوعِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتَحْصِينِ الْمَرْأَةِ وَقَضَاءِ

وَطْرِهَا، وَحُصُولِ عِلَاقَةِ الْمُصَاهَرَةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ النَّسَبِ، وَقِيَامِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ،

وَخُرُوجِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمَاعِهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَمُكَاتَرَةِ

النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - الْأَنْبِيَاءِ بِأُمَّتِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ النِّكَاحِ،

وَالْمُفْسَدَةِ الَّتِي فِي اللُّوَاطِ تَقَاوُمٌ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَتَرْبِي عَلَيْهِ بِمَا لَا يُمَكِّنُ حَضْرُ فُسَادِهِ، وَلَا

يَعْلَمُ تَفْصِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ.

ثُمَّ أَكَّدَ قُبْحَ ذَلِكَ بِأَنَّ اللُّوطِيَّةَ عَكَسُوا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا الرِّجَالَ، وَقَلَّبُوا الطَّبِيعَةَ الَّتِي رَكَّبَهَا اللَّهُ فِي الذُّكُورِ، وَهِيَ شَهْوَةُ النِّسَاءِ دُونَ الذُّكُورِ، فَقَلَّبُوا الأَمْرَ، وَعَكَسُوا الفِطْرَةَ وَطَّبِيعَةَ فَاتُوا الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونَ النِّسَاءِ، وَلِهَذَا قَلَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَكَذَلِكَ قَلَّبُوا هُمْ، وَنَكَّسُوا فِي العَذَابِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ قُبْحَ ذَلِكَ بِأَنَّ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالإِسْرَافِ وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الحَدِّ، فَقَالَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨١]، فَتَأَمَّلْ هَلْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ فِي الزُّنَى؟

وَأَكَّدَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْحَبِيثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ الدَّمَّ بِوَصْفَيْنِ فِي غَايَةِ القُبْحِ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وَسَمَّاهُمْ مُفْسِدِينَ فِي قَوْلِ نَبِيِّهِمْ: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وَسَمَّاهُمْ ظَالِمِينَ فِي قَوْلِ المَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: ٣١].

فَتَأَمَّلْ مَنْ عُوِقِبَ بِمِثْلِ هَذِهِ العُقُوبَاتِ، وَمَنْ ذَمَّهُ اللَّهُ بِمِثْلِ هَذِهِ المَذَمَّاتِ، وَكَمَا جَادَلَ فِيهِمْ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ المَلَائِكَةَ، وَقَدْ أَخْبَرُوهُ بِإِهْلَاقِهِمْ قِيلَ لَهُ: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَن هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَجِزٌ مَرْدُودٌ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٦].

وَتَأَمَّلْ حُبثَ اللُّوطِيَّةِ وَفِرطَ تَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللَّهِ حَيْثُ جَاءُوا وَنَبَّيْهِمْ لُوطًا لَمَّا سَمِعُوا بِأَنَّهُ قَدْ طَرَفَهُ أَضْيَافٌ هُمْ مِنْ أَحْسَنِ البَشَرِ صُورًا، فَأَقْبَلَ اللُّوطِيَّةَ إِلَيْهِمْ يَهْرُؤُونَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَالَ لَهُمْ: ﴿يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]، فَفَدَى أَضْيَافَهُ بِنَاتِيهِ يُزَوِّجُهُمْ بِهِمْ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَضْيَافِهِ مِنَ العَارِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ: ﴿يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي

هُنَّ أَظْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي صَيْغِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ [هود: ٧٨]،  
 فَرَدُّوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَدَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ  
 مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ [هود: ٧٩]، فَفَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ مِنْهُ نَفْثَةً مَصْدُورٍ خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ مَكْرُوبٍ،  
 فَقَالَ: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ [هود: ٨٠]، فَتَنَسَّ لَهُ رُسُلُ  
 اللَّهِ عَنْ حَقِيقَةِ الْحَالِ، وَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ مِمَّنْ لَيْسُوا يُوصِلُ إِلَيْهِمْ، وَلَا إِلَيْهِ بِسَبَبِهِمْ، فَلَا  
 تَخَفُ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْبَأُ بِهِمْ، وَهَوْنٌ عَلَيْكَ، فَقَالُوا: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا  
 إِلَيْكَ ﴿٨١﴾ [هود: ٨١]، وَبَشَّرُوهُ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْوَعْدِ لَهُ وَلِقَوْمِهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُصِيبِ  
 فَقَالُوا: ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْإِثْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تُكَلِّمُ بِهِ مِصْبِيهَا مَا  
 أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٢﴾ [هود: ٨٢].

فَاسْتَبْطَأَ نَبِيُّ اللَّهِ مَوْعِدَ هَلَاقِهِمْ، وَقَالَ: أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ هَذَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ:  
 أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَ إِهْلَاكِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَنَجَاةِ نَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ إِلَّا مَا بَيْنَ  
 السَّحْرِ وَطُلُوعِ الْفَجْرِ، وَإِذَا بَدِيَارِهِمْ قَدْ أَفْتُلِعَتْ مِنْ أَصْلِحِهَا، وَرَفِعَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ حَتَّى  
 سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهَيْقَ الْحَمِيرِ، فَبَرَزَ الْمَرْسُومُ الَّذِي لَا يُرَدُّ مِنْ عِنْدِ  
 الرَّبِّ الْجَلِيلِ، إِلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ جِبْرَائِيلَ، بِأَنَّ قَلْبَهَا عَلَيْهِمْ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي مُحْكَمِ  
 التَّنْزِيلِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا  
 حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ ﴿٨٣﴾ [هود: ٨٣]، فَجَعَلَهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ،  
 وَنَكَالًا وَسَلْفًا لِمَنْ شَارَكَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَجَعَلَ دِيَارَهُمْ بِطَرِيقِ  
 السَّالِكِينَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مَّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ [الحجر: ٧٥-٧٧]، أَخَذَهُمْ عَلَىٰ غِرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُونَ، وَجَاءَهُمْ بِأَسْءُ وَهُمْ فِي  
 سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَقَلْبَتْ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْآمَاءَ،  
 فَأَصْبَحُوا بِهَا يُعَذِّبُونَ مَا رَبُّ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا عَذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَمَاتِ

عَذَابًا، ذَهَبَتِ اللَّذَاتُ وَأَعْقَبَتِ الْحَسَرَاتِ، وَأَنْقَضَتِ الشَّهَوَاتُ، وَأُورِثَتِ الشَّقَوَاتِ، وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا، وَعَدُّبُوا طَوِيلًا، رَنَعُوا مَرْتَعًا وَخِيَمًا فَأَعْقَبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، أَسْكَرَتْهُمْ حَمْرَةٌ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ، فَمَا اسْتَفَاقُوا مِنْهَا إِلَّا فِي دِيَارِ الْمُعَذِّبِينَ، وَأَرْقَدَتْهُمْ تِلْكَ الْعُفْلَةُ، فَمَا اسْتَيْقَظُوا مِنْهَا إِلَّا وَهُمْ فِي مَنَازِلِ الْهَالِكِينَ، فَندِمُوا وَاللَّهِ أَشَدَّ النَّدَامَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَبَكَوْا عَلَى مَا أَسْلَفُوهُ بِدَلِّ الدَّمُوعِ بِالِدَمِّ، فَلَوْ رَأَيْتَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، وَالنَّارَ تَخْرُجُ مِنْ مَنَافِذِ وُجُوهِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الْجَحِيمِ، وَهُمْ يَشْرَبُونَ بِدَلِّ لَذِيذِ الشَّرَابِ كُؤُوسَ الْحَمِيمِ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ يُسْحَبُونَ: ﴿دُؤُوفًا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]، ﴿أَصَلَتْهَا فَأَصْرَبُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَسَافَةَ الْعَذَابِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ فِي الْعَمَلِ، فَقَالَ مُخَوِّفًا لَهُمْ أَنْ يَقَعَ الْوَعِيدُ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

فِيَا نَاكِحِي الذُّكْرَانَ يَهْنِكُمْ الْبُشْرَى ❀❀ فَيَوْمَ مَعَادِ النَّاسِ إِنْ لَكُمْ أَجْرًا  
كُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَازْنُوا وَلُوطُوا ❀❀ فَإِنَّ لَكُمْ زَفْرًا إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمْرَا  
فَإِخْوَانُكُمْ قَدْ مَهَّدُوا الدَّارَ قَبْلَكُمْ ❀❀ وَقَالُوا إِيْنَا عَجَّلُوا لَكُمْ الْبُشْرَى  
اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم قوم شعيب، وكان من صفتهم: تطيف المكيال والميزان مع كفرهم بالله تعالى، واحتقروا نبيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ فدمر الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وسلمه، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٧٦] إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مِنِّي ﴿٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ \* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَلِجِلَّةِ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٧٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٩﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٩].

**الْأَيْكَةَ:** مجمع الشجر على قول اهل التفسير.

**وقال الطبري رحمه الله:** الأيكة الشجر الملتف وهو واحد الأيك وكل شجر ملتف

فهو عند العرب أيك ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيكَةٍ ❀ ❀ ❀ بَرْدًا أَسْفَ لثَاتُهُ بِالْإِثْمِ

وروى من طريق بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قال:

أصحاب الغيضة.

ومن رواية ابن جريج قال: الأيكة: الملتف من الشجر، وهكذا قال بن زيد

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ تَبِعَ﴾ هم من اليمن جاءتهم الرسل فكذبوهم كما فعل

أسلافهم فأهلكهم الله عَزَّوَجَلَّ، وقال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ [الدخان: ٣٧]، وذكر الشوكاني: أن اسمه سعد بن

كرب، وقيل: أسعد، وذكر عن قتادة قال: ذم الله قومه ولم يذمه.

**وفي تفسير الطبري جامع البيان: ط هجر (٤١٦/٢١):** وكان من خبره وخبر قومه، ما

حدثنا به مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا عمران بن حدير، عن أبي

مجلز، عن ابن عباس، أنه سأل عبد الله بن سلام، عن تَبَّعٍ ما كان؟ فقال: إن تبعا كان

رجلاً من العرب، وإنه ظهر على الناس، فاختر فتية من الأخيار فاستبطنهم

واستدخلهم، حتى أخذ منهم وباعهم، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا: قد ترك

دينكم، وباع الفتية؛ فلما فشا ذلك، قال للفتية، فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تُحْرِقُ

الكاذب، وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم، ثم غدوا

إلى النار، فلما ذهبوا أن يدخلوها، سفعت النار في وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم

تَبَعَ: لتدخلنها؛ فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وأنه قال لقومه ادخلوها؛ فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تَبَعَ: لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم، فأحرقتهم، فأسلم تَبَعَ، وكان تَبَعَ رجلاً صالحاً.

وهذا سند صحيح والله أعلم، وقيل هو أول من كسى الكعبة وقال بعضهم: ومن هنا دخلت اليهودية اليمن.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ كَذِبٍ أُرْسِلَ فَتَىٰ وَعَيْدٍ ۗ﴾ ﴿١٤﴾ أي: كل واحد منهم كذب من أرسل الله إليهم، وقد تنوعت طرق الكفار في رد رسل الله عَزَّوَجَلَّ فقال بعضهم: بأنهم سحرة كما قال: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۗ﴾ ﴿٥٤﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣-٥٤]، وقال بعضهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ۗ﴾ [الزخرف: ٣١] وقال بعضهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۗ﴾ ﴿٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٤]، إلى غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَتَىٰ وَعَيْدٍ ۗ﴾ ﴿١٤﴾ أي: وجب عليهم وعيدي، وحق عليهم كلمة العذاب، وحل بهم ما قدر الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من المسخ، والخسف، وأنواع العذاب الذي عذب الله تعالى به كل طائفة منهم، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۗ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وهذه مسألة يذكرها أهل العقائد في كتبهم ردًا على المعتزلة الذين من أصولهم الخمسة انفاذ الوعيد: وهو الإيجاب على الله عَزَّوَجَلَّ تخليد عصاة المسلمين في النار كما توعد على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْسُقْ مَّوْمِنًا مَّتَّعِدًا فَجْرَ آوَاهُ

**جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾**  
[النساء: ٩٣]، إلى غير ذلك مما في الباب.

ويُرد عليهم: أن من مات على الإسلام إلى الجنة إما ابتداءً وإما مآلاً؛ وذلك لأن الكبائر ما سوى الشرك تحت المشيئة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]، ثم إن هناك فرق بين الوعد والوعيد:

**فالوعد:** أوجب الله تعالى على نفسه الوفاء به قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٩]، وخلف الوعد من صفات أهل النفاق ففي الحديث: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ».

**والوعد:** يجوز خلفه، بل ربما مُدِّح من يؤخره حتى قيل:

وَإِنِّي إِنْ وَعَدْتُهُ أَوْعَدْتُهُ ❀ ❀ ❀ لَمُخْلِيفِ إِيْعَادِي وَمُنْجِزِ مَوْعِدِي  
**والوعد:** يكون في العطاء وغيره، فتأمل هذا تسلّم من شبه المبتدعة في هذا الباب.

قوله تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: ١٥].  
يقول تعالى ذكره رادًا على المشركين قولهم: ﴿أَوَلَا مِمَّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٣]: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أفعجزنا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني، وهذا يقرر في القرآن كثيرًا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُجْحِيَ الْمَوْتِ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وهذا استدلال عقلي فلو كان ثمت عجز لكان في الخلق الأول فإعادة الخلق أهون: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧].

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: في شك وظن؛ وذلك بعدم تلقيهم للعلم وبسبب

تلقفهم للشبهات؛ ولذلك حصل لهم شك في البعث والنشور ونحو ذلك  
 قوله تعالى: ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدًا ١٥﴾ أي: من البعث، قال الشوكاني: ومعنى  
 الإضراب أي في قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ أنهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الأول:  
 ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥﴾ قال الطبري: ما يشك هؤلاء المشركون  
 المكذبون بالبعث إنا لم نعيى بالخلق الأول ولكنهم في شك من قدرتنا على أن  
 نخلقهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم وبلائهم في قبورهم. اهـ

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ١٦ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ  
 الْوَرِيدِ ١٦﴾ [ق:١٦].

**قال الشوكاني:** هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية والمراد بالإنسان  
 الجنس وقيل آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. اهـ

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ١٦﴾ وأوجدناه من العدم، وجعلنا له سمعًا،  
 وبصرًا، وعقلًا، وتفكيرًا، ﴿وَنَعَلَهُ﴾ مع ذلك: ﴿مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ١٦﴾ وما يجول فيها  
 من الخواطر، وفي هذا دليل على سعة علم الله تعالى، وأنه لا تخفى عليه خافية، فيعلم  
 الظواهر والبواطن، والسر والعلن، وفي هذا رد على القدرية الذين يزعمون أن الله  
**عَزَّوَجَلَّ** لا يعلم الجزئيات فالله بكل شيء عليم.

**قال الراغب:** والخلق هو التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير  
 أصل ولا احتذاء قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ١٧﴾ [السجدة:٤]. بدلالة قوله:  
 ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٧﴾ [البقرة:١١٧]، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو  
 خلقكم من نفس واحدة، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى؛ ولهذا قال في  
 الفصل الذي بينه تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾  
 [النحل:١٧]، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال



الخواتر، ففي صحيح البخاري ومسلم (٢١٤): عن أبو هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **«يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلَيْسَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَلِيَّتُهُ»**.

قوله تعالى: **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾** قوله: **﴿وَنَحْنُ﴾** قيل: على التعظيم وقيل: المراد به قرب الملائكة.

**وفي الآية**: إثبات قرب الله **عَزَّجَلَّ** من عباده وهو على عرشه تعالى، وهو كما قال: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [الحديد: ٣].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٩/٦): **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق: ١٦]، **﴿مِنَ النَّاسِ طَوَائِفٌ عِنْدَهُمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَحُوجُهَا إِلَى التَّأْوِيلِ**.

**ثُمَّ أَقُولُ**: هَذِهِ الْآيَةُ لَا تَخْلُو إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهَا قُرْبُهُ سُبْحَانَهُ؛ أَوْ قُرْبُ مَلَائِكَتِهِ؛ كَمَا قَدْ ائْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَإِنْ أُرِيدَ بِهَا قُرْبُ الْمَلَائِكَةِ فَقَوْلُهُ: **﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾** [ق: ١٧]، فَيَكُونُ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَدْ أَخْبَرَ بِعِلْمِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ بِمَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَأَخْبَرَ بِقُرْبِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مِنْهُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق: ١٦] **﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾** [ق: ١٧-١٦]، فَفُسِّرَ ذَلِكَ بِالْقُرْبِ الَّذِي هُوَ حِينَ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ وَبِأَيِّ مَعْنَى فُسِّرَ؛ فَإِنَّ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ عَامُّ التَّعَلُّقِ، وَكَذَلِكَ نَفْسُهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْتَصُّ بِهَذَا الْوَقْتِ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾** [الزخرف: ٨٠].

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيظٌ﴾** [ق: ٤]، وَعَلَىٰ هَذَا فَالْقُرْبُ لَا مَجَازَ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾** حَيْثُ عَبَّرَ بِهَا عَنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ أَوْ عَبَّرَ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ أَوْ عَنْ مَلَائِكَتِهِ؛

وَلَكِنَّ قُرْبَ كُلِّ بِحَسْبِهِ، فَقُرْبُ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةِ، وَقُرْبُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ مُطْلَقٌ؛ كَالْوَجْهِ الثَّانِي: إِذَا أُرِيدَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى أَي: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ؛ فَيَرْجِعُ هَذَا إِلَى الْقُرْبِ الذَّاتِيِّ اللَّازِمِ، وَفِيهِ الْقَوْلَانِ:

**أَحَدُهُمَا:** إِبْتِثَاتُ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالصُّوفِيَةِ.

**وَالثَّانِي:** أَنَّ الْقُرْبَ هُنَا بِعِلْمِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦]، فِدَكُرُّ لَفْظِ الْعِلْمِ هُنَا دَلٌّ عَلَى الْقُرْبِ

بِالْعِلْمِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ حَدِيثُ أَبِي مُوسَى: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، فَالآيَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلِ الْقُرْبِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَحِينَئِذٍ فَالسِّيَاقُ دَلٌّ عَلَيْهِ، وَمِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ هُوَ ظَاهِرُ الْخِطَابِ؛ فَلَا يَكُونُ مِنْ مَوَارِدِ النَّزَاعِ نَدْمٌ تَحْرِيفَ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَمُخَالَفَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ.

وَتَحْقِيقُ الْجَوَابِ هُوَ أَنْ يُقَالَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ الْقُرْبَ اللَّازِمَ مُمَكِّنًا أَوْ لَا يَكُونُ، فَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا لَمْ تَحْتَاجِ الْآيَةُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا حُمِلَتْ الْآيَةُ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُهَا وَهُوَ قُرْبُهُ بِعِلْمِهِ.

وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ ظَاهِرُ الْخِطَابِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ أَوْ لَا يَكُونُ، فَإِنْ كَانَ هُوَ ظَاهِرَ الْخِطَابِ فَلَا كَلَامَ؛ إِذْ لَا تَأْوِيلَ حِينَئِذٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرَ الْخِطَابِ فَإِنَّمَا حُمِلَ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَيَّنَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ فَكَانَ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعَ مَا قَرَنَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْعِلْمِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ قُرْبَ الْعِلْمِ؛ إِذْ مُقْتَضَى تِلْكَ الْآيَاتِ يُنَافِي ظَاهِرَ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ وَالصَّرِيحُ يَقْضِي عَلَى الظَّاهِرِ وَيُبَيِّنُ مَعْنَاهُ.

وَيَجُوزُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَفْسَّرَ إِحْدَى الْآيَتَيْنِ بِظَاهِرِ الْأُخْرَى وَيُصْرَفَ الْكَلَامُ عَنْ ظَاهِرِهِ؛ إِذْ لَا مَحْدُورَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَإِنْ سُمِّيَ تَأْوِيلًا وَصَرَفًا

عَنْ الظَّاهِرِ؛ فَذَلِكَ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ وَلِمُوَافَقَةِ الشُّنَّةِ وَالسَّلَفِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ لَيْسَ تَفْسِيرًا لَهُ بِالرَّأْيِ، وَالْمَحْدُورُ إِنَّمَا هُوَ صَرْفُ الْقُرْآنِ عَنْ فَحْوَاهُ بغيرِ دَلَالَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالسَّابِقِينَ. اهـ

وبنحو هذا القول: والترجيح فسر ابن كثير الآية قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

**حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴿١٦﴾ يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه.

ومن تأوله على العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾، كما قال في المحاضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [الواقعة: ٨٥]، يعني ملائكته، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾ [الحجر: ٩]، فالملائكة نزلت بالذكر - وهو القرآن - بإذن الله، عز وجل.

وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بأقدار الله لهم على ذلك، فللملك لمة في الإنسان كما أن للشيطان لمة و: «الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ بِجَرَى الدَّمِ»، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

قوله تعالى: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ هو عرق يتصل بالكبد والقلب وفيه مجاري الدم والروح، أفاده الراغب.

**وقال الشوكاني:** هو حبل العاتق: وهما وريدان عن يمين وشمال، وقال: حبل الوريد الوتين.

وهذا كما تقدم من إضافة الشيء إلى نفسه فالوريد هو الحبل، وهو كقولهم: مسجد الجامع وهذا مثل في القرب، ومع قربه تعالى وعلمه به وكل به الملائكة يكتبون حسناته وسيئاته قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الصَّالِقِينَ غَنَمًا وَعَنْ الشَّمَالِ فَعِيدٌ

﴿ق:١٧﴾، وهذان الملكان الموكلان به فلا يلفظ قولاً ويعمل فعلاً إلا كتب عليه، وقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق:١٧]، ولم يقل على اليمين وعلى الشمال؛ لأنهما ليسا على كتفيه بل هما في مكان قريب أقرب من حبل الوريد، قاله ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق:١٧]. قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَى﴾ أي: أعماله فيكتبها عليها، وقوله: ﴿الْمُتَلَقِيَانِ﴾ الملكان الموكلان بأعماله، وقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ أي: من جهة اليمين وجهة الشمال، وقوله: ﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: قاعد، قال ابن قتبه: أي قعيداً من كل جانب.

**وقال الراغب:** أي ملك يترصده ويكتب له وعليه. أهـ

قوله: ﴿مَا يَلْفُظُ﴾ أي: ابن آدم من قول وفعل، وإنما ذكر القول؛ لشدة المآخذة به، وفي الحديث: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، وقال الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي هَذَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي هَذَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

**وآفاته كثيرة فمنها:** التآلي على الله تعالى والقول بغير علم، والكذب والغيبة، والنميمة، والبهت، والقذف، والسب وغير ذلك مما يتعاطاه هذا العضو أسأل الله السلام، وفي حديث أبي هريرة عند البخاري وغيره: وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قَالَ: «الْأَجْوَفَانِ الْفَرْجُ وَالْفَمُ»، وقال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»، وفي حديث جندب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»، أو كما

قال: العلاج للسان أن يمسك عند الكلام إلا في الخير، وفيما هو من ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** والنصيحة والتعليم وغير ذلك، وقد قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لعبد الله بن بسر: **«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»**، أخرجه الترمذي.

وفي حديث معاذ بن جبل قال: قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** مِنْ عَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: **«بِخٍ، لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ، وَهُوَ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللهُ عَلَيْهِ تَقِيْمُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَتُوْدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَلْقَى اللهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا أَوْ لَا أَدُلُّكَ عَلَى رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُوْدِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ: فَالْإِسْلَامُ، فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ، وَأَمَّا عَمُوْدُهُ: فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ: فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ لَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُكْفِرُ الْخَطِيَايَا»**، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٦٦﴾﴾** [السجدة:١٦]، **«أَوْ لَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمَلِكِ ذَلِكَ لَكَ كُلُّهُ؟»** قَالَ: فَأَقْبَلَ نَفْرًا، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ يَشْغَلُوا عَنِّي رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ شُعْبَةُ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْلُكَ: **«أَوْ لَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمَلِكِ ذَلِكَ لَكَ كُلُّهُ؟»** قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّا لَنُؤَاخِذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: **«تَكَلَّمْتَ أَمَّكَ مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُْبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»** قَالَ شُعْبَةُ: قَالَ لِي الْحَكَمُ وَحَدَّثَنِي بِهِ مَيْمُونُ بْنُ أَبِي شَيْبٍ، وَقَالَ الْحَكَمُ سَمِعْتُهُ مِنْهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. أخرجه أحمد.

**فالأوجب على المسلم: فعل السداد وقوله كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾** [الأحزاب:٧٠]، وقد قيل: **إِذَا لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ ❀❀ فَصَمْتُكَ عَنِ غَيْرِ السَّدِيدِ سَدَادٌ**

قوله: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ أي: عنده حافظ حاضر مراقب ليلاً ونهاراً يكتب قوله وفعله بالليل والنهار.

**قال الشوكاني:** ﴿رَقِيبٌ﴾: ملك يرقب قوله ويكتبه، والرقيب: الحافظ المتبع لأمر الإنسان الذي يكتب ما يقول من خير وشر، فكاتب الخير ملك اليمين، وكاتب الشر هو ملك الشمال.

وذهب بعض أهل العلم إلى: أن المكتوب لفظ لعموم قوله تعالى: ﴿مِن قَوْلٍ﴾، وقال بعضهم: إنما يكتب الحسنات والسيئات، والذي يظهر القول بالعموم.

**وقد جاءت آثار في ذلك منها:** ما أخرجه ابن جرير عند مجاهد قال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [ق:١٧]، عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات.

**وقال إبراهيم التيمي:** إن صاحب اليمين أميرٌ على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئةً قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب.

قلت: لا أعلم دليلاً على هذا، وظاهر الدليل أنهما يكتبان كل شيء، وذكر عن الحسن قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق:١٧]، يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول: ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْتَهُ طَلَبَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُجِّجَهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا ﴿١٣﴾﴾ أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤]، ثم يقول: عدل - والله - فيك من جعلك حسيب نفسك.

**ففي الآية:** بيان من الله عز وجل لاطلاع على الإنسان ظاهراً وباطناً، وحرى

بالليب أن تحيط لنفسه ويلزم الصالحات من الأعمال، والأقوال، ويطهر الجنان من الأحقاد والادغال فإنَّ نظر الله **عَزَّجَلَّ** إلى القلوب كما في صحيح مسلم (٢٥٦٤): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

قوله تعالى: ﴿**مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ (١٨) أي: ما يتكلم بكلمة ولا يفعل من فعل إلا ورصدت عليه؛ لأن بجانبه رقيب على عمله ومترصده، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَكْتُبُونَ مَا تَعْمَلُونَ مَا تَقُولُونَ**﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿**لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد: ١١].

وهكذا يُسمى الملكان: برقيب وعتيد أم هو اسم جنس؟ لعله هذا والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ**﴾ أي: وحلت وحضرت سكرت الموت وهي شدته: ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ أي: أن الموت حق، كما قال الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ**»، متفق عليه عن ابن عباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.  
وفي حديث عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**: لما كان أبو بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** يقضي قالت: هذا كما قال الشاعر:

أماوي ما يُعْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى ❀❀ إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: لَا تَقُولِي هَكَذَا؛ قُولِي:

﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ [ق: ١٩]، أخرج الطبري

وقال ولقراء من قرأ ذلك وجهان من التأويل:

**أحدهما**: وجاءت سكرة الله بالموت فيكون الحق هو الله تعالى ذكره.

**والثاني:** أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها كما قيل: إن هذا المعلم حق اليقين، ويكون تأويل الكلام وجاءت السكرة الحق بالموت.

وسكرت الموت شديدة أسأل الله اللطف، ففي البخاري: أن فاطمة بنت محمد **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** دخلت على أبيها فقالت: **وَإِذَا كَرَّبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرَّبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»**، وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس **رضي الله عنهما**: (لَمَّا نُزِلَ بِالنَّبِيِّ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** طَفِقَ يَطْرُحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ).

**وفي الصحيحين:** عن عائشة **رضي الله عنها** وفيه: كان رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِمَوْتِ سَكَرَاتٍ»**.

**وعند الترمذي (٩٧٨):** عن عائشة **رضي الله عنها**: أن رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** كان يقول: **«اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَوْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ»**، وفي سننه موسى بن سجرس: مجهول.

ومع ذلك يرحم الله المؤمن حين خروج النفس فتخرج كما تخرج القطرة من في السقاء، ففي مسند أحمد: عن البراء بن عازب قال: **خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُّ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلِيَّ رُؤُوسَنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»**، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ يَبِضُّ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»**، قَالَ: **«فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ**

يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: «فَيُصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانَ بْنِ فَلَانَ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقْرَبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيْبِهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدًّا بِصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدًّا الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتَهَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَتَزَعُّهَا كَمَا يُتَزَعُّ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُورِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيُصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانَ بْنِ

فَلَانَ بِأَفْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُتَهَمَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءَ فَتَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهَا الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَمِّنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْنَسُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يُجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُعِمِّ السَّاعَةَ».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت وسكرته.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: الذي كنت تميل عنه وتفر منه.

وذكر الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ اختلاف المفسرين في قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ

تَحِيدُ﴾ فقال: اختلف المفسرون فيما هل هي نافية فيكون المعنى: ذلك الذي لا تحيد منه ولا تنفك منه، وإن كانت موصولة فيكون المعنى: ذلك الذي كنت تحيد منه ولكن لا مفر منه. اهـ

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]،

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، ويقول

تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والآية يستدل بها أهل العلم على

الإشارة على القبر وما فيه من النعيم والعذاب وبالله التوفيق.

وقد كتبت فيه مؤلفاً مستقلاً ذكرت فيه أدلة القرآن وصحيح السنة في إثبات

عذاب القبر المستحقة، وأنه الحياة البرزخية التي قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عنها: ﴿وَمَنْ وَرَّأَيْهِمْ **بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهي حياة برزخية حقيقية لها أحكامها وهي من علم الغيب الذي يجب أن نؤمن به وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾ [الصور: ١] هو القرن العظيم الذي

ينفخ فيه لصعق الناس ولإحيائهم قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وفي حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله

**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ التَّقَمَهُ وَأَصْغَى بِسَمْعِهِ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ»، فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، وجاء عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وزيد بن أرقم عند أحمد ومدااره على عطيه العوفي وهو ضعيف ولكن له طريق صحيحه أخرجها أبو يعلى.

والنفخ في الصور نفختان على القول الصحيح لأهل العلم وقال بعضهم ثلاثاً

ولا يثبت ما يدل على ذلك.

**فالنفخة الأولى**: نفخة الفزع والموت قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ

فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]، وهي نفسها نفخة الصعق قال

تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

[الزمر: ٦٨].

**والنفخة الثانية**: هي نفخة البعث: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَهْوَآءًا﴾ [النبأ: ١٨]،

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال

تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

**وبين النفختين أربعون:** ففي الصحيحين: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قالوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: أَيْبُتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَيْبُتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَيْبُتُ، «وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ، إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم (٢٩٤٠) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّهُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا- فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بِنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكُّهُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ»، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِيفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتِمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَضَعُ، وَيَضَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنَزِّلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكِّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَفَقَوْهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يَقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيَقَالُ: مَنْ كَم؟ فَيَقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: يوم ينفخ في الصور هو يوم الوعيد، وعيد

الله **عَزَّوَجَلَّ** في تعذيب الكافرين أسأل الله السلامة.

**قال الشوكاني:** وخصص الوعيد مع كون اليوم يوم الوعد، والوعيد جميعاً لتهويله، وزاد الشيخ ابن عثيمين ولأن السورة كلها مبدؤه بتكذيب المكذبين لرسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فناسب أن يغلب فيها جانب الوعيد. اهـ

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝١١﴾ [ق:٢١].

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَاءَتْ﴾ في ذلك اليوم وهو يوم القيامة يوم البعث والنشور، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: من المكلفين، ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ يسوقها إلى الله تعالى، ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

وروى الطبري هذا القول عن عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وروى عن ابن عباس من طريق السلسلة العوفية على أن السائق من الملائكة، والشهيد شاهد عليه من نفسه. وروي نحو هذا القول عن الضحاك، وذهب ابن زيد: أنهما جميعاً من الملائكة وهو قول مجاهد، وهذا الظاهر من الآية، ولا يمنع أن تشهد عليه نفسه مع ذلك؛ ففي صحيح مسلم (٢٩٦٩): عن أنس بن مالك قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكْ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ بِمَا أَضْحَكُ؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، يَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي فتنطق بأعماله، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ، وَسُخْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ».

فدل الحديث على أن الكرام الكاتبين أيضًا يشهدون على العباد، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [النور:٢٤]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿٦٥﴾ [يس:٦٥].

وأختلف أهل التفسير عن هذه الآيات هل هي عامة في كل أحد أم أنها خاصة بأهل الشرك؟ والصحيح: أنها عامة في كل أحد لما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿٦٦﴾ [ق:١٦]، قال ابن جرير: والإنسان في هذا الموضع بمعنى الناس كلهم غير مخصوص منهم بعضهم دون بعض. اهـ

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق:٢٢].

يقول: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ أيها الإنسان: ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ والغفلة السهوة عن الشيء أي: ﴿مِّنْ هَذَا﴾ اليوم، وهذا الحال بسبب الدنيا والركون إليها، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ أي: جلينا ذلك لك فصار عياناً بعد أن كان خافياً.

قوله تعالى: ﴿فَبَصُرْنَا الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿٣١﴾ أي: قوي بعد أن كان في الدنيا أعشى أعمى عن معرفة الحق، وهذا كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ [مريم:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٤].

وأختلف أهل التفسير هل هذه الآية عامة في كل أحد أم أنها خاصة بالكافرين على ما تقدم.

**وفي هذه الآية:** ضرر الغفلة على الإنسان، وهي من الأمراض الخطيرة التي تقسوا معها القلوب ويضعف الإيمان وينفر الإنسان عن طاعة الملك الديان.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق:٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ أي: قرينه من الملائكة الذي جعل مع الله إلهًا آخر فألقياه في العذاب الشديد.

قوله: ﴿قَرِينُهُ﴾ أي: الملك الموكل بحفظ أعماله، واختار ابن جرير أنه السائق والشهيد، قال ابن كثير وله اتجاه وقوة.

قوله: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ هذا الذي هو عندي معد محفوظ بلا زيادة ولا نقصان، وقد عَلِمَ أن للإنسان قرينان من الملائكة فيحمل أنه تكلم واحد بلسانهما أو تكلما جميعاً، وسيأتي بيان ذلك في اختيار ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

قوله تعالى: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤].

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنوية، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى، اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذه اللغة قول الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر ❀❀ وإن تركاني أحمر عرضاً ممنعاً

وقيل: بل هي نون التأكيد، سهلت إلى الألف، وهذا بعيد؛ لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالشاهد أحضره إلى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد ما عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير.

وقوله: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ صيغة مبالغة من كافر أي: كثير الكفر، والكفر في الأصل: التغطية والستر، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض.

وقوله: ﴿عَنِيدٍ﴾ أي: معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك.

وقوله: ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ أي: شديد المنع لما عنده من الواجبات من صلة أرحام، وإحسان إلى الجيران ونحو ذلك، وفسره قتادة بالزكاة المفروضة، وله وجه فإن الإنسان إنما يؤخذ على ترك الواجبات، ورجح ابن جرير أنه كل حق وجب لله أو

لأدمي في ماله.

**وفي مسند أحمد (٦٥٨٠):** عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ أَهْلَ النَّارِ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ، جَمَاعٍ مَنَاعٍ»**، وهذا كقوله: **﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [الماعون:٧].

**قال ابن جرير:** والخير هو المال في هذا الموضع، وذهب بعضهم إلى أن الخير الإسلام ويكون المنع لمن صد عن دخول الإسلام والاستدلال بالعموم أحسن. قوله: **﴿مُعْتَدِرٌ﴾** أي: يتعدى على غيره باللسان سبًا وفحشًا وبذاءة، وباليد بطشًا وسطورًا، وقد يدخل في الاعتداء في حق الله **عَزَّوَجَلَّ** وهو تعدي حدوده قال تعالى: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** [المائدة:٧٨]، وفي حديث أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: **«الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِيِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمُظْلُومُ»**، رواه مسلم وأخرجه أحمد عن عياض بن حمار (١٧٤٨٦).

وقد نهى الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه قال: **﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [البقرة:١٩٠]، ويقول: **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** [الطلاق:١].

قوله: **﴿مُرِيْبٍ﴾** من الريبة: وهي الشك، وهي هنا الشك في وحدانية الله **عَزَّوَجَلَّ** وقدرته على ما يشاء، قاله الطبري.

**قال جميل:**

بشينة قالت يا جميل اربنتي ❀❀ فقال كلنا يا بشينة مريب ومعناها هنا: أنه شاك في نفسه ومشكك لغيره بإدخال الريبة في قلبه، فتضمنت الآية خمسة أوصاف لهذا المعاند على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: **﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾** أي: أشرك بالله تعالى فعبد غيره،

وهذا هو الذنب العظيم الذي لا يغفره الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وهو الذنب العظيم قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] ﴿لَقَمَان: ١٣﴾، ويحبط جميع العمل قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويخلد في النار قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأهلها شر البرية أسأل الله السلامة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وسُئِلَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟، قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، متفق عليه عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فمن جعل لله **عَزَّوَجَلَّ** شريكًا في خلقه، أو ملكه، أو عبادة، أو أسمائه وصفاته، فقد وقع من الذنب الذي لا يغفر والخطيئة التي لا تستر قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، والمتأمل لحال المخالفين في هذا الباب يجد أنهم كما قال تعالى: ﴿كُلًّا طَرَفَقَ فِيكَ﴾ [الجن: ١١]، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الشجر والحجر، ومنهم من يعبد أصناف الحيوان، وأما عباد القبور فآلتهم أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر كما قال ابن الأمير في آياته النجدية:

أعادوا بها معنى سواع ومثله ❀❀ يغوث وود بئس ذلك من وود  
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ❀❀ كما يهتف المضطر بالصمد الفرد  
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ❀❀ أهلت لغير الله جهراً على عمد  
وكم طائف حول القبور مقبل ❀❀ ومستلم الأركان منهن باليد

والمصيبة العظيمة: أنهم يظنون أن صنيعهم تعظيم الأولياء لجهلهم بمعنى الشرك والعبادة نسأل الله السلامة، فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، والشرك ضدها.

قوله: ﴿فَأَلْفِيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٦٦﴾﴾ يقول لقرينيه: فألفيها في العذاب الشديد الموجه قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٦١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَعَابًا ﴿٦٢﴾ لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٦٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٦٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٦٥﴾﴾ [النبا: ٦١-٦٥].

ففي مسند أحمد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يُخْرَجُ عَنْكَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ فَيَقُولُ: إِنِّي وَكُلْتُ بِثَلَاثَةِ بَكُلٍّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلٍّ مِنْ أَدْعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالْمُصَوِّرِينَ».

وفي الآية: دليل لمذهب أهل السنة والجماعة: أن الكفار لا يصعدون الصراط وإنما يساقون إلى النار سواقًا فيتقادعون فيها قال الله عز وجل: ﴿وَسَوْفَ الْمَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٨٦]، وفي حديث عن أبي سعيد الخدري: «أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - «نَعَمْ»، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظُّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذَنٌ مُؤَدَّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَنْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيَدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيَسَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ

يُدْعَى النَّصَارَى فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبِيَّةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا - قَالَ - فَيَسْأَرُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَنْسَاقُطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَتَّظِرُونَ تَسْبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرُ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لِيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِي فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مِرْلَةٍ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلاكِبٌ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَمُخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ، فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتَحْرَمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ

فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَنْزَرْ فِيهَا مِنَّا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ  
 ازْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ  
 يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَنْزَرْ فِيهَا خَيْرًا»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا  
 الْحَدِيثِ فَأَفْرُوا وَإِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا  
 وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ  
 النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا  
 قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ  
 فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا  
 يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْيَرُ وَأَخْيَضُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَيْبَسَ»، فَقَالُوا: يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ: «فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ  
 يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ وَلَا خَيْرٍ  
 قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا  
 مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ  
 هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

قوله تعالى: ﴿\* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا  
 لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٧-٢٩].

قوله: ﴿\* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا﴾ القرين هنا: هو القرين الجنى، وكان الكافر اتهم قرينه  
 الشيطان الموكل به بأنه سبب إغوائه، فكان جواب القرين: ربنا ما أمرته أن يكذب  
 ولا أن يكون عنيدًا أو مناعًا أو مشركًا، وهذه البراءة تقع كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾  
 [البقرة: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿\* الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

[الزخرف: ٦٧].

وما من أحد من الإنس إلا وله قرين حتى الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**»، قالوا: **وَيَاكَ؟** يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**وَيَايَايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَحَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»، أخرجه مسلم عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

**قال النووي: «فَأَسْلَمَ»**، برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال: معناه أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع ورجح.

قوله: ﴿**مَا أَطْعَيْتُهُ**﴾ الطغيان: هو مجاوزة الحد قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَعْنَا الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١١]، وقال تعالى: ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**﴾ [الذِّينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ] [الفجر: ١٠-١١]، ومعناها هنا: ربنا ما أضللته ولكنه كان ضالاً.

قوله: ﴿**وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾ أي: في كفر سحيق ما عنته عليه كما قال تعالى: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [٢٧] **قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ** [٢٨] **قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** [٢٩] **وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ** [٣٠] **فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ** [٣١] **فَأَعْوَبْتَكُمْ إِذَا كُنَّا غَٰوِينَ** [٣٢] [الصافات: ٢٧-٣٢].

**والضَّلَالُ**: العدولُ عن الطَّرِيقِ المستقيم، ويضادّه الهداية، قال تعالى: ﴿**مَنْ** **أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾ [الإسراء: ١٥]، ويقال: الضَّلَالُ لكل عدولٍ عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فإنَّ الطَّرِيقَ المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدًّا، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا**».

**وقال بعض الحكماء:** كوننا مصيبين من وجه وكوننا ضالين من وجوه كثيرة، وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيراً، صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما؛ ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضالين بون بعيد.

**وفي الآية:** بيان لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات ما يتعلق بالإيمان بالقدر، وأن العبد منه عمل وفعل وله قدرة واستطاعة، وأن الله تعالى خالق ذلك فالعبد هو المهتدي والله هو الذي يهديه، والعبد الضال والله هو الذي يضلّه.

وأسباب الضلال كثيرة وأعظمها: البعد عن الكتاب والسنة علماً وعملاً وانقياداً، ومنها: الركون إلى المبطلين بمجالستهم والرضى بأفعالهم، ومنها إتباع الهوى كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ هذا قول الله عز وجل لهم ناهياً عن الخصومة والجدال عنده؛ لأن الحجة منقطعة عليهم: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُوْلَاهُمْ لِأَخْرَيْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨-٣٩]، وكما قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون: ٣٦-٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: قد ذكرت لكم الوعيد على مخالفة الأمر وارتكاب النهي في كتبي وعلى ألسنة رسلي، وأقمت عليكم الحجج والبيانات، فلا مجال للخصومة والاعتذار والخصام.

قوله تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض وهو

كقوله تعالى: «يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ»، وقضاء الله **عَزَّوَجَلَّ** الذي قضاه في كتبه وعلى ألسنه رسله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩]، وفيها: إثبات كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأنه متكلم تعالى بحرف وصوت متى شاء وكيف شاء وبما شاء، كما هو مذهب أهل الحق والسنة، وخالف في ذلك أهل البدعة والشناعة حيث زعموا زورًا: أن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** مخلوق، وهذا القول قد نقل غير واحد الإجماع على كفر قائله ومعتقده، بل إن الله متكلم بكلام يسمع على ما هو مقرر في مواطنه والحمد لله، وأذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وقوله: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ومن زعم أن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** مخلوق فقد زعم أن أسماء الله تعالى وصفاته مخلوقة تعالى الله **عَزَّوَجَلَّ** عن قولهم، ومن زعم أن كلام الله تعالى مخلوق فقد زعم مثل الله **عَزَّوَجَلَّ** بالجماد، وراجع لأدلة إثبات هذه الصفة في كتابي سلامه الخلف في طريقة السلف.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٩﴾﴾ بيان لكمال عدله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»، أخرجه مسلم عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وفي حديث زيد بن ثابت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أَنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمْ حَيْثُ يُعَذِّبُهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ لَهُمْ؛ لَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَاجِزٌ عَنِ إِدَاءِ حَقِّ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ: «وَلَكِنْ سَدَّدُوا وَقَارَبُوا»، والله يتقبل ويتجاوز، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

وتسمى هذه الصفة عند أهل السنة: بالصفات المنفية، وضابطها: أن كل صفة في

القرآن نفاها الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نفسه فكمالها في أثبات ضدها فقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيوميته وهكذا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].  
يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ وذلك يوم القيامة ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** لها ذلك مع علمه بها، لكن من باب تقريره لها بما وعددها به.

**قال ابن كثير (٤٠٣):** يُخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك أنه وعددها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقى وهي: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث: قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا حَرَمِي بن عُمارة حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطُّ».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزِي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ، وَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيَسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

ثم رواه مسلم من حديث قتادة، بنحوه، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي، عن قتادة، بنحوه.

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا محمد بن موسى القطان، حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي، حدثنا عَوْف، عن محمد عن أبي هريرة - رفعه، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان -: «يُقَالُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلَأَتْ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ،

فِيصْعُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمُهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ»، رواه أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به.

طريق أخرى: قال البخاري: وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعَذَّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤَهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا كَيْفَ تَمْتَلِي وَيُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».**

حديث آخر: قال مسلم في صحيحه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعَذَّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤَهَا»**، انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه. والله، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى، عن أبي سعيد بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «**اِفْتَخَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ يَدْخُلْنِي الْجَبَابِرَةُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَالْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: أَيُّ رَبِّ يَدْخُلْنِي الضُّعْفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَيَقُولُ اللَّهُ**

تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: أَنْتَ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلْؤُهَا، فَيُلْقَى فِي النَّارِ أَهْلُهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ قَالَ: وَيُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ وَيُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَأْتِيَهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَزْوِي، فَتَقُولُ: قَدِي قَدِي، وَأَمَّا الْجِنَّةُ فَيُنْقَى فِيهَا أَهْلُهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْقَى فَيَنْشِئُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا مَا يَشَاءُ».

حديث آخر: وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا عقبه بن مُكْرَم، حدثنا يونس، حدثنا عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن زِرِّ بن حُبَيْش، عن أبي بن كعب؛ أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «يُعْرِفُنِي اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْجُدُ سَجْدَةً يَرْضَى بِهَا عَنِّي، ثُمَّ أَمْدَحُهُ بِمَدْحَةٍ يَرْضَى بِهَا عَنِّي، ثُمَّ يُؤَدِّنُ لِي فِي الْكَلَامِ - ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ - فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَمُرُّ أَوْ قَالَ: أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ قَالَ: فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ الْبَرْقِ وَمِثْلَ الرِّيحِ وَمِثْلَ أَجَاوِيدِ الْحَيْلِ وَالرِّكَابِ - وَجَهَنَّمَ تَسْأَلُ الْمَزِيدَ حَتَّى يَضَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ فِيهَا، فَيَتَزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ - وَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ» قِيلَ: وَمَا الْحَوْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ شَرَابَهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَنْبَتُهُ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ النُّجُومِ، لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِنْسَانٌ فَيُظْمَأُ أَبَدًا، وَلَا يُصْرَفُ عَنْهُ إِنْسَانٌ فَيَرَوَى أَبَدًا»، وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥]، إلى قولين

ذكرهما ابن جرير:

**الأول:** أنه استفهام طلب بمعنى أنها تطلب الزيادة واختاره لدلاله الأحاديث

عليه.

**الثاني:** أنها تقول لا مزيد على ما في.

قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣٦﴾ [ق: ٣٦].

يخبر تعالى بقوله: ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: أدنيت وقربت: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قرباً: ﴿عَيْتَرٍ بَعِيدٍ﴾ أو مكان غير بعيد منهم بحيث يشاهدونها في الموقف وينظرون ما فيها مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قاله الشوكاني.

**والمتقون:** هم الذين يراقبون الله عزَّجَلَّ فيلتزمون فرائضه ويجتنبون معاصيه ويخافون عقوبته.

**قال الراغب:** وصار التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم؛ وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي الحلال بين والحرام بين.

اهـ

وأصل التقوى من الالتقاء قال الشاعر:

سقط النصف ولم ترد إسقاطه ❁❁ فتناولته وانقتنا باليد  
والتقوى أعظم أسباب دخول الجنة، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما سُئِلَ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة.

والمتقي الكريم على الله قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سُئِلَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أكرم الناس فقال: «أَتْقَاهُمْ»، متفق عليه.

وهي من أعظم أسباب تفريج الكرب وقضاء الحاجات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٤]، وأعظم سبل تحصيلها العلم والعمل به فقد صح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ

أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَنْتُمْ»، أخرجه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾ يُقال لهم: هذه الجنة التي وعدتم بها جزاء أعمالكم كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٧٣]، وكما قال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبا: ٣٦]، فجعل الله تعالى الجنة جزاءً لأوليائه على ما قدموا من الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢]، وقد صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ:** وفي الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٧٣]، ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية بالإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة لله والله أعلم. أهـ

بمعنى أن الباء في قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٧٣]، باء سبب لا باء عوض وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿كُلِّ أَوْابٍ﴾ أي: أن هذا النعيم وعد الله به كل من اتصف بهذه الصفات وهي كونه أوابًا، والأواب: الرجاع إلى الله تعالى بالتوبة عن المعصية، وقيل:

المسبح، وقيل: هو الذاكر لله في الخلوة، ولا يمنع أن يشمل جميع تلك المعاني، قال الله **عَزَّوَجَلَّ** في شأن داود وسليمان وأيوب عليهم السلام جميعاً: ﴿**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص:٣٠]، فقد كانوا مسبحين رجّاعين ذاكرين الله **عَزَّوَجَلَّ** في الخلوات والجلوات، ويقول تعالى في شأن أهل التوبة: ﴿**رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾ [الإسراء:٢٥].

وقوله تعالى: ﴿**حَفِظِ**﴾ [٣٣] أي: حافظ لحدود الله **عَزَّوَجَلَّ**، وفي الحديث: عن ابن عباس قال: كنت خلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «**يَا عَلَّامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحْذُهُ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِي بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»، أخرجه الترمذي.

وللمفسرين قولان في معنى الحفيظ ذكرهما بن جرير:

**الأول:** ما روي عن ابن عباس: أن الحفيظ من حفظ ذنوبه حتى رجع عنها.

**الثاني:** قول قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته بمعنى: أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه، وجمع ابن جرير بين القولين فقال: فيقال هو حفيظ لكل ما قربه إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلفت منه للتوبة منها والاستغفار.

قوله تعالى: ﴿**مَنْ خَشِيَ**﴾ أي: ومن صفات من أدنيت له الجنة: من خشي الله **عَزَّوَجَلَّ**، والخشية: خوف يشوبه التعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه؛ ولذلك حُصَّ العلماء بها في قوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨]، قال الراغب: فمن راقب الله **عَزَّوَجَلَّ** وخشيه وخافه واتقاه فإن ذلك من دواعي سلامته في

الدنيا والآخرة.

قوله ﴿الرَّحْمَنُ﴾ من أسماء الله المختصة به، فلا يجوز أن تطلق على غيره، وهو يتضمن صفة الرحمة.

قوله تعالى: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: في حال خلوته وجلوته، وهو مراقب الله عز وجل قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وهذه مرتبة جليلة إنما يوفق لها خالص المؤمنين، أسأل الله أن يجعلنا منهم، وفي حديث عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي: «اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»، وفي الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، أخرجه مسلم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد نهى الله عز وجل عن خشية غيره فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ [المائدة: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ﴾ أي: الله عز وجل وهو ثابت على دينه، وفي الحديث: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»، أخرجه مسلم عن جابر، وفي حديث سهل بن سعد: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْحَوَاتِيمِ»، أخرجه البخاري.

قوله تعالى: ﴿يَقْلِبُ مُنِيبٍ﴾ أي: ومن صفات أهل الجنة: أنه يقبل إلى ربه بقلب تائب سليم من ذنوبه راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه، ويكون هذا الرجوع حتى يوافي الله عز وجل، قال قتادة: أي: منيب إلى ربه مقبل، قال تعالى في شأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فهذه صفات جليلات عظيمات نافعات يحتاج العباد إلى التخلق بها والتعبد لله عز وجل بها وهي صفات خالص المؤمنين وصفوة خلق الله عز وجل أجمعين، إذ عليها مرار صلاح الأعمال الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾

[هود:٧٥]، وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ [الروم:٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [سبأ:٩]، فهي دالة على وجوب ملازمة الطاعة لله عز وجل والمراقبة له والتوبة مما يقع فيه العبد من الذنوب والتقصير في طاعة العلي الكبير، وهي دالة على حسن الخاتمة وأن الأعمال بها كما تقدم.

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي: الجنة، قال قتادة: سلموا من عذاب الله وسلم عليهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَجْتَنِبُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر:٤٦]. وكقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٣٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]، فأصحاب الجنة سالمون من كل آفة وأذية، وفي حديث أبي هريرة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « يُنَادِي مُنَادٍ إِنْ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْتَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَوُدُّوْا أَنْ يَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٣]، « أخرجه مسلم (٧٣٣٦).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٤٢﴾﴾ أي: أن هذا الذي وصف لكم من حال المؤمنين يكون في يوم الخلود والحياة الدائمة التي لا انقضاء لها كما قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء:٥٧]، وكما قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود:١٠٧]. وفي الآية بيان لمذهب أهل السنة والجماعة في أن الله عز وجل خلق الجنة وما فيها للبقا لا للفناء، والقول بفناء الجنة والنار هو قول المبتدعة من المعتزلة والجهمية ومن إليهم أما أهل السنة فيقولون بأبديتها، وعلى ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

وفي كتابي سلافة الخلف في طريقة السلف (٢٢٧-٢٣٧): ومن قول أهل السنة أن

الجنة والنار قد خلقتا، قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]، وقال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والخوارج، والأدلة على ذلك متوافرة متواترة استقصينا كثيراً منها في كتاب الإيمان والله الحمد منها:

قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله: ﴿أَعَدَّدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾.

وقال عن النار: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [الطغين: ٢٢]، وقوله تعالى في الجنة: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [١٣] **عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى** [١٤] **عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى** [١٥] [النجم: ١٣-١٥].

**ومن السنة:** ما أخرجه في «الصحاحين»، أخرج البخاري (٥٢٢٦): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ». قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْ عَلَيْكَ أَغَارُ. أخرجه مسلم (٢٣٩٤).

**وأخرج (٣٢٤٢):** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. أخرجه مسلم (٢٣٩٥).

وأخرج (٣٢٤١): حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

وأخرج (٣٢٤٠): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ». أخرجه مسلم (٨٦٦).

وأخرج البخاري (٤٥٠): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»، أخرجه مسلم (٥٣٣).

وأخرج مسلم (٢٤٥٦): عَنْ أَنَسٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغَمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

وأخرج (٢٤٥٧): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْفَةً أَمَامِي فِإِذَا بِلَالٌ».

وأخرج (٢٤٥٨): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةٌ، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةٌ، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

وأخرج (٤٢٦): عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ

**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي»، ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَّيْتُمْ كَثِيرًا». قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ».

**وأخرج البخاري (٣٥٢١):** عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُنْمَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيَةِ وَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِأَهْلِيهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «رَأَيْتُمْ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحْيٍ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُضْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِبَ»، أخرجه مسلم (٢٨٥٦).

**وأخرج مسلم (٢٨٤٦):** عن أبي هريرة: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوْزْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعَدُّ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي»، أخرجه البخاري (٤٨٥٠).

**وأخرج (١٩١٤):** عن أبي هريرة: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ».

**وأخرج البخاري (٣٤٨٢):** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «عُدَّتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَّتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»، أخرجه مسلم (٢٢٤٢).

**وأخرج مسلم (٢٦١٩):** عن أبي هريرة عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** فذكر

أحاديث منها: وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَاءِ هِرَّةٍ لَهَا، أَوْ هِرٍّ، رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرْمِرُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا».

قال ابن أبي العز **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «شرح الطحاوية» (٤٠٠): أما قوله: "الجنة والنار مخلوقتان"، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة كذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية وأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يعلمه الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل فيهم التجهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى. اهـ

فيا ليت شعري كيف سيتأولون حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٧٤٤): «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجَبْرِئِيلَ: اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِئِيلُ اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِئِيلُ اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِئِيلُ اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

**ومن الأدلة على وجودهما**: ما أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦): عن نافع عن عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ

مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وعن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»، أخرجه مالك في «الموطأ» (١٨٦/١) وأحمد في «المسند» (٤٥٥/٣) والآجري في «الشريعة» (٣٩٢) وابن ماجه (٤٢٧).

والحديث يدل على أن أرواح المؤمنين في الجنة إلا من حبس لدين أو غيره، والشاهد من الحديث قوله: «طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»، فلو كانت غير موجودة الآن لكان هذا الكلام لغوً وكذب والعياذ بالله.

**فائدة:** هذا الحديث يدل على أن أرواح المؤمنين طيرٌ في الجنة، أما أرواح الشهداء فهي في أجواف طير خضر كما أخرج مسلم (١٨٨٧) في صحيحه من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال مسروق: سألتنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، فقال: أما إنا قد سألتنا عن ذلك، فقال: «أَزْوَاجُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ».

وعن عبد الله بن عباس أنه قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** والناس معه، ثم ذكر الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم تكعكت، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاولْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهَ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

والحديث نص لا يحتمل التأويل والتحريف: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** رأى



لا يعتقد خلافها إلا أهل الضلالات قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنِيَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي: غير مقطوع، وسيأتي الإجابة على الاستثناء إن شاء الله تعالى.

وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقال: ﴿أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ [الواقعة: ٣٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ مؤكداً خلود أهل الجنة فيها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، والمراد به أنهم ماتوا في الوقت الذين لم يكونوا في الجنة.

ومن الأدلة على أبدية الجنة من السنة: ما أخرجه مسلم (٢٨٣٦) وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْئَسُ، لَا تَبَلَىٰ ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ».

وفي حديث أبي سعيد: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»، متفق عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (حادي الأرواح) (٣٢٣): الباب السابع والستون في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبديد: وهذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنِيَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي: مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال: والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة.

**قال ابن القيم في (حادي الأرواح) (٣٢٩-٣٣٠):** وأما أبدية النار ودوامها فقال عنها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين قال: وقلت: هاهنا أقوال سبعة:

**أحدها:** أن من دخلها لا يخرج منها أبداً، بل من دخلها خلد فيها أبد الأبدين بإذن الله، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

**الثاني:** أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعية نارياً لهم يتلذذون بها لموافقته لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي والطائي...

**الثالث:** قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها أقوام آخرون، وهذا القول حكاة اليهود للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فأكذبهم الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

**الرابع:** قول من يقول: يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاة شيخ الإسلام، والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم.

**الخامس:** قول من يقول: بل تفتنى بنفسها؛ لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عندهم بين الجنة والنار.

**السادس:** قول من يقول: تفتنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة.

**السابع:** قول من يقول بل يفنيها ربها، وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه تفتى ويزول عذابها.

**قال شيخ الإسلام:** وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم. اهـ

وذكر ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٤٠٦)، هذا التقسيم وقال في آخره:

**الثامن:** أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقها شيئاً ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

**التاسع:** أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له.

وما عدا هذين القولين الأخيرين، ظاهر البطلان، وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتها. انتهى والقول الحق هو التاسع، والقول الثامن وإن كان قد قال به بعض السلف فهو قول غير صحيح، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٥﴾ [الزخرف: ٧٥]، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾ [النبأ: ٣٠]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ٢٣﴾ [الجن: ٢٣]، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ٣٦﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥].

**قال ابن أبي العز:** وقد دلت السنة المستفيضة: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

وَأَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ صَرِيحَةٌ فِي خُرُوجِ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ، وَأَنَّ هَذَا حُكْمٌ مُخْتَصٌّ بِهِمْ، فَلَوْ خَرَجَ الْكُفَّارُ مِنْهَا لَكَانُوا بِمَنْزِلَتِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَصَّ الْخُرُوجُ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

\* **فائدة:** ما لا يدخل في الفناء ثمانية نُظِمَت في هذا البيت:

ثمانية حكم البقاء يعمهاهم ❀❀ من الخلق والباقون في حيز العدم  
هم العرش والكرسي نار وجنة ❀❀ وعجب وأروح كذا اللوح والقلم  
قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: لهؤلاء المتقين في الجنة ما أرادوا كما قال  
تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ [الواقعة: ٣٣]، وفي الحديث: «وَلَكَّ مَا اشْتَهَتْ  
نَفْسُكَ، وَلَكَّذَتْ عَيْنُكَ»، وهذا يدل على عِظَمِ نعيم الجنة بلغنا الله **عَزَّوَجَلَّ** إياها فإن من  
دخلها لا يحرم من شيء أرادته وعلى أكمل ما يكون في اللذة والجمال وغير ذلك.

وعن هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ «يُنَادِي مُنَادٍ إِنْ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا  
فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنْ  
لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ **عَزَّوَجَلَّ** ﴿وَوُدُّوْا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا  
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»، أخرجه مسلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وعندنا لهم فوق ما أعطيناهم  
مزيد، وقد فسره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالنظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**.

**وقد قلت في كتابي سلاقة الخلف في طريقة السلف:** من عقيدة أهل السنة  
والجماعة التي خالفوا فيها المبتدعة إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه بأعينهم يوم  
القيامة في موطنين، المحشر والجنة، وقد يسر الله تعالى بجمع طيب اسميته: (رؤية  
المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار)، واعلم أن الإيمان برؤية المؤمنين لربهم  
يوم القيامة وفي الجنة هو معتقد أهل السنة والجماعة المؤيد بالأدلة الجلية والبراهين  
النقلية والشواهد العقلية.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (في لاميته):** وقال أبو بكر بن أبي داود في

(حائيته):

وقل يتجلى الله للخلق جهرة ❀❀ كما البدر لا يخفى وربك أوضح  
 وليس بمولود وليس بوالد ❀❀ وليس له شبه تعالى المسبح  
 وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ❀❀ بمصدق ما قلنا حديث مصرح  
 رواه جرير عن مقال محمد ❀❀ فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح  
 وللناس في هذا الباب ثلاثة مذاهب:

**قال شيخ الإسلام كما في (المجموع) (٣٣٦/٢-٣٣٧):** وَالنَّاسُ فِي رُؤْيَا اللَّهِ عَلَى ثَلَاثَةِ

أَقْوَالٍ:

**فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأئِمَّةُ المُسْلِمِينَ:** عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرَى فِي الآخِرَةِ بِالْأَبْصَارِ عِيَانًا  
 وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا بَعِيْنِهِ؛ لَكِنْ يَرَى فِي الْمَنَامِ وَيَحْصُلُ لِلْقُلُوبِ - مِنْ  
 الْمُكَاشَفَاتِ وَالمُشَاهَدَاتِ - مَا يُنَاسِبُ حَالَهَا.

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَقَوَّى مُشَاهَدَةَ قَلْبِهِ حَتَّى يَظُنُّ أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ بَعِيْنِهِ؛ وَهُوَ غَالِطٌ،  
 وَمُشَاهَدَاتُ الْقُلُوبِ تَحْصُلُ بِحَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَمَعْرِفَتِهِ فِي صُورَةٍ مِثَالِيَّةٍ كَمَا قَدْ  
 بَسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي:** قَوْلُ نَفَاهِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ.

**وَالثَّلَاثُ:** قَوْلُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَرَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَحُلُولِيَّةُ الْجَهْمِيَّةِ يَجْمَعُونَ  
 بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا يَرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَإِنَّهُ يَرَى فِي الدُّنْيَا  
 وَالآخِرَةِ. اهـ

والمخالفون هم أهل البدع، قال ابن أبي العز في (شرح الطحاوية) (١٨٣):  
 المخالف في الرؤية: الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية. وقولهم  
 باطل مردود بالكتاب والسنة.

وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة

في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون؛ انتهى.

ومن الأدلة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في المحشر ثم في الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

**والشاهد من الآية:** قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، أي: تنظر إلى ربها سبحانه بعيني رأسها، فقد قال عبد الله بن أحمد في (السنة) (٤٨١): حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ، نَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، قَالَ: تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرًا.

وفي رواية ابن جرير (١٩٢/٢٩): تنظر إلى ربها نظرًا، وعند الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٠٠): ينظرون إلى الله نظرًا.

وقال عبد الله (٤٨٢): حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، نَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، نَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ: فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، قَالَ: حَسَنَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢٧٢): قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، ووجه الاستدلال بها أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبراني وغيره من المزي قال سمعت

الشافعي يقول في قوله **عَرَّجَلٌ**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة، وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءت رقة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله **عَرَّجَلٌ**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياء يرونه في الرضا. اهـ

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُلَاقُوهُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤]، واللقاء لا يكون إلا معاينة، وعلى هذا إجماع أهل اللغة.

قال الأجري في «الشريعة» (٩٨١/٢) (ط/ الوطن): وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤]، واعلم رحمك الله أن عند أهل العلم باللغة أن اللقاء هاهنا، لا يكون؛ إلا معاينة يراهم الله تعالى ويرونه، ويسلم عليهم، ويكلمهم ويكلمونه. اهـ

ومن أدلة الرؤية في السنة النبوية: ما اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كنا عند النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فنظر إلى القمر ليلة -يعنى البدر- فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩].

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا. قال: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ،

يُحْشِرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُتَأَفِّفُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانِنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبَّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبَّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيَضْرِبُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرَّسْلِ بِأَمْتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسْلُ، وَكَلَامُ الرَّسْلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَائِبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكِ السَّعْدَانِ؟ قالوا: نعم. قال: «فَأَيْتَمَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْتَفُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتِي بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُوهُمْ وَيَعْرِفُوهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَسْبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، يَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ يَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ، رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، يَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ يَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، يَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ يَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّصْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ

أَدَمَ، مَا أَعْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟  
 يَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَيُضْحِكُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ  
 الْجَنَّةِ، يَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ  
 يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: إن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**  
 قال: «قَالَ اللَّهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ»، قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله  
**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا قوله: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قال أبو سعيد إني سمعته يقول:  
 «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ»، متفق عليه.

ومن أدلة رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهم إِلَى دَارِ السَّلَامِ  
 وَيَهْدِيهم مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ \* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ  
 وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٥-٢٦]، وقال  
 تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا  
 وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (حادي الأرواح) (٢٧٣)**: قال الطبراني: قال علي بن أبي  
 طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقاله من التابعين: زيد بن  
 وهب وغيره. اهـ

وعند مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ (١٨١)**: من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد  
 الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب؛ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ  
 الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبِيضْ  
 وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا  
 أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ **عَزَّوَجَلَّ**. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وأخرجه الدارقطني في (الرؤية) رقم (١٩٢): عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، أَوْ قُرِئَتْ عِنْدَهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالُوا: وَمَا الزِّيَادَةُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وقد أخرج ابن جرير الطبري وغيره الآثار الموقوفة والمقطوعة التي فيها تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن جرير في (تفسيره) (١٧٦٣٩): حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثَنَا هُوذَةُ، قَالَ: ثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، النَّظَرُ إِلَىٰ الرَّبِّ.

وأخرج الدارمي في (الرد على الجهمية) (١٩٤): عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: الزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ. وقال عبد الرزاق في (التفسير) (٢٩٦/٢): عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ.

وقال (٢٩٤/٢): عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ فِيمَا بَلَّغْنَا النَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ.

وأخرج الدارقطني في (الرؤية) (٢٠٢): عَنْ حُدَيْفَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وأخرج البخاري (٤٨٧٨): عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَسْتَانِ مِنْ فَضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَسْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»، الحديث أخرجه مسلم (١٨٠).

ومن أدلة الرؤية، قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال ابن القيم رحمه الله في (حادي الأرواح) (٢٧٤): فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به؛ فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، فلم ينف عن موسى الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، إننا لمريئون، فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم، بقوله: ﴿كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦٢]، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى﴾ [طه: ٧٧]، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية. اهـ شبه المخالفين لأهل السنة في باب الرؤية:

**الشبهة الأولى:** قولهم: المراد بقول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [إلى رِبَّهَا نَظَرَةٌ] [القيامة: ٢٢-٢٣]، أي: منتظرة، أو منتظرة لثوابه، ويُرد عليهم بما قاله ابن القيم في (حادي الأرواح) (٢٣٧-٢٣٨): وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراه منها وجدتها منادية نداءً صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلًا؛ فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها؛ إلا وجد إلى ذلك من

السييل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا.  
 وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة  
 في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة، تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى  
 الوجه المعدى بالوجه خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أراد  
 بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب **جَلَّ جَلَالُهُ**، فإن النظر له عدة استعمالات  
 بحسب صلاته وتعديه بنفسه فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله:  
**﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ ثُورِكُمْ ﴾** [الحديد: ١٣]، وإن عدي بـ: (في) فمعناه التفكير والاعتبار  
 كقوله: **﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** [الأعراف: ١٨٥]، وإن عدي بـ:  
 (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: **﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾** [الأنعام: ٩٩]،  
 فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر. اهـ

**وقال رحمه الله كما في (الصواعق المرسله) (١٩٣/١-١٩٤):** يستحيل فيها تأويل النظر  
 بانتظار الثواب؛ فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله وعداه بحرف إلى التي  
 إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا، ووصف الوجوه بالضررة التي لا  
 تحصل؛ إلا مع حضور ما يتنعم به لا مع التنعيص بانتظاره، ويستحيل مع هذا  
 التركيب. اهـ

**وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في (نقضه على المريسي) (٥٢٤-٥٢٦):** قَالَ  
 الْمُعَارِضُ: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّظْرُ إِلَى وَجْهِهِ نَظْرًا إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّظْرِ إِلَى  
 الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى الْجَنَانِ؟

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ جِئْتَ بِتَفْسِيرٍ طَمَّ عَلَى جَمِيعِ تَفْسِيرِكَ صَحِيحَةً وَجَهَالَةً،  
 وَلَوْ قَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَعَلِمْتَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي رَوَيْتَهُ عَنْ رَسُولِ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْوَاضِحَةِ لَا يَحْتَمِلُ تَفْسِيرًا غَيْرَ مَا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَلَا تَصْدِيقَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَى وَجْهِ اللَّهِ»، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَى وَجْهِهِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَمَنْ سَمَى مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَجْهًا لِلَّهِ قَبْلَكَ؟ وَفِي أَيِّ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَجَدْتَ أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ أَعْلَى جَنَّتِهِ؟ مَا لَقِيَ وَجْهَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ مِنْ تَفَاسِيرِكَ؟! مَرَّةً تَجْعَلُهُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً تَجْعَلُهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً تَجْعَلُهُ وَجْهَ الْقِبْلَةِ، وَمَرَّةً تُشَبِّهُهُ بِوَجْهِ الثَّوْبِ وَوَجْهِ الْحَائِطِ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَمَّا تَتَلَا عِبُّ بِوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

فَإِنْ كَانَ كَمَا ادَّعَيْتَ أَنَّ أَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي يَتَوَقَّعُونَهَا مِنَ اللَّهِ، أَفَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِكَ أَيْضًا: «إِنَّ أَذْنَاهُمْ مَنْزِلَةٌ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ جَنَاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَكَرَامَاتِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ الْأَذْنِينَ مِنْهُمْ يَتَوَقَّعُونَ مِنْ كَرَامَاتِ اللَّهِ مَا يَتَوَقَّعُ أَكْرَمُهُمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى أَعْلَى الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَكْرَمُهُمْ»؟.

مَا مَوْضِعُ تَمْيِيزِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذْنَى بِالنَّظَرِ إِلَى مُلْكِهِ وَنَعِيمِهِ، وَالْأَعْلَى إِلَى وَجْهِهِ بِكُرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ؛ إِذْ كُلُّهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِيهَا غَيْرُ مَحْجُوبِينَ، وَلَا عَنِ التَّوَقُّعِ مَمْنُوعِينَ حَتَّى تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَكْرَمِينَ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَتَلَّ فِي الْأَذْنِينَ مِنْهُمْ تَشْبِيهًا لَوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَتَكْذِيبًا لِدَعْوَاكَ، فَقَالَ: ﴿وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرٌ ﴿٣٣﴾ إِلَى رَيْبِهَا نَاطِرَةٌ ﴿٣٤﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَى كَرَامَاتِهَا نَاطِرَةٌ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَوْحَشَهَا مِنْ تَأْوِيلِ، وَأَقْبَحَهَا مِنْ تَفْسِيرِ، وَأَشَدَّهَا اسْتِحَالَةً فِي جَمِيعِ لُغَاتِ الْعَالَمِينَ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزِرْكَ مِنَ الْفَهْمِ إِلَّا مَا تَرَى، لَوْ تَكَلَّمَ بِهَذَا صَبِيانَ الْكِتَابِ لَا اسْتَضْحَكَ النَّاسُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ رَجُلٌ يَعُدُّ نَفْسَهُ مِنْ عِدَادِ عُلَمَاءِ بِلَادِهِ. اهـ

الشبهة الثانية: استدلالهم بقول الله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

**الْأَبْصَرُ** ﴿[الأنعام: ١٠٣]، قالوا: وهذه الآية دليل على أنه لا يرى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وقد تقدم بيان أن (الإدراك) رؤية وزيادة، رؤية مع الإحاطة، والإحاطة منفيه في حق الله **عَزَّجَلَّ**، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِهِ عِلْمًا ۝﴾ [طه: ١١٠]، فهم يرونه بغير إحاطة، وقد تقدم بيان أن هذه الآية من أدلة الرؤية إلى الله **عَزَّجَلَّ** يوم القيامة.

**الشبهة الثالثة:** استدلالهم بقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، على أنه لا يرى، وبأن «لن» تفيد التأييد.

**قال ابن أبي العزفي (شرح الطحاوية) (١٩١-١٩٢):** فلاستدلالٌ مِنْهَا عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

**أَحَدُهَا:** أَنَّهُ لَا يُظَنُّ بِكَلِيمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِرَبِّهِ فِي وَقْتِهِ، أَنْ يَسْأَلَ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ.

**الثاني:** أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ سُؤَالَهُ، وَلَمَّا سَأَلَ نُوحٌ رَبَّهُ نَجَاةَ ابْنِهِ أَنْكَرَ سُؤَالَهُ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝﴾ [هود: ٤٦].

**الثالث:** أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي لَا أَرَى، أَوْ لَا تَجُوزُ رُؤْيِي، أَوْ لَسْتُ بِمَرِيٍّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَوَابِينَ ظَاهِرٌ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ كَانَ فِي كُمِّهِ حَجَرٌ فَظَنَّهُ رَجُلٌ طَعَامًا فَقَالَ: أَطْعَمْنِيهِ، فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ، أَمَّا إِذَا كَانَ طَعَامًا صَحَّ أَنْ يَقَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَرِيٍّ، وَلَكِنَّ مُوسَى لَا تَحْتَمِلُ قُوَاهُ رُؤْيَيْهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، لِضَعْفِ قُوَى الْبَشَرِ فِيهَا عَنْ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى.

يُوضِّحُهُ الْوَجْهُ الرَّابِعُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْجَبَلَ مَعَ قُوَّتِهِ وَصَلَاتِيهِ لَا يَثْبُتُ لِلتَّجَلِّي فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَكَيْفَ بِالْبَشَرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ ضَعْفٍ؟.

**الخامس:** أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْجَبَلَ مُسْتَقَرًّا، وَذَلِكَ مُمَكِّنٌ، وَقَدْ

عَلَّقَ بِهِ الرُّؤْيَا، وَلَوْ كَانَتْ مُحَالًا لَكَانَ نَظِيرٌ أَنْ يَقُولَ: إِنْ اسْتَقَرَّ الْجَبَلُ فَسَوْفَ أَكُلُّ وَأَشْرَبُ وَأَنَا. وَالْكُلُّ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ.

**السادس:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَإِذَا جَازَ أَنْ يَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ، الَّذِي هُوَ جَمَادٌ لَا ثَوَابَ لَهُ وَلَا عِقَابَ، فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَجَلَّى لِرَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ؟ وَلَكِنْ اللَّهُ أَعْلَمُ مُوسَى أَنَّ الْجَبَلَ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ لِرُؤْيِيهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَالْبَشَرُ أَوْضَعُفٌ.

**السابع:** أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى وَنَادَاهُ وَنَاجَاهُ، وَمَنْ جَازَ عَلَيْهِ التَّكَلُّمُ وَالتَّكْلِيمُ وَأَنْ يُسْمِعَ مُحَاطَبُهُ كَلَامَهُ بِعَيْرٍ وَاسِطَةٍ، فَرُؤْيِيَةُ أَوْلَى بِالْجَوَازِ؛ وَلِهَذَا لَا يَنْبَغُ إِنْكَارُ رُؤْيِيهِ إِلَّا بِإِنْكَارِ كَلَامِهِ، وَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَهُمَا.

وَأَمَّا دَعْوَاهُمْ تَأْيِيدُ النَّفْيِ بِ(لَنْ) وَأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَا فِي الْآخِرَةِ؛ فَفَاسِدٌ، فَإِنَّهَا لَوْ قِيدَتْ بِالتَّأْيِيدِ لَا يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ النَّفْيِ فِي الْآخِرَةِ، فَكَيْفَ إِذَا أُطْلِقَتْ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَتَمَوَّهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَنَادَاؤُا بِمَلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزُّخْرُف: ٧٧]، وَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلتَّأْيِيدِ الْمُطْلَقِ لَمَا جَازَ تَحْدِيدُ الْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ أُنْبِجَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يُوسُف: ٨٠]، فَثَبَّتَ أَنَّ لَنْ لَا تَقْتَضِي النَّفْيَ الْمُؤَبَّدَ.

**قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ ابْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدًا ❀❀ فَقَوْلُهُ ارْذُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا  
انتهى.

**الشبهة الرابعة:** زعمهم أن الرؤية المراد بها العلم بالله.

**قال عثمان بن سعيد الدارمي (٥٢٨-٥٣٣):** وَاحْتِجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا فِي إِنْكَارِ الرُّؤْيَا بِحَدِيثِ رَوَاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ صَرَبَ الْعُزَّى بِالسَّيْفِ فَقَالَ لَهُ: "كُفْرَانِكَ، لَا

سُبْحَانَكَ، إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ".

**قَالَ الْمُعَارِضُ:** فَهَذِهِ رُؤْيَةٌ عِلْمٍ لَا رُؤْيَةٌ بَصَرٍ. قَالَ: يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَنَحْوِ مَا رَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي دُنْيَاهُ.

**قَالَ الْمُعَارِضُ:** وَفَسَّرَ قَوْمٌ أَنَّ الرُّؤْيَةَ لِلشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْعِلْمِ، كَمَا يُقَالُ: رَأَيْتُ الْخَلَّ شَدِيدَ الْحُمُوضَةِ، وَرَأَيْتُ الْعُودَ طَيِّبًا، يُرِيدُ رَائِحَتَهُ كَمَا قَالَ: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ [الفيل: ١]، وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يُدْرِكُ بِالرُّؤْيَةِ فَلَهُ قَلَّةٌ وَكَثْرَةٌ.

فَاللَّهُ الْمُتَعَالِي عَنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يُرَى بِدَلَالِيهِ وَأَثَارِ صُنْعِهِ، فَهِيَ شَوَاهِدٌ لَا الَّذِي يُعْرَفُ بِمَلَاقَةِ وَلَا بِمُشَاهَدَةِ حَاسَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَهَبَتِ الشُّكُوكُ وَعَرَفُوهُ عَيَانًا، لَا بِإِذْرَاكِ بَصَرٍ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الرُّوَايَاتُ فَهَا هُنَا رِوَايَاتٌ أَيْضًا مُعَارِضَةٌ، وَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ فَهَا هُنَا مَا يَحْتَمِلُ أَيْضًا.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا الرُّوَايَاتُ فَمَا نَرَاكَ تَحْتَجُّ فِي جَمِيعِ مَا تَدَّعِي إِلَّا بِكُلِّ أَعْرَجٍ مَكْسُورٍ، بِالتَّجْهِمِ مَشْهُورٍ، وَفِي أَهْلِ السُّنَّةِ مَغْمُورٌ، وَأَمَّا الْمَعْقُولُ الَّذِي تَدَّعِيهِ مِنْ كَلَامِكَ فَقَدْ أَبْنَأْنَاكَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجْهُولٌ، وَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، لَا يَخْفَى تَنَاقُضُهُ إِلَّا عَلَى كُلِّ جَهُولٍ.

### مذهب الأشاعرة في الرؤية

وذهب الأشاعرة إلى أن الله تعالى يرى لا في جهة.

**قال شيخ الإسلام كما في (المجموع) (٨٤-٨٩):** قَوْلُ هُوَ لَاءٍ: "إِنَّ اللَّهَ يُرَى مِنْ غَيْرِ مُعَايِنَةٍ وَمُوَاجَهَةٍ"، قَوْلٌ انْفَرَدُوا بِهِ دُونَ سَائِرِ طَوَائِفِ الْأُمَّةِ وَجُمْهُورِ الْعُقَلَاءِ عَلَى أَنَّ فَسَادَ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ.

وَالْأَخْبَارُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: «**إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ**»، وَقَوْلِهِ

لَمَّا سَأَلَهُ النَّاسُ: هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: نَعَمْ. «وَهَلْ تَرَوْنَ الْقَمَرَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟»، قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ»، فَشَبَّهَ الرَّؤْيِيَةَ بِالرُّؤْيِيَةِ وَلَمْ يُشَبِّهْ الْمَرْتَبِيَّ بِالْمَرْتَبِيِّ؛ فَإِنَّ الْكَافَ - حَرْفَ التَّشْبِيهِ - دَخَلَ عَلَى الرَّؤْيِيَةِ.

وَفِي لَفْظِ لِلْبُخَارِيِّ «يَرُونَهُ عِيَانًا»، وَمَعْلُومٌ أَنَّا نَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ عِيَانًا مُوَاجَهَةً فَيَجِبُ أَنْ نَرَاهُ كَذَلِكَ. وَأَمَّا رُؤْيِيَةٌ مَا لَا نُعَايِنُ وَلَا نُوَاجِهُهُ فَهَذِهِ غَيْرُ مُتَّصِرَةٍ فِي الْعَقْلِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ كَرُؤْيِيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَلِهَذَا صَارَ حُدُوفُهُمْ إِلَى إِنْكَارِ الرَّؤْيِيَةِ وَقَالُوا: قَوْلُنَا هُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي الْبَاطِنِ؛ فَإِنَّهُمْ فَسَّرُوا الرَّؤْيِيَةَ بِزِيَادَةِ انْكِشَافٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا نُنَازِعُ فِيهِ الْمُعْتَزَلَةَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الْخَبَرَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَرُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ وَقَوْلُهُ: «لَا تَضَامُونَ»، مَعْنَاهُ لَا تَضَمُّكُمْ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ فِي رُؤْيِيَتِهِ فَإِنَّهُ لَا فِي جِهَةٍ، فَهَذَا تَفْسِيرٌ لِلْحَدِيثِ بِمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ الْعِلْمِ؛ بَلْ هُوَ تَفْسِيرٌ مُنْكَرٌ عَقْلًا وَشَرْعًا وَلُغَةً. فَإِنَّ قَوْلَهُ «لَا تَضَامُونَ» يُرْوَى بِالَّتَخْفِيفِ، أَي: لَا يَلْحَقُكُمْ ضَيْمٌ فِي رُؤْيِيَتِهِ كَمَا يَلْحَقُ النَّاسَ عِنْدَ رُؤْيِيَةِ الشَّيْءِ الْحَسَنِ كَالِهَلَالِ فَإِنَّهُ قَدْ يَلْحَقُهُمْ ضَيْمٌ فِي طَلَبِ رُؤْيِيَتِهِ حِينَ يُرَى؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى تَجَلِّيًّا ظَاهِرًا فَيَرُونَهُ كَمَا تُرَى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِلَا ضَيْمٍ يَلْحَقُكُمْ فِي رُؤْيِيَتِهِ؛ وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ.

وَقِيلَ: «لَا تَضَامُونَ»، بِالتَّشْدِيدِ أَي: لَا يَنْضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ كَمَا يَتَضَامُ النَّاسُ عِنْدَ رُؤْيِيَةِ الشَّيْءِ الْخَفِيِّ كَالِهَلَالِ. وَكَذَلِكَ (تَضَارُونَ) وَ(تَضَارُونَ). فَإِنَّمَا أَنْ يُرْوَى بِالتَّشْدِيدِ وَيُقَالُ: «لَا تَضَامُونَ» أَي: لَا تَضَمُّكُمْ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ فَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ التَّضَامَ انْضِمَامٌ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ. فَهُوَ (تَفَاعُلٌ) كَالْتَّمَّاسِ وَالتَّرَادِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ يُرْوَى «لَا تَضَامُونَ» بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ أَي لَا يُضَامُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

وَبِكُلِّ حَالٍ فَهَوَ مِنْ (التَّضَامِّ) الَّذِي هُوَ مُضَامَةٌ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لَيْسَ هُوَ أَنْ شَيْئًا آخَرَ لَا يَضُمُّكُمْ، فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَا يُقَالُ فِيهِ: «لَا تَضَامُونَ» فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ "لَا يَضُمُّكُمْ شَيْءٌ".

ثُمَّ يُقَالُ: الرَّاءُونَ كُلُّهُمْ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ الْمَرْئِيَّ لَيْسَ فِي جِهَةٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: "لَا تَضُمُّكُمْ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ"، وَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى الْأَرْضِ أَرْضِ الْقِيَامَةِ أَوْ فِي الْجَنَّةِ وَكُلُّ ذَلِكَ جِهَةٌ وَوُجُودُهُمْ نَفْسُهُمْ لَا فِي جِهَةٍ وَمَكَانٍ مُمْتَنِعٍ حَسًّا وَعَقْلًا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: "هُوَ يُرَى لَا فِي جِهَةٍ فَكَذَلِكَ يَرَاهُ غَيْرُهُ"، فَهَذَا تَمْثِيلٌ بَاطِلٌ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَرَى بَدَنَهُ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرَى غَيْرَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِجِهَةٍ مِنْهُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَمَامَهُ سَوَاءً كَانَ عَالِيًا أَوْ سَافِلًا. وَقَدْ تُحْرَقُ لَهُ الْعَادَةُ فَيَرَى مَنْ خَلْفَهُ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِي»، وَفِي رِوَايَةٍ «مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي»، وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ «إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي»، وَفِي لَفْظٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ «إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَبْصُرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَبْصُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ»، لَكِنْ هُمْ بِجِهَةٍ مِنْهُ وَهُمْ خَلْفَهُ. فَكَيْفَ تُقَاسُ رُؤْيُهُ الرَّائِي لِغَيْرِهِ عَلَى رُؤْيِيهِ لِنَفْسِهِ؟

ثُمَّ تَشْبِيهُ رُؤْيِيهِ هُوَ بُرُؤْيَتِنَا نَحْنُ تَشْبِيهُ بَاطِلٌ. فَإِنَّ بَصَرَهُ يُحِيطُ بِمَا رَأَى بِخِلَافِ أَبْصَارِنَا. وَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَثْبَتُوا مَا لَا يُمَكِّنُ رُؤْيِيَهُ وَأَحْبَبُوا نَصَرَ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْحَدِيثِ فَجَمَعُوا بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ. فَإِنَّ مَا لَا يَكُونُ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ يَمْتَنِعُ أَنْ يَرَى بِالْعَيْنِ لَوْ كَانَ وَوُجُودُهُ فِي الْخَارِجِ مُمَكِّنًا فَكَيْفَ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ؟ وَإِنَّمَا يُقَدَّرُ فِي الْأَذْهَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَوُجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ الْبَاطِلِ. وَلِهَذَا فَسَّرُوا (الإِدْرَاكَ) بِالرُّؤْيِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ

الْأَبْصُرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، كَمَا فَسَّرْتَهَا الْمُعْتَزِلَةُ. ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ. اهـ

مسألة: هل رأى رسول الله ربه؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ

رَوَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١١-١٤].

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٧٧): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا اسْمَعِيلُ بْنُ

إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ؛ فَقَالَتْ: يَا

أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ: قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ،

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ

عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٣١﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ رَوَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾

[النجم: ١٣]، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ النَّبِيِّ خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُهُ

مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ

اللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾

[الأنعام: ١٠٣]، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ

مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾﴾

[الشورى: ٥١].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ

أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي

عَدِيٍّ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ

إِلَّا اللَّهُ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، أخرجه البخاري (٤٦١٢) بألفاظ متقاربة.

وعند مسلم (١٧٨): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»، وفي لفظ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، والنور الذي رآه هو حجاباه.

**قال شيخ الإسلام كما في (المجموع) (٥٠٧/٦-٥٠٨):** فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»: مَعْنَاهُ: كَانَ ثَمَّ نُورٌ وَحَالَ دُونَ رُؤْيِيهِ نُورٌ فَأَنَّى أَرَاهُ؟ قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: أَنَّ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»، وَقَدْ أُعْضِلَ أَمْرٌ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى صَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: «نُورًا إِنِّي أَرَاهُ»، عَلَى أَنَّهَا يَاءُ النَّسَبِ؛ وَالْكَلِمَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. وَهَذَا خَطَأٌ لَفْظًا وَمَعْنَى وَإِنَّمَا أَوْجِبَ لَهُمْ هَذَا الْإِشْكَالَ وَالْخَطَأَ أَنَّهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ وَكَانَ قَوْلُهُ: «أَنَّى أَرَاهُ؟»، كَالْإِنْكَارِ لِلرُّؤْيَةِ حَازُوا فِي الْحَدِيثِ، وَرَدَّهُ بَعْضُهُمْ بِاصْطِرَابِ لَفْظِهِ، وَكُلُّ هَذَا عُدُولٌ عَنْ مُوجِبِ الدَّلِيلِ.

وَقَدْ حَكَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ فِي كِتَابِ الرَّدِّ لَهُ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرِ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَبَعْضُهُمْ اسْتَسْنَى ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ ذَلِكَ.

**وَشَيْخُنَا يَقُولُ:** لَيْسَ ذَلِكَ بِخِلَافٍ فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَقُلْ رَأَهُ بِعَيْنِي رَأْسَهُ، وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ أَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ حَيْثُ قَالَ: إِنَّهُ رَأَاهُ؛ وَلَمْ يَقُلْ بِعَيْنِي رَأْسَهُ. وَلَفْظُ أَحْمَدَ كَلْفَظِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَ شَيْخُنَا فِي مَعْنَى حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ: «حِجَابُهُ النُّورُ»، فَهَذَا النُّورُ هُوَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - النُّورُ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: «رَأَيْتُ نُورًا». اهـ

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وكثيرًا أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من القرون مع أنهم أشد قوة وبطشًا وظلمًا من قريش كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَطَرْتَ مَعِيشَتَهُمْ فَمِنْكَ مَسَلِكُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا

قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ [القصص: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١]، وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الحج: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [الزخرف: ٨]، إلى غير ذلك من الآيات وتنوعت طرق إهلاكهم كما قال تعالى: ﴿فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ هم القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون، ويطلق على الأمة، وقيل: في القرن بأنه مئة سنة، وقيل غير ذلك، وفي صحيح ابن حبان: عن أبي أمامة: أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَبِيُّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُكَلَّمٌ»، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: «عَشْرَةُ قُرُونٍ».

وفي صحيح البخاري (٩٣٨/٢): عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُومُهُمْ».

قوله تعالى: ﴿بَطْشًا﴾ والبطش: تناول الشيء بسهولة ومن هؤلاء الذين هم أشد بطشًا من قريش عاد، وثمود، وفرعون وغيرهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِمْرَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٥﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿١﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَقْوَمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٩].

قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ النقب في الحائط والجلد كالثقب يقال نقب البيطار سرة الدابة بالمتقب وهو الذي ينقب به، والمتقب المكان الذي ينقب ونقب القوم ساروا، ونقب أفاده الراغب قال مجاهد في قوله: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [ق: ٣٦]: ضربوا في البلاد، ومعنى الآية: أنهم ساروا وتقلبوا فيها وطافوا بقاعها كما قال تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]، ومنه قول امرؤ القيس في معنى التطواف:

وقد نقبت في الآفاق حتى ❀❀ رضيت من الغنيمة بالإياب  
وذكر ابن جرير أن في قوله: ﴿فَنَقَّبُوا﴾ [ق: ٣٦]، قراءتين:

**الأولى:** المشهورة بالتشديد وفتح القاف على وجه الخبر عنهم، قال: وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ: ﴿فَنَقَّبُوا﴾ [ق: ٣٦]، بكسر القاف على وجه الأمر بمعنى التهديد والوعيد أي حلوا في البلاد وترددوا فيها فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم. اهـ والقراءة الأولى أشهر ومعناها أظهر، فقد أخبر الله **عَزَّجَلَّ** في آيات كثيرات عن مثل ذلك تحذيرًا للسامعين وبيانًا لقدرة الله **عَزَّجَلَّ**، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَر مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الروم: ٩].

قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ أي: هي من منجى كما قال ابن زيد، وقال ابن قتيبة: أي هل يجدون من الموت محيصًا فلم يجدوا ذلك، والمعنى أنه لا مفر لهم من قضاء الله **عَزَّجَلَّ** وقدره لَمَّا كذبوا الرسل واعرضوا عن دعوتهم ولا مفر وكما قيل:

أيمن المفر والإله الطالبُ ❀❀ والأشرم المغلوب ليس الغالبُ  
فلا مفر من الله **عَزَّجَلَّ** إلا إليه فإنه لا عاصم من بطشه ونقمته، وكما قال: ﴿وَكُرِّ

أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ بَطْرَتٍ مَعِيشَتَهَا فِتْلَكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُشْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا  
وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ [القصص: ٥٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما تقدم من الآيات العظيمة ومنها ما قص الله من إهلاك الأمم السابقة.

قوله تعالى: ﴿لَذِكْرَى﴾ أي: تذكره وموعظة.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: فهم وعقل، قال ابن زيد: قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي عذب الله بها من عصاه من الأمم، ذكره ابن جرير وقال: والقلب في هذا الموضع العقل وهو من قولهم ما لفلان قلب وما قلبه معه، وأين ذهب قلبك يعني: أين ذهب عقلك. اهـ  
وقال قتادة: يعني بذلك القلب الحي.

والعقل في القلب كما قال تعالى: ﴿أَقَلَّمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦].

وقال بعضهم: في الدماغ والصحيح أنه في القلب وبين الدماغ والقلب تعلق.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣٠٣/٩): وأما قوله: أين مسكن العقل فيه؟ فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى: ﴿أَقَلَّمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول.

لكن لفظ: [القلب] قد يُراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقة سوداء، كما في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه،

كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك، ومنه سمي القلب قليباً؛ لأنه أخرج قلبه وهو باطنه، وعلى هذا، فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماعه أيضاً؛ ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ.

**والتحقيق:** أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب.

والعقل يراد به: العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً، فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح، وهذا مقدار ما وسعته هذه الأوراق، والله أعلم. " اهـ

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۗ﴾ ﴿٣٧﴾ أي: استمع الكلام فوعاه وعقله قلبه وتفهمه له، كما يقال: ألقى سمعك أي: استمع.

**قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ:** والمعنى أنه ألقى السمع إلى ما يُتلى عليه من الوحي الحالي لما جرى على تلك الأمم. اهـ

قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ۗ﴾ ﴿٣٧﴾ أي: حاضر القلب والفهم؛ لأن من لم يفهم في حكم الغائب وسبب عدم فهمهم المرض الذي في قلوبهم، قال **عَرَبَجَلٌ:** ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَنَئًا إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ﴾ ﴿١٦﴾ [محمد: ١٦].

**قال الراغب في مفرداته:** الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقول للحضور مفرداً.

فدلت الآية على أن الانتفاع بالتذكير لمن جمع ما تقدم كان حاضر القلب

والسمع، أسأل الله أن يجعلنا منهم، وقد قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ١٣١﴾ [يونس: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]، فدل ذلك على أنه لا يتنفع بوحى الله **عَزَّجَلَّ** إلا من حضر قلبه وأوعى سمعه وكان قبل ذلك موفقاً من الله تعالى.

وهذا مثل عظيم لحال المؤمن مع خبر الله **عَزَّجَلَّ** وخبر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عن المغيبات فيعتقدونها ويؤمنون بها كأنها رأي العين، وسبب ذلك انتفاعهم بالذكرى وحضور قلوبهم عند سماعها تصديق خبرها، وبيان ذلك أن الله **عَزَّجَلَّ** أخبر عن نفسه أنه أصدق قيلاً فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ١٣٢﴾ [النساء: ١٣٢]، وأحسن حديثاً: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧]، وكلامه بين واضح كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ٣].

فمثل هذه الأخبار في حكم المشاهدة بل أعظم من ذلك، وقد أمتدح الله **عَزَّجَلَّ** أهل الإيمان بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، ويدخل في ذلك الإيمان بالأسماء والصفات والإيمان باليوم الآخر والحمد لله الذي وفق من شاء من خلقه لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ٢٨﴾ يذكر الله تعالى أنه خلق السموات العالية والعظيمة، والأرض الواسعة الكبيرة في ستة أيام وهذا بيان لكمال قدرته وقوته وأنه لا يعجزه شيء في السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

وهذه الآية تدل على أن مدة خلق السموات والأرض ستة أيام مع غيرها من الآيات إلا أن بعضهم أستشكلوا قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنٍ وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُمْ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ

فَوْقَهَا وَبَدْرِكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ  
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾  
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّتْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ  
وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فصلت: ٩-١٢]

وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، كما قال في آية السجدة:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا  
لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة: ٤]، فهاتان الآيتان دالتان  
على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما نقله  
ابن جرير عن قتادة: أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك  
القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم السَّمَاءُ بَدَأَتْهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا  
فَسَوَّيْنَاهَا ﴿١٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا  
وَمَرْعَهَا ﴿٢١﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٣١]، قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض.

وفي صحيح البخاري (١): أن ابن عباس سُئِلَ عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض  
خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير  
واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً، وقد قررنا ذلك في تفسير سورة النازعات،  
وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا  
وَمَرْعَهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا ﴿٢٢﴾﴾ [النازعات: ٣٠-٣٤] ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعاً  
فيها بالقوة إلى الفعل لما اكتملت صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد  
ذلك الأرض، فأخرجت ما كان مودعاً فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف  
أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من  
الكواكب الثوابت والسيارة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه

مسلم والنسائي في التفسير - أيضًا - من رواية ابن جريج قال: أخبرني اسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** بيدي فقال: «**خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْحَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**».

وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعًا، وقد حرر ذلك البيهقي. اهـ

**فالشاهد:** أن مجموع خلق السموات والأرض ستة أيا فقط، ثم إن الله **عزَّ وجلَّ** فعل ذلك لحكمة وإلا لو أراد أن يوجد ههما بقوله كن لكانتا، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢]، وكما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾ [القمر: ٥٠].

قوله ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ [يس: ٣٨] يقول: وما مسنا من تعب، ولا نصب، ولا إعياء، وسائمة، ولا إزحاف، ولا عناء وكلها ألفاظ تدل على معنى واحد وهو أن الله **عزَّ وجلَّ** لكمال قوته وقدرته خلق السموات والأرض ولم يلحقه من ذلك شيء كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ**﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وهذه من الصفات المنفية التي تقدم بيان القول فيها، وأنه لا بد أن يثبت لله **عزَّ وجلَّ** منها كمال الضد وأتى بالصفة السلبية هنا لدفع توهم نقيص في حق الله.

وذكر ابن جرير **رحمة الله** عن قتادة في ذلك فقال: أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفري على الله، وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام،

ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فكذبهم الله **عَزَّجَلَّ** وقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۗ﴾ [ق: ٣٨].

وكل ما ذكره الله **عَزَّجَلَّ** مما تقدم من قدرته على خلق هذه الآيات العظيمة والتصرف فيها لبيان قدرته على البعث بعد الموت حجة على الكافرين والمعاندين.

ونفى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** اللغوب؛ لكمال قوته، وهكذا والأصل وصف الله **عَزَّجَلَّ** بالإثبات والنفي إنما يذكر لبيان عموم كماله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أو لدفع ما دعاه في حقه المبطلون كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، أو لدفع توهم نقص كمال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۗ﴾ [ق: ٣٨]، والألفاظ في باب الأسماء والصفات ثلاثة:

**الأول:** ما اثبتته الله ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أثبتناه.

**الثاني:** ما نفاه الله **عَزَّجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نفينا مع إثبات كمال ضده.

**الثالث:** ما لم يذكر في الكتاب والسنة نفيًا ولا إثباتًا لا نثبتته ولا نفيه ولكن يتوقف في اللفظ ويستفصل عن المعاني.

وقد وضح الشنقيطي في كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، الآية، هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بدليل لفظية، ثم التي هي للترتيب والانفصال، وكذلك آية حم السجدة تدل أيضًا على خلق الأرض قبل خلق السماء؛ لأنه قال فيها: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]. إلى أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، الآية، مع آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَدَّلَهَا

﴿٢٧﴾ [النازعات:٢٧]، قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾ [النازعات:٣٠].

**واعلم أولاً:** أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النازعات فأجاب: بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعاً في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك، فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء، ويدل لهذا أنه قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

﴿٣٠﴾ [النازعات:٣٠]، ولم يقل خلقها، ثم فسر دحوه إياها بقوله: ﴿أَفْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

وَمَرَعَهَا﴾ ﴿٣١﴾ [النازعات:٣١]، وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين

واضح لا إشكال فيه، مفهوم من ظاهر القرآن العظيم إلا أنه يرد عليه إشكال من آية البقرة هذه وإيضاحه: أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بما فيها بعد خلق السماء، وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩]، وقد مكثت زمناً طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال

حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم، وإيضاحه: أن هذا الإشكال مرفوع من وجهين كل منهما تدل عليه آية من القرآن:

**الأول:** إن المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمي التقدير خلقاً ومنه قول زهير:

وَلَأَنْتَ تَفْرَى مَا خَلَقْتَ ❀❀ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرَى

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير: أنه تعالى نصّ على ذلك في سورة

فصلت حيث قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا﴾ [فصلت:١٠]، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى

السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَّانٌ ﴿١٠﴾ [فصلت: ١٠].

**الوجه الثاني:** أنه لما خلق الأرض غير مدحوه وهي أصل لكل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً، والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع وإن لم يكن موجوداً بالفعل، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [الأعراف: ١١]. فقوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم هو أصلكم.

وجمع بعض العلماء بأن معنى قوله: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، أي: مع ذلك فلفظة بعد بمعنى مع ونظيره قوله تعالى: ﴿عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبِرٌ﴾ [القلم: ١٣]، وعليه فلا إشكال في الآية، ويستأنس لهذا القول بالقراءة الشاذة وبها قرأ مجاهد: (الأرض مع ذلك دحاها)، وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة؛ لأنها مبنية على أن خلق السماء قبل الأرض وهو خلاف التحقيق منها: أن (ثم) بمعنى الواو. منها: أنها للترتيب الذكري كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧]، فما كان منها موافقاً للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح قبل وما لا فلا وبالله التوفيق.

وفي ذلك بيان لسعة رحمة الله عز وجل وأنه لا يعذب إلا من وجب عليه العذاب، ومع ذلك صاحب الكبيرة فيما دون الشرك تحت المشيئة إن شاء الله عز وجل عفا عنه وإن شاء عذبه.

قال السفاريني رحمه الله:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الْخَطَا ❀❀ فَاَمْرُهُ مَفْوَّضٌ لِّذِي الْعَطَا  
فَإِنْ يَشَأْ يَعْفُ وَإِنْ شَاءَ أَنْتَقِمَ ❀❀ وَإِنْ يَشَأْ أَعْطَى وَأَجْزَلَ النَّعْمِ  
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:

١١٦]، ويدخل في ذلك: الشرك الأصغر والأكبر ما بينته في شرحي على كتاب التوحيد.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مصبراً له على قولهم وتكذيبهم وإعراضهم: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٣٠]، وهذا كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَبْشُرُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

والصبر أنواع وكله مأمور به:

الأول: صبر على طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

الثاني: الصبر على أقدار الله **عَزَّوَجَلَّ**.

الثالث: صبر عن نواهي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان متحلياً بالأنواع الثلاثة على أتم وجه عرف ذلك كل من له أقل المطالعة في سيرته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ففي الصحيح: عن عبد الله قال: كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَهُوَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرْبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسُحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

وعنه قال: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»، وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ويدخل في ذلك: الصبر على الحكم الكوني والشرعي، وإذا كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مأمور بالصبر فالأمر له أمر لأُمَّته.

وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٩]، ذكر القول لأن الأذية به أكثر من غيرها، فقد قالوا في رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ساحر، وكذاب، ومجنون، وأنه جاء بأساطير الأولين وغير ذلك مما ذكره حتى قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٧٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩].

وواساه الله **عَزَّوَجَلَّ** بحال من قبله من الرسل حيث قال: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٦﴾ أَنْوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات:

[٥٣-٥٢]

وأمره تعالى بالصبر على مجالسة المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وفي المقابل هجر المخالفين للرسل فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠]، والكلام في هذا يطول.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ﴾ التسييح: تنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأصله المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر فقليل أبعده الله وجعل التسييح عامًا في العبادات قولًا كان أو فعلًا أو نية أفاده الراغب.

والمتمائل لكتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** وسنه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يجد كثرة ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** بالحمد والتسييح؛ وذلك أن الحمد يتضمن إثبات كل كمال لله **عَزَّوَجَلَّ** ويستلزم نفي جميع النقائص عن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

كما أن التسييح يتضمن نفي جميع النقائص عن الله **عَزَّوَجَلَّ** ويستلزم إثبات جميع المحامد لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [٣٦] والمراد بها صلاة الفجر وصلاة العصر، وروى هذا القول الطبري عن قتادة وابن زيد ويدل عليه الأحاديث النبوية، ففي الصحيحين من حديث جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثم قرأ:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:** وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجباً على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وعلى أمته حوالاً ثم نسخ في حق الأمة وجوبه. ثم بعد ذلك نسخ الله ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر، فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. اهـ

وذكرهما الله كونهما أفضل الصلوات، قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:** «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:** «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال ابن زيد العتمة: قلت صلاة العشاء وربما دخلت فيه صلاة المغرب بالازم فإنها إحدى صلاتي الليل، وقال مجاهد: (من الليل كله)، واختار ابن جرير **رَحِمَهُ اللهُ** أنه أمر بصلاة المغرب والعشاء؛ لأنهما يصليان ليلاً وهذا كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، فهي شاملة لجميع أوقات الصلاة، وكقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلشُّجُودِ ﴿١٥﴾﴾ اختلف العلماء في ذلك إلى ثلاثة أقوال ذكرها الطبري:

**الأول:** أنها النوافل بعد المكتوبات.

**الثاني:** أنها الذكر بعد المكتوبات.

**الثالث:** أنها الركعتان بعد المكتوبة.

واختار ابن جرير أنهما الركعتان بعد المغرب قال: لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما

قاله ابن زيد؛ لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عم أدبار الصلوات كلها. اهـ

واختار ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** التسييح بعد الصلاة قال: ويؤيد هذا لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَفَلَا أَعَلَّمَكُمُ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتُحْمَدُونَ، دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً»، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

\* **قلت:** والآية عامة فتشمل التسييح بالقول والفعل، واختار هذا القول ابن عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى، وقد كان السلف يطلقون على النافلة سبحة كما قال ابن عمر: (لو كنت مسبحًا لأتممت)، وفي حديث أنس: (كانوا يصلون سبحة الضحى).

فتضمنت الآية الإشارة إلى أوقات الصلوات المكتوبات، وكذلك فضل ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** وحمده وشكره في جميع الأوقات، كما أن فيها أن ملازمة طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** من أسباب الظفر على الاعداء كما أنها من أسباب الصبر على الشدة والبلاء.

عُرف ذلك من السياقة، وفيه من الفوائد عدم المبالاة بأعراض المعرضين وجهل الجاهلين بل الإقبال على عبادة رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وفيها أن المؤمنين ينبغي أن يملئ وقتهم بالطاعات والذكر فيجعل في مجالسه من ذكر الله نصيبًا وفي طريقه وفي جميع أوقاته كما قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ

فَسَبِّحْهُ وَإِذْبَرَ النَّجْمَ ﴿٤٩﴾ [الطور: ٤٩-٤٨]، وكما قال تعالى: ﴿هُسْبِنَ اللَّهُ حِينَ نُمُوتَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٨-١٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١].

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعِ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** واستمع ما يوحى إليك من أحوال القيامة، وقاله بلفظ الأمر تحقيقاً لوقوعه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ أي: يوم الصيحة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَيَلْقَوْنَ إِلَىٰ آخِافٍ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْتِنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ [غافر: ٣٢].

قوله: ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ ذكر المفسرون أنه يُنادى بهذه الصيحة من صخرة بيت المقدس ولم أر مرفوعاً في ذلك روى ابن جرير هذا القول عن كعب الأحبار وقتادة وبريدة، وفيه مبهم فلعل ذلك والله أعلم من الإسرائيليات، ولعله لقرب الصوت ووضحه يضمن كل واحد أنه من قربه كما في الحديث فينادي بصوت يسمعه من قرب والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: نفخه الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثر الناس به يمترون، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «وَأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ»، وقد تقدم أنها صيحتان صيحة الصعق وصيحة البعث والله أعلم.

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** - « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ »، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ أَيْبُتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ: أَيْبُتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْبُتُ، «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ

كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»، قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبُلُّ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ [٤٢] أي: من القبور إلى عرصات القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [٤٢] [المعارج:

٤٣]، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مُخْشَرُونَ حُفَاةَ، عُرَاةَ، غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْتَنَا إِنَّا كُنَّا فَعْلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِتْرَاهِيمَ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِيْمُهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيْسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١٧٧] إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨].»

وفي الصحيحين: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُخْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرْلًا»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَمْتَهُمْ ذَلِكَ».

وفي سنن الترمذي: عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «إِنَّكُمْ مُخْشَرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَتُجْرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِكُمْ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [٤٢]، إخبار من الله عز وجل أنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق برها وفاجرها، قويا وضعيفها قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعُشَرُ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَلَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الانعام: ١٢٨]، وقال

تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۗ﴾ [الكهف: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْفُقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ﴾ أي: تنشق الأرض وينبتون كما ينبت البقل، وقد تقدم حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وفيه بيان ذلك.

قوله تعالى: ﴿سِرَاعًا﴾ أي: مسرعين والسرعة ضد البطء وسرعتهم هذه إلى الداع والمنادي كما قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۗ﴾ [القمر: ٨]

قوله: ﴿ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۗ﴾ أي: أعادتهم وجمعهم وحشرهم لدينا يسير كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۗ﴾ [الصفات: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۗ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۗ﴾ [يس: ٥٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۗ﴾ [القمر: ٥٠]

وقال تعالى: ﴿تَا خَلْقِكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، فمال هؤلاء الكفار لا يفهمون حديثًا.

قوله تعالى: ﴿تَحٰنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: نحن أعلم بما يقول هؤلاء الكفار من فريتهم على الله عز وجل وتكذيبهم بآياته، وإنكارهم لقدرته على إحياء الموتى، فالله عز وجل لا تخفى عليه خافية، ومع ذلك لا يعاجل بالعقوبة، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، أخرجه مسلم، بل يصبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتجري الأمور على مقتضى حكمته، ففي الحديث: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عز وجل»، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّتَةٍ ۗ﴾ [فاطر: ٤٥]، وهذا كالتسلية لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث يقول الله له: لا تحزن فنحن أعلم بما يقولون ويفعلون.

قال الشنقيطي في دفع أيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾

بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ هذه الآية تدل على خصوص التذكير بالقرآن بمن يخاف وعيد، وقد جاءت آخر تدل على عمومه كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥١﴾﴾ [الغاشية: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿٥٣﴾﴾ [طه: ١١٣]، والجواب: أن التذكير بالقرآن عام إلا أنه لما كان المنتفع به من يخاف وعيد الله صار كأنه مختص به كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]، كما تقدم نظيره مرارًا.

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨]، هذه الآية تدل بظاهرها على أن البيان خاص بالموقنين.

وقد جاءت آيات آخر تدل على أن البيان عام لجميع الناس كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وكقوله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ووجه الجمع أن البيان عام لجميع الخلق، إلا أنه لما كان الانتفاع به خاصًا بالمتقين خص في هذه الآية بهم؛ لأن ما لا نفع فيه كالعدم.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات: ٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [يس: ١١]، مع أنه منذر للأسود والأحمر، وإنما خص الإنذار بمن يخشى ومن يتبع الذكر؛ لأنه المنتفع به.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، يتوهم منه الجاهل أن إنذاره صلى الله عليه وعلى آله وسلم مخصوص بأم القرى وما يقرب منها دون الأقطار النائية عنها لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، ونظيره قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

وقد جاءت آيات أخر تصرّح بعموم إنذاره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** لجميع الناس كقوله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ ﴿١﴾ [الفرقان:١]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [الأنعام:١٩]، وقوله: ﴿**قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾ [سبأ:٢٨]، والجواب من وجهين:

**الأول:** أن المراد بقوله: ﴿**وَمَنْ حَوَّلَهَا**﴾ [الأنعام:٩٢]، شامل لجميع الأرض كما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس.

**الوجه الثاني:** أنا لو سلمنا تسليماً جديلاً أن قوله: ﴿**وَمَنْ حَوَّلَهَا**﴾ [الأنعام:٩٢]، لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة - حرسها الله - كجزيرة العرب مثلاً فإن الآيات الأخر نصت على العموم كقوله: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ ﴿١﴾ [الفرقان:١]، وذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخصصه عند عامة العلماء، ولم يخالف فيه إلا أبو ثور، وقد قدمنا ذلك واضحاً بأدلته في سورة المائدة، فالآية على هذا القول كقوله: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ ﴿١٦﴾ [الشعراء:٢١٤]، فإنه لا يدل على عدم إنذار غيرهم كما هو واضح والعلم عند الله تعالى.

ظاهرها خصوص الإنذار بالمتفاعلين به ونظيرها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا**﴾ ﴿٤٥﴾ [النازعات:٤٥]، وقد جاءت آيات أخر تدل على عموم الإنذار كقوله: ﴿**وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا**﴾ ﴿٧﴾ [مريم:٩٧]، وقوله: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ ﴿١﴾ [الفرقان:١]، وقوله: ﴿**فَأَنْذِرْكُمْ نَارًا تَأْكُلُ**﴾ ﴿١٦﴾ [الليل:١٦]، وقد قدمنا وجه الجمع بأن الإنذار في الحقيقة عام وإنما خص في بعض الآيات بالمؤمنين؛ لبيان أنهم هم المتفاعلون به دون غيرهم كما قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ ﴿٥٥﴾ [الذاريات:٥٥].

وبين أن الإنذار وعدمه سواء بالنسبة إلى إيمان الأشقياء بقوله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**﴾

﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ [البقرة: ٦]. اهـ

قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمسلط ولست بذئ جبروت فتجبرهم على الإسلام وإنما عليك البلاغ كما قال تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ [سورة الغاشية: ٢١-٢٢]، وكما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١﴾ [يونس: ٩٩].  
ففي الآية تسليية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لما حصل من تعنت الكافرين وإعراضهم كما أن فيها وعيد لهؤلاء المعرضين المكذبين إذ أن الله مطلع عليهم وسيجازيهم على أعمالهم.

قوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: بلغ رسالة ربك التي أنزلها عليك وهي القرآن.

قوله: ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: الذي يخاف وعيدي لمن عصاني بالعذاب.

وذكر ابن كثير أن قتادة كان يقول: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك، وفيها بيان من الله عزَّوَجَلَّ أنه لا ينتفع بالمواعظ والذكرى إلا من كان أهلاً لذلك كما قال ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]، بينما غيرهم لا ينتفعون كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس: ١٠١]، بل كلما زادت آيات الله إليهم زادوا بعداً وشكاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نُّظِرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرْتَدُّ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [التوبة: ١٢٧].

قال بن القيم في الفوائد (٣-١٤): قاعده جليلة: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألف سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك، على لسان رسوله، قال تعال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

**لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾** [ق:٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتقاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه، وادله على المراد.

فقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرِي** ﴾ [ق:٣٧]، إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿ **لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾ [ق:٣٧]، فهذا هو المثل القابل، والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٦﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا** ﴾ [يس:٦٩-٧٠]. أي: حي القلب.

وقوله: ﴿ **أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ** ﴾ أي: وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام.

وقوله: ﴿ **وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾** ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب.

**قال ابن قتيبة:** استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه".

وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب، وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووحد الشرط وهو الإصغاء، وانتقى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكّر.

فان قيل: إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه، فما وجه دخول أداة "أو" في قوله: ﴿ **أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ** ﴾ ، والموضع موضع واو الجمع لا موضع "أو" التي هي لأحد الشيين.

**قيل:** هذا سؤال جيد والجواب عنه أن يقال: خرج الكلام ب "أو" باعتبار حال

المخاطب المدعو، فان من الناس من يكون حي القلب واعيه، تام الفطرة، فاذا فكّر بقلبه، وجال بفكره، دلّه قلبه وعقله على صحّة القرآن، وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نورًا على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قيل فيهم: ﴿وَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]، وقال في حقهم: ﴿\* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

فهذا نور الفطرة على نور الوحي، وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي.  
**قال ابن القيم:** وقد ذكرنا ما تضمّنت هذه الآية من الأسرار والعبر في كتاب "اجتماع الجيوش الاسلامية لغزو المعطلة والجهمية" ص (٧-٨)، فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن، فيجدها كأنها قد كتبي فيه، فهو يقرأها عن ظهر قلب، ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد، واعى القلب، كامل الحياة، فيحتاج الى شاهد يميّز له بين الحق والباطن، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وذكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الواعي الحي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام، وقلبه لتأمّله، والتفكر فيه، وتعقل معانيه، فيعلم حينئذ أنه الحق:

**فالأول:** حال من رأى بعينه ما دعا إليه وأخبر به.

**والثاني:** من علم صدق المخبر وتيقّنه، وقال يكفيني خبره، فهو في مقام الايمان، والأوّل من مقام الاحسان، وهذا قد وصل الى علم اليقين، وترق قلبه منه الى منزلة عين اليقين، وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الاسلام.  
**فعين اليقين نوعان:** نوع في الدنيا، ونوع في الآخرة، فالحاصل في الدنيا نسبته الى القلب كنسبة الشاهد الى العين، وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة

بالأبصار، وفي الدنيا بالبصائر، فهو عين اليقين في المرتبتين.

### سورة (ق) جامعة لأصول الايمان:

وقد جمعت هذه السورة من أصول الإيمان ما يكفي ويشفي، ويغني عن كلام أهل الكلام، ومعقول أهل المعقول، فإنها تضمّنت تقرير المبدأ، والمعاد، والتوحيد، والنبوة، والايمان بالملائكة، وانقسام الناس الى هالك شقي، وفائز سعيد، وأوصاف هؤلاء وهؤلاء.

وتضمّنت إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه عما يضاد كماله من النقائص والعيوب، وذكر فيها القيامتان الكبر والصغرى، والعالمين: الأكبر، وهو عالم الآخرة، والأصغر وهو عالم الدنيا.

وذكر فيها خلق الإنسان ووفاته وإعادته، وإحاطته سبحانه به من كل وجه، حتى علم بوساوس نفسه، وإقامة الحفظة عليه، يحصون عليه كل لفظة يتكلم بها، وأنه يوافيه يوم القيامة، ومعه سائق يسوقه اليه، وشاهد يشهد عليه، فاذا أحضره الشاهد قال: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ [ق:٢٣]، أي: هذا الذي أمرت بإحضاره قد أحضرته، فيقال عند احضاره: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِي﴾ [ق:٢٤]، كما يحضر الجاني الى حضرة السلطان فيقال: هذا فلان قد أحضرته، فيقول: اذهبوا به الى السجن وعاقبوه بما يستحقّه.

وتأمل كيف دلّت السورة صريحًا على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** يعيد هذا الجسد بعينه الذي أطاع وعصى، فينعمه ويعذّبه، كما ينعم الروح التي آمنت بعينها، ويعذّب التي كفرت بعينها، لا أنه سبحانه يخلق روحًا أخرى غير هذه فينعمها ويعذّبها، كما قال: من لم يعرف المعاد الذي أخبرت به الرسل، حيث زعم أن الله سبحانه يخلق بدنا غير هذا البدن من كل وجه عليه يقع النعيم والعذاب، والروح عندهم عرض من أعراض البدن، فيخلق روحًا غير هذه الروح، وبدنا غير هذا البدن وهذا غير ما اتفقت عليه

الرسول وذلك عليه القرآن والسنة وسائر كتب الله تعالى.

وهذا في الحقيقة إنكار للمعاد وموافقة لقول من أنكره من المكذبين، فإنهم لم ينكروا قدرة الله على خلق أجسام غير هذه الأجسام يعذبها وينعمها، كيف وهم يشهدون النوع الإنساني يخلق شيئاً بعد شيء! فكل وقت يخلق الله سبحانه أرواحاً وأجساماً غير الأجسام التي فنيته، فكيف يتعجبون من شيء يشاهدونه عياناً؟ وإنما تعجبوا بعودتهم بأعيانهم بعد أن مزقهم البلى وصاروا عظاماً ورفاتاً، فتعجبوا أن يكونوا هم بأعيانهم مبعوثين للجزاء، لهذا قالوا: ﴿أَوَلَا مِمَّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوَّلًا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وقالوا: ﴿ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

ولو كان الجزاء إنما هو لأجسام غير هذه، لم يكن ذلك بعثاً ولا رجعاً، بل يكون ابتداء، ولم يكن لقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]، كبير معنى، فإنه سبحانه جعل هذا جواباً لسؤال مقدر، وهو: أنه يميز تلك الأجزاء التي اختلطت بالأرض واستحالت إلى العناصر بحيث لا تتميز، فأخبر سبحانه بأنه قد علم ما تنقصه الأرض من لحومهم وعظامهم وأشعارهم، وأنه كما هو عالم بتلك الأجزاء، فهو قادر على تحصيلها وجمعها بعد تفرّقها وتأليفها خلقاً جديداً، وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه، وكمال قدرته، وكمال حكمته، فان شبه المنكرين له كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:

**أحدها:** اختلاط أجزاءهم بالأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معه تمييز شخص عن شخص آخر.

**الثاني:** أن القدرة لا تتعلق بذلك.

**الثالث:** أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو أن الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئاً بعد شيء، هكذا بدأ، كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحييه فلا حكمة في ذلك.

## براهين المعاد في القرآن مبنية على أصول ثلاث:

**أحدها:** تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، وقال: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦-٨٧]، وقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤].

**والثاني:** تقرير كمال قدرته كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٧﴾﴾ [يس: ٨١]، وقوله: ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: ٤]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: ٦].

ويجمع سبحانه بين الأمرين كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٧﴾﴾ [يس: ٨١].

**الثالث:** كمال حكمته كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦-١١٧]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجهه، وأنه منزّه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنواقص.

ثم أخبر سبحانه أن المنكرين لذلك لما كذبوا بالحق اختلط عليهم أمرهم: ﴿فَهَمْ فِي أَمْرِ مَرْجٍ﴾ [ق:٥]، مختلط لا يحصلون منه على شيء.

ثم دعاهم إلى النظر في العالم العلوي وبنائه وارتفاعه واستوائه وحسنه والثمامه، ثم إلى العالم السفلي وهو الأرض، وكيف بسطها وهيأها بالبسط لما يراد منها وثبتها بالجبال وأودع فيها المنافع وأنبت فيها من كل صنف حسن من أصناف النبات على اختلاف أشكاله وألوانه ومقاديره ومنافعه وصفاته، وأن ذلك تبصرة إذا تأملها العبد المنيب وتبصر بها تذكر ما دلت عليه مما أخبرت به الرسل من التوحيد والمعاد، فالناظر فيها يتبصر أولاً، ثم يتذكر ثانياً، وأن هذا لا يحصل إلا لعبد منيب إلى الله بقلبه وجوارحه.

ثم دعاهم إلى التفكير في مادة أرزاقهم، وأقواتهم، وملابسهم، ومركبهم، وجناتهم وهو الماء الذي أنزله من السماء وبارك فيه، حتى أنبتت به جنات مختلفة الثمار والفواكه، ما بين أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وبين ذلك مع اختلاف منافعها وتنوع أجناسها، وأنبتت به الحبوب كلها على تنوعها واختلاف منافعها وصفاتها وأشكالها ومقاديرها.

ثم أفرد النخل لما فيه من موضع العبرة والدلالة التي لا تخفى على المتأمل: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:١٦٤]، ثم قال: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق:١٨]، أي: مثل هذا الإخراج من الأرض الفواكه، والثمار، والأقوات، والحبوب: خروجكم من الأرض بعد ما غيبتم فيها.

وقد ذكرنا هذا القياس وأمثاله من المقاييس الواقعة في القرآن في كتابنا "المعالم" أنظر أعلام الموقعين عن رب العالمين. بينا ما فيها من الأسرار والعبر.

ثم انتقل سبحانه إلى تقرير النبوة بأحسن تقرير، وأوجز لفظ، وأبعده عن كل شبهة وشك، فأخبر أنه أرسل إلى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم فرعون

رسلاً فكذبوهم، فأهلكهم بأنواع الهلاك، وصدق فيهم وعيده الذي أوعدهم به رسله إن لم يؤمنوا، وهذا تقرير لنبوّة من أخبر بذلك عنهم، من غير أن يتعلّم من معلّم ولا قرأ في كتاب، بل أخبر به أخباراً مفصّلاً مطابقاً لما عند أهل الكتاب.

ولا يرد على هذا إلا سؤال البهت والمكابرة على جحد الضروريات، بأنه لم يكن شيء من ذلك، أو أن حوادث الدهر ونكباته أصابتهم كما أصابت غيرهم، وصاحب هذا السؤال يُعلمن نفسه أنه باهت مباهت جاحد لما شهد به العيان، وتناقضته القرون قرناً بعد قرن، فإنكاره بمنزلة إنكار وجود المشهورين من الملوك والعلماء والبلاد النائية.

ثم عاد سبحانه إلى إقرار المعاد بقوله: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق:١٥]، يقال لكل من عجز عن شيء: عيي به فلان بهذا الأمر، قال الشاعر:

عَيَّوْا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِيضَتِهَا الْحَمَامَةُ  
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ﴾ [الأحقاف:٣٣]، قال ابن عباس: يريد أفعجزنا، وكذلك قال مقاتل.

**قلت:** هذا تفسير بلازم اللفظة، وحقيقتها أعم من ذلك، فإن العرب تقول: أعياني أن أعرف كذا وعييت به إذا لم تهتد لوجهه ولم تقدر على معرفته وتحصيله فتقول: أعياني دواؤك إذا لم تهتد له، ولم تقف عليه، ولازم هذا المعنى العجز عنه، والبيت الذي استشهدوا به شاهد لهذا المعنى، فإن الحمامة لم تعجز عن بيضتها، ولكن أعيائها إذا أرادت أن تبيض أين ترمي بالبيضة، فهي تدور وتجول حتى ترمي بها، فإذا باضت أعيائها أين تحفظها وتودعها حتى لا تُتال، فهي تنقلها من مكان إلى مكان وتحار أين تجعل مقرّها، كما هو حال من وعى بأمره فلم يدر من أين يقصد له ومن أين يأتيه، وليس المراد بالإعياء في هذه الآية التعب، كما يظنّه من لم يعرف تفسير القرآن، بل هذا المعنى هو الذي نفاه سبحانه عن نفسه في آخر السورة بقوله: ﴿وَمَا

**مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٧٨﴾** [ق:٣٨].

ثم أخبر سبحانه أنهم: ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق:١٥]، أي: أنهم التبس عليهم إعادة الخلق خلقًا جديدًا، ثم نبههم على ما هو أعظم آيات قدرته وشواهد ربوبيته وأدلة المعاد وهو خلق الإنسان، فانه من أعظم الأدلة على التوحيد والمعاد. وأي دليل أوضح من تركيب الصورة الأدمية بأعضائها وقواها وصفاتها، وما فيها من اللحم، والعظم، والعروق، والأعصاب، والرباطات، والمنافذ، والآلات، والعلوم، والإرادات، والصناعات، كل ذلك من نطفة ماء. فلو أنصف العبد لاكتفى بفكره في نفسه، واستدل بوجوده على جميع ما أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته.

ثم أخبر سبحانه عن إحاطة علمه به، حتى علم ما توسوس به نفسه، ثم أخبر عن قربه إليه بالعلم والإحاطة وأن ذلك أدنى إليه من العرق الذي داخل بدنه، فهو أقرب إليه بالقدرة عليه والعلم به من ذلك العرق.

وقال شيخ الاسلام بن تيمية: المراد بقول "نحن" ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، أي ملائكتنا، كما قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿٧٨﴾﴾ [القيامة:١٨]. أي: إذا قرأه عليك رسولنا جبريل.

قال: ويدل عليه قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق:١٧]، فقيد القرب المذكور بتلقي الملكين، فلا حجة في الآية لحلولي ولا معطل.

ثم أخبر سبحانه أن على شماله ويمينه ملكين يكتبان أعماله وأقواله، ونبه بإحصاء الأقوال وكتابتها على كتابة الأعمال، التي هي أقل وقوعًا، وأعظم أثرًا من الأقوال، وهي غايات الأقوال ونهايتها.

**القيامة قيامتان: صغرى وكبرى:**

ثم أخبر عن القيامة الصغرى، وهي سكرة الموت، وأنها تجيء بالحق، وهو

لقاءه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والقدوم عليه، وعرض الروح عليه، والثواب والعقاب الذي تعجل لها قبل القيامة الكبرى.

ثم ذكر القيامة الكبرى بقوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**﴾ [ق:٢٠]، ثم أخبر عن أخبار الخلق في هذا اليوم، وأن كل أحد يأتي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه، وشهيد يشهد عليه، وهذا غير جوارحه، وغير شهادة الأرض التي كان عليها له وعليه، وغير شهادة رسوله والمؤمنين.

فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يستشهد على العباد الحفظة والأنبياء والأمكنة التي عملوا عليها الخير والشر، والجلود التي عصوه بها، ولا يحكم بينهم بمجرد علمه، وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين.

ولهذا أخبر نبيه أنه يحكم بين الناس بما سمعه من إقرارهم، وشهادة البيّنة، لا بمجرد علمه من غير بيّنة ولا إقرار؟

ثم أخبر سبحانه أن الإنسان في غفلة من هذا الشأن الذي هو حقيق بأن لا يغفل عنه، وأن لا يزال على ذكره وباله، وقال: ﴿**فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾ [ق:٢٢]، ولم يقل عنه، كما قال: ﴿**وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مِّنْهُ مَرِيْبٍ**﴾ [هود:١١٠]، ولم يقل في شك فيه، وجاء هذا في المصدر وإن لم يجيء في الفعل فلا يقال غفلت منه ولا شككت منه، كأن غفلته وشكته ابتداءً منه، فهو مبدأ غفلته وشكّه، وهذا أبلغ من أن يقال في غفلة عنه وشك فيه، فإنه جعل ما ينبغي أن يكون مبدأ التذكرة واليقين ومنشأهما مبدأ للغفلة والشك.

ثم أخبر أن غطاء الغفلة والذهول يكشف عن ذلك اليوم كما يكشف غطاء النوم عن القلب فيستيقظ، وعن العين فتفتتح، فنسبة كشف هذا الغطاء عن العبد عند المعاينة كنسبة كشف غطاء النوم عنه عند الانتباه.

ثم أخبر سبحانه أن قرينه، وهو الذي قرن به في الدنيا من الملائكة، يكتب عمله، وقوله: يقول لَمَّا يحضره: هذا الذي كنت وكّلتني به في الدنيا قد أحضرته وأتيتك به،

هذا قول مجاهد.

**وقال ابن قتيبة:** المعنى: هذا ما كتبت عليه وأحصيته من قوله وعمله حاضر عندي، والتحقيق أن الآية تتضمن الأمرين، أي هذا الشخص الذي وكلت به وهذا عمله الذي أحصيت عليه، فحيث قال: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق:٢٤]، وهذا إما أن يكون خطابًا للسائق والشهيد، أو خطابًا للملك الموكل بعذابه، وإن كان واحدًا، وهو مذهب معروف من مذاهب العرب في خطابها، أو تكون الألف منقلبة عن نون التأكيد الخفيفة، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

ثم ذكر صفات هذا الملقى فذكر له ست صفات:

**أحدها:** أنه كفار لنعم الله وحقوقه، كفار بدينه وتوحيده وأسمائه وصفاته، كفار برسله وملائكته، كفار بكتبه ولقائه.

**الثانية:** أنه معاند للحق يدفعه جحدًا وعنادًا.

**الثالثة:** أنه مناع للخير، وهذا يعم منعه للخير الذي هو إحسان إلى نفسه من الطاعات والقرب إلى الله والخير الذي هو إحسان إلى الناس، فليس فيه خير لنفسه، ولا لبني جنسه كما هو حال أكثر الخلق.

**الرابعة:** أنه مع منعه للخير معتد على الناس، ظلوم غشوم معتد عليهم بيده ولسانه.

**الخامسة:** أنه مريب، أي صاحب ريب وشك، ومع هذا فهو آت لكل ريبة، يقال: فلان مريب، إذا كان صاحب ريبة.

**السادسة:** أنه مع ذلك مشرك بالله، قد اتخذ مع الله إلهًا آخر يعبده، ويحبه، ويغضب له، ويرضى له، ويحلف باسمه، وينذر له، ويوالي فيه، ويعادي فيه، فيختصم هو وقرينه من الشيطان، ويحيل الأمر عليه، وأنه هو الذي أطغاه وأضله، فيقول قرينه: لم يكن لي قوة أن أضله وأطغيه، ولكن كان في ضلال بعيد، واختاره

لنفسه، وآثره على الحق، كما قال إبليس لأهل النار: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعلى هذا، فالقرين هنا هو شيطانه، يختصمان عند الله، وقالت طائفة: بل قرينه هاهنا هو الملك، فيدعي عليه أنه زاد عليه فيما كتبه عليه وطغى، وأنه لم يفعل ذلك كله، وأنه أعجله بالكتابة عن التوبة، ولم يمهل حتى يتوب، فيقول الملك: ما زدت في الكتابة على ما عمل ولا أعجلته عن التوبة: ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧]، فيقول الرب تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨]، وقد أخبر سبحانه عن اختصام الكفار والشياطين بين يديه في سورتي: (الصفّات) و (الأعراف).

وأخبر عن اختصام الناس بين يديه في سورة (الزمر)، وأخبر عن اختصام أهل النار فيها في سورة (الشعراء)، وسورة (ص).

ثم أخبر سبحانه أنه لا يبدّل القول لديه، فقليل: المراد بذلك قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، ووعد له لأهل الإيمان بالجنة، وأن هذا لا يبدل ولا يخلف، قال ابن عباس: يريد ما لوعدي خلف لأهل طاعتي ولا أهل معصيتي. قال مجاهد: قد قضيت ما أنا قاض، وهذا أصح القولين في الآية.

**وفيهما قول آخر:** أن المعنى ما يغيّر القول عندي بالكذب والتلبيس كما يغيّر عند الملوك والحكام، فيكون المراد بالقول قول المختصمين، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة، قال الفراء: المعنى ما يكذب عندي لعلمي بالغيب.

**وقال ابن قتيبة:** أي ما يحرف القول عندي ولا يزداد فيه ولا ينقص منه.

قال: لأنه قال القول عندي، ولم يقل قلبي، وهذا كما قال لا يكذب عندي.

فعلى القول الأوّل يكون قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، من تمام قوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]، في المعنى أي: ما قلته ووعدت به لا بد من فعله، ومع هذا

فهو عدل لا ظلم فيه ولا جور، وعلى الثاني يكون قد وصف نفسه بأمرين.  
**أحدهما:** أن كمال علمه واطلاعه يمنع من تبديل القول بين يديه وترويج الباطل عليه.

**والثاني:** أن كمال عدله وغناه يمنع من ظلمه لعبيده.

ثم خبر عن سعة جهنم وأنها كلما ألقى فيها فوج: ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق:٣٠]، وأخطأ من قال أن ذلك للنفي، أي ليس من مزيد، والحديث الصحيح يردّ هذا التأويل.

ثم أخبر عن تقريب الجنة من المتقين، وأن أهلها اتصفوا بهذه الصفات الأربع:  
**الأولى:** أن يكون أوّابًا، أي: رجّاعًا إلى الله من معصيته إلى طاعته، ومن الغفلة عنه إلى ذكره.

**قال عبيد بن عمير:** الأواب الذي يتذكر ذنوبه ثم يستغفر منها، وقال مجاهد: هو الذي إذا ذكر ذنبه في الخفاء استغفر منه، وقال سعيد بن المسيّب: هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

**الثانية:** قال ابن عباس: أن يكون حفيظًا لما ائتمنه الله عليه وافترضه، وقال قتادة: حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته.

ولما كانت النفس لها قوتان: قوة الطلب وقوة الامسك، كان الأواب مستعملًا لقوة الطلب في رجوعه إلى الله ومرضاته وطاعته، والحفيظ مستعملًا لقوة الحفظ في الإمسك عن معاصيه ونواهيه.

فالحفيظ الممسك نفسه عما حرم عليه، والأواب المقبل على الله بطاعته.

**الثالثة:** قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق:٣٣]، يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه واطلاعه على تفاصيل أحوال العبد.

ويتضمن الإقرار برسله وكتبه وأمره ونهيه، ويتضمن الإقرار بوعده ووعيده

ولقائه، فلا تصح خشية الرحمن بالغيب إلا بعد هذا كله.

**الرابعة:** قوله: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق:٣٣]، قال ابن عباس: راجع عن معاصي الله، مقبل على طاعة الله. وحقيقة الإنابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه.

ثم ذكر سبحانه جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْكُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣٤-٣٥].

ثم خوّفهم بأنه يصيبهم من الهلاك ما أصاب من قبلهم، وأنهم كانوا أشد منهم بطشاً ولم يدفع عنهم الهلاك شدة بطشهم، وأنهم عند الهلاك تقلّبوا وطاقوا في البلاد، وهل يجدون محيصاً ومنجى من عذاب الله؟

**قال قتادة:** حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدرّكاً.

**وقال الزجاج:** طوّفوا وفتشوا فلم يروا محيصاً عن الموت، وحقيقة ذلك أنهم طلبوا المهرب من الموت فلم يجدوه.

ثم أخبر سبحانه أن في هذا الذي ذكر ذكرى لكم كان قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم أخبر أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولم يمسه تعب ولا إعياء، وتكذيباً لأعدائه اليهود، حيث قالوا أنه استراح في اليوم السابع.

ثم أمر نبيه بالتأسي به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الصبر على ما يقول أعداؤه فيه، كما أنه سبحانه صبر على قول اليهود أنه استراح: **«لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»**.

ثم أمره بما يستعين به على الصبر: وهو التسبيح بحمد ربه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وبالليل وأدبار السجود، فقيل: هو الوتر، وقيل: الركعتان بعد المغرب، والأول قول ابن عباس، والثاني قول عمر وعلي وأبو هريرة والحسن بن علي،

وإحدى الروایتين عن ابن عباس، وعن ابن عباس رواية ثالثة: أن التسبيح باللسان أدبار الصلوات المكتوبات.

ثم ختم السورة بذكر المعاد، ونداء المنادي برجوع الأرواح الى أجسادها للحشر. وأخبر أن هذا النداء من مكان قريب يسمعه كل أحد: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [ق:٤٢]، بالبعث ولقاء الله: ﴿يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ [ق:٤٤]، كما تشق عن النبات، فيخرجون: ﴿مِرَاعًا﴾ [ق:٤٤]، من غير مهلة ولا بقاء: ذلك حشر يسير عليه سبحانه.

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه عالم بما يقول أعداؤه، وذلك يتضمن مجازاته لهم بقولهم إذا لم يخف عليه، وهو سبحانه يذكر علمه وقدرته لتحقيق الجزاء.

ثم أخبره أنه ليس بمسلط عليهم ولا قهار، ولم يعث ليجبرهم على الإسلام ويكرههم عليه، وأمره أن يذكر بكلامه من يخاف وعيده فهو الذي يتفجع بالتذكير، وأما من لا يؤمن ببلقائه ولا يخاف وعيده ولا يرجو ثوابه، فلا يتفجع بالتذكير.

﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [٤٤]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم وعنادهم، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد:

﴿بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ﴾، برب تجبرهم على الإيمان، والحال كما قال الله عز وجل: ﴿فَذَكَرْ

إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [١] لست عليهم بمصيطر [٢] ﴿[الغاشية: ٢١-٢٢]، ﴿فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ

الذَكَرَى﴾ [٣] سَيَذَكُرْ مَنْ يَحْشَى﴾ [٤] ﴿[الأعلى: ٩-١٠]، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٥] ﴿[فاطر: ٨]، فهذا هو المعنى: لست عليهم بجبار، وكما قال الله

عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقيل: لا تكن

متكبراً عليهم، والمعنى الأول أصح، ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد: ﴿بِالْقُرْآنِ﴾ الكريم الذي أنزله الله عليك، ﴿مَنْ يَخَافُ وَعَبِدَ﴾ ﴿٤٥﴾ من يخاف وعبد الله عَزَّوَجَلَّ ويرجو وعده، أما المعرض فإنه لا يستفيد: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٦﴾  
 [يونس: ١٠١].

انتهينا من تفسير سورة ق والله الحمد والمنة.



فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر

## فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل

عمران: ١٠٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وإنما تواعدون لآت وما أنتم بمعجزين، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى.

في هذه الليلة (ليلة الأول من ربيع الثاني من عام ألف وأربع مئة و احد وثلاثين) في هذه مدينة وادي سوف من الجزائري ومازلنا نستمر مع إخواننا لما أتينا من أجله من تحقيق المراد من قول الله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]

فالمؤمنون جميعاً رجالهم ونساءهم وشبابهم وشيوخهم وجنّهم وانسهم يجب عليهم ويتحتم أن يعملوا بهذه السورة العظيمة؛ وذلك لأن الدين قائمٌ على ذلك ما دلت عليه.

ولأن سلامة العبد المؤمن من العطب ومن الخسارة الدنيوية والأخروية لاحقٌ لذلك، والله **عَزَّوَجَلَّ** كما تعلمون وتعتقدون أنه أحسن قِيلاً وأصدق حديثاً، وقد أقسم قسماً بمخلوق من مخلوقاته وله ذلك: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، يقسم بما شاء تعظيماً لذلك المخلوق، ولا يجوز للمخلوق أن يحلف بغير الله تعالى.

**وملخص ما يقسم به يعود إلى قسمين:**

**الأول:** الحلف بأسماء الله وصفاته وهذا هو الذي لا ينعقد إلا هو.

**الثاني:** الحلف بغير الله **عَزَّوَجَلَّ**، والحلف به محرم وصاحبه بين عظيمتين:

أحدها: الشرك الأكبر إن قرنه تعظيم للمحلولوف به، ثانيها: شرك أصغر.

وأما الحلف في القرآن بغير الله **عَزَّوَجَلَّ**، فالجواب عليه ما قال ابن الملقن في

”الإعلام“ (٢٥٨/٩) عنه جوابان:

أحدهما: أنه على حذف مضاف كما سلف في الحديث -يشير **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى

تقدير: ورب الشمس، ورب مواقع النجوم-

**الثاني:** أن الله تعالى يقسم بما شاء للتنبية على شرفه؛ فإنه المتصرف في ملكه

كيف يشاء ونحن لا نتصرف إلا كما أذن لنا، وقد أبلغنا نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال:

﴿مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ﴾. انتهى

قوله: ﴿**وَالْعَصْرِ ﴿٥﴾**﴾ العصر: الزَّمانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ مِنْ خَيْرٍ

وَشَرٍّ، وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ قَالَه ابن كثير في

تفسيره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ١﴾: أكد خسارة الإنسان بحرف التوكيد إن وباللام الداخلة في خبره كما أكده بالقسم وهذه التوكيدات الثلاث تدل على دلالة واضحة على أهمية هذا الأمر الذي فيه صلاحك وصلاح معادك وصلاح حياتك ومماتك.

والمراد بالإنسان جنس الإنسان فكل إنسان في خسارة وضياع إلا من استثناه الدليل على ما يأتي.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: استثنى الله عز وجل طائفة واحدة من هذه الخسارة الناس يتفاوتون منهم من يخسر بشهوته ومنهم من يخسر بشبهته، ومنهم من يخسر بهما جميعاً ويتبع هواه قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْمًا ۖ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٣﴾، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يِضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ يَوْمَ الْحِسَابِ ١٤﴾،

وإنما ينسى يوم الحساب أهل الخسارة وأهل البعد والإعراض، وأهل الجحود والكفر والعناد، فالسالمون من الخسارة الدنيوية والأخروية صنفٌ واحدٌ وكلُّ يقول أنا هو:

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَضَلًّا لِلنَّيْلِ ❀❀ وَلَيْلَى لَا تَقْرُّ لَهُمْ بِذَاكَ  
وقال آخر:

فالدَّعَاوَى مَالِمَ يَقِيمُوا عَلَيْهَا ❀❀ بَيْنَاتِ أَصْحَابِهَا أَدْعِيَاءُ  
والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول كما في حديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، أَدْعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ

وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ». أخرجه ابن ماجه. وهو حديث حسن ورواه البيهقي وغيره، وبعضه في الصحيحين

ما هي الصفات التي يوصف ويتميز بها أهل السلامة من الخسارة؟

قال الله عزَّجَل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا بيان لمن استثناه الله تعالى من صنف الخسارة في الدارين.

\* فالشرط الأول: (الإيمان): وبشمل أركان الإيمان الستة: "الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره".

والإيمان بالله يتضمن: الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته.

والإيمان برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتضمن: الإيمان بما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

والإيمان برسول الله يستلزم: الإيمان بما أخبر من الرسل فنؤمن بمن عرفنا من أسماءهم ونؤمن بمن لم نعرف ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾

ونؤمن ونقر ونعترف ونعتقد أن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم الأنبياء ودينه ناسخٌ لجميع الشرائع والأديان، فمن زعم أنه يسعه الخروج من شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى فقد كفر.

ونؤمن أن من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اليهود والنصارى وغيرهم فهو كافر؛ لحديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

**الإيمان بكتب الله عزَّوجلَّ:** فنؤمن بأن الله عزَّوجلَّ أنزل توراة والإنجيل وأنزل صحفًا على إبراهيم وصحفًا على موسى وأنزل على داود الزبور وأنزل كتبًا غير ذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فنؤمن بها إجمالًا على أنها من عند الله وأنها قد حُرِّفَتْ وبُذِلَتْ وُعْيِرَتْ بخبر الله الحق إلا القرآن.

ثم نؤمن أن هذا القرآن ناسخ لجميع الكتب قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾. مهيمن على جميعها وناسخ لها وأنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

فنعمل بمحكمه ونؤمن به وما أشكل وأشتبه علينا منه نرده إلى أهل العلم لعلمهم به وإن لم نجد فنقول كما قال تعالى: ﴿ءَأَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

**والإيمان بالملائكة:** فنؤمن بملائكة الله وبمن سمى منهم ومن لم يسم وبأنهم خلق ولهم صفات خلقهم الله من نور كما خلق الجن من نار وخلق الإنسان من طين كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم.

وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن لهم وظائف منهم ملك الجبال وجبريل وميكائيل وحملة العرش وإسرافيل وغير ذلك مما هذا ليس موطن بسطه.

**والإيمان باليوم الآخر:** فنؤمن باليوم الآخر وما فيه من الصراط والميزان والحوض وتطابير الصحف ويدخل فيه عذاب القبر ونعيمة والضمة والفتنة وغير ذلك والنظر إلى وجه الله عزَّوجلَّ ونؤمن بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان لا تبيدان.

ونؤمن بما أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** من المغيبات فنؤمن بخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** ونؤمن بخبر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ونؤمن بالقدر خيره وشره وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك جف القلم بما هو كائن.

**ومراتب القدر أربعة: العلم، والكتابة، والمشية، والخلق، دل عليها أدلة الكتاب والسنة.**

والقدر سر الله **عَزَّوَجَلَّ** وعلمه وأعظم الناس جهلاً به من تعمق في الخوض فيه وأعظم الناس علماً به من آمنوا به وجمعوا بين الآيات بعيداً عن أفكار المجبرة من الجهمية والأشاعرة وأفكار النفاة من المعتزلة.

فالإيمان بالله والإيمان بما ذكر يُنمي في الإنسان محبة الخير ويدعوه إلى نشر الخير ويحذره من الشر والضير؛ لأنه يعلم أنه عبد مخلوق مربوب، وبأن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمره ونهاه وبأن الله **عَزَّوَجَلَّ** أرسل إليه ملائكة حافظين وأرسل إليه رسلاً يعلمونه ما جهل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ۝﴾.

والإيمان بالقدر فيه: الاستسلام والانقياد لله **عَزَّوَجَلَّ** والرضا بقضاء الله تعالى. الإيمان باليوم الآخر فيه الحث على ملازمة الطاعات والقربات فإن العمر قصير وما نقدم عليه عسير.

قوله: ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: لازموا فعل الطاعات والقربات فكل ما أمر الله تعالى به فهو من الصالحات.

**\* والشرط الثاني للسلامة من الخسارة: (ملازمة العمل الصالح):**

فمدعي الإيمان كثير لكن ينبغي أن يقرن القول بالعمل ولهذا قرن الله **عَزَّوَجَلَّ** بين الإيمان والعمل في ستة وخمسين موضعاً من القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٣٧﴾، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ في آيات طيبات مباركات كثيرة.

ويعرف الإيمان عند أهل السنة والجماعة بأنه: قول باللسان وعمل بالجوارح  
واعتقاد بالقلب.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَىٰ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: "إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ،  
وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ  
الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّىٰ تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمْتُ فَمَا أَنَا عَلَىٰ صُحْبَتِكُمْ  
بِحَرِيصٍ" ذكره البخاري في كتاب الإيمان.

والأعمال داخلة في مسمى الإيمان وليست بخارجة عنه؛ كما زعم المرجئة  
الذين يزعمون: أن الذي لا يعمل والذي يعمل سواء؛ حتى قال قائلهم: والإيمان  
أهله في أصله سواء أو كما قال الطحاوي، وقال قائلهم: لما رأى امرأة ترقص هذه  
على إيمان امرأة عمران، وقال الآخر: أنا على إيمان جبريل وميكائيل.  
فالصلاة والحج والزكاة والجهاد وصلة الرحم وغيرها من الطاعات كلها من  
الإيمان.

### الإيمان يزيد وينقص:

والإيمان يزيد بالطاعات والقربات وينقص بالمعاصي والسيئات والبدع  
والشركيات وأدلة زيادة الإيمان ونقصانه ليس هذا موطن بسطها قَالَ اللهُ تَعَالَى:  
﴿لِيَزِدَنَّاهُمْ إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقال:  
﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾

وَمَا زَادَهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ [محمد: ١٧] وَقَوْلُهُ: ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] وَقَوْلُهُ: ﴿أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَأَحْشَوْهُمْ فزَادَهُم إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أي أن دينهم قام على النصيحة.

\* الشرط الثالث من شروط السلامة: (التواصي بالحق):

فالله عَزَّوَجَلَّ حَقٌّ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [القرآن حق كما اخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه، قال تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري ومسلم: «وَلَكَّ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ..»، الحديث.

فنؤمن بهذا كله وتتواصى بالحق الذي هو القرآن والسنة؛ لأنه جاء من عند الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولأن الذي جاء به الداعي إلى الحق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأن ما يصاد القرآن والسنة باطل وإذا تزاحم الباطل مع الحق ذهب الباطل ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [٨١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وهذا ليس بالتخيير وإنما هو بالتهديد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا﴾: أي من تخلف عن الحق وعن أصحابه وأهله ولازم سبيل المجرمين، قال

تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١١﴾﴾.

ولما كانوا ما هم أصحاب حق يغاثوا بنظير ما كانوا فيه لما كانوا في الباطل أغيثوا بشيء يزيدهم شدة إلى شدتهم، وعناء إلى عناءهم، وعذاب إلى عذابهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١١﴾﴾.

فالله **عَزَّجَلَّ** أقسم أنه الحق وبالحق يقول قال: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿١١﴾﴾، فالله الله بالتواصي بالحق والدعوة إلى الحق، والحق هو الكتاب والسنة فادع إليهما تفلح وتربح وتنجح، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿١١﴾﴾، وطريقة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الدعوة إلى الحق ادعوا إلى الله على بصيرة أي: على علم ومعرفة بالحق ومعرفة بالباطل الذي يحذر منه.

والذي ما عنده معرفة بالحق ومعرفة بالباطل يدخل على الناس ما ليس من الحق ويدخل على الناس الباطل؛ ولهذا قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴿١١﴾﴾ أي: على حق ومعرفة وبيان، و﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿١١﴾﴾ كلنا ندعو إلى الله على بصيرة وحق نعرفه ونعتقده وندين به.

فالحق الحق لازمه على نفسك، وعلى غيرك، لازمة بحضرك وسفرك، واحذر من تلبيسات الشيطان أن يعظم نفسك إليك فلا تظن أن الحق إلا فيه أو أن يعظم بعض الناس إليك لا تظن أن الحق إلا فيه.

فالحق هو الكتاب والسنة والناس يصيبون ويخطؤون ويعلمون ويجهلون، فالواجب على المسلم أن يكون ذهابه وإيابه، وقيامه وعوده على طريقة الكتاب والسنة ففيهما السلامة من العطب، وفيهما طريق الوصول، قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «.. وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ اهْتَدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ..»، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، أخرجه مسلم.

فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به فهو حبل الله المتين من تمسك به نجا، ومن تركه ضل وغوى، انصر الحق الذي هو سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وامش به وادع به وهذا يحتاج إلى علم وعمل ودليل، والله عَزَّوَجَلَّ إنما أمر بالتواصي بالحق لما ذكر قبل ذلك الإيمان والعمل.

فالإنسان العامل ربما تكون دعوته الفعلية أبلغ بكثير من دعوته القولية، والإنسان غير العامل ضرره كثير وكبير؛ فعن حُدَيْفَةَ بْنِ الِيمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلَزُمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَرِزْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». متفق عليه.

فعلماء السوء وقفوا على أبواب الجنة يدعون الناس بأقوالهم ويصدونهم عنها بأفعالهم إلا أن تكون عالما عاملا فلازم الخير مع صديقك وعدوك ومع موافقك ومخالفك لتكون إرادة الخير منك للمسلمين حاصلة هذا دين الله فعن أنس بن مالك

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، متفق عليه .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَفَ فِي النَّارِ». متفق عليه

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»، متفق عليه .

**فالشاهد:** «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»: من أجل الحق وفي الحق وبالحق؛ فلماذا لا يكون هذا هو ديدنك وطريقتك، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يحب للناس الخير وملازمة الحق حتى اشتد ذلك عليه فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٨﴾.

والحق ثقيل على الأنفس؛ لأن أعداء الحق كثير ومنهم أهل الباطل بأنواعهم والهوى النفس الأمارة والشيطان إذا أعداء الحق كثير فإن لم تجاهد نفسك من أجل العمل بالحق ومحبة الحق ومحبة الخير للمسلمين فأنت صيد لما تقدم من الأعداء.

ولهذا أهل السنة أرحم الناس بالناس لماذا؟

لأنهم يدعونهم إلى الحق اعتقادًا وعلماً وعملاً وإلى دار الحق التي هي إلى الجنة وإلى إرضاء الحق الذي هو الله **عَزَّوَجَلَّ** والابتعاد عما يسبب لهم العطب والنار الذي هي حق وعذاب القبر الذي هو حق.

ومن أسباب انتشار الدعوة الناس: محبته الله تعالى لما هو حق ومحبته لهداية الناس للحق وإخراجهم من الظلمات إلى النور من ظلمات الشر وظلمات البدع من ظلمات المعاصي من ظلمات الأهواء إلى النور الذي قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه: ﴿**اللَّهُ وَرَى الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾، أي: يخرجهم من الباطل إلى الحق: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ أي: يخرجهم الشيطان من الحق الواضح الجلي البين الظاهر إلى الباطل الصرف.

فليكن حالك: الدعوة إلى الحق والترغيب فيه والبيان للحق الحق يحتاج إلى بيان لأن صورة الحق تشوه بسبب كثرة المخالفين وداعي الحق يشوه بسبب كثرة الأعداء فلهذا الحق يحتاج إلى بيان بالصبر والرفق واللطف بالعباد وعدم الانتقام للنفس لو أن الإنسان يتقم لنفسه ما خرج ولا تكلم ولا ألف ولا صنف ولا أمر ولا نهى كم من الناس تنصح له وهو يتبع زلة منك وهفوة وكلمة ليطير بها فرحا وما يحرص على سماع الحق والاستفادة من الحق وعلى ملازمة الحق وإنما قد فرخ الشيطان في رأسه فيحاول دائماً في أذية الحق في طريقة أو بأخرى بينما الذي يجب على المسلم أن يصبر ويتصبر من اجل هذا الحق قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**﴾ ركز معي صاحب حق أرسله الحق لماذا؟

﴿**فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿٥١﴾: دعاهم إلى عبادة الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿٥١﴾ **قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴿٥٢﴾ لكن لما كان هذا القول منهم باطل ولما كان نوح **عَلَيْهِ السَّلَام** عنده

همة عالية في الدعوة إلى الحق حتى صبر عليهم ألف سنة إلا خمسين عامًا: ﴿قَالَ يَفْقَهُمْ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١]، يا ليت نستطيع أن نسلك مثل هذا السلوك العظيم يقولون له: أنت ضال، أنت منحرف، فلم يعنف ولم يشتد حتى ينفذ، وإنما قال: ليس بي ضلالة هذا الاتهام الذي اتهمتموني به ليس بصحيح، فلست من أهل الباطل ولست من أهل الخنا، ولا من دعاة الزور والفجور: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢]، انظر إلى هذا الخير العظيم حرص على الهداية مع أنه إذا قال لهم: أنتم المعرضون، أنتم المبطلون، أنتم الضالون، أنتم المخالفون، ما أنكر عليه لكنه حريص على بث الخير.

وهكذا ثمود قالوا لنبي الله هود: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، فيرد عليهم بنفس الرد اللطيف: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، قَالَ يَفْقَهُمْ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦-٦٧].

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسبونه ويشتمونه ويكسرون المغفر على رأسه وتكسر بيضته ورباعيته وهو يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»؛ لأن صاحب الحق مراده رد الناس إلى الحق لا التثفي والتلهي والصد وإنما مراده الخير والبر.

ولهذا لما دعا عليهم عاتبه الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٧٨]، فالأمر كله لله عز وجل فإذا عباد الله الواجب علينا أن نتواصى بالحق بعد علمنا وعملنا نوصي غيرنا ونوصي أنفسنا لأن الوصية من أعظم الوسائل لنشر الحق ونشر الخير ونشر البر.

\* **ثم الشرط الرابع:** ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا تواصي بالحق وهل النصيحة التي قال عنها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، إلا تواصي بالحق، وهل الخطابة والتصنيف والتأليف إلا تواصي بالحق، وهل التدريس إلا تواصي بالحق، كل ذلك من الحق الذي يتواصى به أهل السنة أهل الحق أهل الاستقامة.

وأيضًا التواصي بالصبر، فالحق كما تقدم ثقیل والشیء الثقیل یحتاج إلى صبر. والحق أيضًا له أعداء والأعداء يؤذون، يؤذون بالأقوال، والأفعال يؤذون بالباطل الذي هم عليه فتححتاج إلى صبر عليه؛ ولهذا قال موسى لقومه: **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**؛ لأنهم بلغوا في التحمل مبلغًا من حيث أذية فرعون وقومه لهم، ولهذا دلهم موسى على طريق يوصلهم إلى انتشار الحق الذي يدعون إليه وإلى ثباتهم على الحق الذي يدلون عليه: استعينوا بالله واصبروا، وأخبرهم أن الأرض لله يورثها أهل الحق من عباده والعاقة للمتقين، العاقبة لأهل الحق أهل التقى والصلاح.

والتواصي بالصبر أمر مطلوب ومرغب فيه ومحبوب؛ لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يحب الصابرين على ملازمة الحق والصابرين عن البعد عن الباطل والصابرين الذين يصبرون على أذية أهل الباطل فالله يحب الصابرين بأصنافهم الثلاثة.

فالمطلوب منا: إيمان وعمل، ومن تمام الإيمان والعمل: التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهذه الدعوة المباركة دعوة أهل السنة والجماعة إنما انتشرت بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ما قالوا: (نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه).

ولا قالوا (منهجنا واسع أفيح يسع الأمة ويسع أهل السنة) ولا قالوا (لا نجعل خلافنا في غيرنا بسبب للخلاف بيننا) ولا قالوا (نصحح ولا نهدم) وإنما قالوا: نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر.

إننا في زمن كثر شره وقلّ خيره، كثر باطله وقلّ حقه، وإننا بحاجة إلى المراجعة لأنفسنا لعودتنا إلى كتاب ربنا وإلى سنة نبينا **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** وملازمة ذلك في جميع أوقاتنا ولحظاتنا وحركاتنا وسكناتنا، ولتتحاب فيما بيننا ولتتواصح فيما بيننا ولندعو لبعضنا ولنرحم بعضنا؛ فإن الشر كثير وأنت غريب، فإذا لم يقع بيننا ذلك فمن الذي سيقوم بنا، ومن الذي سيرحمنا ونحن غرباء والغرباء يتعاطفون ويتزاورون ويتراحمون ويتناصحون، والرسول **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول كما في الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره: عن عبدالله بن عمرو **رضي الله عنه**، عن النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** قال: «**طوبى للغرباء**»، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**أناس صالحون، في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**».

فالغريب يلازم الدعوة إلى الحق والذين يعصونه كثير والغريب يقبل على الله ويقبل على الخير ويقبل على البر.

والسلفية ليست قميص يتقمص فيه من شاء وينزعه من شاء، السلفية ليست ادعاء:

السلفية علم وعمل واعتقاد ونية.

السلفية هي دين الله الحق الذي انزله على محمد **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**.

السلفية هي دعوة النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** بفهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد **رضي الله عنهم** وغيرهم من الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان.

لنكن كلنا أدوات بناء لهذه الدعوة؛ لنبنها بالطاعات بالقربات لبث الخير والعلم والبعد عن كل ما يناقض الكتاب والسنة، والبعد عن كل ما يخالف الكتاب السنة، والإنصاف مع انفسنا ومع خصومنا؛ فعن عمّار بن ياسر أنه قال: «ثلاثٌ من كن فيه فقد استكمل الإيمانَ الإنصافُ من نفسه: والإنفاقُ من الإقتارِ، وبذلُ السَّلامِ للعالمِ»، لا تنصف لنفسك وتجور على غيرك، انصف لغيرك وانصف لنفسك؛ فإن هذا من أسباب انتصار وظهور الدعوة السلفية.

فهذه السورة العظيمة التي تكلمنا عن بعض فوائدها والتقصي يطول. والعمل بالصالحات التي دلت عليها مطلوب منا جميعاً فالله الله في الخير وملازمته والدعوة إليه وعدم الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، فلنقبل على العلم والتعليم والدعوة، وليكن قائدنا وإسوتنا ودليلنا في ذلك هو الكتاب والسنة المتمثلة في فهم سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.

عباد الله وكما قيل:

هتف العلمُ بالعمل ❀❀ فإن أجابه وإلا ارتحل  
وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ  
الْقَيْبِ وَاللَّهِدَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، فالعمل بماء جاءنا في كتاب ربنا وسنة  
نبينا **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** هو من أعظم أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة ومن أسباب  
الفلاح:

اعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ❀❀ لا يَنْفَعُ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْعَمَلُ  
فاستفد من الذي يحثك على الحق ويدلك عليه وإياك من تتبع العثرات  
والزلات والكلمات خصوصاً السني السلفي، الخطأ مردود ممن قاله وممن عمله

لكن تحضر عند رجل أو شيخ أو مدرس وأنت لا تريد الإصغاء والاستفادة وإنما تريد مما يخرج من فيه، فإذا ما خرج طرت مُشْرِقًا وَمُغْرِبًا، سبحان الله!، ليكن حالنا إذا خرج الخير نشرناه، وإذا وقع من الإنسان الذي هو معروف بسلامة المعتقد وحسن المقصد ما نظنه يخالف الخير نصحناه وبيناه وإذا عَلِمَ أنه إنما هي كلمة خرجت أو كذا فالنصيحة للمسلمين، وإن عَلِمَ أنه خطأ فادح في العقيدة حُدِرَ من الخطأ ولا يسابق العلماء ولا يستعجل بالأحكام بل يلازم العلماء: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فما أمر الله بسؤالهم والعودة إليهم إلا لفضلهم ومنزلتهم وتعقلهم وتفهمهم ووضعهم للأمور في موطنها، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

فالله الله بالتحفة وطلب العلم، استغلوا أوقاتكم ولحظاتكم في ذلك، فإن يحيى بن معين قيل له في مرض موته: ما تشتهي؟ قال: "بيت خالي وسند عالي".

وفي حديث عائشة وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في البخاري وغيره: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرُحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّثُ مَا صَنَعُوا.

فكلما كشفها عن وجهه بث العلم ودعا إليه.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: «يَا خَالَ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». فَقَالَ: أَخَالَ أَمْ عَمُّ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ خَالَ». قَالَ: فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ. ولما جاء إلى ذلك اليهودي الغلام كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمُ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعُ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ شَابًّا يُثْنِي عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه وَقَدْ طُعنَ وَالنَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَذْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، فَقَالَ: " يَا ابْنَ أَحْيَى، ازْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتَقَى لِرَبِّكَ وَأَنْتَقَى لِثُوبِكَ"، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَرَحِمُ اللَّهُ عُمَرَ لَمْ يَمْنَعُهُ مَا كَانَ فِيهِ أَنَّهُ رَأَى حَقًّا لِلَّهِ يَتَكَلَّمُ فِيهِ.

فنحن مطالبون جميعًا بالعلم والعمل والدعوة إلى الله عز وجل ونسأل الله الهداية والتوفيق والسداد، نحن في الله وبالله، فإذا خالفنا ذلك فإن العطب مصيرنا ومآلنا.

وسبحانك الله ومحمدك، لا إله إلا أنت، نستغفرك وتتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.



# النبراس في تفسير سورتي الإخلاص

## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ أما  
بعد:

في الليلة: الثلاثاء السابع عشر من شهر جمادى الثانية لعام ثلاثة وثلاثين وأربع  
مائة وألف شرعت في دورة عبر الهاتف لبعض إخواننا في بلاد المغرب الأقصى.  
فعلى الإنسان أن يكون حريصاً على تحصيل العلم والخير والسنة والهدى إن  
تيسر له بالرحلة فذاك، وإن تيسر له بالمجالسة فذاك، وإن تيسر له بسماع شريط أو  
قراءة كتاب أو باتصال هاتفي فذاك؛ فالإنسان لا يدري لعله لم يسمع بعد ما يكون  
سبباً لدخوله الجنة.

وكم من الصحابة الذين رحلوا إلى النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** وتلمذوا على يديه  
بالزيارات، وبعضهم المرة والمرتين وحتى اليوم أو اليومين إلى غير ذلك كما  
يلاحظ ذلك مستمع ومتتبع هدي النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**.

وسوف أعلق إن شاء الله تعالى بما يسر الله **عز وجل** على سورتين عظيمتين من  
كتاب ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

**إحداهما:** سورة الإخلاص.

**والأخرى:** سورة الكافرون.

## سورة الإخلاص

فضلها:

- وهي السورة التي أخبر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنها تعدل ثلث القرآن؛ فعن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي الدرداء **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**. أخرجه مسلم

وفي لفظ قال: «إِنَّ اللهَ جِزَاءَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ».

وعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «احْشُدُوا؛ فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝﴾، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبْرًا جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». أخرجه مسلم.

- وهي صفة الرحمن؛ فعن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**، أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَحْتَمِبُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَ: «سَلُّوهُ؛ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ؛ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ

الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أخبروه أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ». أخرجه البخاري تعليقا ومسلم موصولا.

وفيهما غير ذلك من الفضائل على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

- وقد شرعت قراءتها في ركعتي الطواف؛ ففي حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الطويل في الحج قال: ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ: وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾، أخرجه مسلم.

- وفي الوتر؛ فعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كَانَ يُورِثُ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَفِي الثَّلَاثَةِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَبَقِنْتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا فَرَعْتُ قَالَ عِنْدَ فَرَاعِهِ: "سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ". ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ. أخرجه أبو داود وغيره.

- وفي ركعتي الفجر مع سورة الإخلاص الأخرى وهي ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾ **﴿١﴾** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَرَأَ فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾ **﴿١﴾** وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **﴿١﴾**. أخرجه مسلم

وعند الترمذي: عَنِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** شَهْرًا، فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ بِـ ﴿قُلْ يَتَّيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾ **﴿١﴾** وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **﴿١﴾**، وَفِي الْبَابِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَحَفْصَةَ وَعَائِشَةَ.

وجاء عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أنها تقرأ في ركعتي المغرب، كما عند النسائي لكن الحديث أعله بعض أهل العلم.

وعنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾. والمحفوظ أنها في ركعتي المغرب. فعن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بِ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾.

وجاء عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ: مَا أَحْصِي مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾.

لكن في سنده عبد الملك بن الوليد بن معدان الضبعي البصري، وقد ينسب إلى جده قال البخاري فيه نظر.

وفي "موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان" (ص: ١٤٦): من طريق سعيد بن سماك بن حرب حَدَّثَنِي أَبِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، وَيَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ: الْجُمُعَةَ وَالْمُنَافِقِينَ. وسعيد بن سماك متروك.

### بيان معانيها:

يقول الله عز وجل لنيبه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤].

والمتبادر كأن هذا إجابة سؤال كما رُوي في بعض المراسيل كما ذكر ذلك الطبري وغيره في تفسير هذه السورة وقيل بأن السؤال كان من اليهود ولم أرَ ما يثبت سندا في القولين والله تعالى أعلم.

فقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾: هذا أمر من الله تعالى لنبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** أن يقول لهؤلاء السائلين أو مخبراً عن صفة الرحمن ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ﴾: أي هو الله الذي له العبادة ولا تنبغي العبادة إلا له ولا تصلح لشيء سواه قاله الطبري.

و(الله) لفظ الجلالة علم على الذات العلية، وهو أعرف المعارف، وهو الاسم الأعظم على الصحيح من أقوال أهل العلم؛ إذ عليه جميع مدار الأسماء الحسنی فهي تابعة ووصف له تعالى، وتعاضم وتقدس، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣١﴾ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ اللهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]

قوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾: أي بمعنى واحد وقد تكرر اقترانه بالقهار في ست مواطن من القرآن قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٦﴾﴾، واسم (الأحد) فيه إثبات توحيد الربوبية لله **عَزَّوَجَلَّ**، ويتضمن هذا الاسم وصفه تعالى بالأحدية التي تدل على تفرده تعالى بالخلق والملك والتدبير، ويلزم من ذلك: إفراد الله تعالى بالعباد.

وأما اسم الفرد لم أره ثابتاً لله تعالى بسند صحيح، ويغني عنه هذا الاسم.

ولفظ الجلالة (الله) يتضمن إثبات الألوهية لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**.

فدلّت هذه الآية بهذين الاسمين على اثبات ما يدعو إليه أهل السنة والجماعة  
ويطرقونه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً وفي خطبهم ومؤلفاتهم وهو: أن توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ**  
ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

### ١- توحيد الربوبية:

وهو افراد الله **عَزَّوَجَلَّ** الخلق والملك والتدبير، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤] وقال  
تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الملك: ١]

### ٢- وتوحيد الألوهية:

وهو افراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالعبادة وافراده بأفعال المكلفين، وهو صرف كل ما يحبه  
الله **عَزَّوَجَلَّ** ويرضاه له يتقرب به إليه، وبه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال الله  
**عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ  
دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٦٤]  
وقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]  
وقال تعالى: ﴿يَبْتَغَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان: ١٣].  
إلى غير ذلك من الأدلة.

### ٣- توحيد الأسماء والصفات:

وهو افراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بأسمائه وصفاته وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** له الأسماء الحسنى التي من  
حسنها أنها أسماء مدح لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

ومن حسنها: أنها تتضمن صفات مدح وكمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.  
ومن حسنها: أنها أسماء ثبتت في القرآن والسنة.

ومن حسنها: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمرنا أن ندعوه بها قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

**وضابط هذا الباب:** أن الله تعالى موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

### أنواع الصفات:

ثم إن الصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهذه ثابتة لله **عَزَّوَجَلَّ** مثل السمع والبصر والقوة والقدرة فهو المتصف بالكمال المطلق قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [١٥] وهو ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** .

٢- صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه، وهذه يجب أن ينزه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** عنها كالصمم والبكم والظلم ونحوه.

٣- صفات كمال من وجه ونقص من وجه، وهذه تثبت لله **عَزَّوَجَلَّ** في حال كمالها ومن أمثلتها صفات المقابلة؛ مثل الكيد والمكر، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يكيده بالكائدين ويمكر بالماكرين ويستهزئ بالمستهزئين، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا** ﴾ ﴿ **وَأَكِيدُ كَيْدًا** ﴾ [سورة الطارق: ١٥-١٦]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ** ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠]، وهكذا.

## وجوب افراد الله تعالى بالعبادة:

فالله **عَزَّوَجَلَّ** واحد أحد كما قال عن نفسه ولا معين له ولا ظهير قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]

فيجب أن يفرد بالدعاء والرجاء والتوكل والخشية ويفرد بالإنابة والخوف وغير ذلك من العبادات سواء العبادات القلبية أو القولية أو البدنية أو المالية فالعبادة حقه تعالى لا يجوز أن تصرف لغيره مهما علت منزلته وعظمت مرتبته فلا إله إلا هو الواحد القهار، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ فَآرِهِمْ بُونٌ﴾ [سورة البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ١٨].

إلى غير ذلك من الأدلة المتكاثرة في هذا الباب.

فقد قطع الله **عَزَّوَجَلَّ** عن المشركين كل شبهة ومتعلق في الأصنام والأوثان وغيرها من الطواغيت.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝١﴾: **الصمد**: هو الذي تصمد إليه الخلائق، **وقيل**: هو المصمت الذي لا جوف فلا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب قال تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ ۝١٤﴾ [الأنعام: ١٤].

وهو السيد الذي كمل في سؤده وكلها دالة على الكمال وكلها ثابتة لله تعالى فهو الذي تصمد وتلجأ إليه الخلائق، وهو الذي لا جوف له ومستغني عن عباده وهو الكامل في سؤده، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [سورة الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ إِنْ يَشَأْ يُدْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [سورة فاطر: ١٥-١٧].

وغناه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذاتي لا ينفك عنه أزلًا وأبدًا؛ ففي حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في مسلم: **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، **فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، **أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُم. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتُضْرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَنْفَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي**

عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»  
وهذا لكمال غناه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فهو على العرش والعرش محتاج إليه واستوى على العرش والعرش تحمله ملائكة عظام والملائكة يحتاجون إلى الله **عَزَّجَلَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فهو الغني الحميد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات: ٥٨].

**وقيل:** الصمد: هو الذي لم يلد ولم يولد فيكون ذلك من تفسير القرآن بالقرآن.  
**وقيل:** الباقي الدائم بعد خلقه، وكل هذه الأقوال ذكرها ابن جرير في تفسيره وكثيرها لا يصح سندًا لكنها ثابتة المعنى في لغة العرب، وبعضها تفسير للآية ببعض المعنى.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في تفسيره:** وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعدها تفسيرًا لها وهو تفسير جيد. انتهى  
فالله **عَزَّجَلَّ** هو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق لحوائجها فيقضئها، قال تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحيي هذا، ويعطي هذا، ويشفي هذا ويميت هذا، لا إله إلا هو الواحد القهار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى (٨ / ٥٢٩):** وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ لَهُ، بَعْدَ إِيرَادِهِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ "الصَّمَدِ": وَكُلُّ هَذِهِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ صِفَاتُ رَبَّنَا، **عَزَّجَلَّ**، وَهُوَ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ [أَيْضًا]. انتهى

**وفي تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٤٧٤):** من طريق علي بن أبي طلحة؛ عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: الصَّمَدُ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ

فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبْرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفُوٌّ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. انتهى

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧ / ٢٣٧):** وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ لَفْظَ الْأَحَدِ لَمْ يُوصَفْ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْيَانِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ اللَّهِ فِي النَّفْيِ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُ: لَا أَحَدَ فِي الدَّارِ وَلَا تَقُلْ فِيهَا أَحَدًا. وَلِهَذَا لَمْ يَجِئْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي غَيْرِ الْمُوجِبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَكِيمِينَ ﴿٧﴾﴾ وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَسَنَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ﴾ وَفِي الْإِضَافَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ﴾ ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾.

وَأَمَّا اسْمُ (الصَّمَدِ) فَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ. كَمَا تَقَدَّمَ. فَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ صَمَدٌ بَلْ قَالَ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿١﴾﴾ فَبَيَّنَ أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ هُوَ الصَّمَدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَإِنَّهُ الْمُسْتَوْجِبُ لِغَايَتِهِ عَلَى الْكَمَالِ وَالْمَخْلُوقُ وَإِنْ كَانَ صَمَدًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الصَّمَدِيَّةِ مُتَنَفِيَةٌ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّفَرُّقَ وَالتَّجْزِئَةَ وَهُوَ أَيْضًا مُحْتَاجٌ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَيْسَ أَحَدًا. يَصْمُدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ وَلَا يَصْمُدُ هُوَ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا مَا يَقْبَلُ أَنْ يَتَجَزَّأَ وَيَتَفَرَّقَ وَيَتَفَسَّمُ وَيَنْفَصِلَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بَلْ حَقِيقَةُ الصَّمَدِيَّةِ وَكَمَالُهَا لَهُ وَحْدَهُ وَاجِبَةٌ لِأَزِمَةٍ لَا يُمَكِّنُ عَدَمَ صَمَدِيَّتِهِ بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ؛ كَمَا لَا يُمَكِّنُ تَشْبِيهُهُ أَحَدِيَّتِهِ بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ فَهُوَ أَحَدٌ لَا يُمَاتِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ كَمَا قَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ انتهى

فبعد أن مدح نفسه ووصف نفسه بصفات الجلال والعظمة والكبرياء وبصفة الأحدية، والصمدية وبصفة الألوهية وهذه الثلاثة الأسماء العظيمة قد جمعها حديث محجّن بن الأدرع، حدّثه، أنّ رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلّم** دخل المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: اللهم إني أسألك بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، قال: فقال نبي الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلّم**: **«قد غفر له، قد غفر له، قد غفر له»** ثلاث مرار. أخرجه أحمد في مسنده.

وكذا حديث بريدة **رضي الله عنه** قال: سمع النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلّم** رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بآتي أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت. الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فقال: **«قد سأل الله باسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»**، أخرجه أحمد وغيره وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل **رحمة الله تعالى**.

ومدار بقية الأسماء على هذه الأسماء الثلاثة لا سيما اسم الجلالة الله **عز وجل** الذي لم يأت تابعاً وإنما يأتي متبوعاً وما كان في قول الله **عز وجل** في سورة إبراهيم: **﴿إِلَّا صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ① اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** [إبراهيم: ١-٢]، فالعطف هنا: عطف بيان؛ لا أنه تابع ثم إنه قد قرأ برفع لفظ الجلالة.

وقوله تعالى: **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ②﴾**: قد تقدم أنه تفسير للصمد في قول بعض أهل العلم، وفي هذا رد على النصارى ومن إليهم ممن يزعم أن الله **عز وجل** له ولد ثم بين الله **عز وجل** في هذه السورة أنه لم يلد لكمال حياته ولكمال قيوميته ولم يولد؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء.

ونفى الصحابة والولد عن الله تعالى في القرآن كثير وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وَقَالَ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ مِّنَ الدِّينِ﴾، وَقَالَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ٢﴾، وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٣﴾، وهذا القول مسبة لله تعالى؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَا تَكْذِبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتَهُ، وَأَمَا شَتَمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، كُفُوًا وَكَفِيئًا وَكِفَاءً وَاحِدًا»،

أخرجه البخاري

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾: أي لا مثل له ولا شبيهه لا في أسماءه ولا في صفاته ولا في أفعاله وهذا لعموم كماله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مثل قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥﴾ [سورة الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ٥﴾ [سورة مريم: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٦﴾ [سورة البقرة: ٢٢]

### خاتمة تفسير سورة الإخلاص:

وفي هذه السورة من الفوائد العظيمة: أن الأصل عند أهل السنة أنهم يصفون الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالإثبات المفصل فتقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام العليم السميع البصير، وهكذا القول في صفاته.

بينما الأصل عند أهل السنة: أنهم يجملون في النفي يقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، إلا أنه قد يأتي بالنفي المفصل لرد ما قاله المبطلون في حق الله تعالى مثل هذه الآية: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فهذا النفي المفصل لدفع ما ادعاه في حقه المبطلون من النصارى واليهود والمشركين الذين زعموا أن الملائكة أبناء وبنات الله؛ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ويؤتى به لدفع توهم نقص قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [سورة ق: ٣٨].

فإنه قد يظن من لم يقدر الله عز وجل حق قدره أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وارتاح في يوم السبت كما يقوله اليهود عليهم لعائن الله فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

ويأتي بالنفي لبيان عموم الكمال كما قال تعالى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)

فكلمة سبحان الله فيها النفي المجمل وتتضمن نفي جميع النقائص عن الله عز وجل وتستلزم إثبات جميع المحامد لله عز وجل كما أن كلمة "الحمد لله" تتضمن إثبات جميع الكمال لله عز وجل وتستلزم نفي جميع النقائص عن الله عز وجل ولهذا مدح نفسه عز وجل فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿وَسَأَلْتُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠-١٨٤].

فهذه السورة عظيمة النفع عظيمة البركة فينبغي للإنسان أن يتعلم معانيها ويتلوها ويتقرب بها إلى ربه ويُعلم معانيها لغيره لما فيها من النفع العظيم.



## سورة الكافرون

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الْكَافِرُونَ ۚ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون: ١-٦].

هذه السورة العظيمة تسمى بسورة الإخلاص؛ لما فيها من الدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى، والعبادة هي رضى الدين وأسه وأساسه.

**قال شيخ الإسلام في العبودية (ص: ٤٤):** العبادة هي اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين وصلّة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقرأة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمة والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

[الأعراف: ٥٩].

وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ وَمَسَالِحٌ وَسُعَيْبٌ وَغَيْرُهُمْ لِقَوْمِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [٣٦ النحل].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٢٥ الأنبياء].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [٩٢ الأنبياء]، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ] [٥٢]. [٥١-٥٢ الْمُؤْمِنُونَ].

وَجَعَلَ ذَلِكَ لَازِمًا لِرَسُولِهِ إِلَى الْمَوْتِ كَمَا قَالَ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [٩٩ الحجر]. انتهى

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [١] : يقول الله عز وجل يقول لنبية: قل يا محمد ﴿قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [١] ، دعاهم بحرف النداء للبعيد؛ لأنهم بعيدون عن الإسلام وعن الاستقامة وعن الخير وذكر العلماء في سبب ذلك أحاديث وأثار:

**منها:** ما أخرجه الطبري جامع البيان (٢٤ / ٧٠٣): حدثني مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ، قَالَ: ثنا أَبُو خَلْفٍ، قَالَ: ثنا دَاوُدُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطَوْهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُرَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطْئُوا عَقْبَهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلاَحٌ. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَتَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: «حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي» فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: قُلْ يَا أَيُّهَا

الْكَافِرُونَ السُّورَةُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].  
 [الزمر: ٦٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٦].

وهذا حديث ضعيف لا يثبت في سنده مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ وَأَبُو خَلْفٍ وكلاهما ضعيف.

قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٥﴾﴾: فيه البراءة من الشرك وأهله قال تعالى:  
 ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ  
 أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ  
 وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ  
 أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى في المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
 بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ  
 الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَتَّيَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا  
 تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمُ أَوْلِيَاءَ لَقُومًا إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا يَمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ  
 الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ  
 إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ  
 ﴿٦٨﴾﴾ [المتحنه: ١].

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقول للكافرين: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٥﴾﴾: أي:  
 الذي تعبدونه من الأصنام والأوثان.

لأنكم تعبدون الباطل تعبدون الأحجار والأشجار وتفعلون الظلم العظيم الذي لا يغفره الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٩٨): فقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١) **وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ﴾** (٢)، يقتضي تنزيهه عن كل موصوفٍ بأنه معبودهم؛ لأن كل ما عبده الكافر وجبت البراءة منه لأن كل من كان كافراً لا يكون معبوده إلا الذي يعبده المؤمن. إذ لو كان هو معبوده لكان مؤمناً لا كافراً. وذلك يتضمن أموراً:

**أحدها:** أن ذلك يستلزم براءته من أعيان من يعبدونهم من دون الله. **الثاني:** أنهم إذا عبدوا الله وغيره فمعبودهم المجموع وهو لا يعبد المجموع لا يعبد إلا الله وحده. فيعبده على وجه إخلاص الدين له لا على وجه الشرك بينه وبين غيره.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين قول الخليل: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١١)، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، وقوله: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُتِبَ لَكُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥)، ﴿أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ﴾

﴿الْأَقْدَمُونَ﴾ (٧٦)، ﴿فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧)، بأن يقال: هنا نفي عبادة المجموع وذلك لا ينفي عبادة الواحد الذي هو الله. والخليل تبرأ من المجموع وذلك يقتضي البراءة من كل واحد فاستثنى. أو يقال: الخليل تبرأ من جميع المعبودين من الجميع فوجب أن يستثنى رب العالمين. ولهذا لما وقع مستثنى في أول الكلام في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، لم يحتج إلى استثناء آخر. وأما هذه السورة فإن فيها التبري من عبادة ما يعبدون لا من نفس ما يعبدون. وهو بريء منهم ومن عبادتهم ومما يعبدون. فإن ذلك كله باطل كما ثبت في الصحيح عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ».

فَعِبَادَةُ الْمُشْرِكِ كُلُّهَا بَاطِلَةٌ لَا يُقَالُ: نَصِيبُ اللَّهِ مِنْهَا حَقٌّ وَالْبَاقِي بَاطِلٌ بِخِلَافِ مَعْبُودِهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ إِلَهٌ حَقٌّ وَمَا سِوَاهُ آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ. فَلَمَّا تَبَرَّأَ الْخَلِيلُ مِنَ الْمَعْبُودِينَ أَحْتَاجَ إِلَى اسْتِثْنَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ تَبَرُّوهُ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ مَا يَعْبُدُونَ فَكَانَ الْمُنْفِيُّ هُوَ الْعِبَادَةَ تَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ الْمَجْمُوعِ الَّذِينَ يَعْبُدُهُمُ الْكَافِرُونَ.

**الثَّالِثُ:** إِنْ كَانَ النَّفِيُّ عَنِ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ مَعْبُودُهُمْ لَا عَنْ عَيْنِهِ فَهُوَ لَا يَعْبُدُ شَيْئًا مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُمْ. لِأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُمْ هُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ فَوَجَبَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْ عِبَادَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ. وَلَوْ قَالَ "مَنْ تَعْبُدُونَ" لَكَانَ يُقَالُ: إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ لِأَنَّ النَّفْيَ وَقَعَ عَلَى عَيْنِ الْمَعْبُودِ. وَلَيْسَ إِذَا لَمْ يَعْبُدْ مَا يَعْبُدُونَ مُتَبَرِّئًا مِنْهُ وَمُعَادِيًا لَهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ. بَلْ هُوَ تَارِكٌ لِعِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ. وَهَذَا يَتَبَيَّنُ: **بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ:** وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ﴿٣﴾ نَفَى عَنْهُمْ عِبَادَةَ مَعْبُودِهِ. فَهُمْ إِذَا عَبَدُوا اللَّهَ مُشْرِكِينَ بِهِ لَمْ يَكُونُوا عَابِدِينَ مَعْبُودَهُ. وَكَذَلِكَ هُوَ إِذَا عَبَدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا مَعْبُودُهُمْ.

**الْوَجْهُ الْخَامِسُ:** أَنَّهُمْ لَوْ عَيَّنُوا اللَّهَ بِمَا لَيْسَ هُوَ اللَّهُ وَقَصَدُوا عِبَادَةَ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّهُ كَالَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجَلَ وَالَّذِينَ عَبَدُوا الْمَسِيحَ وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الدَّجَالَ وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَهَوَاهُمْ وَمَنْ عَبَدَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَكِنَّ هَذَا الْمَعْبُودَ الَّذِي لَهُمْ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ. فَإِذَا قَالَ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤﴾ كَانَ مُتَبَرِّئًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ الْعَابِدِينَ هُوَ اللَّهُ.

**الْوَجْهُ السَّادِسُ:** أَنَّهُمْ إِذَا وَصَفُوا اللَّهَ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ كَالصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ وَالشَّرِيكِ وَأَنَّهُ فَقِيرٌ أَوْ بَخِيلٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ وَعَبَدُوهُ كَذَلِكَ. فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْمَعْبُودِ الَّذِي

لِهَؤُلَاءِ. فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ اللَّهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي سَبَّ قُرَيْشٍ؟ يَسُبُّونَ مُذَمِّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»، فَهُمْ وَإِنْ قَصَدُوا عَيْنَهُ لَكِنَّ لَمَّا وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ مُذَمِّمٌ كَانَ سَبَّهُمْ وَاقِعًا عَلَىٰ مَنْ هُوَ مُذَمِّمٌ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. وَذَلِكَ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ. فَالْمُؤْمِنُونَ بَرَاءٌ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ.

**الْوَجْهُ السَّابِعُ:** أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا وَصَفَ بِهِ الرَّسُولُ رَبَّهُ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْبُدْ مَا عَبَدَهُ الرَّسُولُ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ. وَقَسَّ عَلَىٰ هَذَا فَلْتَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْمَعَانِي وَتَلْخِصْ وَتَهَذِّبْ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ. انتهى

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: ثم أخبر عنهم بقوله وأنتم عابدون لإلهي الذي أعبد ما دتم على شرككم فأنا أعبد الله الواحد القهار وأنتم تعبدون المخلوقات المربوبات.

**وقد قال العلماء:** كيف هذا؟ وبعضهم قد أسلم بعد ذلك فيقال لعله أراد ذلك الحين، وقال بعضهم أيضًا: لعله أراد من لم يسلم منهم، المهم: أن هذه الآية فيها وجوب إخلاص العبادة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، فمعناه: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾: أنا ومن معي من الموحدين، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي: الذي أنتم تعبدونه من باطلكم وأهلتكم التي تضاھتون بها الله عزَّوجلَّ

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: أي: وفي هذا الحال الذي أنتم عليه ومن كان منكم سيموت على الكفر لم يقع منه أفراد العبادة لله تعالى، وإنما وقع منهم نقيض ذلك وهو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ نَهَىٰ بِهِ الرَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤١﴾﴾: فيه توكيد أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** هو من معه على الإخلاص والتوحيد وافراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بما يجب له في هذا الباب من دعاء ونذر وخوف ورجاء وتوكل واناية على ما تقدم بيانه.

**وفيه:** بيان لما عليه أهل الحق من سلوك سبل الثبات على دين الله تعالى، وعدم التأثر بالمغريات والترزح عن الكتاب والسنة مهما عظمت الخطوب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ ﴿٥٠﴾﴾: على ما تقدم وأنه لا يمكن الجمع بين الحق والباطل والهدى والضلال.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥١﴾﴾: أي: لكم باطلكم الذي أنتم فيه ولي الحق الذي أدعو إليه وأنصره والذي ابتليت من أجله، ولكم دينكم الباطل الذي ارتضيتموه.

وهذه الآية العظيمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥١﴾﴾: فيها البراءة من دين الكفار من اليهود والنصارى والمشركين؛ لكن العجب أن دعاة حوار الأديان ووحدته قد اتخذوها شبهة لهم فأصبحوا يمجدون الباطل ويرضون بالباطل، وإذا ما أنكرت عليهم قالوا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥١﴾﴾: على أن هذا إقرار من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** لهم، وهذا غير صحيح وقد أجيب عنه بوجهين:

**الوجه الأول:** أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

**والوجه الثاني:** أن الآية ليس فيها تقرير وإنما هي مثل قول الله عز وجل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِفُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

فقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾: ليس فيه إباحة الكفر؟ ولكن فيه أن الله عز وجل بين طريق الحق والهدى وبين طريق الباطل والردى فمن استجاب فله الجنة ومن أعرض فله النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الإنسان: ٣-٤].

فقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾: ليس فيها شبهة لا للقرضاوي ولا لمن إليه من دعاة الحوار والتقارب مع اليهود والنصارى وإنما فيها البراءة والتهديد من الله عز وجل كقول الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: فليس فيه إباحة الزور والفجور والكفر والعصيان وإنما فيها التهديد؟ فينبغي للمسلم إذا أراد أن يتعلم دينه أن يرجع إلى تفسير السلف وطريقتهم وفهمهم للقرآن والسنة.

### أحسن طرق تفسير القرآن:

ثم إن أحسن الطرق لتفسير القرآن لهو:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- ثم تفسير القرآن بالسنة.

٣- ثم تفسير القرآن بأثار الصحابة والسلف رضوان الله عليهم.

٤- ثم تفسير القرآن بالغة العربية التي لم تحرف ولم تولد.

أما أن يفسر القرآن بما يسمون به (التفسير العصري) فهذا والعياذ بالله من الباطل الذي يؤدي إلى زحزحة الأقوال والمعاني الشرعية التي نزل بها القرآن وإلى الأخذ بالفجور والباطل الذي يستخدمه المشركون ومن إليهم من العقلايين والمبطلين. نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونسأله السداد في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.



البيان لنداءات الله عز وجل في القرآن

## المقدمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [آل

عمران: ١٦٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فمن أنفس العلوم علم القرآن وتفسيره وبيانه؛ فهو كلام الله **عَزَّجَلَّ** ووحيه ونوره، وهو الشفاء والنور، والكتاب المبين والحكيم، والفرقان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومهما قال الإنسان في بيان هذا الكلام فتجد أنه مقصر، ومن أراد التوسع محسر، فهو الكتاب المبارك، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، أي: وهذا القرآن كتاب أنزلناه فيه بركة وخير كثير لمن آمن به فهو المبارك الذي بورك فيه، والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وقيل الكثرة في كل خير.

﴿وبركته في تلاوته، وتدبره، وحفظه، والاستشفاء والاستدلال به.﴾

- ﴿١﴾ وبركته في أخباره وأحكامه.
- ﴿٢﴾ ومن بركته أنه الشافع المشفع.
- ﴿٣﴾ ومنها مضاعفة أجر قرأته.
- ﴿٤﴾ ومنها أن قرأته سبب لانسراح الصدور، وزوال الهموم والغموم.
- ﴿٥﴾ ومنها قرب الملائكة من قارئه.
- ﴿٦﴾ ومنها أنه من أسباب رضی الرحمن، ومطرده للشيطان.
- ﴿٧﴾ ومنها أنه دائم المنفعة، يبشر بالثواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية.
- ﴿٨﴾ ومنها أن فيه السلامة من الفتن.

\* وفي فضائل القرآن للقاسم بن سلام (٤٩): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا حَبْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَجُوجُ فِيَقَوْمٌ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ؛ فَاتْلُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١]، وَلَكِنْ أَلْفٌ عَشْرٌ، وَلَا مِائَةٌ عَشْرٌ، وَمِائَةٌ عَشْرٌ». اهـ. والصحيح فيه الوقف.

\* قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فضائل القرآن» (٤٨): فيحتمل، والله أعلم أن يكون - إبراهيم الهجري - وَهَمَّ فِي رَفْعِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وقد حفظ الله عَزَّوَجَلَّ القرآن من عبث العابثين وتحريف المحرفين وتأويل المبطلين تحقيقاً لوعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [١٤]

[فصلت:٤٢]، وقد رأيت بركة في تدريس ما يحتاج الناس إليه في هذا الباب لكثرة سماعهم وتلاوتهم له، وقد منَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** عليَّ وله الحمد والمنة والفضل بتفسير المفصل منه في رمضان من عامي (١٤٤٠ و ١٤٤١ هـ) في مسجد الصحابة بمدينة الغيضة، وقد عزمت هذا العام (١٤٤٢ هـ) بعون الملك العلام على تدريس نداءات الله **عَزَّوَجَلَّ** في القرآن الكريم، ولو أردنا جمع جميع النداءات لكان أوسع، لكن ذكرنا ذلك وما في بابه من الدعوة إلى التوحيد والخير.

### ❖ ونداء الله **عَزَّوَجَلَّ** على نوعين:

❧ **الأول: نداء الله **عَزَّوَجَلَّ** لغير العقلاء من مخلوقاته.** وجاء في ثلاثة مواطن وهي

على الترتيب:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْهِ أَقْلِبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:٤٤].
- ٢- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَنْتَرِكُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩].
- ٣- قوله تعالى: ﴿\* وَالْقَدَّاءَاتِنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَالنَّانَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١١﴾﴾ **أَنْ أَعْمَلْ سَدِغَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾** [سبأ:١١-١٠].

❧ **الثاني: نداء العقلاء وهو الأكثر، وتفصيله على النحو التالي:**

- ١- **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، جاء في تسعة عشر موطنًا، تسع منها في سور مدنية، اثنتان في سورة البقرة، وثلاث في النساء، وواحدة في الأعراف، وأربع في يونس، وأربع في الحج، وواحدة في لقمان، وثلاث في فاطر، وواحدة في الحجرات.
- ٢- **وقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، جاءت في تسعة وثمانين موطنًا، وهي على النحو التالي: إحدى عشر في سورة البقرة، وسبعة في آل عمران، وتسعة في النساء، وستة عشر في المائدة، وستة في الأنفال، وستة في براءة، وواحد في الحج،

وثلاثة في النور، وسبعة في الأحزاب، واثنان في محمد، وخمسة في الحجرات، وواحد في الحديد، وثلاثة في المجادلة، وواحد في الحشر، وثلاثة في الممتحنة، وثلاثة في الصف، وواحد في الجمعة، وواحد في المنافقون، وواحد في التغابن، واثنان في التحريم.

- ٣- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، جاءت في ثلاثة عشر موطنًا.
- ٤- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئِي عَادِمًا﴾، جاءت في خمسة مواطن، أربعة منها في الأعراف.
- ٥- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ﴾، جاءت في أربعة مواطن.
- ٦- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾، في موطنين.
- ٧- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، في موطن واحد متعلق بيوم القيامة.
- ٨- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَلِيحِي﴾، جاء في موطن واحد.
- ٩- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْعَيْسَى﴾، جاء في ثلاثة مواطن.
- ١٠- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْمُوسَى﴾، جاء في إحدى عشر موطنًا.
- ١١- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾، جاء في أربعة مواطن.
- ١٢- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْهَلْ الْكِتَابِ﴾، جاء في اثني عشر موطنًا.
- ١٣- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، جاء في موطنين.
- ١٤- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَنُوحُ﴾، جاء في موطنين.
- ١٥- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾، جاء في موطن واحد.
- ١٦- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، جاء في موطن واحد.
- ١٧- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعَادِي﴾، في خمسة مواضع، ثلاثة منها في الزمر، وواحد في العنكبوت، وواحد في الزخرف.

١٨- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَظْمُونَةُ ﴿٣٧﴾﴾ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ فِي سُورَةِ الْفَجْرِ.

١٩- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ جَاءَ فِي مَوْطِنَيْنِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ.  
٢٠- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ جَاءَ فِي مَوْطِنَيْنِ فِي الْحَجْرِ وَ(ص).

\* مسألة: دراسة نداءات الله عزوجل من الأهمية بمكان لأمر:

**الأول:** أنها أعظم النداءات، حيث والمتكلم بها هو الرب الكبير العظيم، ونداء الله لا بد وأن يؤخذ به، وهو دال على رحمته، وعلى عظيم غضبه ونقمته.

**الثاني:** أنها دالة على مسألة عقدية مهمة من أن الله عزوجل متكلم بحرف وصوت، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، منه بدأ قولاً وإليه يعود، سمعه منه جبريل عليه السلام حقيقة، وسمعه من جبريل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْزُضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»<sup>(١)</sup>، وقال ابن القيم رحمه الله<sup>(٢)</sup>:

وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا	❁❁	وَكَلامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمَتْ كَلِمَاتُهُ	❁❁	طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِلا نَقْصَانِ
وَرَسُولُهُ قَدْ عَادَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ	❁❁	لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانِ
أُبْعَادُ بِالْمَخْلُوقِ حَاشَاهُ مِنْ الـ	❁❁	إِشْرَاكِ وَهُوَ مَعْلَمُ الْإِيمَانِ

(١) أخرجه أحمد (١٥١٩٢).

(٢) «النونية» (٣٧).

- بِلِ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ ❀❀  
 وَسُبْحَانَهُ لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ  
 وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ ❀❀  
 الْمَسْمُوعُ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيِّنَانِ  
 هُوَ قَوْلُ رَبِّي كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ ❀❀  
 لَفْظًا وَمَعْنَى مَا هُمَا خَلْقَانِ  
 تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلِهِ ❀❀  
 لَكُنْ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفِعْلَهُمْ ❀❀  
 كَمِادَاهُمْ وَالرِّقَ مَخْلُوقَانِ  
 فَالْصَوْتُ لِلْقَارِي وَلَكِنَّ الْكَلَامُ ❀❀  
 كَلَامُ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ

❀ وقد كَفَّرَ العلماء من زعم أن القرآن مخلوق، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي

«نُونِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>:

- وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرِهِمْ خَمْسُونَ فِي ❀❀  
 عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ ❀❀  
 وَاللَّالِكَائِي الْإِمَامَ حَكَاهُ عَنْهُمْ ❀❀  
 بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

**الثالث:** بيان أهمية الأبواب التي وقع فيها النداء، إلى غير ذلك من الأمور التي

تعلم بالتأمل، والله الموفق.

**مسألة:** نداءات الله عزَّوَجَلَّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دالة على عظيم شأنه

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: حيث نداءه الله بالنبوة والرسالة، ثم منها ما هي خاصة به، ومنها ما يدخل فيه أمته وهو الأكثر، فالأصل فيها العموم إلا ما دل الدليل على الخصوصية.

**قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:** وبأن الأدلة دلت على أن الخطاب الخاص به

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يشمل الأمة حكمه لا لفظه الا بدليل على الخصوص، كقوله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقد علمنا من استقرار القرآن أن

يخاطب نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخطاب لفظه خاص، والمقصود منه تعميم الحكم.

(١) «النونية» (٤٢).

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ثم قال: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]،  
 الآية، فأفهم شموله حكم الخطاب للجميع، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١]،  
 ثم قال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾  
 [الأحزاب: ١]، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]، وقال: ﴿وَمَا تَكُونُ  
 فِي شَأْنٍ﴾ [يونس: ٦١]، ثم قال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ [يونس: ٦١]، الآية.

فدل التعميم بعد الخطاب الخاص به في الآية المذكورة على عموم حكم  
 الخطاب الخاص به<sup>(١)</sup>. اهـ.

**مسألة: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾** يدخل فيه عموم الكفار على الصحيح من أقوال  
 أهل العلم، قال الشيخ محمد صالح العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: والتكليف بالأمر والنهي  
 شامل للمسلمين والكفار، لكن الكافر لا يصح منه فعل المأمور به حال كفره؛ لقوله  
 تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤]، ولا يؤمر بقضائه إذا أسلم؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ  
 كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**  
 لعمر بن العاص: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله»، وإنما يعاقب  
 على تركه إذا مات على الكفر؛ لقوله تعالى عن جواب المجرمين إذا سئلوا: ﴿مَا  
 سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ٤٢ ﴿قَالُوا لَوْ نَرَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٤٣ ﴿وَلَوْ نَرَاكَ نَطْعُمَ الْمَسْكِينِ﴾ ٤٤ ﴿وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ  
 الْفَاطِمِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤٦ ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ ٤٧ [المدثر: ٤٢-٤٧] اهـ.

**هـ** وقد حث السلف الصالح على الانتباه لنداء الله **عَزَّوَجَلَّ**، وملازمة أمره،  
 والحرص على فهمه وتطبيقه.

(١) «المذكرة» (١٦٩).

(٢) «الأصول من علم الأصول» (٣١).

\* قال ابن كثير رحمه الله: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مسعر، حدثني معن وعوف - أو: أحدهما - أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: اعهد إلي. فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فارعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه<sup>(١)</sup>.

وقال: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم - دحيم - حدثنا الوليد، حدثنا الأوزاعي، عن الزهري قال: إذا قال الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فاعلوا، فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم.

وحدثنا أحمد بن سنان، حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش، عن خيثمة قال: كل شيء في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهو في التوراة: ﴿بِأَيُّهَا الْمَسَاكِينُ﴾.

فأما ما رواه عن زيد بن إسماعيل الصائغ البغدادي، حدثنا معاوية - يعني: ابن هشام - عن عيسى بن راشد، عن علي بن بديمة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، إلا أن علياً سيدها وشريفها وأميرها، وما من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحد إلا قد عوتب في القرآن إلا علي بن أبي طالب، فإنه لم يعاتب في شيء منه. فهو أثر غريب ولفظه فيه نكارة، وفي إسناده نظر. قال البخاري: عيسى بن راشد هذا مجهول، وخبره منكرو.

**قلت:** وعلي بن بديمة - وإن كان ثقة - إلا أنه شيعي غال، وخبره في مثل هذا فيه تهمة فلا يقبل.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا عُوْتِبَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَلِيًّا﴾، إنما يشير به إلى الآية الآمرة بالصدقة بين يدي النجوى، فإنه قد ذكر غير واحد أنه لم يعمل بها أحد إلا علي، ونزل قوله: ﴿ءَأَسْفَقْتُمْ أَن تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَاذَلَّ تَقَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ

(١) أقول: الأثر لا يثبت سنداً ومعناه صحيح، وأحسن طرقه فيه أبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾  
[المجادلة: ١٣].

وَفِي كَوْنِ هَذَا عِتَابًا نَظَرٌ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: إِنَّ الْأَمْرَ كَانَ نَدْبًا لَا إِجْبَابًا، ثُمَّ قَدْ نُسِخَ ذَلِكَ عَنْهُمْ قَبْلَ الْفِعْلِ، فَلَمْ يَرَّ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافَهُ.

وَقَوْلُهُ عَنِ عَلِيٍّ: «إِنَّهُ لَمْ يُعَاتَبْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ»، فِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا؛ فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْأَنْفَالِ الَّتِي فِيهَا الْمُعَاتَبَةُ عَلَى أَخْذِ الْفِدَاءِ عَمَّتْ جَمِيعَ مَنْ أَشَارَ بِأَخْذِهِ، وَلَمْ يَسَلَمْ مِنْهَا إِلَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَلِمَ بِهِذَا، وَبِمَا تَقَدَّمَ ضَعْفُ هَذَا الْأَثَرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>. اهـ.

**معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:**

ومعنى هذه الجملة العظيمة ما قرره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تفسيره»<sup>(٢)</sup>، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَأَدْعُنَا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَسَلَّمُوا لَهُ الْأَلُوْهِيَّةَ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي نُبُوَّتِهِ وَفِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ. اهـ.

فالمؤمن حقًا ظاهرًا وباطنًا هو المنقاد لشرع الله تعالى، المبادر إلى رضوانه، المتابع لرسوله، والرجاع من ذنوبه، المتواضع في جميع شأنه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

**بيان مواطن نزول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:**

(١) «التفسير» (٦/٢).

(٢) «التفسير» (٥/٨).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "مَا كَانَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أَنْزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَا كَانَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فِيمَكَّةَ"<sup>(١)</sup>.

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، خِطَابُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، خِطَابُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ هَاهُنَا عَامٌّ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الصَّغَارُ وَالْمَجَانِينُ<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وعن وَكَيْع، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَنْزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَنْزَلَ بِمَكَّةَ<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن شهاب قال: كل شيء في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ما لم يكن سورة تامة، فإنما أنزل الله ذلك بمكة، وكل شيء في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإنما أنزل كله بالمدينة حين استحکم الأمر<sup>(٤)</sup>.

هذه أقوال بعض العلماء، والواقع أن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت بالمدينة، وأما: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فمنه المكي، ومنه المدني، فمن المدني: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، وغيرها، والله أعلم.

وكتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن يزيد الحجوري الرزكري

مسجد الصحابة.

(١) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٦٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٧١/١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المسند» برقم ٣٢١٤٣ - ٣٠٧٦٨ / ط أشبيلية.

(٤) أخرجه عبد الله بن وهب في «الجامع لتفسير القرآن» (١٢٣).

## سورة البقرة

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٢٨٦)

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

## الشرح:

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، هذا أول نداء في المصحف: وهو نداء لجميع المكلفين من الجن والإنس، نداهم الله **عَزَّجَلَّ** وأمرهم بعبادته؛ لوجوبها وتعينها.

قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، أي: وحدوه وأفردوه بما يجب له في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وهذا معنى قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

**والعبادة:** هي أسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والمعتقدات، وهي قطب روح الدين، والأمر الذي من أجله وُجدت الخليقة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهي: أمر الله لجميع المكلفين:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وهي: الأس الذي أرسلت من أجله الرسل: ﴿وَأَنذَرْنَا لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١٩]،

قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، ومما يُقرأ في كل صباح ومساء وفي كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

قوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ولم يقل: (الله) مع أن لفظ الجلالة: (الله) هو الاسم

الأعظم، وهو أعرف المعارف وعليه مدار بقية الأسماء إلا أن الرب: هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر، فكأنه يقول: اعبدوا الذي خلقكم، ورزقكم، ودبر شأنكم، زد على ذلك: أنه الحافظ لعباده المؤمنين ينصرهم ويتولاهم ويدافع عنهم.

ثم عرف الرب بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أو جدكم من العدم، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم السابقة السالفة، والنتيجة إذا عبدتم الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تتحصل لكم التقوى: بفعل الأمور وترك المحظور، وإذا اتقيتم الله **عَزَّجَلَّ** صلحت ديناكم وأخراكم كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَاذًا﴾ [النبا: ٣١]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فشان صلاح العبد في تقوى الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿آلَاتٍ أُولِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الذِّبَاتِ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فأول نداء في القرآن يأمرك الله **عَزَّجَلَّ** فيه بتوحيده فحقق هذا الأمر والتزمه ظاهراً وباطناً.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَتَّادِمُ أَنْبَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٣٣] **وَلَمَّا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣٤] وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَنْتَ وَرَوْجِكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٣-٣٥].**

### الشرح:

هذه الآيات في سياق ما قصه الله **عَزَّجَلَّ** من شأن آدم **عَلَيْهِ السَّلَام**، حيث أخبر الله

**عَزَّجَلَّ** الملائكة أنه: ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فكان قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ [البقرة:٣٠].

ثم امتن الله **عَزَّجَلَّ** على آدم: بأن علمه أسماء كل شيء: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة:٣١]، قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة:٣٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَّخِذُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَدَلًا لِلَّهِ آلِهَةً يَكْفُرُونَ بِهِمْ عِلْمًا ظَاهِرًا﴾ [البقرة:٢٢]، قيل: بأسماء الملائكة، وقيل: بأسماء كل شيء مما أمر الله **عَزَّجَلَّ** بالإخبار عنه، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ وأخبرهم بأسمائهم على ما تقدم: ﴿قَالَ﴾ الله **عَزَّجَلَّ** لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما هو من أسباب مصالح الحياة وأسباب فسادها، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ في أنفسكم، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ عن غيركم.

ثم قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ عند ذلك، نداء آخر: أن الله **عَزَّجَلَّ** نادى الملائكة: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا بأمر الله ليس معناه: أنهم عبدوه من دون الله، إنما سجدوا له بأمر الله تعظيمًا لشأنه ولما آتاه الله **عَزَّجَلَّ** من العلم، فهذه الآية يُستدل بها على فضل العلم إذ أن الله **عَزَّجَلَّ** إنما أمرهم أن يسجدوا لآدم؛ لما ميزه عليهم من العلم، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الشيطان الرجيم، ﴿أَبَى﴾ يعني: رفض القيام بالأمر، وكان سبب رفضه الاستكبار: ﴿وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ وهذه الآية يستدل بها العلماء: على نوعين من أنواع الكفر:

الأول: كفر الإباء.

الثاني: كفر الاستكبار.

ثم قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ ناداه **عَزَّجَلَّ** وأمره بقوله: ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ

**الْجَنَّةِ** ﴿جنة الخلد على الصحيح، وذهب كثير من أهل العلم: إلى أنها جنة في الدنيا، لكن هي جنة الخلد؛ لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٧٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٧٩﴾﴾ [طه: ١٧٨-١٧٩]، فمهما بلغ الحال بجنة الدنيا فلا بد من عُرْيٍ ولا بد من عطش وجوع ونحو ذلك، وزوجه هي: حواء عليها السلام خلقها الله **عَزَّوَجَلَّ** من ضلع آدم، ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا﴾ أي: كلا منها رزقًا واسعًا، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من حيث شئتما، من جميع ما فيها من الأشجار والثمار، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ حرم عليها شجرة واحدة، تكلم أهل التفسير في هذه الشجرة ولا طائل لكلامهم إذ أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أخبرنا عن شجرة ولم يُخبرنا عن اسمها، ولو كان اسمها من المتعينات لأخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** به، والتكلم في نوع هذه الشجرة تكلم في غيب لا دليل عليه، ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ المراد بالظلم هنا: ظلم المعصية؛ لأن الظلم يُطلق ويراد به الكفر، ويُطلق ويراد به المعصية، وظلمهما كان عبارة عن معصية.

عند ذلك أكلا من الشجرة ثم كان ما كان مما قصه الله **عَزَّوَجَلَّ** من إهباطهم إلى الدنيا.

فلو أن آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أخذ بهذه النداء العظيم والتزمه ولم يأكل من الشجرة كان الأمر: أنه في الجنة، لكن أراد الله **عَزَّوَجَلَّ** ذلك فقدره وقضاه.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿يٰٓبَنِي إِسْرٰٓءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِي الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِيْ اُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَاِيْتِيْ فَاَرْهَبُوْنَ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠].

### الشرح:

﴿يٰٓبَنِي إِسْرٰٓءِيْلَ﴾ وهذا نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** لبني إسرائيل: وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، كثرت ذريته، ويذكرون بأن إسرائيل معناه: عبد الله.

**المهم:** أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ناداهم؛ لأنهم كانوا أفضل الأمم في حينهم قبل مبعث نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**.

﴿**أَذْكُرُوا نِعْمَتِي**﴾ أي: نعمي؛ لأن النعمة إذا أضيفت أفادت العموم: ﴿**فَأَذْكُرُوا**  
**ءِ الْآلَةَ اللَّهِ**﴾ [الأعراف: ٦٩]، أي: نعم الله، وذكر النعم بشكرها وعدم كفرها، والنعمة إذا  
شكرت قرت، وإذا كفرت فرت:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ❀❀ فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ  
وَدَوْمَ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الْإِلَهِ ❀❀ فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النَّقْمِ  
والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿**إِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**  
﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]، فأعظم سالب للنعمة: كفرانها.

﴿**الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾ سواءً من المآكل أو المشارب، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** أعطاهم  
المن: وهو شراب شبيه العسل، والسلوى: وهو طائر شبيه السنامي يأكلون من  
لحمه، ويتنعمون من ذلك الأكل بدون عناء أو تعب أو نصب، ولكنهم أبوا إلا كفران  
النعمة فسلبت عنهم وحولت إلى غيرهم.

﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي**﴾ ومما ناداهم الله **عَزَّوَجَلَّ** وأمرهم به: الوفاء بالعهد والميثاق والمراد  
به الدين: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ**﴾ [النحل: ٩١]، ﴿**الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا**  
**يَنْقُضُونَ أَلْمِيثَاقَهُ**﴾ [الرعد: ٢٠]، المراد به: الدين على الصحيح، فكل ما أمر الله به فهو  
من عهده، ويدخل فيه ابتداءً: التوحيد وعدم الشرك والتنديد.

فإذا حصل منكم الوفاء بالعهد والوعد: ﴿**أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾ أكرمكم وأنعمكم، والله  
**عَزَّوَجَلَّ** لا يخلف عهده ولا ينقض وعده، ﴿**وَإِنِّي فَأَرْحَمُونَ**﴾ ﴿١٥﴾ ومني فخافون، وهذه  
عبادة عظيمة صرفها كثير من الناس لغير الله **عَزَّوَجَلَّ**، صرفوها للمقبورين، وصرفوها  
للجن والشياطين، والله المستعان.

لكن هل قام بنو إسرائيل بهذا الأمر؟ الصحيح: أنهم غيروا وبدلوا؛ ولهذا سُلبت  
النعمة منهم وحولت إلى غيرهم.

### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ

﴿٤٧﴾ [البقرة: ٤٧].

### الشرح:

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ هذا تكرار من الله عزَّ وجلَّ ونداء لبني إسرائيل:  
أن يذكروا نعمته، وأن يشكروها ولا يكفروها، ومنها أنه: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ  
﴿٤٧﴾ والمراد بهم: عالم زمانهم، وأما بعد ذلك فهذه الأمة هي أفضل الأمم كما قال  
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»، وقال  
الله عزَّ وجلَّ ممتنًا على هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفضائل هذه الأمة كثيرة:

**منها:** أنهم أول من يدخلون الجنة.

**ومنها:** أنهم أول من يجوزون الصراط.

**ومنها:** أنهم أول من يُقضى بهم يوم القيامة مع أنهم الآخرون وهم السابقون كما  
أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسبب تحويل النعمة من بني إسرائيل إلى هذه الأمة: أن بني إسرائيل غيروا  
وبدلوا.

## الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمِعُوا<sup>١٧٤</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>١٧٥</sup>﴾ [البقرة: ١٧٤].

## الشرح:

في هذه الآية تحذير من رب العالمين: أن يتشبه المؤمنون بالكافرين في ألفاظهم وأقوالهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهذا أول نداء في القرآن للمؤمنين بلفظ الإيمان، والمراد بالمؤمنين: أنهم الذين انقادوا لأمر الله ولشرع، فينبغي أن يكونوا لذلك مبادرين وبه آخذين.

﴿لَا تَقُولُوا﴾ في خطابكم لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، ﴿رَاعِنَا﴾ من الرعونة، وذلك أن اليهود كانوا يقولون: يا محمد راعنا، ويريدون به من الرعونة السب، والمؤمنون يقولون: يا رسول الله راعنا، ويريدون به من الانتظار والرفق ونحو ذلك، فلما استغل اليهود مثل هذا اللفظ نهى الله **عَزَّوَجَلَّ** عن مشابهتهم في الأقوال، وبهذا تعلم: أن الذين يتكلمون بلغتهم لغير حاجة شرعية أو حتى حاجة دنيوية يحتاجها الإنسان: أنه مسيء إلى نفسه بمخالفة أمر ربه.

﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ في الألفاظ العربية كثير من الألفاظ التي تغني عن هذا اللفظ الذي استغله اليهود للطعن في رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومن ذلك أنهم كانوا يقولون: السام عليك يا محمد، ويريدون به الموت، ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** وأمر رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** فنذوه، واسمعوا لنهي الله **عَزَّوَجَلَّ** ونهي رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** فاجتنبوه، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ يوم القيامة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>١٧٥</sup>﴾ موجع، وقد يصيبهم الله **عَزَّوَجَلَّ** ببعض ذلك في الدنيا.

## الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢].

## الشرح:

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ﴾ تقدم بيانها في الآية التي قبلها، وكررها الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأنه ادعى لاستجابتهم لقبولهم لأمر ربهم إذا أرادوا أن يحافظوا على النعمة، ولكن الواقع: أنهم أبوا إلا الكفر والإجرام والبعد عن طاعة الملك العلام **عَزَّوَجَلَّ**.  
والإنسان كرامته بطاعته لربه كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وسُئل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: من أكرم الناس؟ قال: «أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ»، كما في الصحيحين عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

## الآية السابعة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ هذا أمرٌ من ربنا **عَزَّوَجَلَّ** للمؤمنين للموحدين: أن يستعينوا على قضاء حوائجهم وعلى المضي في شأنهم: ﴿بِالصَّبْرِ﴾ سواءً على أقدار الله **عَزَّوَجَلَّ**، أو عن معاصي الله **عَزَّوَجَلَّ**، أو على أوامر الله **عَزَّوَجَلَّ** إذ أن الصبر كما يذكر أهل العلم ثلاثة أصناف:

الصبر مثل اسمه مُرُّ مَذَاقْتُهُ ❀❀ لكن عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

**حَسَابٍ ﴿١٠﴾** [الزمر: ١٠]، وبغير صبر لن تستطيع أن تقوم بشيء من الأمر، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَالصَّلَاةُ﴾ استعينوا بالصلاة على قضاء حوائجكم وعلى ذهاب كربكم، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بل والأنبياء كان إذا حزبه أمر قاموا إلى الصلاة، والآن كثير من الناس نسأل الله السلامة والعافية تركوا الصبر تركوا الصلاة ثم يشكون مما يحل بهم، والسبب في ذلك: ما هم فيه من المعاصي والسيئات والبعد عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

والاستعانة هي بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، لكن هنا يقوم الإنسان بالأعمال الصالحة التي تقربه من الله عَزَّوَجَلَّ وتكون له عوناً بعد عون الله عَزَّوَجَلَّ على قضاء كثير من شأنه وتيسير كثير من أمره.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ معية نصر وتأييد وحفظ وكلاءة، إذ أن المعية تنقسم إلى قسمين:

**النوع الأول:** معية عامة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وهذه تشمل جميع الخلقين.

**النوع الثاني:** معية خاصة، وهذه تقتضي النصر والتأييد والعز والتمكين، وقد جاءت على نوعين في القرآن:

**الأولى:** معية مقيدة بشخص، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٤٦]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

**الثانية:** معية مقيدة بوصف، كما في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [النحل: ١٧٨]، ونحو ذلك.

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

## الآية الثامنة:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

## الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ينادي الله عَزَّجَلَّ الناس جميعًا، وربما كان من العام الذي يُراد به الخصوص، وهم الذين يدخلون تحت هذا الخطاب من المسلمين، وإن كان الكفار يدخلون تحت الخطاب إلا أنهم لا يقبل منهم حتى يقروا بالإسلام.

﴿كُلُّوْا﴾ هذا على الإباحة وليس بالأمر، فالإنسان قد لا يستطيع أن يأكل كل شيء، أو يأكل من كل شيء، ربما يعاف بعض المباحات كالبرتقال، بعضهم يعاف التفاح، بعضهم يعاف المانجو، بل بعضهم يعاف العسل، بعضهم يعاف اللبن، لكن هذا على الإباحة، ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مما يخرج منها سواءً من ثمارها أو كذلك من حيواناتها، والأصل في ثمارها الإباحة، والأصل في حيواناتها الإباحة إلا ما جاء الدليل بتحريمه، ﴿حَلَلًا﴾ حلالًا لكم تأكلونه وتقتاتونه، ﴿طَيِّبًا﴾ ليس بخبيث، والحيوان حله بتذكيته إن كان من ذوات الدم السائلة، بينما مثل: القوقع، مثل الجرادة وهذه الأشياء ليس لها دم سائلة تؤكل بدون ذبح، لكن أي حيوان له نفس سائلة لا بد من ذبحه كبهيمة الأنعام، والغزال، الأرنب، القنفذ، وهكذا الوبر، وهكذا الضب وكل ما أباح الله عَزَّجَلَّ أكله، إلا ما كان من الحيوان المائي فإنه مباح بدون ذكاة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمَتُهُ﴾ [المائدة: ٩٦]. وهكذا الحيوان البرمائي إن مات في البحر فهو حلال بغير ذكاة، وإن كان في البر لا يحل إلا بذكاة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بتحليل الحرام أو بتحريم الحلال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ

مَنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ  
وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣٣﴾ [المائدة: ١٣٣]، فالشيطان حرم على الكافرين ما كان مباحاً  
لهم، وأحل لهم ما كان حراماً عليهم: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ  
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ  
وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٩]، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣٨﴾﴾ أي:  
الشيطان عدواته ظاهرة بينة فكونوا على حذر منه.

﴿إِنَّمَا﴾ حصر ما يأمر به الشيطان، ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ بالأقوال السيئة  
والأفعال القبيحة، ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ بتحريم الحلال وتحليل  
الحرام ونحو ذلك.

### الآية التاسعة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ  
إِن كُنْتُمْ ءِتِيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ نداء من الله عزوجل للمؤمنين: أن يأكلوا  
مما خلقه الله عزوجل طيباً لهم، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم، سواءً من المأكولات  
الحيوانية، أو المأكولات النباتية، ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على عظيم نعمه ومزيد مننه،  
﴿إِن كُنْتُمْ ءِتِيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٣١﴾﴾ توحّدون.

وهذه الآية فيها رد على من يشدد على نفسه ويحرم ما أباح الله له: جاء ثلاثة  
رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَن عِبَادَةِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فإني

أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَزُقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

### الآية العاشرة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

[البقرة: ١٧٨].

### الشرح:

هذه الآية والتي تليها فيهما: مشروعية القصاص، سواء كان في الجراحات أو كان في الأنفس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء من الله عز وجل للمؤمنين المقرين الموحدين، ﴿كُتِبَ﴾ فرض، ﴿عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ وهذا فيمن قُتِلَ متعمداً، أما من قُتِلَ خطأ فليس به قصاص، وهكذا شبه العمد ليس فيه قصاص، ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ أي: المقتول الحر بالقاتل الحر، كلاهما يُقتل بالآخر والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ ولا تظن أن هذا الأمر خاص بهذا، بل لو قتل الحر العبد لزمه القصاص إلا عبد نفسه اختلف العلماء، فذهب بعضهم: إلى أنه لا يقتل بعبد نفسه، وذهب مالك: إلى أنه إذا كان مترصداً قاصداً متتبعا لقتله أنه يقتل به، ﴿وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ كذلك الذكر بالأنثى، والأنثى بالذكر، فلو قتلت امرأة رجلاً متعمدة لزم القصاص، وإن قتل رجل امرأة متعمداً لزم القصاص، وقد قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهودياً بجارية قتلها

وعليه بوب البخاري: باب قتل الرجل بالمرأة.

﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ﴾ أي: من القصاص أو الدية، ﴿مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ مما تقدم، ﴿فَاتَّبَعُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ ينبغي أن يتبع بالمعروف لا يقتل غير قاتله، ولا يقتل بعد العفو، ﴿وَأَدَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ ترد إليه الدية كاملة كما أحسن إليك بالعفو عن القصاص احسن إليه بأداء الدية، فلا يجوز أن تعفو عن القصاص ثم تذهب تقتله هذا يؤدي إلى قتلك، ولا يجوز أن يُعفى عنك من القصاص ثم تقول: ما عندي لك دية ما عندي لك شيء إلا إذا كان العفو كلياً، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العفو، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ لم يجعل القصاص هو الحكم المطلق، بل جوز القصاص وجوز العفو، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ اعتدى على أخيه الذي قد عفا عنه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

موجع.

### الآية الحادية عشرة:

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:

١٧٩].

### الشرح:

﴿وَلَكُمْ﴾ يا معاشر المسلمين، ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ قد يقول قائل: أي حياة وهو يقتل؟ الحياة في قتل القاتل حتى يسلم غيره، ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ هذا هو الشاهد من سوق الآية في هذا الموطن: أن الله ناداهم بقوله: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تصلون إلى مرتبة التقوى إن لازمتهم المأمور وتركتم المحظور.

لو أن حكام المسلمين يقومون بما فرض الله **عَزَّجَلَّ** من القصاص في الجراحات

وفي الأنفس لقل الشر كثيرًا، ولكن الكفار يشددون على هذه المسألة مسألة قتل القاتل متعمدًا، ويعتبرون ذلك من الغلظة والشدة والعنف، بينما كم تشاهد من العنف في البلاد الأمريكية وفي غيرها يقتلون بدون أي سبب لا سيما الشرطة ولا إنكار عليهم، لو جُمع السود الذين قتلوهم في هذا العام لرأيت العدد، وكلهم موثق ومصور ومع ذلك لا إنكار، بينما لو قتل شرطي من البلاد الإسلامية آخر مع عنفوانه وشدته لقالوا: أين حقوق الإنسان؟

**المهم:** كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢٢]، الديمقراطية عندهم: التحلل، التفسخ، الإلحاد مع أنهم يقولون: الديمقراطية: الحرية، والإخاء، والمساواة، بينما إذا جئت لجانب المسلمين: لبس الحجاب، المحافظة على الصلاة، التمييز عن الكفار، كل هذا عندهم من الأمور التي لا يسمحون بها، وبهذا تعلم أنهم إنما يتلاعبون بقوانينهم وبنظرياتهم؛ لنصرة مذاهبهم البطالة الهدامة.

### الآية الثانية عشرة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

### الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** للمؤمنين: الذين التزموا أمره اجتنبوا نهيه وزجره، ﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ، ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ وهو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله **عَزَّوَجَلَّ**، ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ فُرِضَ، ﴿عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾ الله **عَزَّوَجَلَّ** بفعل المأمور وترك المحذور.

ثم قال الله **عَزَّوَجَلَّ** ما قال من شأن أحكام الصيام.

**فالشاهد:** أن الصيام فريضة الله، فينبغي للمسلمين أن يقوموا به على الوجه الذي يرضي الله، وأن يلتزموا هدي رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** حتى تنبل طباعهم، وتحسن أخلاقهم، وتكفر سيئاتهم، وترفع درجاتهم؛ لأن بعض الناس يصوم حمية ولا ينفعه ذلك، وبعض الناس ربما يصوم إضرابًا عن الطعام كما هو حال كثير من السجناء، لكن الصيام الممدوح: هو الإمساك بنية التعبد لله **عَزَّجَلَّ**.

وهو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ»**، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [الزمر: ١٠]، وفي الحديث: **«إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**.

وقد نكسل عن التطوعات لكن جعل الله **عَزَّجَلَّ** بركةً في ما فرض من صيام رمضان، يصومه كل المكلفين ويؤجرون على ذلك، إلا من كان معذورًا فله أحكامه: عليه القضاء إن كان مسافرًا، أو امرأة حائض أو نفساء، فإن كان مريضًا أيضًا واستمر معه المرض حتى يموت ليس عليه شيء، وإن شفي وقدر على الاتيان بالصوم ولم يأت به يلزم أولياؤه أن يصوموا عنه: **«مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»**.

قوله: **﴿كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** لكنهم حرفوا وبدلوا، فالنصارى غيروا الصيام من شهر رمضان إلى أيام الشتاء، زد على ذلك: أنه مرض ملك لهم فنذروا بعشرة أيام إن كان كذا، ثم آخر فنذروا بعشرة أيام إن كان كذا، فتلاعبوا بها إلى خمسين، وكثير من الأوامر فيها: **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [١٧٧] أي: أن الله **عَزَّجَلَّ** إنما يأمر أو ينهى عن أمر فيه مصلحة للعبد، فإذا خذ بأمر الله يا أخي واجتنب نهي الله، وابشر من الله **عَزَّجَلَّ** بالخير العظيم.

## الآية الثالثة عشرة:

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

## الشرح:

هذا نداء من الله عزَّوجلَّ لأولي الألباب: أن يلتزموا تقواه وسبل رضاه، وأولوا الألباب: هم أصحاب العقول، فإن لب الشيء أصله وأسه وأحسن ما فيه. قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ وهي: شوال، وذو الحجة، وذو العقدة، وقيل: عشر ذي الحجة، ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ أي: أحرم بالحج مفردًا أو تمتع إلى الحج أو قرن بين الحج والعمرة، ﴿فَرَضَ﴾: أوجب على نفسه، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ وهو التكلم بمقدمات الجماع وما في بابه عند النساء؛ لأن ابن عباس ربما كان يقول:

هُنَّ يَمْشِينَ بِنَاهُمِيسَا ❀❀❀ إِنَّ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَبْكَ لَمِيسَا  
لكن لم يكن بين النساء؛ ولهذا قالوا: الرفث: هو الكلام بالجماع ومقدمات الجماع بين النساء، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ من سباب وشتم وسرقة، ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ مناظرات تقسي القلوب وتذهب الاستقامات، ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ مهما دق في أعينكم: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ بالأعمال الصالحات، وهكذا بالأقوات والملابس إن كنتم في سفر، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَلِبَاسِ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، فهي نعم الزاد ونعم اللباس، إلى غير ذلك.

## الآية الرابعة عشرة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

## الشرح:

يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا﴾ ادخلوا في الإسلام من جميع جوانبه، ما يكون عندكم انتقائية، تأخذون ما ناسب أهوائكم، وتتركون ما خالف آرائكم، بل ما سُمي المسلم مسلماً إلا لانقياده واستسلامه لله: ﴿فِي السِّلْمِ﴾ في الإسلام، ﴿كَآفَّةً﴾ أي: من جميع جوانبه بفعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، وهذا هو المسلم حقاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٥]. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ سبل الشيطان، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾﴾ يصرفكم عما أحل الله عزَّجَلَّ، ويجعلكم ترتكبون ما حرم الله عزَّجَلَّ.

## الآية الخامسة عشرة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء من الله عزَّجَلَّ للمؤمنين، يأمرهم بالنفقة في سبيل الله عزَّجَلَّ سواء في ذلك النفقات الواجبة كالزكاة، والנדور، وما يلزم من نفقة الزوجات والأبناء، والآباء إن احتاجوا إلى ذلك، أو النفقات المستحبة في أوجه

الخير هاهنا وهاهنا وهاهنا، ﴿أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: وأنتم في حال صحة ونشاط، كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْغِنَى، وَلَا تَمْتَهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ أي: يوم القيامة، يوم الفصل، ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ لا يستطيع الإنسان أن يستعقب ولا أن يكسب أجراً، ﴿وَلَا حُلَّةٌ﴾ تنفع إلا ما كان من شأن أهل الإيمان: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، ﴿وَلَا شَفَاعَةً﴾ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فإذا أردت أن يكون لك عند الله **عَرْجَلٌ** منزلة ورفعة فمن الآن اشترى نفسك من الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، ومن الآن اتخذ لك أخلاء من المؤمنين: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ»، «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِيَّ»، هكذا يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وإذا أردت الشفاعة فلزم هدي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** حتى يشفع لك، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ لم يقل الظالمون هم الكافرون؛ لأن الظلم يتفاوت ظلم دون ظلم، ظلم يخرج من الإسلام، وظلم دون ذلك، ولكن الكفار ظلمة لأنفسهم، ظلمة لغيرهم، ظلمة فيما بينهم وبين ربهم **عَرْجَلٌ**، وظلمهم لا يُغفر: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

## الآية السادسة عشرة:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

## الشرح:

يقول الله عزوجل بعد حثه للمؤمنين على الصدقة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا﴾ تذهبوا أجر صدقاتكم ونفقاتكم: ﴿بِالْمَنِّ﴾ على من أعطيتموه: فعلنا لك، وفعلنا لك وهكذا: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣]. ﴿وَالْأَذَى﴾ بالفعل أو بالقول، مثل أيضًا المان والمؤذي في صدقته: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ والمرائي تعلمون أنه لا يؤجر بل يؤزر، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كافر فلا يؤمن بالبعث والنشور، فمثل هذا: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ حجرة ملساء عليها تراب، ليست بأرض مستقرة، ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أملس لا حياة فيه ولا بقاء لمسبات الحياة، فذهبت أعمالهم كما ذهب هذا التراب من على الحجرة الملساء، ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ لا يستطيعون المحافظة على شيء من الأعمال، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ لعلمه أنهم ليسوا أهلاً للهداية، وليسوا أهلاً للتوفيق.

وفي المقابل قال تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، إخلاص لله عزوجل، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، مزرعة وبستان في مكان مرتفع؛ لكنه ثابت مستقر، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، مطر طيب مبارك،

﴿فَقَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، مرتين، ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]،  
 مطر، ﴿فَطَلَّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ومع ذلك تنتفع من هذا الرذاذ؛ لطيب منبتها ولطيب  
 ثمرتها، ولطيب تربتها، ولطيب هواءها، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]،  
 مطلع.

### الآية السابعة عشرة:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ  
 مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ  
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

### الشرح:

هذا تكرار من الله **عَزَّجَلَّ** بالأمر بالنفقة: ﴿أَنْفِقُوا﴾ ابذلوا في وجه الخير، ﴿مِنْ  
 طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ من الحلال المحبوب إليكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا﴾،  
 ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ ما  
 حصلتم في عملكم، وأنفقوا أيضًا: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الثمار  
 والزرع، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ لا تقصدوا الخبيث من الثمرة، الخبيث من المال،  
 ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ لغيركم، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ إن أعطي لكم؛ لعدم جودته ولعدم  
 طيبه، ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ تلجأوا إليه وتجبروا عليه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ غَنِيٌّ﴾ غني  
 عن صدقاتكم، ولكنه ابتلاكم واختبركم، ﴿حَمِيدٌ﴾ يحمده من فعل الصالحات  
 وتقرب إلى الله بالمبرات.

فهذه الآيات آيات الصدقة في سورة البقرة من أعظم الآيات في هذا الباب، إذ أن  
 الله **عَزَّجَلَّ** تكلم عما ينبغي في هذا الباب من الإخلاص وما يحصل وراء ذلك من

المضاعفة للأجور الكثيرة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، ولما كان عادة الناس المن إلا من رحم الله، نهى الله عزوجل عن المن: ﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ثم أخبر أن القول المعروف بدون صدقة أقرب إلى الله وأفضل من صدقة مع من وأذى، ثم أخبر بحال المرابي في صدقته، وبحال المخلص في صدقته.

ثم قال: ﴿يَوْمَ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ مَّجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وهذا مثل ضربه الله عزوجل للذي يعمل بعض الأعمال الصالحة ثم يؤدي إلى فسادها بالشرك، والله المستعان.

وأما الآية السابقة: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، نزلت: في قوم كان أحدهم يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد فربما أتى بحشفه فنهاهم الله عن ذلك، أمرهم أن يخرجوا الطيب من الرزق.

### الآية الثامنة عشرة:

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ومن ذلك: ترك الربا: ﴿وَذَرُوا﴾ أي: اتركوا، ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ الزيادة التي يأخذها الإنسان ظلماً وعدواناً، والله عزوجل أحل البيع وحرم الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا

يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّجَلَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴿٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والله عَزَّجَلَّ حرم الربا: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، يضاعف لعباده المؤمنين، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ الرِّبَا وَآكِلَهُ وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَهُ، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن عذاب آكل الربا في القبر: «وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبُحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبُحُ مَا يَسْبُحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَنْغُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبُحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَهُ حَجْرًا»<sup>(١)</sup>، ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٢٧٨] ملتزمين لشرع الله ظاهرًا باطنًا.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وتذروا الربا تتركونه، ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، أعلمهم بحرب يكون من الله عَزَّجَلَّ: بذهاب بركات أموالهم: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قَلَّةٍ»<sup>(٢)</sup>، وهكذا الرسول بتأديبهم في ذلك الزمان، ويقوم أولياء الأمور بدلًا عنه في كل زمان، لكن: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، والله المستعان، أصبح أولياء الأمور في هذا الزمن هم الذين يفتحون البنوك الربوية، ويشجعون على المعاملات الربوية، فينبغي للمسلم أن يحتاط لنفسه، في باب الصرافة والقرض ونحو ذلك مما يدخله الربا.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٧)، من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٢٧٩)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الآية التاسعة عشرة والأخيرة من سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطَ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشُّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ مُسَوِّفٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢].

## الشرح:

قبل الكلام عن الآية لاحظ معي الفرق بين الآيات التي فيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، وبين الآيات التي فيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

فالتي فيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، أغلبها دعوة إلى التوحيد، ودعوة إلى الإيمان باليوم الآخرة ونحو ذلك من أمور العقيدة التي ينبغي للمسلمين أن يطيعوا الله **عَزَّجَلَّ** فيها.

بينما: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أحكام أوامر في كثير من الشؤون؛ لأن الكافر ما قد دخل في الإسلام حتى تأمره بغير ذلك، يحتاج أولاً أن ينقاد للإسلام ظاهراً باطناً، فعند ذلك تأمره، أما المؤمن قد أصبح منقاداً فيؤمر.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ نزلت في السلف أو

السلم، ومعلوم ما له من الشروط:

**الأول:** أن يكون في شيء معلوم.

**الثاني:** إلى أجل معلوم.

**الثالث:** بثمن معلوم.

**الرابع:** وأن يكون موصوف في الذمة.

لأن البيع ثلاثة أنواع:

**الأول:** بيع ناجز بناجز: تدخل الدكان اعطني هذه البضاعة بكذا، هذا حقك وهذا حقي، هذا لا إشكال فيه.

**الثاني:** بيع آجل بعاجل: الثمن مقدم والسلعة تؤخر، وهذا هو السلف والسلم الذي كان الأنصار يُسلمون فيه ويسلفون فيه وقد تقدمت شروطه.

**الثالث:** بيع عاجل بآجل: تدخل إلى المحل وتشتري البضاعة على أن تسدد بعد فترة، هذه الثلاثة الأنواع كلها جائزة.

**الرابع وهو الممنوع:** بيع آجل بآجل: يعني: وهو بيع الدين بالدين، بيع الكالئ

بالكالئ هذا حرام.

قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بهذا استدل كثير من العلماء: على أن المستدين لا يجوز له الاستدانة إلا لوقت معلوم، لكن قد جاء في الحديث: ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، فلا حرج في ذلك، ﴿فَأَكْتُوبُ﴾ حتى لا يضيع، والأمر بالكتابة هنا للاستحباب، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ﴾ لأن أغلب الناس كانوا ما يكتبون في ذلك الزمان، أما إذا كان يستطيع أن يكتب بنفسه فليكتب وليوقع أو ليختم أو ليصم أو ليشهد على كتابته، ﴿بِالْعَدْلِ﴾ بالحق، لا يميل مع الدائن ولا المستدين، ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبًا أَنْ يَكْتُبَ﴾ لا يمتنع الكاتب أن يكتب محاباةً ومعاملة، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ فمن شكر

الله: أن يُعين الناس: «**مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»<sup>(١)</sup>، ﴿**فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ**﴾ يعني: الكاتب إنما عليه أن يكتب ما يقول له صاحب الحق، ما يذهب من عنده: استدنت مائة ألف ريال، يقوم يكتبها مائة وعشرين، مائة وعشرة، أنت تقول: إلى ثمانية أشهر وهو يكتب لك إلى خمسة أشهر؛ لا: ﴿**فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ**﴾ الكاتب والذي يُملِي، ﴿**وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾ لا ينقص منه شيئًا من مال المدين، ﴿**فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا**﴾ إلا إذا كان المستدين سفيهًا أو ضعيفًا لا يحسن التصرف ضعيف القول أو ضعيف الفعل: ﴿**أَوْ لَا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُمِلَّ هُوَ**﴾ لخرس، لصمم، لعدم مخالطة للناس، ﴿**فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ**﴾ القائم عليه، ﴿**بِالْعَدْلِ**﴾ والإنصاف والصدق، ﴿**وَأَسْتَشْهِدُوا**﴾ في حال سلفكم وقضائه، ﴿**شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ**﴾ في الشهادات اثنين من الرجال، سواءً في الجراحات، أو في الدماء أو في الأموال، أما النساء لا مدخل لهن إلا في الأموال، ﴿**فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**﴾ فإن لم يكن رجل بالمرّة فأربع نسوة، فإن وجد شاهد واحد مع صاحب الحق شاهدك ويمينه: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالشَّاهِدِ مَعَ الْيَمِينِ.

فإن لم يوجد شهود بالمرّة فعندنا: على المدعي البينة وعلى المنكر اليمين، هكذا يكون ترتيب الدعوى:

**الأول:** مُدْعِي وَمُدْعَى عَلَيْهِ.

**الثاني:** يُطَالَب بِالشُّهُودِ، وَالشُّهُودِ الْأَصْل: أن يكونوا من الرجال، فإن لم يوجد رجال فيؤخذ شهادة النساء في الأموال، أما الدماء والحدود فليس إلا شهادة الرجال، فإن وجد شاهد واحد: الشاهد مع اليمين خلافًا لأبي حنيفة سيأتي هذا: ﴿**وَلَمْ تَحْجِدُوا**﴾

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٤٢٣١)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

كَاتِبًا فَرِهْنُ مَقْبُوضَةً ﴿٢٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ دليل على أن الشاهد: لا بد أن يكون عدلاً مرضياً غير فاسق، فالقاذف: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤]، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ دليل على أن النساء يلحقهن النسيان والضعف، قال النبي ﷺ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قلن: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ»، قلن: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ» قلن: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لا يمتنعوا عن أداء الشهادة لا سيما في البداوة تقع بينهم عداوات أحياناً يقول: والله ما أشهد لك، هذا ما هو صحيح، من تحمل الشهادة يجب عليه أن يؤديها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ الدين، سواء كان شيئاً كثيراً أو قليلاً، ﴿ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: أعدل، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أن يؤتى بها على وجهها، ﴿وَأَذَىٰ آلَا تَرَ تَابُوا﴾ تشكوا، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ كما هو الحال الآن في الدكاكين هذه التي في الأبواب يعني: تارة تشتري بمائة ريال، وتارة تشتري مائتين ريال، وتارة تشتري بألف ريال ما كل شيء تشتري تعمل فيه ورقة، تكتفي بما يقيده صاحب الحق، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ لأن هذه تأخذ وتعطي، ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فيما قل أو كثر، ﴿وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ لا الكاتب يضر بالمدين ولا المستدين، ولا الشاهد يضر بأحدهما، ﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا﴾ المضارة، ﴿فَلِئِنَّهُ﴾

**فُسُوفُ بِكُمْ** يعني: أعمال الفاسقين ليس بأعمال الصالحين، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ هذه الأحكام الجليلة العظيمة، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣]، لأن السفر مظنة عدم وجود الكاتب فتقوم بوضع الرهن عنده، والرهن جائز في الحضر والسفر، وإنما ذُكِرَ السفر في الآية مخرج الغالب؛ ولأنه الوقت الذي لا يوجد فيه الكاتب، والرهن لا يجوز أن ينتفع به صاحبه لا ركوبًا، ولا إجارةً، ولا لبسًا، ولا استخدامًا أبدًا إلا ما كان من الظهر يُركب، والدر يُحلب بقدر ما يُعلف، يعني مثلاً: رهن عندك بقرة وأنت تحتاج أن تعلقها كل يوم للمحافظة عليها، فتشرب من لبنها بقدر ما تُعطيها من العلف، فإن زاد شيء من اللبن تؤديه إلى صاحبه، وهكذا الظهر يُركب: رهن منك فرسًا أو حمارًا أو بغلةً أو بعيرًا، يركب بقدر ما تعطيه من العلف، ولا يجوز الزيادة فيها، أما الرهن الصامت: كالذهب، السلاح، الفضة، الأرض فهذه لا يجوز أن ينتفع بها مُطلقًا، وعندنا في البلاد العليا ما يسمون هذا بالبيع المرفع هذا ربا صريح: يعطيه مائة ألف أو أقل أو أكثر على أن يعطيه المزرعة حتى يسترد ماله هذا ربا، فلا تجوز هذه المعاملة.

فإن كان ولا بد يكون شريكًا لصاحب الأرض، مثلاً: يأخذها على أن يعمل فيها وله النصف على أمور يتفقون عليها، أما أن يأخذ المال أو الأرض فيستفيد بها بسبب الرهن فكل قرض جر نفع فهو ربا.

هذا ملخص في الكلام على هذه المسألة، ثم قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، فلا يجوز كتمان الشهادة، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** في حديث ابن مسعود:

«يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا»، وفي حديث زيد بن خالد: «حَيْرُ الشُّهَدَاءِ مَنْ أَدَّى شَهَادَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»، والجمع بينهما: إذا خشيت ضياع الحق فممدوح تقديم الشهادة قبل أن تُسأل، وإن كان الشهود متوافرون فلا تبقى مسارعاً إلى الشهادة فإن هذا إضعاف لشأنها.



## سورة آل عمران

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٢٠٠)

الآية عشرون (١):

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسُوْا إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥].

## الشرح:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ عَزَّوَجَلَّ منادياً عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أراد اليهود أن يقتلوه: ﴿يَلْعَسُوْا﴾ أي: قابضك ورافعك إليّ، وليس المراد بالوفاة هنا: وفاة الموت، قيل: وفاة النوم، وقيل: رافعه إليه، فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما زال حياً إلى الآن وهو في السماء الثانية، ويكون نزوله في آخر الزمان حيث يقتل المسيح الدجال، ويحكم بشريعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ دليل على أن الله في العلو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مسلمك من الذين كفروا أن يصيبوك بسوء وكانوا اليهود في ذلك الوقت، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال العلماء: أتباعه هم أتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: في آخر الزمان حين تقوم الساعة، ﴿فَأَحْكُمُ﴾ أفصل، ﴿بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

## الآية الواحدة والعشرون (٢):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٤-٦٥].

## الشرح:

هذه الآية كان شأنها: أن نصارى نجران قد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحاججونه في عيسى عليه السلام، فكان ما ذكره الله عز وجل من شأنه، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أي: قال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأمر الله: يا أهل الكتاب، والمراد بأهل الكتاب هنا: النصارى، ولا مانع أن يدخل فيها اليهود: ﴿تَعَالَوْا﴾ هلموا، ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني: نتفق عليها ونسير عليها، وهذه الكلمة: هي لا إله إلا الله، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، هذا معنى لا إله إلا الله؛ لأنها جمعت الإثبات والنهي فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ هذا إثبات، ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ هذا نفي، فلا يُشرك به في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، و: ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في صياغ النفي فتفيد أيضاً العموم.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ليس معنى ذلك أنهم يتخذوهم خالقين رازقين مدبرين، ولكن يأخذون بما أفتوا به من تحريم الحلال وتحليل الحرام، كما قال الله عز وجل: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ إن تولوا عن هذه الدعوى وعارضوها، ﴿فَقُولُوا﴾ يا معشر أهل الإسلام: ﴿اشْهَدُوا﴾ أي: اسمعوا واعملوا، ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مستسلمون لله عز وجل منقادون.

وفي هذه الآية دلالة على: أن أصحاب حوارات الأديان ودعاة الأديان كثير منهم يجهل دين الله، إذ أنهم يذهبون للمحاورة مع اليهود والنصارى ربما في شأن كرة القدم، وفي شأن بعض الاقتصاديات ويتركون الأساس العظيم الذي هو التوحيد.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وذلك: أن اليهود زعموا أن إبراهيم منهم، والنصارى زعموا أن إبراهيم منهم، فقال الله ردًا عليهم: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ فإن موسى من ذرية إبراهيم وبينه وبين إبراهيم مفاوز، وعيسى من ذرية إبراهيم وكلاهما يعود إلى إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَأَلَّا تَعْقِلُونَ﴾.

وتمام الآي: ﴿هَاتِنَا هَؤُلَاءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

الآية الثانية والعشرون (٣):

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [آل عمران: ٧٥-٧٦].

### الشرح:

يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى، وسموا بأهل الكتاب؛ لأن الله عزَّجَلَّ أنزل على أنبيائهم كتبًا وهم يتعبدون بها في الجملة مع أنهم قد حرفوها وغيروها وبدلوها، فكتاب اليهود هو التوراة، وكتاب النصارى هو الإنجيل، ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ﴾ إنكار عليهم، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون؛ بأنها حق من عند الله عزَّجَلَّ.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ﴾ الإسلام، ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ اليهودية والنصرانية كما قال قتادة، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ في وصف محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي وصف الإسلام الحق، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وهذا من عظيم خبثهم: أنهم كتموا ما

يتعلق بوصف محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبيان فضيلة هذا الدين.

### الآية الثالثة والعشرون (٤):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا

تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ [آل عمران: ٩٨].

#### الشرح:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ إنكار عليهم، ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا

تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ مطلع على ما تعملون ومسطرة عليكم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٨﴾ [الزخرف: ٨٠].

وانظر إلى عظيم نداءات الله عزَّوجلَّ لأهل الكتاب، وإلى كثرة مخالفة أهل الكتاب لأمر الله عزَّوجلَّ، وقد وقع منهم ما هو أشد من ذلك: فقد عبدوا العجل، وقالوا: ﴿أَرَأَيْتُمْ لِمَ جَعَلْنَا لَكُمْ آيَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَهَا﴾ [النساء: ١٥٣]. وعصوا نبيهم وهو بين ظهرانيهم.

### الآية الرابعة والعشرون (٥):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا

عَوجًا وَأَنْتُمْ سُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ [آل عمران: ٩٩].

#### الشرح:

﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن

سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تمنعون من أراد الإسلام، وربما أفتوهم بغير الصواب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ [النساء: ٥١]، وسبيل الله واحد، بينما سبل الشيطان كثيرة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سَبِيلِهِ ﴿ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ اتبع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿تَبِعُونَهَا﴾ تريدونها، ﴿عَوَجًا﴾ يهودية ونصرانية: وهو الكفر الصراح، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ على ذلك، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ معناه: أنه مطلع مبصر لا تخفى عليه خافية، وهذا على التهديد لهم.

### الآية الخامسة والعشرون (٦):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠].

### الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء من الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين: أن تكون طاعتهم لله عَزَّوَجَلَّ، وأن تكون طاعتهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لما في ذلك من الخير العظيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: ٧٦]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وأما الطاعة لغير الله عَزَّوَجَلَّ ولغير رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيما لم يرد به دليل فلا تكون إلا سبب للخذلان، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

وهنا ينهى الله عن طاعة اليهود والنصارى، ﴿إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ممن يمكر بالإسلام، ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ إلى الكفر، ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ وهذا غاية الضلال والإجرام؛ لأن من يرتد عن الإسلام صار دمه مباحًا في الدنيا، وصار في الآخرة مع الكافرين في النار.

وقال الله بعد ذلك: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، أي: كيف يقع

منكم الكفر بعد الإيمان، وهذا لا يكون إلا عن ضعف إيمان ومواتاه لهؤلاء.

### الآية السادسة والعشرون (٧):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٠٤].

### الشرح:

قالوا: (حق تقاة الله): أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى، ولكن هذا قد يتعذر على الإنسان؛ لأن الإنسان لا بد له من ساعة وساعة، كما في حديث حنظلة: تَأْفَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُدَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ»، ولذلك قال أهل العلم: معنى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ عائد إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتْنَهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وحديث أبي هريرة: «وَلَكِنْ مَا مَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاَنْتَهُوا، وَمَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَاَنْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٣٦] دعوة إلى الثبات على دين الله عزَّ وجلَّ حتى تلقى الله، ومن دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَقَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلِحِينَ﴾ [١٣٦] [يوسف: ١٠]، ومن دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ».

## الآية السابعة والعشرون (٨):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَلَيْهِمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

## الشرح:

هذه آية عظيمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ لكم، ﴿بِطَانَةً﴾ جلساء، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ من غيركم، سواء من المنافقين أو الكافرين، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يعني: لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة، ويريدون بكم الخبال والعنت والتعب، ﴿وَدُؤًا مَا عَلَيْهِمْ﴾ يحبون عنتكم وتعبكم وإرهاقكم، بينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول الله عزوجل في شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يسعى في رفع المشقة عن أصحابه وأمته، وهؤلاء يسعون في تعظيم المشقة على الأمة.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ في كلامهم تارة يلمزون، تارة يطعنون، وتارة يشككون، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ من الغيض على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى أصحابه، وهذا دليل على بغضهم للإسلام وأهل الإسلام، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ وضحناها وجليناها، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ أمر الله عزوجل فتفعلون المأمور وتتركون المحذور.

ولو أخذ المسلمون بهذه الآية لصار أهمهم إلى الأحسن سواء في باب العبادات والطاعات، أو في باب الأخلاق والمكرمات، أو في باب الزراعة والصناعة والتجارات؛ لكنهم اتخذوا بطانة من الكافرين فلا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

## الآية الثامنة والعشرون (٩):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا معشر من آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نبيًا، ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ ولا تلبسوه، ولا تقتنوه، ولا تأخذوه إنما ذكر الأكل؛ لأنه الأغلب وخرج مخرج الغالب، والربا: هو الزيادة في الدين بغير وجه حق، وقد يكون الربا واقع بسبب البيع مع عدم التقابض، فالزيادة: كأن يسلفك ألف بألف ومائة إلى أجل، وعدم التقابض: كأن يبيع منك ذهبًا بفضة بدون تقابض، أو يميني بسعودي بدون تقابض هذا ربا، ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ يعني: تأكلون أموال الناس بالباطل، والله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، يضاعف الصدقات: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيهِ، وهنا: أكل الربا وتعاطيه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ بنيل المطلوب والبعد عن المرهوب.

وقد جُعِلَ للربا في هذه الأيام بنوك يتعاطون فيها هذه المصيبة العظيمة التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ، وحرّمها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

## الآية التاسعة والعشرون (١٠):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

## الشرح:

فيه: التحذير من طاعة الكافرين، فإنهم يريدون بالمسلمين الخبال والردة

والانحراف، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ  
 إِيمَانِكُمْ كَقَارِئًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩]، قال الله عزوجل: ﴿مَا يَوَدُّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن  
 رَبِّكُمْ وَاللَّهُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وهنا يقول: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ  
 عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: عن الإسلام إلى الكفر، ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾  
 مذمومين مدحورين، وقد قال الله عزوجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ  
 تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فلا يُركن إلى الكافرين، ولا يسمع لنصحهم وقولهم، فهم  
 إنما يدلون المسلمين إلى سُبُل الفساد.

والردة محبطة لجميع العمل، ويصير المرتد كافرًا بعد أن كان مسلمًا، ويخلد في  
 النار إن مات عليها، وحد المرتد القتل، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ  
 فَاقْتُلُوهُ»، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي  
 رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُقَارِقُ  
 لِلْجَمَاعَةِ»، متفق عليه.

قوله: ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ الغالب في هذا الوصف: أنه يدل على  
 الخسران العظيم: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ  
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾ [الزمر: ١٥].

## الآية الثلاثون (١١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦].

## الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ احذروا من التشبه بالمنافقين: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ باطنًا وأظهروا الإيمان ظاهرًا أو أنهم على كفرهم على الظاهر، ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في النسب: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ابتغاء الرزق، ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ في العزو والجهاد فلحقهم الموت، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ وهذا كلام باطل يدل على جهلهم بدين الله وإلا فإن: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، أينما كانت: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يتحسرون ويتألمون: لو بقوا عندنا أنهم الآن في سلامة، بينما المؤمن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦]، ﴿اللَّهُ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ويصبر ويحتسب، ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي﴾ من شاء ويبقيه، ﴿وَيُمِيتُ﴾ من شاء، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ فيجازيكم على أعمالكم، لا تخفى عليه خافية، وهذه قد تكون على الوعيد وقد تكون على الوعد، على الوعيد للمخالفين، وعلى الوعد للمؤمنين، فيجازي الله عزَّجَلَّ كل عامل بعمله.

## الآية الواحدة والثلاثون (١٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

## الشرح:

بعد أن ذكر ما ذكر **عَزَّجَلَّ** من آيات الجهاد والأحكام وغير ذلك، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ على فعل المأمور وترك المحذور والتسخط على المقدور، ﴿وَصَابِرُوا﴾ من المصابرة: وهي بذل الجهد لتعلم الصبر، والنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»، ﴿وَرَابِطُوا﴾ في طاعة الله **عَزَّجَلَّ**، وفي الحديث: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»، وأعظمه أيضًا: المرابطة في الثغور حماية حوزة الإسلام، ففي حديث سلمان: «رِبَاطٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، إِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ، وَيُؤْمَنَ الْفِتَانُ»، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ يحصل لكم نيل المطلوب والبعد عن المرهوب.

فانظر يا وفقك الله إلى أن أعظم النداءات لأمر لك فيها مصالح كثيرة، تستقيم بها دينك ودنياك، إذ أن الله **عَزَّجَلَّ** يأمر المؤمنين بما فيه صلاح أحوالهم، وصلاح مآلهم، لكن أين الذين يعملون؟ أين الذين يستجيبون؟ أين الذين يراعون عن الباطل؟ فما أكثر الذين يلجون في الباطل.



## سورة النساء

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٦٧)

الآية الثانية والثلاثون (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ هذا من المواطن التي نادى الله عز وجل الناس جميعاً، والآية مدنية، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: اعبدوا ربكم، كقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث أبي أمامة عند الترمذي: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام خطيباً في منى فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ»، وفي رواية: «اعْبُدُوا رَبَّكُمُ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمُ»، وتقوى الله عز وجل بها صلاح الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝١ وَنَزَّلْنَا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أي: أوجدكم، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي آدم عليه السلام بعد أن خلقه من تراب، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء عليها السلام خلقها من ضلع، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ»، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: من نسلهما، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ وصاروا كما ترى في هذه الأيام بالمليارات، لكن أكثرهم لا يشكرون ولا يعلمون، وفي الكفر بالله عز وجل يلجون، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ ستسألون

عن طاعته ومرضاته: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧]، ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ اتقوا الأرحام وصلوها: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»، وفي حديث جبير بن مطعم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، متفق عليه، وفي رواية: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِيمٌ»، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ مطلعًا وشاهدًا، لا يخفى عليه شيء من شأنكم.

الآية الثالثة والثلاثون (٢):

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

الشرح:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء من الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين، ينهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، ومنه ما كان عليه أهل الجاهلية: من أكل مهور النساء أو منع زواجهن من أجل أخذ ميراثهن، ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ فما أعطين من طيبة نفس فلا حرج: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤]، وما يفعله كثير من الناس من أكل مهور بناتهم هذا لا يجوز، فكان في عادة العرب الكرماء أن يقول بعضهم: لا نأخذ الحلوان على بناتنا، وإنما يكرمهن أيضًا مما هو عندهم، أما أن يأخذ مهرها الذي هو حق لها فلا، وإذا أذنت فلا حرج، ورخص بعض أهل العلم للأب أن يأخذ

شيئًا يسيرًا.

﴿وَلَا تَصُولُوهُنَّ﴾ تمنعوهن من الزواج والرجوع إلى الزوج إن كان قد طلقها، ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور، وهذا النهي يعود إلى الزوج، لا يمسك زوجته ويستمتع بها ويؤدي حقها ولا يطلقها حتى تتزوج غيره، وإنما يمسكها ليسترد ماله وهو ما يفعله بعضهم: يريد أن يفارقها ويريدها أن تفتدي هذا ما يصلح، إن كان له رغبة في فراقها يطلقها، وإن كانت لها رغبة في فراقه وهو غير راغب في فراقها تختلع منه، فإن أبى فالفسخ إن كان قد نشز عليها وضار بها، فهكذا ترتب الأحكام، أما أنه يريد أن يتخلص منها بالطلاق، وفي نفس الوقت يريد أن يأخذ المهر هذا لا يجوز.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ هذا استثناء: أنها إذا أتت بفاحشة مبينة زنا ظاهر صريح لا يقوم على الشكوك والظنون والقذف بالباطل، فعند ذلك لك أن تطلب الفداء منها، فإذا يجوز لك أن تسترد المهر منها في حالين:

**الحال الأول:** إذا نشزت، كما في قصة زوجة ثابت بن قيس بن شماس: أنها جاءت إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فقالت: يا رسول الله أكره الكفر في الإسلام ولا أنقم على ثابت من دين ولا خلق، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟**»، قالت: نَعَمْ، فردتها، فكان الفراق، وما جاء طلقها: طلقها تطليقة لا تثب شاذة.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ أي: إذا استقمن معكم، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بما هو معروف من الإحسان إلى الزوجة، والإحسان إلى أهلها، والإحسان إليها بالكلام والفعال، والمعروف هنا: قد يكون المعروف بالشرع، وقد يكون المعروف بالعرف الذي لا مخالفة للشرع فيه، فمثلاً: بعض البيوت يكون من أصحاب اليسارى من أصحاب

المال، فهذه تعاشر بمعروف وعطاء وهبة وإحسان أكثر من لو كانت فقيرة، فالفقيرة قد تصبر على ما لم يصبر عليه أصحاب اليسار، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ﴾ أبغضتموهن، ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ربما يرزقك منها الولد الصالح، وربما تكون ذات دين وخلق، فإن كان إلا الطلاق: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الآية الرابعة والثلاثون (٣):

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

### الشرح:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء من الله عزوجل للمؤمنين للبعد عن أموال الناس بالباطل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»، هكذا يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عدة أحاديث، جاء عن ابن عباس، وعن أبي بكر، وعن أبي هريرة وغير واحد، ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ كالربا، والغرر، والغش، والسرقه، والنهبة إلى غير ذلك مما يتعاطاه الناس: «لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بسبب: عدم تورعهم عن الباطل.

فإذا: لا يجوز لك أن تأخذ من مال أخيك إلا بطيبة نفسه، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَا يَحِلُّ مَالٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طَيْبَةِ نَفْسٍ».

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ يعني: الحلال ما كان عن تجارة: ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾

ليس معناه: أن المال الباطل يؤخذ في وجه حق الباطل باطل، لكن معناه: أن التجارة التي عن تراض هذه لا حرج فيها، يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ»**، وأنت تأخذ بطيبة نفسه، **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾** النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والنفس المعصومة ثلاثة أنفس:

**الأولى: نفس المؤمن.**

**الثانية: نفس الذمي.**

**الثالثة: نفس المستأمن المعاهد.**

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول كما في حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: **«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُقَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»**.

وقد يكون المعنى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾** التي بين أضلعكم يعني: لا يقتل الإنسان نفسه، وهو مؤاخذ، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمْ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»**، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** نهى عن قتل الإنسان لنفسه، وعن قتل الإنسان لغيره، وعن قتل الأبناء كما سيأتي في غير ما موطن: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾** [الأنعام: ١٥١]، فهذه أمور ليس للإنسان أن يتصرف كيف يريد، نفسك ليست لك، حتى أن جماهير أهل العلم منعوا التبرع بالأعضاء؛ لأن الإنسان نفسه ليست له: **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾** [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وبعضهم جوز التبرع لمثل الأب، والأم، والزوجة في أمر لا ضرر عليه منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦١﴾ حيث شرع لكم أسباب السلامة: سلامة الأموال، وسلامة العقول، وسلامة الدين، وسلامة الأعراض، وسلامة الأنفس وهذا لا يوجد في غير دين الإسلام: أنه يحافظ على الضروريات الخمس بأحسن حال ومأل.

### الآية الخامسة والثلاثون (٤):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٦٢﴾ [النساء: ٤٣].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا معشر من آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبيًا: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ وهذا قبل أن يحرم الخمر، فإن الله عز وجل قد جعل في الخمر أحوال:

**الحال الأول:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، فبين لهم: أن الخمر فيه فساد وضرر، ولم يمنعهم منه ولم يحرمه عليهم.

**الحالة الثانية:** أنه حرمه عليهم في حال الصلاة، فكانوا قبل الصلاة يتوقفون عن شربه، حتى إذا صلوا تسلم لهم عقولهم.

**الحالة الثالثة:** أن الله حرمه مطلقًا: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٣﴾ [المائدة: ٩٠]، وما أسكر كثيره فقليله حرام، وكل مسكر خمر، وكل خمر حرام.

﴿حَتَّى تَعْمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي: تتبين القول، وهذا دليل: على أن السكران حكمه حكم المجنون في طلاقه، وعتاقه، وبيعه، وشرائه وجميع تصرفاته، وحده: أن يُجلد، جلد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكلُّ سنة كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ أي: لا تقربوا الصلاة وأنتم جنبًا؛ لأن الجنابة حدث أكبر يوجب الغسل حتى يُرفع الحدث، فمن نوى مع غُسله الوضوء ولم يمس فرجه فوضوؤه صحيح، وإن مس فرجه انتقض وضوؤه ولزمه إعادة الوضوء، وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذا.

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أيضًا عابر السبيل إذا كان جنب يتيّم كما سيأتي، ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ولا جنبًا حتى تغتسلوا، هكذا سيكون المعنى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنبًا حتى تغتسلوا، فإن كنتم عابر سبيل وليس معكم ماء فعند ذلك التيمم، وهو عابر الطريق، ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرَضَى﴾ يعني: مرض يضره الماء أو يؤخر برؤه الماء أو يزيد فيه الماء، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ ماؤكم قليل لا يكفي إلا لشربكم مثلاً، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ ذهب لقضاء حاجته، والغائط: هو المنخفض من الأرض ثم استعمل في قضاء الحاجة، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المراد باللمس هنا: الجماع على الصحيح، ليس مس اليد، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ربما أخذ من بعض نسائه شيئاً ولم ينتقض وضوؤه، وأيضاً كانت عائشة تفلّيه وهو في المسجد، فالقول: بأن لمس النساء مطلقاً ينقض الوضوء قول غير صحيح، وإنما المراد باللمس هنا: الجماع، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ إما لقلته، وإما لعدمه، وإما للضعف عن استخدامه هكذا يكون في حكم عدم وجود الماء، ما يقول قائل: الآن عندنا الخزان مليان وأنا أغتسل، نقول: إن كنت مريضاً وربما تأخر برؤك وزاد مرضك فعند ذلك تيمم، أو مثلاً: رجل عنده عشرين لتر ماء وهو في بادية

يشرب منها مع أبنائه، فإذا اغتسل هو وزوجه منها ذهب الماء وتضرر الأبناء، فعند ذلك يتيمم، أو كان به جراحة إذا اغتسل زاد جرحه فالتيمم.

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصعيد: كل ما ظهر على وجه الأرض، وذهب جمهور أهل العلم: إلى أنه التراب مستدلين بحديث حذيفة: «وَجَعَلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهُورًا»، لكن الصحيح: أن الصعيد ما صعد على وجه الأرض، فيصلح التيمم بضربة على الجدار، أو على فراش، أو على سيارة، أو على حجر، أو على رمل، أو على تراب وهو الأحسن عملاً بالظاهر، وهذا اختيار القرطبي، واختيار الشنقيطي، واختيار غير واحد من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وإنما ذكر التراب خرج مخرج الغالب، والدليل على ذلك: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خرج مع أصحابه إلى غزوة تبوك وهي بلاد رمل قليل الأتربة فيها، ومع ذلك لم يؤثر أنهم كانوا يحملون الأتربة معهم؛ لقصد التيمم.

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ اليد إلى الرسغ ليس إلى المرفق وليس إلى الإبط كما روي عن بعضهم، وقد جاءت السنة بتقديم اليد على الوجه، ويكون ذلك: بضرب اليد على ما صعد ثم تمسح وجهك ويديك كما جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وهل التيمم رافع أم مبيح؟ الصحيح: أنه رافع، وإذا وجد الماء انتقض التيمم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ أي: بهذه الأحكام التي بينها لكم، يعفو عنكم وعن تقصيركم ويعفو لكم ذنوبكم.

## الآية السادسة والثلاثون (٥):

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧].

## الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل، وقد حُرِّفَ وغيرت وبدلت؛ وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسَلَ النَّاسَ كَافَةً إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، لَمْ يَكُنْ كِبْقِيَةِ الرَّسْلِ يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، ﴿ءَامِنُوا﴾ اسْتَجِيبُوا وَانْقَادُوا، ﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿مُصَدِّقًا﴾ مُوَافِقًا، ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْكُمْ ذَلِكَ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ يَصِفُ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ يَعْنِي: مَنْحَرَفَةً عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالِدِينِ الْقَوِيمِ، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ حَيْثُ جَعَلَهُمُ اللَّهُ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَشَأْنُهُمْ: أَنَّ اللَّهَ نَهَاَهُمْ عَنِ الصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَكَانُوا يَحْفَرُونَ الْحَفْرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَتَأْتِي الْأَسْمَاكُ عِنْدَ مَدِّ الْبَحْرِ وَتَبْقَى فِي تِلْكَ الْحَفْرِ، فَإِذَا رَجَعَ الْبَحْرُ فِي حَالِ زَجْرِهِ تَرَكُوهَا فِي مَكَانِهَا إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ وَجَاءُوا وَأَخَذُوهَا فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ الْأَمْرُ الْقَدْرِيُّ الْكُونِيُّ لَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ أَمْ أُبَيْتُمْ، وَأَمَّا الْأَمْرُ الشَّرْعِيُّ فَقَدْ يَقَعُ وَقَدْ لَا يَقَعُ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

## الآية السابعة والثلاثون (٦):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُرُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

## الشرح:

هذه الآية عمدة في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، وطاعة أولياء الأمور بالمعروف، والنبى **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»، وفي حديث علي **رضي الله عنه**: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

وسبب نزول هذه الآية: بَعَثَ النَّبِيُّ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمْرُكُمْ النَّبِيَّ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمَسِّكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَزْنَا إِلَى النَّبِيِّ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَدَّتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

وطاعة أولياء الأمور إنما تكون بطاعة الله وطاعة رسوله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، والدليل أن الله قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ طاعة مطلقة فيما أمر به، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ طاعة مطلقة فيما أمر به، وهكذا طاعة مطلقة في ترك المنهي عنه، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ لم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منك؛ لأن طاعتهم مقيدة بطاعة الله وطاعة رسوله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**.

وفي هذه الآية: تحذير من الخروج على الحكام بالثورات والانقلابات ونحو ذلك مما يفعله الثوريون، نسأ الله السلامة والعافية.

﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ﴾ اختلفتم، ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من الأمور، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ تجدون الحكم الشرعي، الرد إلى الله إلى كتابه، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى سنته، وقد أمر الله عَزَّجَلَّ بالعودة إلى العلماء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُمْ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأن الإيمان بالله ربًّا: يجعلك تتحاكم إلى شرعه، والإيمان باليوم الآخر: تخاف من بطش الله إن تحاكت إلى غيره، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: التحاكم إلى الكتاب والسنة، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أحسن مآلاً ورجوعاً؛ لما فيه من سبل السلامة، والبعد عن سبل المهانة.

### الآية الثامنة والثلاثون (٧):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا

﴾ [النساء: ٧١].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء من الله عَزَّجَلَّ للمؤمنين إذا كانوا في جهاد: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ يأخذوا الاحتياط، ويأخذوا العدة والأهبة، ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ متفرقين في سبيل الله، ﴿أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ كالسرايا، والجيوش، والكتائب ونحو ذلك، وهذا من التعاون على البر والتقوى.

وبهذا تعلم: أن القرآن كتاب حكيم، كتاب مبين إذ جعل الله عَزَّجَلَّ فيه ما يحتاجه الناس في باب عقائدهم، وي باب معاملاتهم، وفي باب عباداتهم.

## الآية التاسعة والثلاثون (٨):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

## الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ ذهبتم ومشيتم، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الغزو، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تثبتوا، يعني: إذا وجدتم أحداً وأظهر لكم الإسلام تثبتوا، ما تذهب تقتله مباشرة تقول: لعله يكذب، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وذلك: أن رجلاً كان يرعى في غنمه، فوجده المسلمون فسلم عليهم، فقالوا: إنما سلم علينا حتى يتقي القتل، فقتلوه وأخذوا الغنم، فعاتبهم الله عزَّجَلَّ على ذلك، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ يعني: رد عليكم السلام أو أظهر لكم الإسلام، ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ لأنكم لم تتطلعوا على ما في قلبه، وأسامة بن زيد رضي الله لما قتل ذلك الرجل بعد أن قال: لا إله إلا الله، عاتبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: «أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى تَمَيَّتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وفي رواية: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شيء من الغنيمة أو الغنم، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ من غير هذا الرجل الذي أظهر الإسلام، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ على الكفر فهداكم الله عزَّجَلَّ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام،

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تثبتوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ مطلعاً على سرائركم وبواطنكم، وهم معذرون في هذا لم يؤثمهم الله **عَزَّجَلَّ**؛ لأنهم اجتهدوا والمجتهد إذا أصاب له أجران، وإذا أخطأ له أجر.

الآية الأربعون (٩):

قال تعالى: ﴿\* يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿٤٢﴾ [النساء: ١٣٥].

### الشرح:

﴿\* يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ينادي الله **عَزَّجَلَّ** المؤمنين: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ قائمين به على أنفسهم وعلى غيرهم: ﴿وَوَلِّ لِلْمُظْطَفِّينَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُحْسِرُونَ ﴿٣﴾ [المطففين: ١-٣]. والقسط: العدل، والقاسط: المائل، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحق، لا تكتموا الشهادة ولا تزيدوا فيها، ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ يذكرون: أن رجلاً كان قد عُرف بالصدق، وكان الحجاج يطلب ولده لقتله، فبحث عنه فلم يجده فقالوا له: سل الأب، وهم يريدون أن يسأل الأب فيقع في كذبه، فقال له: أين ولدك؟ قال: في البيت، فعجب الحجاج من صدقه فمن على ولده بالعفو، فالإنسان يكون قوياً بالحق على نفسه وعلى غيره.

﴿أَوِ الْوَالِدِينَ﴾ لا تحملك محبة الوالد على أن تشهد له بالزور، ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ لا تحملك القرابة على شهادة الزور وعلى كتمان الحق، ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا﴾ ذا مال، ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ ليس له مال، ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ ما داموا على الطريقة الصحيحة على الإسلام الحق، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ﴾ هوى النفس وميل النفس، ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ إما أن تميلوا، أو أنها: لا تتبعوا الهوى ألا تعدلوا، عليكم أن تعدلوا وتركوا اتباع الهوى،

﴿وَأَنْ تَأْتُوا﴾ يعني: تنحرفوا، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن قول الحق، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٣٦﴾ مطلعاً فيحاسبكم على سوء أعمالكم يوم القيامة.

وهذه آية عظيمة في هذا الباب، ما على الإنسان إلا أن يحقق قول الحق له وعليه، وهذا يُسمى بالإنصاف عند كثير من الناس، وقد قال عمار: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ: إِنْصَافٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ.

فربما تجد كثير من الناس لا سيما في الزمن المتقدم زمن الأسلاف زمن العمل بالدين يعني: قد يشهد أحدهم على أقرب قريب، وقد يعترف أحدهم ما يحتاج إلى شهود؛ لأنهم كانوا قوامين بالقسط، انظر إلى ما عز جاء إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: إني زنت، وهو يعلم أنه سيرجم، والمرأة الغامدية تأتي إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وتقول: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه عليّ وهي تعلم أنها سترجم، وهكذا ذلك الرجل الذي قبل امرأة: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه عليّ، فكان شأنهم على القيام بالحق ظاهراً وباطناً.

### الآية الواحدة والأربعون (١٠):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُولِهِ ءَالَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

### الشرح:

﴿يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا معشر من آمن بالله رباً: ﴿ءَامِنُوا﴾ ازدادوا إيماناً، هم قد آمنوا؛ ولذلك قال: ﴿يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ يعني: ازدادوا إيماناً كما تقول للرجل الذي يقولك: قد صليت، تقول له: صل، ليس معنى ذلك: أنه يعيد الصلاة، ولكن يستمر في الصلاة؛ لما فيها من الخير العظيم.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ وهو الركن الأول من أركان الإيمان، والإيمان به يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بوجوده.

**الثاني:** الإيمان بربوبيته.

**الثالث:** الإيمان: بألوهيته.

**الرابع:** الإيمان بأسمائه وصفاته.

وهو أفضل الأعمال، كما سُئل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟  
فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ».

﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ويتضمن الإيمان به: طاعته فيما أمر،  
وتصديقه فيما أخبر، والانتهاز عما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا بما شرع.  
﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ القرآن، والإيمان به يكون: بالعمل  
بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، واعتقاد ما فيه، وأنه صدق، وأنه كلام الله ووحيه  
وتنزيله ليس مخلوق.

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ التوراة والإنجيل وغير ذلك: أنها من الله:  
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ  
بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، لكن نؤمن أيضًا أنها حُرُفٌ وُبدلت؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد أخبرنا  
بذلك: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء:٤٦]، وهذا الكتاب مصدق لما بين  
يديه من الكتاب: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ  
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة:٤٨]، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾ فلا يؤمن  
بأنه ربه، أو يجعل معه شريكًا أو معينًا أو ظهيرًا، أو وقع منه سب الله **عَزَّوَجَلَّ**،  
﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ وهذا أيضًا من أركان الإيمان، كما في حديث عمر: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾، والإيمان بهم يكون:

الإيمان بأنهم خلقوا من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،

وأنهم عباد مكرمون منهم: الصافون، ومنهم المسبحون، وأعمارهم طويلة، ونؤمن

بمن سمى الله عزوجل منهم كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل وهم أشرف الملائكة،

ونؤمن بملك الموت، وملك القطر، وملك الجبال، وملك خازن النار ومن أخبرنا

بهم، وهم عدد عظيم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

[المدثر: ٣١]، وفي الحديث: «أُطِّبَ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ مَا مِنْهَا مَوْضِعٌ قَدِيمٌ إِلَّا وَبِهِ مَلَكٌ

سَاجِدٌ أَوْ رَاجِعٌ أَوْ قَائِمٌ»، وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الرعد والمطر: إن ما من قطرة

تنزل من السماء إلا ومعها ملك، وهناك ملائكة قد وكلوا بأرحام النساء: «وَيُؤْمَرُ

بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيئِ أُمِّ سَعِيدٍ»، وما من إنسان إلا وعليه ملكان

يرصدان أعماله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، وهناك ملائكة كثر

مثل: الذين يجلسون على أبواب المساجد يكتبون الأول فالأول، مثل الملائكة

السياحة التي تجلس في حلق الذكر، مثل الملائكة الحافظة للعبد: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لِحَافِظِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الانفطار: ١٥-١٦].

﴿وَكُتُبِهِ﴾ الإيمان أيضًا بكتبه المنزلة وقد تقدم، ﴿وَرُسُلِهِ﴾ وهم كثر، أخبرنا

الله عزوجل بخمسة وعشرين واحد منهم في القرآن، وإلا فهم أكثر من ذلك: ثلاثمائة

وثلاثة عشر رسولاً، وفوق مائة وكذا ألف نبياً، كما حديث أبي أمامة وحديث أبي

ذر، وفيهما كلام؛ لكن مجموعهما يثبت الحكم.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من القبر فما بعده: «الْقَبْرِ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ»، إلى أن يكون آخر

الناس خلود في الجنة أو خلود في النار، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان

بالبعث، والنشور، والشفاعة، وتطهير الصحف، والنظر إلى وجه الله **عَزَّجَلَّ**،  
والحوض، والميزان، ومجيء الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وغير ذلك من الأمور، ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٣٦] هلك هلاكًا بعيدًا لا  
سلامة منه.

### الآية الثانية والأربعون (١١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

#### الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ينهى الله  
**عَزَّجَلَّ** المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء يناصرونهم ويحبونهم ويودونهم،  
فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم من بعض، شأن أهل الكفر  
واحد، وشأن أهل الإيمان واحد يتناصرون ويتعاقدون، وليس من ذلك التجارات  
التي تقع مع الكفار أو المعاهدات السياسية وما إلى ذلك، ما لم يكن هناك تنازل عن  
الدين، ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ بموالة الكافرين: ﴿أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة،  
﴿مُبِينًا﴾ [١٤٤] بينة واضحة يهلككم بها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ  
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فِئْتَهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا  
تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ نُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ  
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي﴾ [المتحنة: ١]، ﴿اللَّهُ  
وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي  
نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [٣٦]، فإذا أردت أن تكون وليًا لله  
فإياك أن توالي أعداء الله.

## الآية الثلاثة والأربعون (١٢):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧٠].

## الشرح:

لو تأملت الآيات التي فيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، تجد أنها تأمر بالإيمان في الجملة: إما الإيمان بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، أو الإيمان بالرسول، أو الإيمان بالبعث والنشور، بخلاف الآيات التي فيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أحكام تُعمل وتطبق ويؤتى بها.

فهنا يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ﴾ محمد، ﴿الرُّسُولُ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن والهدى، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الله عزوجل الذي أوحى إلى غيره كموسى وعيسى، ﴿فَتَأْمِنُوا﴾ بالله، ورسله، وكتبه، ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ وتأبوا إلا المضي في كفركم وبغيكم وعنادكم، ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له الملك أجمع، وهو غني عنكم وعن عباداتكم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالمستجيبين الطائعين الذين هم أهل للهداية، ﴿حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ في فعله، يوفق من شاء فضلاً، ويخذل من شاء عدلاً: ﴿وَقَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدقاً: في الإخبار، وعدلاً: في الأحكام.

## الآية الرابعة والأربعون (١٣):

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

﴿١٧٦﴾ [النساء: ١٧٦].

## الشرح:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ نداء من الله عزَّ وجلَّ لليهود والنصارى ومن في باهم، ﴿لَا تَغْلُوا﴾ نهي عن الغلو: وهو مجاوزة الحد في الشيء، سواء كان في العمليات أو في العمليات، والله عزَّ وجلَّ نهى عن التكلف، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعا على الغلاة: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، من حديث ابن مسعود في مسلم.

والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حجته: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ الْقُطْبِي حَصَى»، فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ مِنْ حَصَى الْحَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ جَعَلَ يَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ - وَوَصَفَ يَحْبِي تَحْرِيكُهُنَّ فِي يَدِهِ، وَقَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»، غلوا في الحجارة فعبدوها، وغلوا في البشر فعظموهم ورفعوهم إلى مراتب الألوهية أو الربوبية، فالغلو: هو سبب هلاك الأمم، ما عبَّد فرعون إلا بالغلو فيه، وما عبَّد النمرود بن كنعان إلا بالغلو فيه، وما حصلت البدع إلا بالغلو، وخرج الخوارج بالغلو؛ ولذلك قال المعلمي رَحِمَهُ اللهُ: من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، غلت الرافضة في علي بن أبي طالب حتى ألوهه، وغلَّت الناصبة والخوارج حتى كفروه وقتلوه، وهكذا في كثير من الشان، وربما كان الغلو

بالطرفين:

**الأول:** الغلو بمجاوزة الحد، في المدح والرفعة ونحو ذلك.

**الثاني:** والغلو بالاحتقار.

فانظر كيف يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لليهود والنصارى في شأن عيسى، النصارى ألوهه، واليهود كذبوه وزعموا قتله، فلا أشأم على المسلمين من هذه البدعة: بدعة الغلو، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «سَدُّوا وَقَارِبُوا»، «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»، ما اتخذت الصوامع والرهبانية إلا بالغلو، ولما أراد بعضهم: أن لا يتزوج النساء، وأن لا ينام الليل، وأن لا يأكل الطعام، غضب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عليهم وقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، والغالي لا تفرح به تقول: هذا ما شاء الله طيب لا تفرح به، يكاد أن ينقلب عليك ربما رآك مقصرًا فكفرك أو فسقك أو قتلك أو اعتدى عليك.

﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الذي أوحاه إليكم ربكم، ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الثابت الصادق، ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ﴾ سُمِّيَ بِالْمَسِيحِ قيل: لأنه ممسوح الرجل وقيل غير ذلك، وأنه ممسوح من الملائكة وغير ذلك، ويقال له: مسيح الهدى، والدجال: مسيح الضلالة، وبعضهم يطلق على المسيح الدجال: المسيح.

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نُسِبَ إِلَى أُمِّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا أَبَ لَهُ: ﴿إِذْ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: هو رسول الله ليس برب فيعبده، وليس برجل عادٍ مذنب فيصلب كما يزعمون، ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي: كان بالكلمة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾

أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وليس هو الكلمة كما قالت النصراني، ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ حين جاءها الملك وأخبرها بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ١٧-٢١]، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ البتول الطاهرة الصديقة، واتهمها اليهود: أنها زنت برجل يقال له: يوسف النجار، ويزعمون أن عيسى ولد لهذا يوسف، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: من الأرواح التي عنده مخلوقة، ﴿فَعَامِنُوا﴾ يا أهل الكتاب، ﴿بِاللَّهِ﴾ ربًّا، ﴿وَرُسُلِهِ﴾ جميعًا: ﴿لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ الله والابن والأم، أو الأب والأبْن وروح القدس، أو اللاهوت والناسوت، ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَّا كُفْرٌ﴾ انتهوا عن هذا القول يكون ذلك خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، وتكرمون بجنة عرضها السماوات والأرض، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ لا شريك له ولا رب سواه، ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيهه الله عن قولهم، ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ﴾ أو تكون له صاحبة؛ لأن الولد يحتاجه المخلوق الذي يموت ويفنى ويضعف فيحتاج إلى من يرثه ويحتاج إلى من يقوم عليه، أما الله هو الغني الحميد، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الملك المطلق، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حتى الكفار وما معهم من الأموال في ملكه، إن شاء إن يمنعهم منعهم، وإن شاء أن يعطيهم أعطاهم.

## الآية الخامسة والأربعون (١٤):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا

﴿١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

## الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ﴾ وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وما معه من القرآن، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أرسله: ﴿بِالْهُدَىٰ وَيَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الفتح: ٣٨]، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ القرآن، ﴿نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ هداية ودلالة إلى الخير.

وقد وصف الله القرآن في غير ما آية بأنه نور: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِلَّا كُنَّا لَنَهْدِيهِ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ كَثِيرًا قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، فالله نور، والكتاب الذي أنزله نور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ [النور: ٣٥]، القرآن، الآية.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول في صلاة الليل: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، فما على الإنسان إلا أن يأخذ بهذا الكتاب وهذا البرهان ويعمل به فيرفع إلى الجنان، فإن أبى إلا الإعراض الكفران كان من أهل النيران مع فرعون، وهامان، وقارون، وما أسوأ ذلك الحال، والله المستعان.



## سورة المائدة

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٢٠)

الآية السادسة والأربعون (١):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝﴾ [المائدة: ١].

## الشرح:

وهذه السورة أكثر السور جاء فيها النداءات، فقد جاء فيها ستة وعشرون نداءً لله **عَزَّوَجَلَّ**، ونداءات المؤمنين فيها: ستة عشر موطنًا، فهي من آخر ما أنزل من القرآن، فأتم الله **عَزَّوَجَلَّ** بكثير من أحكامها الدين، وكان يعجبهم حديث جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مسح على الخفين؛ لأن إسلام جرير كان بعد نزول سورة المائدة، فدل على أن أحكامها لم تُنسخ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا﴾ التزموا وأدوا، ﴿بِالْعُقُودِ﴾ التي بينكم وبين غيركم من العهود والمواثيق في الصلح ونحوه، والآية بعمومها: تدل على الوفاء بالوعود والعقود والعهود، والوفاء بالإيمان.

ثم يقول تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل، والبقر، والغنم فهي التي يقع منها الأضحية، والعقيقة، والهدي، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: في الكتاب مما حرمه الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتُهُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفِئَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ [المائدة: ٣].

فالصيد يُحرم في موطنين:

**الأول:** في الحرم من المُحرم وغيره.

**الثاني:** في غير الحرم من المُحرم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝﴾ يقضي ما يريد قضاؤه، لا راد لحكمه ولا معقب

لقضائه، فالأمر أمره ما شاء حرمه، وما شاء أباحه.

**الآية السابعة والأربعون (٢):**

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿٢﴾ [المائدة:٢].

### الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا﴾ المحرم من شعائر الله **عَزَّجَلَّ** وهي: مكة وما إليها، فمنى مشعر حرام، ومزدلفة مشعر حرام، وعرفات مشعر وليس بحرام أي: أنه يحل الصيد فيه، فالمشعر الحرام يبقى على حرمة، وما كان حلالاً يبقى على حله، فلا يجوز الصيد في حدود الحرم، وهذا من حكمة الله قد تجد حمامةً بعد متر يحل لك صيدها وأكلها، وفي الجانب الثاني إذا دخلت لا يحل لك صيدها ولا يحل لك أكلها، بل يلزمك بصيدها الفدية، وهي أرض واحدة ومكان واحد، والاختلاف يسير؛ لكن الله **عَزَّجَلَّ** الحكم.

كذلك: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ إياكم أن تنتهكوا حرمة بقتال أو نحو ذلك إلا أن يُعتدى عليكم، وهكذا: ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ لا يحل لكم أن تمنعوا وصوله إلى البيت العتيق، والهدي يقع من الحاج والمعتمر، ويقع كذلك من الرجل وهو في بلده يُرسل

بهديه ليذبح في الحرم ويوزع على فقرائه، ﴿وَلَا أَقْلَابِدَ﴾ هي ما كان يوضع في أعنق الهدايا والضحايا، ﴿وَلَا ءِأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ كذلك لا يحل لكم أن تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام بحج أو عمرة فتؤذونهم وتقومون عليهم، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أي: الذين يقصدون الحج والعمرة: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بتكفير ذنوبهم وستر عيوبهم، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ بملازمة الأعمال الصالحة؛ لأن الله يرضى الإيمان ويثيب عليه، ويكره الكفر والإجرام ويأثم صاحبه، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ أي: من حجكم أو عمرتكم، ويكون الحل بأشياء: الانتهاء من الحج والعمرة، والعمرة أركانها: الإحرام، ثم الطواف، ثم السعي، ثم الحلق أو التقصير، الحج: يقع التحلل منه الأصغر باثنين من ثلاثة: الحلق، والذبح، والرمي، فإذا فعل اثنين من ثلاثة حل التحلل الأصغر، وجاز له أن يلبس الملابس وأن يتطيب، فإذا طاف الإفاضة حل التحلل الأكبر.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ وهذا الأمر للإباحة وليس للوجوب، يعني: ما هو واجب على كل حاج أنه إذا انتهى من حجه أو انتهى من عمرته يخرج يبحث عن غزال أو يبحث عن ضبع أو يبحث عن وبر أو نحو ذلك، وإنما الأمر للإباحة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم، ﴿سَهَنَانٌ﴾ بغض، ﴿قَوْرٌ﴾ آذوكم، ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام بحج وعمرة، ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم، بل لازم الشرع مع المحب والمبغض ومع القريب والبعيد، فالحق أحق أن يتبع: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَعَاوُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وهذه آية عامة، ما كان في طاعة الله عز وجل تعين التعاون مع المسلمين فيه، وما كان في معصية الله عز وجل لا يجوز التعاون فيه، فلو قال لك أحدهم: ناولني هذا الباكث الدخان لا يجوز أن تناوله؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، لو قال لك: ناولني الولاعة أشعل بها السيجارة التي في فمي لا تناوله، أو كان يتعامل بالربا وأراد منك

القلم أن يوقع به لا تعاونه: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أو كان له تلفاز يريد أن يحمله إلى البيت لا تحمله، ولو كان معك سيارة أجرة وأنت تعلم أنه تلفاز: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بينما لو كان معه شيء من الحلال المباح الطيب تعاون معه، احمل معه كيس دقيق، تعاون معه بسقي الماء إذا احتاج إلى ماء، تعاون معه بإعطاء القلم إذا احتاج إلى قلم، تعاون معه بإرشاده إلى المسجد، تعاون معه بما يصح التعاون به: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الإثم: المعصية، والعدوان الاعتداء على الغير، والبر والتقوى متقاربان المعنى لكن إذا اجتمعا البر: أفعال الإحسان، والتقوى: ترك المخالفة الشرعية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وهذا على التهديد.

### الآية الثامنة والأربعون (٣):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء من الله عزوجل للمؤمنين في شأن عظيم وهو الطهارة إذا قاموا إلى الصلاة، والمراد بالقيام إلى الصلاة: من كان محدثاً فاراد أن يصلي يجب عليه الوضوء، أو كان قائماً من النوم فهو في حكم الحدث أو حدث بذاته على الصحيح يجب عليه الوضوء، وهذه الآية استدلت بها الشافعي رحمه الله على

الضوء إذا قام من النوم، ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: من نومكم أو كتتم محدثين، أما غير المحدث إن شاء توضأ وإن شاء صلى بالوضوء الأول، والنبى **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** كان يتوضأ لكل صلاة، ويوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد وقال: «عَمَدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ»، ﴿فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الوضوء له واجبات وله سنن، فمن السنة: التسمية قبله، وغسل اليدين ثلاثاً إلى الرسغ، فإن كان قائماً من نوم الليل تعين عليه الغسل ثلاثاً، لقول النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»، ثم بعد ذلك من واجباته: المضمضة والاستنثار والسنة ثلاثاً من كف واحد كما في حديث عبد الله بن زيد، ومن أجمع الأحاديث: حديث عبد الله بن زيد، وحديث عثمان بن عفان في الصحيحين، ثم بعد ذلك: يغسل وجهه، وحده: من منابت شعر الرأس في جميع جوانبه إلى اللحية، ومن الأذن إلى الأذن، ولا يلزم تخليل اللحية، وإنما يكتفي بغسل ظاهرها، ويجوز أن يتوضأ مرة مرة وثلثين ثلثين وثلاثاً ثلاثاً.

ثم: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ تُغسل اليد بعد الوجه إلى المرفق، من أطراف الأصابع إلى أن يشرع في العضد، كما في حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**: أن النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** غسل يديه حتى شرع في العضد؛ لأن بعضهم قال: هل يلزم غسل المرفق؟ هل يدخل في الغسل أم لا؟ الحديث يوضح أنه يدخل فيه.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ أي: بعد غسل اليدين تبدأ باليمين وتنتهي باليسار، وإن أخطأ وبدأ باليسار الغسل صحيح، لكن إن قدم غسل اليدين على الوجه باطل، ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ أي: بجميع رؤوسكم، ذهب بعضهم: إلى أنه يكتفي ببعض، والصحيح الاستيعاب، فالنبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** كان يبدأ بمقدم رأسه حتى ينتهي إلى قفاه ثم يرجع إلى مقدم رأسه، وإن كان عليك عمامة مسحت على العمامة،

وهكذا المرأة تمسح على خمارها، ﴿وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، ولو كان المراد المسح كما جاء في قراءة: (وَأَرْجُلِكُمْ)، قيل: الجر على المجاورة، وقيل: المراد به المسح إذا كان في حال سفر، والمسح على الرجلين سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ويمسح الظاهر: «وَقَتَّ لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَكَيَالِيَهُنَّ، وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَكَيْلَةٌ»، إلا إذا كان جنبًا فيلزمه الاغتسال.

نعم، المسح على الرجلين سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، إذا كان لابسا للخفين، المسح يكون إذا كان لابسا للخفين، أما إذا كانت الأرجل مكشوفة فيجب الغسل، وإنما قال بالمسح على القدمين بدون خفاف الرفضة، ولم يتابعهم أحد من المسلمين على ذلك.

﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا﴾ اغتسلوا؛ لأن الجنابة من مفسدات الوضوء ونواقض الوضوء، فيجب على الجنب من الرجل أو النساء الاغتسال سواء كان في حضر أو في سفر، ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ سواء من الرجال والنساء، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ يقل الماء فيه، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ قضيتم حاجتكم، والغائط: هو المكان الهابط من الأرض، ويطلق على الحدث، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتم النساء، وليس المراد به المس العادي على الصحيح من أقوال أهل العلم، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ عندنا ثلاث حالات:

**الحالة الأولى:** لا ماء، هذا يتيمم.

**الحالة الثانية:** الماء موجود لكن لا يكفي لحاجة المستخدم، يحتاجه لشربه، يحتاجه لسقي أبنائه فهنا يتيمم.

**الحالة الثالثة:** أن يكون الماء موجودًا ولكنه مريض لا يتحمل استخدام الماء، إذا استخدم الماء تأخر البرء أو زاد المرض أو هلك، فعند ذلك يتيمم.

﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا، ﴿صَعِيدًا﴾ ما صعد على وجه الأرض، وقيل: التراب، ﴿طَيِّبًا﴾ أي: طاهرًا، ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ بعد أن تضرب بيديك الأرض كما في حديث عمار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وما جاء أنه يمسح إلى المرافق أو يمسح إلى الأباط لا دليل عليه، والسنة جاءت بتقديم اليدين والوجه، القرآن جاء بتقديم الوجه واليدين وأيهما قدم جاز، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ لا يريد الله بأحكامه جعل الحرج عليكم، ولكن أراد الرحمة بكم والتخفيف، والاختبار والابتلاء، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من ذنوبكم ومعاصيكم، وهكذا من الأحداث والأنجاس، ﴿وَلِيُنِزِمَ نِعْمَتَهُ﴾ نعمة الإسلام وقبول العمل، ﴿عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦﴾ الله عزَّ وجلَّ على هذه النعم.

فهذه الآية عمدة في بابها وهي متضمنة لمسألة الطهارة من الحدث الأصغر ومن الحدث الأكبر، ولو أراد أحد أن يتوسع فيما يتعلق بها لكان في مصنف مستقبل، وقد صنف فيها بعض العلماء منهم: شيخنا يحيى حفظه الله تعالى، فهي آية جامعة في باب الطهارة الحسية والمعنوية لو أراد الإنسان أن يتوسع، فالطهارة الحسية: التطهر بالماء أو رفع الحدث بالتيميم، والطهارة المعنوية: تطهير القلب من الشرك والبدع والغل والحسد وغير ذلك.

وفي هذه الآية بيان لعظيم شأن الإسلام: أنه دين لا حرج فيه لا مشقة فيه، ب هو الرحمة: ﴿إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَكُنْ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا﴾، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٧﴾ [القمر: ١٧].

وفي هذه الآية أن الصعيد: ما صعد على وجه الأرض وهذا هو الصحيح، وليس المراد به التراب على قول الجمهور؛ لما في حديث حذيفة: «وَجُعِلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهُورًا»، قيل: التراب خرج مخرج الغالب، وإلا فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قد رجع

من نحو بثر جمل وتيمم على الجدار كما في حديث أبي الجُهيم، فلو ضرب أحد جانب بيته أو على فراشه أو على سيارته أو على صخرة جاز له التيمم على الصحيح. ويتلخص من هنا مسألة يسمونها: بفاقد الطهورين، هذا فاقد الطهورين الذي يقول: يلزم التراب، يقول: إذا فقد الماء والتراب كيف يصلي؟ يصلي على ما يسر الله: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لا يلزمه شيء، لكن من قال: بأن التيمم يقع على كل شيء قد لا يتأتى فاقد الطهورين إلا في حال المقيد أو المشلول الذي يعجز عن أن ييمم نفسه، فعند ذلك لا بأس أن ييمم، الله المستعان.

اختلفوا أيضًا: هل التيمم رافع أم أنه مبيح؟ والصحيح: أنه رافع: الصعيد الطيب طهور المسلم حتى يجد الماء ولو بعد عشر سنين، وذاك الرجل قال له الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَا مَنَعَكَ يَا فَلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الْقَوْمِ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْني جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ، فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ»، أي: التيمم به.

ثم إن عند العامة اعتقاد: أن الجنب ينجس، هذا كلام غير صحيح: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ»، فالجنابة ليست بنجاسة إنما هي حدث أكبر يوجب الغسل، وإلا فإن المؤمن لا ينجس، كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إذا كان جنبًا وأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوؤه للصلاة، وأما حديث: كان ينام ولا يمس ماءً قد انتقدوا هذه الكلمة على أنها شاذة، وقيل: المراد لا يمس ماءً للغسل؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** سأله عمر بن الخطاب: هَلْ يَنَامُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ»، ونحو هذه الألفاظ.

ويستوي في كيفية غسل الجنابة الرجال والنساء، ولا يتعمق الإنسان يكفي أن يفيض على رأسه ثلاثاً كما في حديث عائشة وجابر وعمران بن حصين أو جبير بن

مطعم قال: أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً.

وإذا اغتسل بانغماس في البحر جاز؛ لكن يلزمه المضمضة والاستنشاق؛ لأن كثيراً من الناس يظن أن المضمضة غير داخلة في الغسل، والصحيح: أنها داخلة، بل ذهب بعض أهل العلم إلى بطلان غُسل من لم يتمضمض ويستشق؛ لأنه ما غسل وجهه أجمع، والأنف والفم من الوجه، والنبوي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** ما تركهما لا في غُسل ولا في وضوء.

فإذا اغتسل للجنابة أو لغيرها على الصحيح ولم يمس فرجه في حال غُسله يعني: بعد أن ينتهي من تنظيف نفسه يُجزئه الغُسل عن الوضوء، وأما من وقع منه مس الفرج فإنه ناقض للوضوء: **«مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»**.

وهكذا من النواقض: الفساء والضراط وما خرج من السبيلين: **«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»**، حديث أبي هريرة في الصحيح، وهكذا أكل لحم الإبل؛ كما في الحديث: **«أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَتَوَضَّأُ مِنْ حُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ»**، قال أتوضأ من حُومِ الإبل؟ قال: **«نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ حُومِ الْإِبِلِ»**.

وهكذا: الردة، من ارتد عن دين الإسلام انتقض وضوؤه: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾** [الفرقان: ٢٣]، **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [المائدة: ٥].

والنوم كما تقدم من نواقض الوضوء، النوم المستغرق الذي يفقد معه الإحساس، وأما نوم الجالس فإن النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** أخر الصلاة حتى قال عمر: نام النساء والصبيان ومع ذلك صلوا ولم يتوضؤوا.

## الآية التاسعة والأربعون (٤):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ قائمين بأمره مخلصين في عبادته، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ في حال الشهادات وما يتعلق بذلك ولو كان على القريب والبعيد، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم، ﴿شَنَا نُ﴾ بغض، ﴿قَوْمٍ﴾ يعني: قوم تبغضونهم، ﴿عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا﴾ وتجاوزا فيهم الحق وتكلمون فيهم بالباطل فلا يجوز، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ ءَلِهِ وَسَلَّمَ**: «فَإِن كَانَ فِيهِ فَقْدٌ اغْتَبْتَهُ، وَإِن لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقْدٌ **بِهْتَهُ**»، ﴿ءَاعْدِلُوا﴾ في كلامكم وفعالكم، ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ دليل على تقواكم ومراقبتكم لله **عَزَّ وَجَلَّ**، ﴿وَءَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ عليم ومطلع على أفعالكم الظاهرة والباطنة.

## الآية الخمسون (٥):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ءَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المائدة: ٧١].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يُذَكِّرُ الله **عَزَّ وَجَلَّ** المؤمنين بذكر نعمه الكثرة المتتابعة: ﴿فَءَاذْكُرُوا ءَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: ٦٩]، ﴿فَءَاذْكُرُوا ءَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

[الأعراف: ٧٤]، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ [المائدة: ٧]، في آيات كثيرات، والنعمة: مفرد أضيف فأفاد العموم أي: جميع نعم الله **عَزَّوَجَلَّ**.  
 ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ وهم الكفار، ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ونحوه، وكانوا يصلون فصرف الله عنهم مكر الكافرين، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ وأسلحتهم: ﴿عَنْكُمْ وَأَثَقُوا اللَّهَ﴾ بفعل أمره واجتناب نبيه وزجره، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ يعتمد، ﴿الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾﴾ حقًا وصدقًا.

### الآية الواحدة والخمسون (٦):

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

### الشرح:

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ وهو محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ من الأحكام، ﴿مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ ولا تبدون، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من أخطائهم وزللهم امتثالًا لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ القرآن والحكمة، ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بين واضح، ومع ذلك هل استجاب اليهود والنصارى من هذه الدعوة؟ الصحيح: لا، بل أعرضوا وازدادوا نفورًا وعتوًا.

## الآية الثانية والخمسون (٧):

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿١٦﴾ [المائدة: ١٩].

## الشرح:

يقول الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ يوضح ويجلي، ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ﴾ من بعد فترة من الرسل إذ كان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة، ففترت الرسالة وانقطعت حتى كان مبعث النبي الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ يوم القيامة معتذرين عن كفركم وبغيكم وبدعكم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾ نبي يشرنا بالجنة، ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ يندرنا ويخوفنا من النار، الواقع: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

وهذه الآية موافقة لقول الله عزوجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، والبشارة والندارة من مهمات الداعي إلى الله عزوجل، فلا تبقى مع الناس في تبشير حتى يياسوا من مكر الله، وربما عتوا في المعاصي والسيئات وأنت تبشرهم: مَنْ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وهو زاني، سارق، شارب خمر، تعاطى اللواط، يشرب مخدرات، مثل هذا المفروض تخوفه بالله عزوجل وترهبه حتى إذا ارتهب من الله وعاد وأتاب وخشيت عليه القنوط من رحمة الله اذكر له هذه الفضائل، تقول له: لا عليك الله غفور رحيم، يقول: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ونحو هذا، فلا بد من الجمع بين البشارة والندارة، وأيضا لا تمكن الناس نذارة نذارة حتى نقنطهم من رحمة الله، هذا قد يؤثر على نفسياتهم لا سيما ضعاف

الإيمان قد يصبح خارجياً، قد يصبح ضالاً، ولكن اجعل دعوتك بين البشارة والندارة، والقرآن من أوله إلى آخره بشارة وندارة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾  
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿الفاتحة: ٦-٧﴾، بشارة، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ ﴿الفاتحة: ٧﴾، ندارة.

وهكذا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ ﴿الفاتحة: ٢﴾، من جهة بشارة ومن جهة ندارة، الرب في حق المؤمن: هو الحافظ له، الناصر له، المؤيد له، وفي حق الكافر: القادر عليه الذي لا يعجزه شيء، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣﴾ ﴿الفاتحة: ٣﴾، بشارة، و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ ﴿الفاتحة: ٤﴾، ندارة، فهكذا تجد القرآن بشارة وندارة.

### الآية الثالثة والخمسون (٨):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣٥﴾ ﴿المائدة: ٣٥﴾.

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل أمره واجتناب نبيه وزجره، وغالباً ما يؤتى بعد نداء أهل الإيمان الأمر بالتقوى؛ لأن الإنسان إذا اتقى الله عزَّجَلَّ سهلت استجابته في جميع الأمور، أما إذا كان غير متقي لله عزَّجَلَّ ما سيستجيب لك أصلاً، لكن إنسان تأمره بتقوى الله يبدأ يُصلي هذا من تقوى الله، يتعد عن الزنا هذا من تقوى الله، يتعد عن الخمر هذا من تقوى الله فيصلح حاله، ﴿وَأَبْتَغُوا﴾ اطلبوا، ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة:

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ❀ ❀ ❀ إن يأخذوك تكحلي وتخصصي

ومنه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ»، أي: القرب من الله عزَّجَلَّ: ﴿فَاتِمَّا مَنزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ﴾، وقال الله

**عَزَّجَلْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾** [الإسراء: ٥٧]، القربة، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بذل الجهد في طاعته، بذل الجهد في تبليغ دينه، بذل الجهد في دفع الكفار وزجرهم عما هم فيه من الباطل، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (٣٥) يحصل لكم الفلاح بنيل المطلوب والحذر من المرهوب.

**وهذه الآية فيها:** الحض لي ولك ولجميع السامعين: على ملازمة التقوى ظاهراً وباطناً، فإننا نسير إلى الله **عَزَّجَلْ**، ما منا من أحد إلا وهو يسير إلى الله **عَزَّجَلْ**، وسيأتي اليوم الذي ينقطع فيه عن العمل، فمن الآن عليك بملازمة العمل قبل أن يحال بينك وبينه، كما في قول الله **عَزَّجَلْ: ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** [سبأ: ٥٤].

وفيها: بيان أن الفلاح في الدنيا والآخرة بطاعة الله، ليس بجمال ولا مال ولا بكثرة أتباع.

### الآية الرابعة والخمسون (٩):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وقد جاء في موطنين نداء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** باسم الرسالة، والذي يظهر: أنه ناداه باسم الرسالة؛ لأنه في موطن البلاغ وفي موطن الدعوة، ﴿لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ من اليهود

والنصارى وأهل النفاق، ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَاهِمَ﴾ باطلاً ولم تؤمن قلوبهم؛ لأنهم تواصلوا بذلك وكانوا: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]، والإيمان يكون بالقول، والاعتقاد، والفعل، فإذا كان قولك بالإيمان وباطنك يخالف الإيمان فهذه زندقة، فلا بد من اجتماع القول والقلب والعمل.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أيضاً من اليهود ممن لم يُسلم، وعندهم سماع الباطل: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ من البهت وغيره، ﴿سَمِعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ من المنافقين وغيرهم، ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ للاستفادة من الخير الذي عندك، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التوراة من بعد مواضعها: المكان التي هي فيه، والمراد هنا: العمل، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: لا يعملون بما أمر الله عزَّ وجلَّ به كما شرع، ﴿يَقُولُونَ﴾ لأنفسهم، ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ﴾ أعطيتهم، ﴿هَذَا﴾ الحكم والقرآن، ﴿فَخُذُوهُ﴾ ظاهراً، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ أن تقبلوه أو تبحثوا عنه، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ من أراد فتنته كوناً لا يمكن أن تملك له شيئاً ولا تصرف عنه ضرراً ولا تجلب له نفعاً، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ لم يرد إرادة كونية قدرية لا شرعية، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ من العذاب والنكال الذي ينزل بهم، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ موجه يلازمهم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

## الآية الخامسة والخمسون (١٠):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

## الشرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أقرؤا الله **عَزَّجَلَّ** بالوحدانية وأطاعوه والتزموا شرعه وأمره، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ﴾ الذين هم من أمكر الناس، وكفرهم ظاهر وشرهم بائر، ﴿ وَالنَّصَرَى ﴾ هذا اسمهم الشرعي، أما ما يُسميهم البعض بالمسيحيين هذا اسم غير شرعي، فالله **عَزَّجَلَّ** سماهم نصارى، فهم لا ينتسبون إلى المسيح، المسيح موحد وهؤلاء مشركون منددون، ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ تنصرونهم وينصرونكم، وتحبونهم وتودونهم، ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ الواقع: أن اليهودي ولي اليهودي، والنصراني ولي النصراني، والمشرك ولي المشرك، أما المؤمن ولايته لله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، ينصر بعضهم بعضًا، ويحب بعضهم بعضًا: ﴿ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ﴾، ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ ﴾ ينصرهم، يحبهم، يودهم؛ لما هم فيه من الباطل والكفر والضلال: ﴿ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ ﴾ كافر مثلهم، لكن من تولاهم ظاهرًا ليتقي شرهم، أو دخل معهم في معاهدات ومعاهدات ليس فيها النصرة لهم ولا شيء من ذلك، فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** قد عمل صلحًا مع اليهود، وعمل صلحًا مع النصارى، وعمل صلحًا مع المشركين، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ لا يوفق، ولا يسدد، ولا يعين: ﴿ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الكافرين؛ لعلمه أنهم ليسوا أهلاً للهداية.

هذه الآية يستدل بها الخوارج على تكفير كثير من حكومات المسلمين؛ بسبب ما جرى بينهم وبين الكفار من المعاهدات والمعاهدات، وهذا أمر لا يوافقون عليه كما تقدم الإشارة إليه؛ ولهذا تجد كثيرًا من الخوارج كأصحاب جبهة النصرة،

وهكذا أصحاب تنظيم القاعدة، وأصحاب جماعة الجهاد، وأصحاب داعش يكفرون أكثر الحكومات، بل والحكومة العربية السعودية يكفرونها؛ والسبب: أنهم يجهلون الأحكام الشرعية، وإلا فحكومة المملكة العربية السعودية حرسها الله وسائر بلاد المسلمين هي الحكومة التي تمثل الدولة السنية وتنصر في الحق ويدافع عنها بالحق.

ومرة من المرات كان يتراسل معي بعض من كنا ندرسهم في هولندا، ثم علمت بعد ذلك أنه التحق بالدواعش فجعلت أنصحته، وكان من ضمن النصيحة: أني نصحته بدراسة التوحيد والعقيدة الصحيحة والخروج من بين ظهرائي الكفار، فقال لي: وأنت في أي بلاد؟ كالذي يقول: أنا بين ظهرائي الكفار في أوروبا وأنت بين ظهرائي الكفار في مكة، قاتل الله الهوى، وتجد أن بعضهم في سوريا من أصحاب جبهة النصرة، وكذلك من أصحاب داعش، وكذلك أصحاب من تقدم ذكره يعني: هم الوعيد التفجير والتكفير لأصحاب الحرمين الشريفين، وهذا من البلاء والفتنة نسأل الله السلامة والعافية، لم يعودوا إلى علمائهم، وإلا لبينوا لهم: أن التعامل مع اليهود والنصارى في البيع والشراء والصلح الذي فيه مصلحة للمسلمين، وهكذا اليهود والعقود وإجراء السفارات هذا لا يناقض الإسلام ولا يعارض الإسلام؛ ولذلك تجد أن أهل البدع يتخذون من مثل هذه الأدلة سُلماً للتوصل إلى بدعتهم، ولو ردوا مثل هذا الدليل إلى غيره من الأدلة، لوجدوا أن الحكم الشرعي ما قرره أهل السنة والجماعة في كتبهم مؤلفاتهم وجميع شأنهم، والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، ولا يلزم من ذلك التكفير، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عَلَيَّ تَوْبِينَ مُعْضَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «أَمَّاكَ أَمْرَتُكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَعْسِلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرَقَهُمَا»، وليس فيه: أنه كفر ولا خرج من الإسلام، لكن لتعلم أن من لم يتقن العقيدة السلفية الصحيحة قد يقع منه تكفير، قد يقع منه تفجير، وقد يقع

منه تثوير، وقد يقع منه كثير من الباطل، والله المستعان.

### الآية السادسة والخمسون (١١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ يترك الدين ويمرق منه، ويبدل دينه كما قال النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، فالردة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وقد وقعت الردة في زمن النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** حيث ارتد عبد الله بن خطل وبعضهم، وهكذا بعد موت النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** حيث ارتد من العرب وقاتلهم أبو بكر، وهكذا في عهد علي بن أبي طالب حيث ارتد الرافضة وجعلوا يؤلهونه ويعظمونه، فقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا ❁ ❁ أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا  
وأنكر عليه ابن عباس قتلهم بالنار، وقال: لو كنت أنا لقتلتهم وما حرقتهم؛ لأن النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وهكذا عبد الله بن مسعود قتل جملة من المرتدين، قتل بن نواحة، وهكذا أبو موسى الأشعري حين نزل عليه معاذ بن جبل ووجد رجلاً مربوطاً فقال: ما شأن هذا؟ قال: كان يهودياً أسلم ورجع دينه دين السوء، قال: لا أنزل حتى يُقتل قضاء الله ورسوله.

والردة قد تقع بالقول كسب الله، وسب رسوله، وتنقص القرآن، وسب الدين، أو الاستهزاء بشيء من ذلك، وقد تقع بالفعل كالطواف حول القبور، والسجود لها، والذبح لها، والنذر لها، وقد تقع بالاعتقاد كالخوف من غير الله كخوف الله، أو

التوكل على غير الله، أو محبة غير الله كمحبة الله إلى غير ذلك.

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ دين الإسلام، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ﴾ كقول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ إثبات صفة المحبة لله وأنه يحب المؤمنين والطائعين والمحسنين، وقد جاءت في القرآن ستة عشر موطنًا من يحبهم الله، وستة عشر موطنًا من لا يحبهم الله، ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ هم أيضًا يحبون الله، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي علي بن أبي طالب قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ متواضعين مستكينين للمؤمنين ما عندهم كبر وتعالى: «وإنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا»، ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أقوياء على الكفار لا هوادة معهم، كما قال الله عز وجل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهذه الصفة الثالثة سواءً الجهاد بالقول أو بالفعل، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يتهيبون من لوم اللائمين؛ لأن كثير من الناس يلومون من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف الذي تقدم لهذه الثلاثة: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الواسع، ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ممن علمه أهلاً للخير، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وهذه الآية نزلت في شأن أهل اليمن، وكان مجيئ هؤلاء بعد موت النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

## الآية السابعة والخمسون (١٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُورًا وَلَعَبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧].

## الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾ أي: من اليهود والنصارى، ﴿هُرُورًا﴾ يهزئون به، ﴿وَلَعَبًا﴾ يتلاعبون به، وأبوا الدخول فيه، ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى، ﴿مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ﴾ وكذلك من الكفار، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تنصرونهم وتحبونهم وتودونهم، فإن هذا كفر وردة إن حصل منكم، وأما اتخاذ الولاية من باب اتقاء شرهم فتقدم بيانها، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

## الآية الثامنة والخمسون (١٣):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة: ٥٨].

## الشرح:

﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ يعني: تنتقدون علينا وتعرضون عنا بسبب: ﴿إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ ووجدناه والترمنا شرعه، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ التوراة والإنجيل آمنوا أن الله أنزلها على رسله، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ كافرون، والفسوق: هو التمرد على شرع الله عزوجل.

## الآية التاسعة والخمسون (١٤):

قال تعالى: ﴿ \* يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

[المائدة: ٦٧].

## الشرح:

في هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتم شيئاً لكتم: ﴿ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

﴿ \* يَأْتِيهَا الرَّسُولُ ﴾ نداء للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن تعظيم الله عز وجل له لم يناده يا محمد، وإنما: ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ ﴾، ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ بلغ القرآن والوحي الذي أوحاه الله إليك، وهذه الآية عمدة في الدعوة إلى الله عز وجل، وإن كان القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا أنه باقٍ بين الأمة يتعبدون لله عز وجل به، ويتقربون إلى الله بتلاوته، ويدعون الناس إلى التزامه، ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ دليل على أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ﴾ ذلك، ﴿ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ بل يخشى عليك العقوبة، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أَتَنبِي رَسُولًا مِنْ رَبِّي فَضِغْتُ بِهَا ذَرْعًا وَرَوَيْتُ أَنَّ النَّاسَ سَيُكذَّبُونَنِي، فَقِيلَ لِي: لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَفْعَلَنَّ بِكَ»، ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يدافع عنك ويحرسك.

وكان من سبب نزول هذه الآية: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان نائمًا تحت شجرة، فجاء رجلٌ من المشركين وسيفُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُعلَّقٌ بالشجرة، فأخترطه، فقال: تخافني؟ قال: «لا»، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط، ولما جاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة قال: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، هذا كان قبل أن يوحى إليه بهذا الأمر، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

﴿١٧﴾

وفعلًا كم أرادوا أن يتربصوا بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، أرادوا أن يقتلوه، وأرادوا أن يسجنوه، وأرادوا أن يفعلوا به الأفاعيل فسلمه الله **عَزَّوَجَلَّ** منهم، وربما التقوا في المعارك ويكون أقرب إليهم من غيره ويسلمه الله **عَزَّوَجَلَّ** منهم.

الآية الستون (١٥):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

الشرح:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مع أنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، فقد شهد بعضهم على بعض: أنهم ليسوا على شيء، والله **عَزَّوَجَلَّ** أخبر أنهم كلهم ليسوا على شيء مع أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١]، لكن الواقع: أن كل مبطل ليس على شيء، وإن كان يظن أنه صاحب شأن، فالذي على شيء هو من على الكتاب والسنة يعمل بهما ويدعو إليهما ويرغب فيهما، والكاهن والعراف قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَيْسَ بِشَيْءٍ»، مع أنه ربما أخبر بكلمة صدق وتسعة وتسعين كلمة من الكذب، فإذا أردتم يا معاشر اليهود والنصارى أن تكونوا على شيء فالتزموا شرع الله: ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ﴾: قبل تحريفها وتغييرها وتبديلها، ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ قبل تحريفه وتغييره وتبديله، أما الإنجيل الذي فيه: أن عيسى ابن الله هذا باطل، أو الإنجيل الذي فيه: أن عيسى صلب هذا باطل، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ

رَبِّكُمْ ﴿القرآن تؤمنون به وتقرؤون به وتلتزمون به، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ بسبب بغيتهم وعنادهم كلما سمعوا الآيات زادتهم نفورًا، كما قال الله عزَّجَل: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٣٥]، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن، ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ لو أراد الله لهم الهداية لهداهم لكن علم ضلالهم فأضلهم الله.

الآية الواحد والستون (١٦):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

### الشرح:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: هذا نداء من الله عزَّجَل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ﴿لَا تَغْلُوا﴾ وهو مجاوز الحد إما في القول، وإما في الفعل، وإما في الاعتقاد، فكلما تجاوز حده فهو غلو، ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ ملتكم، ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ الذي أوحاه الله عزَّجَل وأنزله، وقد غلا النصارى في عيسى حتى عبدوه وألهوه، وغلت اليهود في عيسى حتى كفروه وفسقوه وأرادوا قتله واتهموه بأنه ولد زنية إلى غير ذلك من غلوهم، وهكذا شدد النصارى على أنفسهم في العبادات، وتهاون اليهود في كثير من شأنهم، فالغلو قد يقع بالإفراط وقد يقع بالتفريط؛ ولذلك حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الغلو: ﴿فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوءُ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ﴾ بدع ومحدثات وآراء مخالفة للكتاب والسنة، ﴿قَوْمٍ﴾ من المبتدعين الضالين أو المشركين المنمدين، ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ انحرفوا عن الصراط المستقيم والطريق القويم،

﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ ضلوا من قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وضلوا بعد مبعثه، ﴿ وَأَضَلُّوا ﴾ تسببوا في إضلال: ﴿ كَثِيرًا ﴾ أي: كثير من الناس، ﴿ وَضَلُّوا ﴾ في أنفسهم، ﴿ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾ عن الطريق القويم والصرط المستقيم.

وهذا من الخسران المبين: أن يكون الرجل ضالاً في نفسه مضلاً لغيره، وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ﴾، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ [النحل: ٢٥]، وفي الحديث: ﴿ وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ﴾، فكون الإنسان ضالاً في نفسه هذه مصيبة، فإذا كان مضلاً لغيره صارت مصيبتان عظيمتان كبيرتان.

### الآية الثانية والستون (١٧):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ [المائدة: ٨٧].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا ﴾ الحلال الطيب الذي أباحه الله لكم منه وفضلاً سواء من المطعوم، أو الملبوس، أو المشروب فالأصل الإباحة: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، وهذا الأمر بالأكل من الطيبات هو أمر أيضاً للأنبياء: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وفي المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فالذي يُحرم على نفسه الحلال قد ارتكب جرماً عظيماً، والذي يحل لنفسه الحرام قد ارتكب جرماً عظيماً،

﴿طَيِّبَتْ﴾ الحلال، كل حلال طيب وإن لم يعجبك طعمه وإن لم ترتح لشممه ما دام حلالاً فهو طيب، وكل حرام خبيث وإن أعجبك طعمه ولونه، ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إذ أن التحليل والتحرير إلى الله، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْحَبِيثَةِ شَيْئًا فَلَا يَقْرُبُنَا فِي الْمَسْجِدِ»، فَقَالَ النَّاسُ: حُرِّمَتْ حُرِّمَتْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ لِي تَحْرِيمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا»، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ تتجاوزوا الحد بغلو أو جفاء بإفراط أو تفریط، سواء كان الاعتداء على أشخاص أو على جماعات أو على معنويات أو على حسيات فالاعتداء حرام: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ بمعنى: أنه يكره: ﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٧﴾.

وقد ذكرت لكم: أن الآيات التي فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ ستة عشر آية: والآيات التي فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ ستة عشر آية، فما كان يحبه الله يتعين عليك المحافظة عليه والالتيان به، وما كان يبغضه الله يتعين عليك البعد عنه والنهي والنأي عنه، وإذا كان لا يحب المعتدين معناه: أنهم سيتعرضون للعذاب الأليم إن ماتوا على اعتدائهم وظلمهم وبغيهم.

### الآية الثالثة والستون (١٨):

قال تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

### الشرح:

كان شأن الخمر: أن الله عز وجل قال ابتداءً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، فعرض به، ثم كان: أن الله عز وجل قال: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ

**حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴿ [النساء: ٤٣]، ثم كان الشأن: أن الله **عَزَّجَلَّ** حرمه بقوله: ﴿ **إِنَّمَا** **الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** ﴾ أي: ابتعدوا عنه وكونوا على حذر من ملامسته، وقد لعن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في الخمر عشرة: **عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَى لَهَا، «مَنْ شَرِبَ الْحَمْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي** **الْآخِرَةِ»**، «مَنْ شَرِبَ الْحَمْرَ شَرْبَةً لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»، والخمر: ما خمر العقل، وكل مسكر خمر وإن سُمي بغير اسمه، وكل خمر حرام، سُمي بالخمر؛ لأنه يخامر العقل ويغطيه، ويسمى بأَم الخبائث.

ذكروا: أن رجلاً دعت امرأة إلى أن يزني بها فأبى، ودعته إلى أن يقتل طفلاً فأبى، ودعته ولا بد إلى أن يشرب الخمر أو أحد الثلاثة فقال: أهونها الخمر، يعني: نظر من حيث الإثم ربما يكون أهون من الزنا وأهون من قتل النفس، فلما شرب الخمر قتل الطفل وزنا بالمرأة؛ ولذلك سميت بأَم الخبائث، وقد كان بعض العرب لا يشربها في الجاهلية حفاظاً على عقله، فالخمر حُرِّمَ حفاظاً على العقل وما إليه.

﴿ **وَالْمَيْسِرُ** ﴾ وهو القمار حيث يكون بين الناس مراهنات ومخاطرات على أموال باهظات، وربما تذهب الأموال بالباطل وتؤكل بالباطل فحرمه الله، ﴿ **وَالْأَنْصَابُ** ﴾ الأصنام وما يُذبح عليها لغير الله **عَزَّجَلَّ**، ﴿ **وَالْأَزْلَمُ** ﴾ وهو عبارة عن قرح فيه عدة أسهم لكل سهم مميز وأحدها أغفل ليس فيه تمييز، وهي التي كانت معلقة في الكعبة ويحركونها ثم يأخذ واحداً منها، فإن ظهر افعل فعل، ظهر لا تفعل لم يفعل، وإن ظهر الأغفل أعادوها مرة أخرى، فأخبر الله **عَزَّجَلَّ** أن هذا من الشيطان، وقد صوروا إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وإسماعيل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في جوف الكعبة وهما يستقسمان بالأزلام فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ إِنْ اسْتَقْسَمَا بِالْأَزْلَامِ قَطُّ**»،

يعني: ما استقسما بالأزلام، ﴿رَجَسٌ﴾ قال بعضهم: نجس وهذا غير صحيح فلس كل محرم نجس، فالخمر محرم وليس بنجس، والميسر محرم وليس بنجس، والأنصاب محرمة وقد تكون غير نجسة، والأزلام محرمة وغير نجسة، ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾ من صنعه وأزه، ﴿فَلَجَّتِ بُؤُهُ﴾ كونوا على حذر وبعد منه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ بنيل المطلوب والبعد عن المرهوب.

ولا يجوز حتى التداوي بالخمر: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيهَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ».

الآية الرابعة والستون (١٩):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْتَلُوَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

[المائدة: ٩٤].

### الشرح:

هذا شيء من ذكر أحكام الصيد، وقد علمنا: أن الصيد الأصل فيه الإباحة ويُحرم في حالين:

**الأول:** يُحرم إذا كان داخل الحرم.

**الثاني:** ويُحرم إذا كان الصائد مُحرمًا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْتَلُوَكُمْ﴾ يختبرنكم: ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ الصيد غير بهيمة الأنعام: الغزلان، والأيل، وكذلك الوبر، والطيور الحلال، ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: تصل إليه أيديكم بالقبض؛ ولذلك كان أبا هريرة رضي الله عنه يقول: والله لو رأيت الضباء ترتع في المدينة ما ذعرتها فضلًا أنه يقوم بمسكها، فهذا أمر مهم يتفطن له فإن الصيد في أرض الحرم قد يكون قريبًا حتى من الأطفال.

أذكر لما كنا هناك لو شاء الأبناء أن يأتي أحدهم بحمامة في يده يأتي بها بسهولة؛

لأنها قد ألفت الناس، وإذا خرجت إلى جانب البيت لا سيما إذا كنت في منطقة عند جبل وإذا بالوبر يتدلى فيها وينزل ويخرج، وهكذا بقية الحيوان مثل: الأرنب، وقد يوجب في بعض المناطق غزلان وما إليها.

**فالشاهد:** أنها أمنت فخرجت وقربت فلا يجوز لك أن تأخذ شيئاً منها سواءً بنيل اليد أن تمسكها حية أو بالرمي: ﴿وَرِمَا حَكْمٌ﴾ وهو ما يُرمى به من القنا ونحوه، وهذا الابتلاء والاختبار: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ علم وقوع وإلا فإن الله بكل شيء عليم؛ لكن يريد علم وقوع، العلم الذي يُثاب عليه المرء أو يأثم، وفيه: فضيلة خوف الله **عَزَّوَجَلَّ** بالغيب؛ لأن في الظاهر أغلب الناس قد يتخوفون من كلام الناس فيهم وتنكر الناس لهم لكن الغيب على الإنسان أن يكون مراقباً لله فيه، ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ في هذا الباب بصيد ما لا يحل صيده: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد هذا الحكم: ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجه.

وأيضاً يلزمه جزاء الصيد وهذا من عذابه أيضاً، فمثلاً في النعامة ناقة أو جمل، وفي الحمامة تيس أو شاة من الضأن، وهكذا يحكم عدلان بما يجب عليه حتى البيضة إذا كانت من بيض الطيور التي لا يجوز أن تُصَاد يلزمه فيها الفدية، والفدية ذبيحة يوصلها إلى فقراء الحرم.

### الآية الخامسة والستون (٢٠):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا لَّيَذُوقُوا وَعَبَا أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٢٠﴾ [المائدة: ٩٥].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كونوا على حذر، ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ الذي

تقدم ذكر بعضه، ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال كونكم محرمين ولو كنتم خارج الحرم،  
**تنبيه:** الصيد حرام على المُحرم وغير المحرم داخل الحرم، وحرام على المُحرم  
 خارج الحرم ولو كان في ذو الحليفة وقد أحرم لا يجوز له أن يصطاد، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ  
 مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ خرج به المُخْطئ الصحيح: أن لا شيء عليه، وذهب بعضهم إلى أن  
 المُخْطئ لا إثم عليه وتلزمه الفدية، فمثلاً: هذه الأيام أنت تمشي بالسيارة والحمامة  
 تضرب في السيارة ماتت، إذا قلنا يلزم الكفارة حتى المُخْطئ بمجرد ما يدوس حمامة  
 أو يُميت حمامة يلزمه فدية، وإذا قلنا إنما هو في المتعمد لا يلزمه شيء، ﴿فَجَزَاءٌ﴾  
 أي: لهذا المقتول من الصيد، ﴿فَمِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ إما من الإبل أو البقر أو الغنم  
 وهذا يعرفه أهل الخبرة، يعني: هذا الطير شبيه بالغنم، هذا الطير شبيه بالضأن، هذا  
 الحيوان شبيه بالثور، هذا الحيوان شبيه بالإبل، ﴿بِحُكْمٍ بِهِ ذَوْأٌ عَدَلٍ مِنْكُمْ﴾ يعني لم  
 يكتف بحكم الواحد حتى يتقارب حكمهم، ﴿هَدِيًّا﴾ يذبح هدي مقابل هذا الصيد  
 الذي صاده متعمداً، ﴿بِلَيْعِ الْكَعْبَةِ﴾ ليس معناه أنه يذهب يلطخ به الكعبة، وإنما  
 يوزعه في فقراء الحرم، وهذا دليل على أن كفارة الصيد لا توزع في خارج الحرم، ما  
 يذهب يقول: أنا أذبح جملاً أو شاةً أو بعيراً وأوزعه على فقراء قريتي؛ لا، لا بد أن  
 يوزع على فقراء الحرم، فإن عجز عن ذلك: ﴿أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ يُنظر مقابل  
 هذا الصيد هل يُطعم عشرة، يطعم واحد، يُطعم خمسة أو أقل أو أكثر؛ لأنهم  
 سينظرون إلى ما قدروا عليه من النعم ثم يقولون: هذا يُجزئ عن إطعام كذا، ﴿أَوْ  
 عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ ليس محدد بيوم أو يومين، وإنما يُحدد على قدر النعم التي لم  
 يستطع أن يأتي بها، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال لكعب بن عجرة: «هَلْ تَجِدُ  
 نَسِيكَةً؟»، قُلْتُ: لا، قَالَ: «فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينٍ بَيْنَ كُلِّ مَسْكِينَيْنِ  
 صَاعٌ»، ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ ليجد مغبة فعله بقتله الصيد وهو متعمد قاصد، فإن  
 الله **عَزَّوَجَلَّ** جعله حرماً آمناً، ﴿عَقَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ مما كان في الزمن الماضي قبل

نزول الحُكم وقبل العلم به، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى مخالفة شرع الله أو إلى الصيد مرة أخرى انتهاكاً لحرم الله، ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يُغلب، ﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ ينتقم من أعدائه والمخالفين لحكمه وأمره.

قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ فيها: دليل على تسمية السلفين بهذا الاسم، فإن السلف هو المتقدم كما هو معلوم.

### الآية السادسة والستون (٢١):

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

### الشرح:

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ الأفعال والأقوال الخبيثة المخالفة للكتاب والسنة، ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ مع الأقوال والأفعال الطيبة الموافقة للكتاب والسنة، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ وتنوع موارد، والنصرة ليست بالكثرة وإنما بموافقة الحق، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اتقوا الله بفعل أمره والانتهاز عن نهيه وزجره، ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، وهذا هو النداء هنا: أن الله نادى أصحاب العقول الذين يتفكرون ويتدبرون ويتعلقون أمر الله، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ بنيل المطلوب والسلامة من المرهوب، والفلاح كل الفلاح في الإسلام، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**».

## الآية السابعة والستون (٢٢):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكٌ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَقَاً ۗ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ۖ حَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

[المائدة: ٢٢].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ﴾ ليس في الآية النهي عن التفقه في الدين، وإنما الآية نزلت في زمن نزول الوحي، وبعضهم ربما يقول: يا رسول الله من أبي؟ وربما إذا كان أبوه غير الأب الشرعي وأُخبر به سبب مفسد، فالأب الشرعي هو صاحب الفراش والابن ابنة ولو كان من غيره، ولو علم الناس أنه من غيره ما لم يُلاعن وإلا فالابن ابنة يرث منه ويُنسب إليه، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجْرُ»**، إلا أن سالم مولى حذيفة ربما كان يُعير، فبينما النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«سَلُونِي، سَلُونِي»**، إذ قام إليه فقال: **مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُدَافَةُ»**، فقالت له أمه: **أَأَمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمَّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَفْضَحَهَا عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ: وَاللَّهِ لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لِلْحَقِّقَةِ»**.

**فالشاهد**: نهام الله عن سؤال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** عن مثله هذه الأسئلة، ونهامه أيضًا أن يسأله عن أمور لم تُحرم ربما تُحرم بسبب أسئلتهم وتعتهم وكانوا بعيدين عن ذلك، قال أنس: **فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَحِيَّاءَ الرَّجُلِ الْعَاقِلِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ**.

﴿إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكٌ﴾ تدخل عليكم الحزن والبؤس، ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ﴾ يُخبركم الله بها، ﴿عَقَاً ۗ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ ما كان من الأمور

الماضية عفا الله عنها، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ متجاوز، ﴿حَلِيمٌ﴾ بعباده رحيم.  
**الآية الثامنة والستون (٢٣):**

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

### الشرح:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ في معنى هذه الآية: أن أبا بكر رضي الله عنه يقول محذراً من الاغترار بالمعنى الذي قد يتبادر إلى الذهن: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُتَكْرِفَ فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ»، فعليك نفسك أصلحها بطاعة الله وبطلب العلم واسعاً في إصلاح زوجك وولدك ومجتمعك، فإن قَدِرَ أنهم أبوا الاستجابة لدعوتك: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾، من أعرض، ﴿إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى طريق الحق والرشاد، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعثكم ونشوركم، ﴿جَمِيعًا﴾ يوم القيامة، ﴿فِئْتِكُمْ﴾ يخبركم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ تعملون في هذه الدنيا، وهذه الآية فيها رد على أصحاب: وَمَا أَنَا إِلَّا مِمَّنْ غَزِيَّةٌ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشِدُ ❀❀

**الآية التاسعة والستون (٢٤):**

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ فَأَصْلَبَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٦].

### الشرح:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةً بَيْنِكُمْ﴾ عند موتكم في الحقوق الواجبة عليكم، أو في الأوقاف ونحو ذلك، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ من الرجال أو النساء، ﴿حِينَ أَلْوَصِيَّتِ﴾ أي: في وقت كتابة الوصية اثنان: ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ عدول من المسلمين، فإن لم يوجد ووجد رجل وامرأتان فذاك، أو أربع نسوة، وفيه: أن الشهادة إنما تكون في العدول، وأما من لم يكن عدلاً في نفسه فلا تُقبل شهادته، ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين، ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من الكافرين، لكن هذا ليس على إطلاقه: أن الكافر يشهد على المسلم إلا إذا كان في مثل هذا الحال: ﴿إِنْ أَنْتُمْ صَرَيْتُمْ﴾ سرتهم: ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ لحقكم الموت، وفيه: دليل أن الموت مصيبة وأي مصيبة، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ أي: الشهود الذين هم من الكفار، ﴿وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قيل: صلاة العصر، وهذا من التغليظ الزماني والمكاني، فالتغليظ المكاني مثل: المسجد الحرام، مثل مسجد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، والتغليظ الزماني مثل: بعد العصر، يوم الجمعة وهكذا، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ لأنهم كانوا يؤمنون بالله في الجملة، ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ يا أهل الميت، ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾ بهذه الشهادة: ﴿ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ﴾ نغيب: ﴿شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَئِمِّينَ ﴿١٧﴾﴾ وتتمة الآية: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا أَعَدَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٧].

**المهم:** أن الناس يثبتون في شهادة الشهود من غير المسلمين حتى الشاهد من المسلمين يُثبت في شأنه.

## الآية السبعون (٢٥):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ ۖ  
 إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۖ إِن كُنتَ قُلْتَهُ  
 فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٣٧﴾ مَا قُلْتَ  
 لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن ۖ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ  
 فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣٨﴾ ۚ إِنَّ نُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ  
 عِبَادٌ ۖ وَإِن تَعَفَّرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

## الشرح:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ هذا يوم القيامة حين يجمع الله الأولين والآخرين، فيأتي النصراني وقد عبدوا عيسى من دون الله، فيقول الله عزوجل له: ﴿يٰعِيسَى﴾ وهذا دليل على أن الله يتكلم بحرف وصوت يُسمع، ﴿ابْنَ مَرْيَمَ﴾ نُسب إلى أمه؛ لأنه لا أب له، وهذا دليل على قدرة الله وعظمة شأنه، ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: يتقربون إليهم، ويتسمحون بهم، ويتوسلون بهم، ﴿قَالَ سُبْحٰنَكَ﴾ تنزيه لله عزوجل، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ وهذا القول باطل، ﴿إِن كُنتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ لا تخفى عليه خافية، ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ إثبات صفة النفس لله عزوجل: وهي الذات المتصلة بالصفات، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ ﴿٣٧﴾ صيغة مبالغة من العلم والاطلاع، وإذا كان علام الغيوب فمن باب أولى أن يكون عالم وعلام بالمشهود.

﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو التوحيد، ﴿أَن ۖ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ معنى لا إله إلا الله، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ﴾ أي: ما أبقيتني، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: قبضتني إلى السماء، ﴿كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المطلع، ﴿وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

شئٍ شهيدٌ ﴿١٧٦﴾ فتجازي المُحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾ يعني: تعذبهم وتهلكهم قبل الإيمان، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: يدخلوا في الإسلام فيستحقوا المغفرة والتجاوز، ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما قرأ هذه الآية بكى وجعل يقول: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وبكى، فَقَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبِّكَ أَعْلَمُ، فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ؟»، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ».

الآية الواحدة والسبعون (٢٦):

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَلْعَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧٦﴾ [المائدة: ١٧٠].

الشرح:

﴿إِذْ قَالَ اللهُ﴾ أيضًا ينادي اللهُ عَزَّجَلَّ يوم القيامة فيقول: ﴿يَلْعَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ نعمي الكثيرة المتتابة حيث جعله اللهُ رسولاً، ونبياً، وأكرمه بالسلامة من مكر الماكرين من اليهود وغيرهم، ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ مريم البتول، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يعينك وينصرك بعد نصر اللهُ عَزَّجَلَّ، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: أنه كلمهم في حال صغره: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي

المُهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةً»، ذكر منهم: صاحب جريج وعيسى بن مريم، ﴿وَكَهَلًا﴾ قيل: هذا حين ينزل في آخر الزمان، ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن لكن علمه الله معانيه، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة، ﴿وَالتَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ يعني: مثل الفخارة، ﴿بِإِذْنِي﴾ أمر الله له بذلك، فلا يذهب أحدكم يعمل مثلاً من هذا الشيء ويقول: قد فعله عيسى بن مريم، عيسى بن مريم فعل التصاوير بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ القدري الكوني، ﴿وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ تعافي وتعالج الأعمى وإلا فإن الشافي هو الله، ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي جلده قد تغير، ﴿بِإِذْنِي﴾ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ يمسح عليه يعود بريئاً، ﴿وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ وهذا ليس على إطلاقه أنهم يعودون إلى الحياة ويذهبون ويأتون ويتسوقون ويتزاوجون وغير ذلك، وإنما إذا اختلفوا في ميت أو كان من شأن أن يُريهم آية، يعني: يجعل الميت يكلمهم يحييه الله عَزَّوَجَلَّ على يده، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اليهود: ﴿عَنكَ إِذْ جَسَّتْهُمُ الْبَابِئَاتُ﴾ حيث أرادوا أن يقتلوه، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُّ مُبِينٌ﴾ ﴿١١﴾ سحر واضح بين.

وهذه الآيات كما ترى فيها دلائل الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ بعيداً عن الشرك والتنديد.



## سورة الأنعام

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١٦٥)

الآية الثانية والسبعون (١):

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾﴾

[الأنعام: ١٦٨].

## الشرح:

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: يوم القيامة يجمع الله عزَّجَلَّ الأولين والآخرين، ثم ينادي المكلفين: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: أغويتم عددًا كثيرًا من الإنس وحرقتموهم عن الصراط المستقيم والطريق القويم، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين تولولهم وأطاعوهم، ﴿رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ الجنى استمتع بالإنسى بإذاغته وإضلاله، والإنسى استمتع بالجنى بقضاء بعض حوائجه كما هو حال الساحر مع الشياطين، فإنه يستمتع بهم في قضاء بعض ما يريد، وهم يستمتعون به في الكفر والشرك والمخالفة لدين الله، ﴿وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا﴾ أي: المدة: ﴿الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ حتى تتوفانا بعدها، ﴿قَالَ﴾ الله عزَّجَلَّ: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مستقركم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ممن كان من أهل الإسلام فعذب ثم دخل الجنة، أو إلا ما شاء الله مما كان قبل دخولهم النار، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في فعله وأمره وحكمه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده لا تخفى عليه خافية.

والشاهد من الآية قول الله عزَّجَلَّ: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾

يناديهم.

## الآية الثالثة والسبعون (٢):

قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

## الشرح:

﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ الجن خُلِقُوا من نار، والانس خُلِقَ أبوهم من تراب، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من بني آدم فليس من الجن رُسل، وإنما من الجن نُذر: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩]، والمعنى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ أي: من بعضكم، كما قال الله عزَّجَل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٣﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، قال العلماء: وإنما يخرج اللؤلؤ من البحر المالح لا البحر العذب، فمن شروط الرسول: أن يكون حرًا، ذكرًا، إنسان، عاقل، بالغ وبهذا تعلم أن ليس من النساء رسول وليس من الجن رسول، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾ يتلون عليكم: ﴿ءَايَاتِي﴾ التي أوحيتها إليهم، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ يحذرونكم، ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يوم القيامة، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ أي: أنهم كانوا في ضلال بعيد، ﴿وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حيث استمتعوا بملذاتها وشهواتها وألهتهم عن طاعة الله عزَّجَل، ﴿وَشَهِدُوا﴾ أقروا، ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

والقاعدة عند القضاة وغيرهم: أن الإقرار سيد الأدلة، فهم يعترفون على أنفسهم

أنهم كانوا كافرين فعند ذلك يستحقون النار وبئس القرار.



## سورة الأعراف

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٢٠٦)

## الآية الرابعة والسبعون (١):

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَۙ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلٰٓيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَآءَتَكُمْ وَرِيْشًا وَّلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٦٦﴾ [الأعراف: ٢٦].

## الشرح:

جاءت النداءات لنبي آدم في أربعة مواطن: النداءات المتعلقة بالدنيا، وهناك نداء متعلق بالآخرة يأتي في سورة يس.

﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَۙ﴾ نداء لجميع المكلفين من بني الإنسان، ﴿قَدْ اَنْزَلْنَا﴾ ههنا وخلقنا، ﴿عَلٰٓيْكُمْ لِبَاسًا﴾ اللباس: ما يُلبس يواري به الإنسان جسده من الحر والقر ويستر عورته، ﴿يُورِي سَوَآءَتَكُمْ﴾ أي: عوراتكم، وهذا من نعمة الله عزَّوجلَّ كل الحيوان عورته بادية إلا الإنسان يسترها في حال لبسه، وفي حال قضاء حاجته، وفي حال نومه بخلاف بقية الحيوان، والآن كثير من الناس يريدون التشبه بالحيوان، ﴿وَرِيْشًا﴾ اللباس يقولون: هو الذي يستر العورة ويكون بجانب الجسم، والريش: هو اللباس الخارجي الذي يتجمل به الإنسان، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ لما ذكر الله عزَّوجلَّ اللباس الحسي بين أن اللباس المعنوي: وهو تقوى الله عزَّوجلَّ خير عظيم في الدنيا والآخرة، وكانت العرب تُسمي الأخلاق الفاضلة ثوبًا، كما جاء في بعض أشعار لبيد رضي الله عنه:

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُوبَ فَاجِرٍ ❀ ❀ لِبِسْتِ وَلَا مِنْ غَدْرَةِ أَتَقَنَّعُ  
فمعناه: أن الإنسان إذا تميز بالأخلاق الفاضلة كان عليه أحسن اللباس؛ ولهذا

يُفسر اللباس في المنام في الدين، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يمتن على عباده باللباس الحسي الذي يوارى السوءة ويقيهم الحر والبرد، ثم قال لهم: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: لا تنسوا حظكم من تقوى الله **عَزَّوَجَلَّ** فذلك هو الخير العظيم الذي تُكرمون به في الدنيا والآخرة، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: كونه جعل لكم لباسًا يوارى سوءاتكم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ وفعلاً آية عظيمة من الذي علمك لهذا الأمر؟ الله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿النساء: ١١٣﴾، وإلا كما قلت لكم يعني: الإبل أكبر من الإنسان وسوءته ظاهرة، والفيل أكبر من الإنسان وسوءته ظاهرة، وهكذا جميع أنواع الحيوان لا يستطيع أن يستر نفسه، ولا يوارى سوءته، ولا يصنع لنفسه بيتاً أو شيئاً من شأنه، والإنسان يصنع لنفسه البيت، واللباس، والمركب، ويفعل ما لا يفعل غيره فهذا فيه آيات تجعلنا نحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** إذ لم يجعلنا قردة أو خنازير أو من هذه الدواب التي لا قيمة لها إلا بقدر ما هي عليه، وأعظم ذلك العقل حيث جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** للإنسان عقلاً يتدبر المصالح التي ينتفع بها.

### الآية الخامسة والسبعون (٢):

قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرُدُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُنَّهُمْ إِنَّآ جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأعراف: ٢٧﴾.

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَبْنَىٰٓ ءَادَمَ﴾ احذروا: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ لا يغوينكم الشيطان عن دينكم، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ﴾ آدم وحواء، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾ العلية، وعلى الصحيح: أنها جنة عدن: ﴿وَهَلْ أَخْرَجْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةٌ أَبِيكُمْ؟﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ ﴿١١٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَتَضَمَّنُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، لا يمكن

أن يكون في جنة الدنيا لا جوع، ولا عطش، ولا عُري، ولا حر، ولا برد إنما هذا وصف الجنة التي هي جنة الخلد على الصحيح من أقوال أهل العلم، ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ بسبب معصيتهما، كانت سوءاتهما مغطاة بلباس الجنة، فلما أكلا من الشجرة ووقعت منهما المعصية نُزِعَ عنهما لباسهما، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا﴾ يعني: مثل مضروب كما ظهرت سوءاتكما بالأكل من الشجرة كذلك ظهرت السوءة بالمعصية، ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ﴾ أي: الجن، ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ وهذا في الغالب أن الإنس لا يرون الجن، لكن إذا تحول الجن إلى صورة أخرى يُرى على صورته؛ لأن منهم صنف حيات وعقارب وكلاب كما في الحديث، فإذا تحول حتى إذا أراد الإنسان أن يقتله ويتخلص منه يُقتل على حالته التي هو عليها، وذلك الصحابي الذي طعن الحية قال: لا أدري أيهما أسرع في الموت، يعني: طعنها وهي كانت من جنات المدينة، لكن كيف تستتر منه؟ بالبسملة، تستتر منه بالأذكار، إذا أردت أن تكون مستورا من الشيطان فعليك أن تأتي بالأذكار: أذكار دخول الخلاء، أذكار النوم، أذكار الصباح والمساء، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ يوالونهم ويؤزونهم على الباطل أزا، أما المؤمن ليس له عليه سلطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

### الآية السادسة والسبعون (٣):

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوْدًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

### الشرح:

هذه نزلت في شأن قريش كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا الخمس والحُمس قريش وما ولدت، وكانت المرأة تقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ❀❀ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَحِلُّهُ  
وربما وضعت يدها على فرجها حتى تستره من نظر الناظرين.

فأمر الله بالتستر وقال: ﴿يَبْنِيْٓ ءَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ﴾ أي: خذوا لباسكم وغطوا  
سوءاتكم، ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة، وبهذه الآية استدلل العلماء: على أن ستر  
العورة شرط في صحة الصلاة إلا إذا عدم الإنسان، وقد تكلم العلماء إذا كانوا قوم  
ليس لديهم لباس على الإمام أن يكون في وسطهم حتى لا ينظرون سوءته عند  
سجوده وعند ركوعه هذا إذا لم يوجد، وأما إذا وجد أدنى الشيء فيلبسه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ  
مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مما رزقكم الله عزوجل، كلو من  
المأكولات واشربوا من المشروبات، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ مجاوزة الحد، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْمُسْرِفِينَ﴾ [٣١] فيه: إثبات صفة المحبة لله عزوجل، والإسراف مذموم وكبيرة من كبائر  
الذنوب وعظيم الآثام.

### الآية السابعة والسبعون (٤):

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓ ءَادَمَ إِمَّا يَاأَيُّهَا رُسُلُ مَنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ فَمَنْ أَتَقَىٰ  
فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

### الشرح:

﴿يَبْنِيْٓ ءَادَمَ إِمَّا يَاأَيُّهَا رُسُلُ مَنْكُمْ﴾ هذا إخبار من الله عزوجل: أنه سيرسل إلى بني  
آدم الرسل، ﴿يَقْضُونَ﴾ يتلون، ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ الشرعية من القرآن والسنة، ﴿فَمَنْ  
أَتَقَىٰ﴾ الله عزوجل بفعل المأمور وترك المحذور وأصلح في عمله، ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾  
مما يقدمون عليه بل هم معززون مكرمون حين يقدمون بين يدي الله عزوجل، ﴿وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ﴾ [٣٥] على ما فاتهم.

## الآية الثامنة والسبعون (٥):

قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤].

## الشرح:

هذا نداء من الله عزَّجَلَّ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ﴾ وهو نبي بني إسرائيل، ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك واجتبتك، ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ جميعًا، ﴿بِرِسَالَتِي﴾ شاركه فيها بقية الرُّسل إلا أن الكلام كلمه الله عزَّجَلَّ فَشَهِرَ بِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَبِكَلِمَىٰ﴾ إذ أن الله ناداه حين كان ليلة مبعثه: ﴿وَتَدِينَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ﴿٥٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا آخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]، فمن زعم أن الله لم يكلم موسى تكليمًا فهو كافر كافر أكبر مُخرج من الملة؛ لأنه كذب خبر الله، ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من التوراة والأحكام، ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لنعمتي عليك فإن الشكر يزيد النعمة، والكفر يذهبها، والنعمة إذا شُكرت قرت وإذا كُفرت فرت.

## الآية التاسعة والسبعون (٦):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

## الشرح:

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ﴾ جميع الناس؛ لأنه دعاهم إلى الإيمان برسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: أرسله الله إلى الأحمر، والأبيض، والأسود، وإلى العربي والأعجمي، وإلى الجن والإنس بخلاف

بقية الرسل كانوا يبعثون إلى قومهم خاصة، والله الذي أرسله هو: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا شريك له في ملكه كما لا شريك له في عبادته، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق إلا هو، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ لا يعجزه شيء، ﴿فَتَأْمِنُوا﴾ أيها الناس، ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وليس كما يقول بعضهم: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ نسبة إلى أم القرى، بل إن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ، وَلَا نَحْسُبُ»، ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ربًّا، ﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾ الشرعية ويأخذ بها، ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ تابعوه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يحصل لكم الاهتداء في الدنيا بملازمة الكتاب والسنة، وفي الآخرة يحصل لكم الاهتداء إلى الجنة والسلامة من النار.



## سورة الأنفال

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (٧٥).

الآية الثمانون (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ  
الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ  
بِعُضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوِلُهُ جَهَنَّمُ وَيَشْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

## الشرح:

هذه الآية فيها: بيان لكبيرة الفرار من الزحف، وقد قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وذكر منها: «والتولي يوم الزحف»، وذهب بعض أهل العلم إلى أن التولي يوم الزحف إنما هو خاص بأصحاب بدر؛ لحاجة النبي ﷺ إليهم في ذلك اليوم، وأما غيرهم فلا يدخلون في هذا الحكم، والصحيح: القول الأول إذ وجد مسلم في معركة مع كافرين تعين عليه الثبات، وكان مبدأ الأمر: يجب على المسلم أن يواجه عشرة، ثم نسخه الله عز وجل باثنين، ولا يجوز له الفرار من الزحف إلا إذا كان متحرفًا لقتال يعني: يريد أن يرجع ويتقوى ويصلح شأنه، أو متحيزًا إلى فئة يكثرونه وينصرونه.

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي: في معركة من المعارك، ﴿فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ أي: فارين منهم.

﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبُرَهُ﴾ كناية عن أنه يفر منهم ويهرب، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ مستعد لقتال آخر أو معركة أخرى أو دائرة أخرى، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ من المسلمين ينصرونه ويؤازرونه، ﴿فَقَدْ بَاءَ بِعُضْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: من فعل ذلك، وهذا دليل على أنها كبيرة، وضابط الكبيرة عندهم: ما توعد عليه بغضب، أو لعن، أو

حد، أو طرد من الجنة، ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيره.

ومع ذلك التولي يوم الزحف ليس بكفر وإنما هو من المعاصي العظام، نسأل الله العافية والسلامة.

### الآية الواحدة والثمانون (٢):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا نَسَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

#### الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولًا، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ أيضًا أطيعوا رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أمره واجتناب نهيه وزجره، وطاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم طاعة لله، قال الله عزوجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ»، وهذا من لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، والانتهاه عما نهى عنه وزجر، والطاعة تكون بفعل الأمر، وباجتناب النهي، ﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تتولوا عن دينه وعن سنته، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ المواعظ والعبر.

زادهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ [الأنفال: ٢١]، من اليهود والنصارى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]، لا يسمعون الحق مع أنهم يسمعون الكلام: ﴿إِنَّ سَرَ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

## الآية الثانية والثمانون (٣):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ اِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهٖ وَاَنَّهُٗٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ﴿٢٤﴾﴾

[الأنفال: ٢٤].

## الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ استجيبوا لأمر الله ولأمر رسوله **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** وسارعوا إلى ذلك: ﴿فَاسْتَجِيبُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿اِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ إذا أمركم بما فيه حياة قلوبكم، وبما فيه صلاح أفعالكم: ﴿وَأَمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فلا حياة إلا مع القرآن والسنة؛ ولهذا قال النبي **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَثَلُ النَّبِيِّ الَّذِي يُذَكِّرُ اللّٰهَ فِيهِ وَالنَّبِيِّ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللّٰهَ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»، إذا: فالأحياء هم أهل السنة والجماعة الذين تابعوا رسول الله **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** قولاً وفعلاً واعتقاداً وإن كان أحدهم مشلولاً على فراشه إلا أنه متلبساً بالحياة التي بها صلاح الآخرة، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهٖ﴾ ولهذا كان النبي **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** يُقسم كثيراً: «لَا وَمَقَلَّبِ الْقُلُوبِ»، وكان يقول: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، كما عبد الله بن عمرو عند مسلم، ويقول: «يَا مُبْتَبِ الْقُلُوبِ بَتِّ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، كما في حديث عائشة وأم سلمة عند أحمد، فإذا أراد الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يصرف قلبك عن الخير صرفه ولن تستطيع له إقامة، وإذا ثبت الله **عَزَّوَجَلَّ** قلبك ثبت ولا يستطيعون له إزاحة، فانظر كيف الشأن: ﴿يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهٖ﴾ ربما هو يريد شيء وقلبه يريد شيء ويغلبه قلبه، ﴿وَأَنَّهُٗٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ﴿٢٤﴾﴾ يوم القيامة، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

من هذه الآية تعلم أن صلاح المرء وفساده يعود إلى القلب: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

فيا أخي المسلم: عليك أن تستحضر عظيم هذه النعمة: نعمة الهداية والتوفيق، وإلا ربما تجلس تتصارع أنت وقلبك يجرك إلى الباطل وأنت تريد الخير ومع ذلك يتغلب عليك، وصلاح الظواهر أهون من صالح الباطن على العبد، قد يترك كثيرًا من الأعمال السيئة إما لخوفه لله **عَزَّجَلَّ** وهو أحسنها، وإما لخشيته من الناس أن يروه عليها، وإما لعدم تيسرها له، وأما القلب ففساده فساد، النية تحتاج إلى مجاهدة، والعُجب يهجم، والرياء يهجم، والكبر يتعاضم في النفس، فيبقى الإنسان في صراع مع قلبه ربما تسلط عليه الشيطان، وتعلمون أن القلب محل نظر الرحمن: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى اجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، فمصيبة: أن يكون الإنسان سيء القلب، فكم تأتي الإنسان من الخواطر والوساوس والظنون والأشياء الكثيرة؟ وقد تجد عنده من المال ما الله به عليم، ومن الجاه ما الله به عليم وهو في عذاب بسبب قلبه، وقد تجد عند آخر الفقر والحاجة والقلة وهو في سعادة بسبب قلبه: ﴿**الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، فهذه الآية تجعلك متضرعًا إلى الله أن يثبت قلبك: ﴿**وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال: ٢٤]، فيصرف كيف شاء الله، إذا فسد القلب لا تنتفع الأذن بالسمع، ولا تنتفع العين بالبصر، ولا تنتفع الجوارح بعمل: ﴿**يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٤٢].

## الآية الثالثة والثمانون (٤):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَاْمُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

## الشرح:

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ إذ أمنكم الأمانة العظيمة: وهي إقامة الدين: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِهُ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وذكر بعض أهل العلم: أن هذه الآية نزلت في شأن الأبناء والنساء؛ لأن الله ذكر بعدها: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَفْتَنَهُ وَآتَى اللَّهُ عِنْدَهُ جَزَاءً عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]، فالخيانة صفة ذميمة اتصف بها المنافقون، وقد اتصف بها المشركون، ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ وتخونوا سنته وطريقته، ودعوته، ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ الكثيرات التي أمنكم الله إياها من حفظ الفرج، والسمع، والبصر، والأموال التي توضع عندك أمانة هذه منها وإلا الأمانة أوسع، ﴿وَأَنْتُمْ تَعَاْمُونَ ﴿٧٧﴾﴾ أنكم وقعتم في الخيانة وأن هذا أمر لا يجوز، والناس يعلمون أن الخيانة مذمومة.

## الآية الرابعة والثمانون (٥):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يأمر الله عَزَّجَلَّ المؤمنين بتقواه والمراقبة له، ﴿إِن

تَتَّقُوا اللَّهَ ﴿٤٦٦﴾ بفعل المأمور واجتناب المحذور، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ تفرقون به بين الحق والباطل فتعرفون سبل الهداية وتسلكونها وتحبونها، وتعرفون سبل الغواية فتجتنبونها مع بغضكم لها، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يتجاوز عن سيئاتكم وذنوبكم، ﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سلف من فعالكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦٧﴾ الواسع.

وهذه آية عظيمة إذا قال لك أحدهم: لم نعد نعرف أين الحق؟ قل له: لقصور تقواك وإلا لو كنت متقيًا يبصرك الله عزوجل بالحق، فيكون لديك فرقان تفرق به بين الحق والباطل.

### الآية الخامسة والثمانون (٦):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦٨﴾ [الأنفال: ٤٥].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ﴾ هذا أمر من الله عزوجل للمؤمنين بالثبات إذا لقوا عدوهم من المشركين، ﴿فِئَةً﴾ طائفة، ﴿فاثبتوا﴾ لا تتزحزحوا ولا تنهزموا، ﴿واذكروا الله﴾ أطيعوه بجوارحكم، وأخلصوا له بقلوبكم، واذكروه بألستكم: ﴿كثييراً لعلكم تفلحون ﴿٤٦٨﴾ وكلمنا ذكرت الله فالله أكثر.

واستدل العلماء بهذه الآية على أن الإنسان قبل أن يجد عدوه يُكثر من الذكر والدعاء، والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يفعل ذلك، والفلاح: هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.

## الآية السادسة والثمانون (٧):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ  
حَرِيضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ  
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾

[الأنفال: ٦٤-٦٥].

## الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ الله كافيك وكافي: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾﴾  
يدافع عنك، وينصرك، ويعزك، ويكرمك، وهذه الآية فيها تثبيت للنبي  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولقومه رضوان الله عليهم؛ لأن من كان الله حسبه كان هو  
المنصور، انظر إلى إبراهيم لما أُلقي في النار قال: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، فكان  
قول الله: ﴿فَلَمَّا يَنْتَرُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وهكذا النبي  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما قيل له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا  
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وكلمة: حسبي الله عليك هذا  
دعاء كثير من الناس لا يظن ذلك مع أنها من أعظم الدعاء.

ثم يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِيضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: حثهم ورجبهم  
وأخبرهم بما لهم عند الله من المثوبة إن قاتلوا حتى تزداد شجاعتهم ومعنوياتهم،  
﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ هذا في مبدأ الأمر الواحد بعشرة،  
﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾﴾  
لا يفقهون أن النصر بيد الله.

ثم قال تعالى: ﴿أَلْقَنَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ  
مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

## الآية السابعة والثمانون (٨):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧٠-٧١].

## الشرح:

﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسِ﴾ نداء لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ وكانوا سبعين رجلاً من قريش، ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إسلامًا ومحبة له، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء، ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ يتجاوز عنكم، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ والمكر بدينك، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ بعدم الإيمان، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ سلط عليهم ودمدم وأهانهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.



## سورة التوبة

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٢٩)

الآية الثامنة والثمانون (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِن  
 اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾  
 [التوبة: ٢٣].

## الشرح:

هذه مسألة مهمة مسألة: أن يكون ولاؤك لله، وبغضك لله، وبرأؤك في الله عز وجل  
 فأنت المؤمن المتقي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ﴾ صليبةً ويدخل  
 فيهم الاجداد، ﴿وَإِخْوَانَكُمْ﴾ ويدخل فيهم أبناء العم وأبناء الخال، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾  
 نصراء وأحباباً، ﴿إِن اسْتَحَبُّوا﴾ إذا استحبوا: ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ أما إذا دخلوا  
 في الإيمان فإخوانكم في الدين وإخوانكم في النسب، وأباؤكم في النسب وإخوانكم في  
 الدين: «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يُسْلِمُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ»، لكن النهي هنا: عن إخوة  
 الكافرين، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ ينصرهم ويحبهم ويودهم، ﴿مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
 الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

الكافرون على تفصيل في المسألة: إن كانت محبتهم ونصرتهم لدينهم الباطل  
 المحرف فهو كفر أكبر مُخرج من الملة، وإن كان غير ذلك فهو معصية: ﴿إِلَّا أَن  
 تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

## الآية التاسعة والثمانون (٢):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء من الله عزوجل لمن آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبيًا، ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ﴾ الكافرون الذين يعبدون غير الله: ﴿نَجَسٌ﴾ نجاسة معنوية لا تطهرها البحار ولا الأنهار، وليست بنجاسة حسية كما يظن البعض فإن ثمامة بن أثال رُبطَ في المسجد قبل إسلامه، والأسارى كانوا في المسجد ولم تكن فيهم النجاسة بمعنى: أن من مسهم يجب أن يغسل يده أو ما أصابهم من لباسه وشأنه، ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ لا يدخلوا المسجد الحرام، وهذه خاصة بالمسجد الحرام والحرم أجمع، وأما بقية المساجد فقد ربط النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمامة بن أثال في المسجد؛ لعله أن يسمع الإسلام والقرآن ويستجيب لدعوة الملك العلام، ﴿بَعْدَ عِلْمِهِمْ هَذَا﴾ أي: العام التاسع، جاء أبو بكر وعلي براءة، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ بتردهم ورددتهم: ﴿عَيْلَةً﴾ فقرًا وحاجة، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ﴾ ويوسع لكم في أرزاقكم وأعطيتكم وهباتكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم وبجميع أفعالكم وشأنكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وما قضاه وقدره.

وفي هذه الآية: بيان لما عليه أهل الإسلام الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «الْمُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ»، وفي رواية: «الْمُسْلِمُ لَا يَنْجُسُ»، وإن كان جنبًا،

وإن كان محدثًا، وإن كان حيًّا، وإن كان ميتًا فإنه لا ينجس، والكافر نجس وإن اغتسل بالبحار والأنهار، واستخدم جميع الأشنان ما رُفعت نجاسته؛ ولذلك يوم القيامة لا يكون له إلا عذاب النار وبئس القرار؛ لأنها نجاسة متأصلة في قلبه فحصل بها الفساد العريض، ولو أن الناس يأخذون بما دلت عليه هذه الآية ويقع منهم بغض المشركين والإعراض عنهم والبعد عنهم والنهي والنأي عن التشبه بهم؛ لحصل الخير العظيم، في حديث سهل بن سعد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في شأن مؤمن من فقراءهم: **«هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْيِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»**، لرجل من عظماء العرب.

**وفيهما:** أن الغنى من الله إن شاء أن يعطيك أعطاك، وإن شاء أن يمنعك منعك.

### الآية التسعون (٣):

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

[التوبة: ٣٤].

### الشرح:

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** محذرًا لأهل الإيمان: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ﴾ علماء اليهود، ﴿وَالرُّهْبَانِ﴾ عباد النصارى، ﴿يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ يأخذونها بغير حقها ولا يدفعونها في أوجهها، وقد جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي: أنه بقي عند راهب فكان يؤتى بالزكوات فيجمعها في غرفة حتى ملأ القرب، فلما مات علم الناس به فأبوا أن يدفنوه، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«لَا يَحِلُّ مَالٌ إِمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَبِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ»**، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بإنفاقها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦]، كم هي

القوانين التي وضعتها الدول الكافرة والحكومات البائرة من أجل أن يضعف الإسلام، ومع ذلك يأبى الله إلا أن يتم نوره، فالإسلام في علو وأهله في تمكن وإن ضعفوا في الأمور المادية والأمور العسكرية، لكن بقاء القوة الإيمانية والعقيدة الصالحة هو الذي يغيض الكفار، اجعلوهم يملكون الدنيا بما فيها من ذهبها ومجوهراتها ونفطها؛ لكنهم في غيظ شديد بسبب أنك على عقيدة صحيحة، هذا الذي يغيظهم ويسوؤهم، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٥]، ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، فاعرف مقدار نعمة الله عليك يا مسلم، لا تكن نظرتك دنيوية: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، يعني: تكون سقفهم من فضة، والأبواب من فضة، وفرشهم وكراسيهم ربما فيها الذهب الكثير، لكن ابتلى الله **عَزَّجَلَّ** الناس بعدم ذلك حتى لا يصير حالهم إلى الكفر جميعًا فالدنيا لا عبرة بها، إذًا: دين الإسلام يبقى ما بقي أهل التوحيد، وأهل السنة، وأهل الصلاح، وأهل العلم.

**إذًا:** دين الإسلام بالعمل بالقرآن والسنة ومنهج السلف وإن ذهبت الأموال وقلت الرجال، فما دام الإسلام يُعمل به فالمسلمون في خير.

فانظر إلى مقاصدهم:

**المقصد الأول:** يأكلون أموال الناس بالباطل، هذا مقصد سيء.

**المقصد الثاني:** يأخذون هذه الأموال: ليصدوا بها عن سبيل الله، ونحن نقول:



ستكون عليهم حسرة.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ يعني: إذا بلغ النصاب ولم يدفع زكاته فهو كنز، أما إذا دفع زكاته فليس بكنز، ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الأوجه الشرعية التي شرعها الله، ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم، ﴿بِعَذَابِ آيٍمٍ ﴿٣٤﴾﴾ موجع يوم القيامة.

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٥]، قال بعض أهل العلم: السبب في كي الوجه ثم الجنب ثم الظهر: أن الفقير إذا جاء إلى الغني فسأله تبعر وجهه، ثم أعرض بجنبه، ثم ولاه ظهره، فيكون الجزاء يوم القيامة على قدر أفعاله في الدنيا.

#### الآية الواحدة والتسعون (٤):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

#### الشرح:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ﴾ عتاب للمؤمنين الذين أبوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ للغزو والقتال، ﴿أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: أحببتم البقاء والإقامة، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ هذا لا يكون، لا بد أن تكون الآخرة هي المقدمة، ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ مهما كثر وتنوع.

انظر في الدنيا هل يمكن أن تبقى بدون جوع؟ هل يمكن أن تبقى بدون عطش؟

لا بد تعطش حتى وأنت في البيت والثلاجة عندك، والمطبخ مليء، أحياناً ما تجد من يطبخ، وأحياناً تعجز عن القيام للشرب، ربما كنت نائمًا ما تقوم إلا وأنت عطشان، أو كنت في عمل ما تصل إلى الدكان إلا وأنت في حالة، مع ما يأتيك أيضًا من التعب والنصب والأسقام وغير ذلك؛ لكن الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، والله يا إخوة لو لم يكن إلا هذه الآية لرغبنا في الجنة وجعلتنا نجري على رؤوسنا فضلًا عن أرجلنا إليها جريًا بالعمل الصالح: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، ولا تبأس ولا تشقى، ولا تموت وتحيي، فنسأل الله عزوجل الجنة.

### الآية الثانية والتسعون (٥):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا أَلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

### الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّارُ﴾ هذا أمر من الله عزوجل لنبيه الكريم محمد الصادق الأمين، وهو أمر لأمراء المسلمين وحكامهم في كل زمن وحين: ﴿جَهْدًا أَلْكُفَّارِ﴾ الأصليين المعروفين من اليهود، والنصارى، والهندوس، والبوذيين ومن إليهم من عبادة الأصنام والأوثان الذين حاربوا الله بالشرك وأظهروا التنديد واعتقدوه دينًا، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يُظهرون الإسلام ويُبتغون الكفر والإجرام، وما أكثرهم في هذا الزمان، إذا كان الحسن البصري في زمانه يقول: والله لو كان للمنافقين ذيولاً ما استطعنا أن نمشي فكيف بهذا الزمان؟ الاشتراكيون، الناصريون، البعثيون، العلمانيون، الحداثيون، الباطنية، الرافضة، عبادة القبور من الصوفية كلهم أهل نفاق،

فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمر بجهادهم، ولم يجاهدهم النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** بسنانه فتعين لهم الجهاد بلسانه، وإن استطاع ولي الأمر أن يُقيم عليهم حد الردة فعل حتى لا تُرفع لهم قائمة، وهم أشد على أهل الإسلام من اليهود والنصارى، لو أتيت إلى أي عامي في أي بادية من البلدان يعرف هذا يهودي، وهذا نصراني ما فيهم خير ما يحبون للمسلمين الخير، لكن هذا الذي يظهر أن الإسلام دينه، وأن محمدًا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** نبيه ثم يطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وهذا أحد أوجه الجهاد؛ لأن الجهاد مراتب:

**الأولى:** جهاد النفس.

**الثانية:** جهاد الشيطان.

**الثالثة:** جهاد الكفار.

**الرابعة:** جهاد المنافقين.

﴿وَأَعْلَظُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: شد عليهم حتى ينزجروا عما هم فيه من الباطل؛ لأنك إذا رحمتهم تمردوا عليك، ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ﴾ يوم القيامة: ﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٧٣﴾ لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.

هذه الآية وما فيها تُسمى عند كثير من الناس بآية السيف، ويحكمون بها على كثير من الآيات مثل: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، إلى غير ذلك.

## الآية الثالثة والتسعون (٦):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

[التوبة: ١١٩].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هذا نداء من الله عزوجل لمعاشر المؤمنين في كل زمن وحين: أن يتقوا الله عزوجل بفعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ قولاً، وفعلاً، واعتقاداً فإن هذا من أسباب ثباتهم، ومن أسباب رفعتهم، ومن أسباب علو شأنهم، فكثير من الناس انحرفوا بسبب مجالسة السيئين:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَاسْأَلْ عَنْ قَرِينِهِ ❀❀ فِكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يُقْتَدِي  
قال ابن المبارك: ومن خفيت علينا بدعته، لم تخف علينا ألفته.

ومن جالس جانس، «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَمَثَلُ جَلِيسِ الشُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»، وهكذا كما تكون مع الصادقين حسياً كن معهم معنوياً، فكن مع الصحابة رضوان الله عليهم في اعتقاداتهم، وكن مع الصحابة رضوان الله عليهم في محبتهم ونصرتهم لله ولرسوله ولدينه، وكن مع الصحابة رضوان الله عليهم في التآسي برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

والصادقون عند التفصيل هم: المهاجرون: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، والأنصار هم المؤمنون.

وبهذه الآية احتج أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم على الأنصار لما قالوا: منا

أمير ومنكم أمير، قالوا: لا يكون، أليس الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، هذا هو دين الله، فيأتي لك رافضي أثيم ويقول: الصحابة أخذوا الخلافة على علي بن أبي طالب، لو كانت الخلافة لعلي بن أبي طالب لسلموها له على طبق من ذهب، وكانوا لهم نعم الطائعين والمستجيبين، لكن يا مسكين أنت في غفلة عن سيرة إمامك، أليس علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول للعباس: يا عم عباس ندخل على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نسأله هذا الأمر، قال له: لا تفعل فإنه إن منعه إياك لا تلقاه أبدًا، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يُشير بالخلافة لأبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فلا يُلبس علينا في ديننا، ولا يأتيك واحد ويقول لك: أسئلة حيرت علماء السنة، والله ما حيرت علماء السنة ولا تُحير عوام السنة، إنما تُحير الذين هم عمائم علي بهائم لا يفقهون من الإسلام إلا رسمه، ولا يعلمون بأحكامه.

وتعجب من العوام المساكين الذين هم أتباع كل ناعق، كلما سمعوا عبارة أطاعوا بها أثرت فيهم.

يا أخي لا يؤثر فيك الباطل، أفضل هذه الأمة بعد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأحق هذه الأمة بالخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي كما جعلهم الله، وكما اختارهم خيرة الأمة على هذا الأمر، هذا هو ديننا، قال شيخ الإسلام: فمن أبى غير ذلك فهو أضل من حمار أهله.

**الشاهد:** هذا نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** أن نكون مع الصادقين، ولا تكن مع الصادقين وأنت كذاب هذا ما يصلح، يعني تقول: والله أمرني أن أكون مع الصادقين أذهب أمشي معهم، وأركب معهم، وأجلس معهم وأنت في داخلك كذاب مبتدع ضال، أو مُحِب للمبتدعين الضالين، أو تعتقد غير عقيدة المسلمين هذا ما يصلح، كون الإنسان يكون مع الصادقين ظاهرًا وباطنًا محبته لهم، ووده لهم، ونصرته لهم،

ومجالسته لهم، كذلك لا تذهب تجالس أهل البدع وتقول: أنا إيماني في قلبي، وأنا محب لله ومحب لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومحب للقرآن والسنة، نقول: لا يصلح، لا يجتمعان دين الرسول والكفر والصد.

### الآية الرابعة والتسعون (٧):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ١٣٣].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء من الله **عَزَّجَلَّ** لعباده المؤمنين الموحدين المحبين لله **عَزَّجَلَّ** ولرسوله وللمؤمنين: ﴿قَاتِلُوا﴾ في حال جهادكم مع ولي أمركم: ﴿الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ الذين كفرهم الله ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فلا يُستدل بهذه الآية كما يستدل بها الدواعش وأصحاب القاعدة على أنها في شأن قتال من يكفرونهم من المسلمين، الآية في شأن الكافرين الذين كفرهم الله وكفرهم رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ﴿يَلُونَكُمْ﴾ أي: يقربون منكم تستطيعون الوصول إليهم، وهذا في حال قوة المسلمين هذا الجهاد يُسمى بجهاد الطلب؛ لأن الجهاد ينقسم إلى قسمين:

**الأول: جهاد دفع.**

### الثاني: جهاد طلب.

جهاد الدفع في حال ضعف المسلمين، إذا غزاهم الكفار واجهوهم ودافعوا عن أنفسهم، وأما جهاد الطلب في حال قوة المسلمين، وكان المسلمين في الزمن الماضي صائفة وشتاتية، كانت لهم غزوتان لكل خليفة تجد له غزوتين صائفة في الصيف وشتاتية في الشتاء.

﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً﴾ عدم رحمة وشدة؛ لأنهم يستحقون ذلك الله **عَزَّجَلَّ**

يقول: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾  
 معية نصر وتأييد وحفظ وكلاءة.

وهاتان الآيتان مع الصادقين ومع المتقين فيهما: إثبات المعية الخاصة للمؤمنين؛ لأن معية الله **عَزَّجَلَّ** تنقسم إلى قسمين:  
**الأولى:** معية عامة لجميع المخلوقات، فالله معهم بعلمه، وبصره، وقدرته، وسلطانه لا يعجزه شيء.  
**الثانية:** معية خاصة للمؤمنين، وهي تقتضي النصر، والتأييد، والحفظ، والكلاءة.



## سورة يونس

وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٠٩)

الآية الخامسة والتسعون (١):

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا  
بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ  
﴿٢٣﴾ [يونس: ٢٣].

## الشرح:

البغي: ذنب عظيم يدل على ضعف الخوف من العلي الكريم، والنبى  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لَا تَبْغِ وَلَا تَكُنْ بَاغِيًّا»، لا تبغي على غيرك سواءً بالقول أو  
بالفعل أو حتى باعتقاد السوء فيه وهو بريء من ذلك.

وهنا يحذر الله عزوجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: ضرر بغيكم  
عائد إلى أنفسكم فأنت المتضرر الأول من معصية الله عزوجل، وأنت المتضرر الأول  
من الظلم: «الظُّلْمَ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ  
الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»، وكم من إنسان  
يكون في أهته، وسلطانه، وغناه، وقوته فإذا بغى على غيره عاد ذليلاً حقيراً مهاناً،  
وربما سلب منه الملك والسلطان والمال فيعود في حالة سيئة، وهذا أمر ربما قد  
سمعتهم به كثيراً، أعرف واحد كان ضابط كبير وكان له صولة وكلمة، فجاءه رجل  
مسكين يشكو فدفعه من على باب الإدارة، وإذا به من يومه أُصيب بشيء في جسده،  
وضعت كلمته، وقل احترام الناس له، والآن هو في حالة طيبة من حيث العبادة  
والإقبال على الخير؛ لكن ما زال معلولاً من جراء ذلك الأمر الذي حصل منه،

ولعلكم قد سمعتم بحديث جابر: أن امرأةً كانت تحمل على رأسها جرة، فجاء شاب فدفعها حتى انكسرت جرتها ووقعت على الأرض، ثم ألتفتت إليه وقالت: من لك يوم أن نقف بين يدي الديان، فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«لَا قَدَسَ اللَّهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا وَهُوَ لَا يُتَعَمَّرُ»**.

ثم قال تعالى: **﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** أي: ما أنتم فيه من البغي والتطاول والكبر إنما هو متاع الحياة الدنيا ثم يزول، **﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُكُمْ﴾** مآبكم، **﴿فَنَسِئَكُمْ﴾** نخبركم ونجازيكم: **﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (٢٢) ليس فقط إخبارًا مجردًا، بل إخبار وعقوبة نسأل الله السلامة والعافية.

**الآية السادسة والتسعون (٢):**

قال تعالى: **﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** [يونس: ٥٧].

### الشرح:

**﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾** نداء من الله **عَزَّجَلَّ** للناس يحثهم ويحضهم ويرغبهم على الاستجابة لدعوة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لهم، **﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾** ذكرى وعظة: **﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾** الذي خلقكم ورزقكم ويريد لكم التوفيق والهداية، **﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾** من أمراض الحسد، والغل، والخوف، والكفر، الشك، والنفاق، **﴿وَهُدًى﴾** هداية إلى الطريق الصحيح، **﴿وَرَحْمَةٌ﴾** يرحم الله به: **﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** (٥٧)، فهذه الآية دليل على فضل القرآن والعمل به والدعوة إليه.

## الآية السابعة والتسعون (٣):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ  
 مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾﴾  
 [يونس: ١٠٤].

## الشرح:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكِّ﴾ في ريب، ﴿مِّنْ دِينِي﴾ الإسلام، ﴿فَلَا أَعْبُدُ  
 الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأصنام والأوثان فإن هذا من الشرك الباطل، والظلم  
 العظيم، والبغي الجسيم، ﴿وَلَٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ اعبدوا خالقكم، ورازقكم،  
 ومحبيكم، ومميتكم، ﴿وَأُمِرْتُ﴾ أمرني الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾﴾  
 المنقادين لدين رب العالمين، فإذا دعاك المبلطون إلى طريقتهم إياك أن تتشكك أو  
 تضطرب، بل يكن بينك وبينهم البراءة، والغالب إنما يُصيب الشك ضعف الإيمان،  
 ضعف العلم، ضعف الاستقامة، ولكن مع ذلك أمره النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** أن يرد  
 عليهم أمرهم حتى لا يطمعوا فيه، يعني: ما قال لهم: إن كنتم في شك من دينين  
 علموني، وجهوني انصحوني، لا: ﴿إِن كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ  
 مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤]، أنتم في وادٍ ونحن في آخر، نحن على يقين من أمرنا، وعلى  
 يقين من دعوتنا، وكما قال مالك: اذهب إلى شاكٍ مثلك، فالإنسان يكون ثابت ثبوت  
 الجبال الرواسي، الإسلام عقيدة وقول وفعل، لكن كثير من الأمور يضطرب فيها  
 الناس؛ بسبب ضعف الاستقامة، يأتيه واحد يُلبس عليه: الديمقراطية عبارة عن  
 شورى وإذا به مع الديمقراطية، بعد أيام يأتيه واحد يقول له: الانتخابات ما هي إلا  
 اختيار الرجل الصالح، باب الحل والعقد وهذا كذب، الانتخابات فيها: مساواة  
 الرجال بالنساء، والأبرار بالفجار، والمؤمنين بالكفار، وتعتمد على الكثرة ما

يعتمدون على الكفاءة وعلى الصلاح يعتمدون على الكثرة: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، تترشح فلانة المغنية وفلان المطوع، وإذا بالمنتخب المغني والمغنية، والفاسق والفاسقة؛ ولذلك ما تشاهدون من التفلت الأمني، والتفلت الاقتصادي، والتفلت السياسي؛ بسبب أن الأمر وُسِدَ إلى غيره أهله أصلاً، بسبب وجود النظام الديمقراطي، هذا النظام الذي فتك بالشعوب والأمم بعد الثورة الفرنسية، وهكذا الثورة الأمريكية، والثورة الإنجليزية، ثم صُدِرَ إلى الثورة المصرية، والثورة المصرية صدرته إلى البلاد الإسلامية، وإلا كانت الديمقراطية في عهد أفلاطون وأرسطو وأبقراط منحصرة في مدينة أثينا، كانت دولتهم لا تزيد عن خمسة ألف، إذا زادت عن خمسة ألف واحد يموت، أو يُطرد، أو يُقتل، قالوا: نحن نحكم أنفسنا بأنفسنا فتكون الدولة خمسة ألف؛ وهذا من جلهم، ثم جاءوا في آخر الزمان يريدون أن يُطبقوا هذا النظام وهو نظام طاغوتي، نظام قائم على الإجرام، نظام قائم على الفرقة، نظام قائم على تمزيق وحدة الصف، وإذا تأملنا حقيقته لا حرية ولا إخاء ولا مساواة مع أن هذه من مبادئهم، حرية للزناة، للكفرة، للوطة، سُراب الخمر، لكن هل يحق للمسلم أن يبني مسجداً ويحیی فيه السنن؟ هل يجيزون للمرأة أن تخرج بخمارها وحجابها؟ وللرجل أن يُربي أبنائه وبناته على أحسن القيم وخير الأحوال؟ هل يُجيزون نشر الإسلام؟ حرية لكنهم يدعون إلى الحرية الفردية، الحرية المطلقة التي تُجيز للإنسان الشر، أما المسلم فلا قيمة له عندهم، وهكذا يقولون: المساواة وتجد ما عندهم من الاستضعاف للسود، السود الذين هم على مذهبهم وطريقتهم وكفرهم، ما بالك إذا كان هذا الأسود انضاف إليه الإسلام؟ ويدعون إلى الإخاء وهم إنما يدعون إلى أخوتهم الكفرية، وأما البغي على الأمة الإسلامية فحدث ولا حرج، فإذًا: إياك أن تكون متشككًا تشكك الباطلون الجاهلون بدين رب العالمين، يعني: شعب مثل اليمن امتدحه رسول الله ﷺ

بقوله: «الإيمان بيان، والحكمة بيانية»، هرعوا خلف الديمقراطية كأنها الحق الذي لا باطل فيه، وها هي قد أوصلتهم إلى أسوأ الأحوال، وإن لم يتوبوا إلى الرحيم المتعال ستوصلهم إلى أسوأ من ذلك، قد قال علي عبد الله صالح كلمة أصاب في بعضها وأخطأ في آخرها قال: الديمقراطية سيئة، وأسوأ منها عدم وجودها، الكلام الأخير باطل، والكلام الأول حق وصواب قاله عن تجربة.

وكان شيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى يقول: يا علي عبد الله صالح ستكون أول ضحايا الديمقراطية، وفعلاً الديمقراطية أخرجت له المتظاهرين، وأخرجت له من نزعه من على الكرسي، وأدخلت الحوثيين إلى صنعاء، وأوصلتهم إلى مشارف عدن لولا أن سلم الله **عَزَّوَجَلَّ**، قضيتنا في اليمن والفساد الحاصل فيه مع الديمقراطية، وما جاء جراء ذلك فإنما هو امتداد لها وسيئة من سيئاتها، فإذا أراد المسلمون السلامة لدينهم فليعودوا إلى الله وليتوبوا إلى الله، وليتركوا هذه المبادئ الهدامة مبادئ الشر والفساد.

انظروا إلى فرنسا لما قام أصحاب السترات الصفرة بالثورة قمعوهم بالسجون، انظروا إلى أمريكا التي تدعي أنها راعية الديمقراطية حين قام أصحاب ترامب ودخلوا إلى مجلس النواب ما زالوا يُحاكمونهم إلى الآن وأودعوهم السجون، بينما لو قُتل واحد في البلاد الإسلامية أزاحوا الحاكم وأزاحوا الوزارات؛ لتعلموا أنهم ما هم حول الشعوب هم حول تدمير الشعوب، والبلاء موكل بالمنطق، هذا مثل وعليه أدلته من القرآن والسنة، انظر إلى ذلك الرجل الذي جاء إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقال: يا رسول الله، أرأيت لو أن أحدنا وجد مع امرأته رجلاً فقتله قتلتموه، وإن سكت سكت علي غيظ، وإن تكلم جلدتموه، فعاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المسألة ولم تُعجبه فرجع الرجل إلى البيت فوجد مع امرأته رجلاً، وعاد إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأخبره حتى أنزل الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

أَرْوَجَهُمْ ﴿النور: ٦﴾، الآية.

فكان هؤلاء يقولون: يسقط النظام وفعلاً سقط النظام، الآن لا نظام في الداخلية، ولا نظام في الأمن، ولا نظام في الصحة، ولا نظام في التربية، ولا نظام في الطرق، ولا نظام في شيء يسقط النظام وسقط النظام، اعلّموا أن كثيراً من الناس دخلهم الشك والريب فيما هم عليه من الاستقامة من دين الإسلام وأخذوا بمثل هذه الدعوات، وستذهب الديمقراطية ويأتون غيرها كما كان قبل ذلك الاشتراكية، وكما كانت بعد ذلك الناصرية والبعثية، والآن ينادون إلى العولمة وينادون إلى غير ذلك من المبادئ، فما سينتهي شر الكفار لكن ليكن شعارنا هذه الآية قولاً وفعلاً واعتقاداً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ من طريقي الذي أعبد الله به، من طريقي الذي أتعامل به مع الغير، من طريقي في معاشي وجميع شأني: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ﴿الكافرون: ٦﴾، كما قال الله عز وجل، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ﴾ فأستقيم على أمره في ليلي ونهاري، وسري وجهاري، وحضري وسفري: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿الحج: ٣٨﴾، ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ أي: إذا أردت الخير العظيم في الدنيا والآخرة فكن من المؤمنين الموحدين.

الآية الثامنة والتسعون (٤):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿يونس: ١٠٨﴾.

الشرح:

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لأهل مكة وغيرها ممن يصلهم خطابك: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ وهو القرآن والإسلام، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الذي خلقكم ورزقكم،

﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ استقام على الإسلام وأخذ به، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ وينفع نفسه وإلا فإن الله عزوجل غني عن العالمين، كما في الحديث الآخر: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»، وكما قال الله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ انحرف، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا﴾ يظلم نفسه وإلا فإن الله عزوجل لا يضره ذلك: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾﴾ بحفيظ لأعمالكم إنما يحفظها الله عزوجل فيجازيكم عليها يوم القيامة وتأملوا أن جميع النداءات في سورة يونس: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ لأن السورة مكية؛ ولأن الأمور التي تدعو إليها هذه الآيات أمور عامة يشترك فيها المؤمنون والكفار، فكلهم بحاجة إلى ترك البغي، وكلهم بحاجة إلى سماع الموعدة والذكرى، وكلهم بحاجة إلى ترك الشك والريب حتى يقع منهم الإسلام والانقياد، وكلهم يُخبر بأن أعمالهم لأنفسهم، والله عزوجل حين أمرهم بها لم يأمرهم لحاجته إليها؛ لأن الإنسان بطبيعته إذا شعر أن غيره يحتاج إليه ربما يأخذه شيء من العزة، حتى الابن إذا رأى الأب يحتاج إليه ربما تجد الابن يتعالى قليلاً، والزوجة إذا رأت الزوج يحتاج إليها ربما يجد منها ذلك، لكن إذا رآه مستقيم يتوددون إليه، والله المثل الأعلى يعني: عبدته أو كفرت به هو غني عنك إنما تنفع نفسك بعبادتك له، وتضر نفسك بكفرك به، تنفع نفسك بطاعتك له، وتضر نفسك بمعصيتك له.



## سورة هود

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١٢٣)

الآية التاسعة والتسعون (١):

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ  
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

## الشرح:

هذا من الله عَزَّجَلَّ للسماء وهي غير مكلفة، وللأرض وهي غير مكلفة لكن لا مانع أن تسمع نداء الله: ﴿وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا إِسْحَاحٌ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿وَقِيلَ﴾ أي: قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ ابلعي ما فيك من الماء وصيريه إلى جوفك، ﴿وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي﴾ أمسكي الماء الذي ينزل منك، ﴿وَوَغِيضَ الْمَاءِ﴾ ذهب واختفى بعد أن كان قد غطى البسيطة، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ في إهلاك الكافرين، ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ السفينة علت على جبل الجودي، قيل: في تركيا، وقيل ما أدري في أي بلاد الله أعلم، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ سحقًا وهلاكًا: ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾.

الآية المائة (٢):

قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

## الشرح:

لما قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥].

﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس على عملك وطريقتك، وليس من المسلمين، ولا يعني هذا أنه ليس من أهله أنه ولد زنا معاذ الله فنساء الأنبياء مصونات عن هذا الأمر، وإنما ليس من أهل الأعمال الصالحة ليس من أهل الإسلام، ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ وفي قراءة: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ أي: عمله غير صالح ومثل هذا لا يُرفع عمله إلى السماء ولا يُسلم، ﴿فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ نهي أن يسأله ما لا يجوز له، وإذا كان هذا العتاب لنبي كريم وأحد أولي العزم من الرُّسل فكيف بغيره ممن قد يتجرأ على الله عزوجل، وفي هذا دليل على أن الرؤية جائزة لله عزوجل؛ لأن الله عزوجل لم يعتب على موسى لما قال: ﴿رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: في الدنيا، بينما نوح لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]، قال: ﴿فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطَاكَ﴾ أذكرك: ﴿أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

ثم قال عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].  
الآية الأولى بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿قِيلَ يَنْبُوحُ أَهِيْطْ بِسَلْمٍ مِّمَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّرٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

### الشرح:

﴿قِيلَ يَنْبُوحُ﴾ هذا نداء من الله لنوح حين أغرق الكفار، ﴿أَهِيْطْ﴾ من السفينة، ﴿بِسَلْمٍ﴾ سلامة: ﴿مِّمَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ أي: من المسلمين طوائف، ﴿وَأُمَّرٌ سَنَمَتُّهُمْ﴾ إلى أجل مسمى وهم الكفار، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ شديد موجه.

## الآية الثانية بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَزِيزٌ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٦].

## الشرح:

وذلك: أن إبراهيم عليه السلام لما أخبره الله بهلاك قوم لوط أخذته الشفقة عليهم، فالأنبياء والرسل عندهم رحمة وشفقة على أممهم ويؤمنون الهداية لهم؛ لكن الله عز وجل الحكمة البالغة والحجة الدامغة إذ يهلكهم إذا جاء أجلهم وحصل كفرهم وإعراضهم.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ النبي الكريم والرسول العظيم، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ السؤال، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذاب قوم لوط وهلاكهم، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَزِيزٌ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ عنهم، وفعلاً صبحهم الله عز وجل بعذاب جعل عاليها سافلها.



## سورة الحجر

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٩٩)

الآية الثالثة بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢].

## الشرح:

هذا نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** لإبليس اللعين حين أبى أن يسجد لآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عاتبه الله و: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ﴾ وهو من الجن، ﴿مَا لَكَ﴾ ما الذي يمنعك: ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، وهنا يقول: ﴿قَالَ لَمَّا كُنُ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صُلْبٍ مِّنْ حَمِيمٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

وهذا النداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** لإبليس نستفيد منه: أن المعرض عن طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** يُخْشَى عليه، إذا كان إبليس طُرد من الرحمة بسبب سجدة امتنع عنها فكيف بالذي لا يُصلي بالمرة، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يعتمر؟ وكيف كذلك بالمشركين المنذدين.





عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَحَذُّهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال لبي بن إسرائيل: ﴿حُدُّوْا مَا آتَيْتَكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ١٢﴾ آتاه النبوة والحكمة وكان صبيًا صغيرًا.

وأيضًا: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ تحنن الله عليه وأكرمه، ﴿وَرِزْقًا﴾ زكاة ووفقه وسدده، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ١٣﴾ مراقبًا لله في السراء والضراء.

﴿وَيَسِّرًا لِّبَوْلَادِيهِ﴾ مع ذلك طائع لهما، ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ عاصيًا معرضًا، ﴿عَصِيًّا ١٤﴾ شديد العصيان.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥﴾ أي: أنه سالم من النقائص والعيوب الخاصة بالإنسان في هذه الحالات، وقد قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكروا في سبب قتله أمورًا منها: أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل أراد أن يتزوج بعض محارمه فنهاه فذبحه لذلك.

### الآية السادسة بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿وَنَدَّيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢].

#### الشرح:

وهذا في حق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّجِيًّا ٥١﴾ وَنَدَّيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢﴾ [مريم: ٥١-٥٢].

﴿وَنَدَّيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢﴾ النداء بصوت عالٍ مرتفع، والنجاء من صوت قريب خافت، ففي هذه الآية: إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه

متكلم بحرف وصوت متي شاء وكيف شاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، والطور قد يراد به الطور الجبل القريب من بيت المقدس، وقد يراد به الجبل المغطى بالعشب والشجر يُسمى طور، فكل جبل مُغطى بالعشب والشجر يُسمى طور؛ وذلك طور سيناء الذي هو الجبل الذي في سيناء.

## سورة طه

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١٣٥)

الآية السابعة بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْؤُوسَ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ﴿طه: ١١-١٢﴾.

## الشرح:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي: لما أتى النار حيث ذهب لأخذ نار لزوجته تستدفئ بها وتُنير له الطريق، فلما أتى تلك النار: ﴿نُودِيَ﴾ ناداه الله عزَّجَلَّ: ﴿يَمْؤُوسَ﴾ ﴿يَمْؤُوسَ﴾ نبي بني إسرائيل، ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ هذا دليل على أن المتكلم هو الله ما هي الشجرة، لو كانت الشجرة كما يقول المعطلون المبطلون لقلت: يا موسى ربك الله، لكن هذا يقول: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤]، ثم يأتي المبتدعة ويقولون: المتكلم هي الشجرة، أو كلام خلقه الله في الشجرة نعوذ بالله من الضلال، ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ بعضهم استدل بهذه الآية على عدم جواز الصلاة في النعال وهذا قول الجهلاء، وإلا فالصلاة في النعال متفق عليها حتى عند الشيعة، ذكرها الهادي يحيى بن حسين المعتزلي في كتابه الأحكام، ولكن من جهل شيء عاداه، بعضهم قال: قال له: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ لأنها من جلد حمار ونحو ذلك ولا دليل إلا أن الله أمره أن يخلع نعليه يتعبد لله بخلع النعلين، ونحن أمرنا رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن نصلي في نعالنا السنة الصلاة في النعال، ومع ذلك إذا كانت تُحدث فتنة لجهل الناس فلا يُصلى فيها، لكن ينبغي أن نعتقد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صلى حافياً ومنتعلاً وقال: «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَصَلُّوا فِي نَعَالِكُمْ، فَإِنَّهُمْ

لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا فِي خِفَافِهِمْ»، قال بعض أهل العلم: لولا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى حافياً ومنتعلاً لكانت الصلاة في النعال واجبة لهذا الحديث، ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وادي قريب أو في بلاد الشام، لكن لا يجوز أن يُشد إليه الرحل: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»، ولما ذهب أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكر عليه أبو بصرة الغفاري قال: لو علمت ما تركتك تذهب؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُعْمَلُ الْمُطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي، وَإِلَى مَسْجِدِ إِبِلِيَاءَ أَوْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ»، فلا تُشد الرحل لا إلى جبل الطور ولا إلى الخليل، ولا إلى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا إلى قبر هود ولا إلى غير ذلك من القبور.

### الآية الثامنة بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَوَقَّاتٌ لِّنَفْسٍ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَمَّ بَتَّ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ۚ فَجِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [طه: ١٠].

### الشرح:

هذا إخبار من الله عزوجل لما كان من شأن موسى بعد أن ألقته أمه في التابوت، فألقاه اليم عند بيت فرعون، فأخذه فرعون بمشورة امرأته على أن يربيه عسى أن ينفعهم أو يتخذونه ولدًا: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي﴾ [القصص: ١١]، يعني: تلمسي خبره. ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ لأنه أبى أن يرضع من المرضعات اللاتي قُدمن له، وهذا من رحمة الله حتى يُرد إلى أمه، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ إكرامًا لك ولها، ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برجوعك وسلامتك من القتل، بل وفرعون يُعطي النفقة، وهذا من عجيب مكر الله بالكافرين، وفرعون ذبح بني إسرائيل خوفًا

من هذا الغلام، ثم لما جاء الأمر الموعود وإذا بالغلام يُرَبَّى في بيته ويُعطي نفقة تربيته ويقوم على شأنه، فإذا أراد الله شيئاً أمضاه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ لشدة حزن الأم ووجدها على ولدها، فإذا أذهب الله منك الحزن هذه نعمة عظيمة، ﴿وَوَقَّلتَ نَفْسًا﴾ أي: بعد أن بلغ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَّاخَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٤-١٥]، ﴿وَوَقَّلتَ نَفْسًا فَنجَّيتَكَ مِنَ الْعَمْرِ﴾ سلمه الله مما كاد يلحقه من الهلكة حيث خرج إلى مدين، ﴿وَوَقَّلتَ نَفْسًا فَنجَّيتَكَ مِنَ الْعَمْرِ وَفَتَّكَ﴾ جاء في هذه العبارة حديث ابن عباس طويل في قريب ست صفحات ذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والحديث فيه ما ثبت وفيه ما لا يثبت، وبعضهم يجعله مرفوعاً وبعضهم يجعله من قبيل الموقوف، وكثير مما فيه من العبارات يدل عليها ظاهر القرآن، ﴿فَلَبَّثتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ عشر سنين يرعى لهم وتزوج فيهم، ﴿مُرُّ جَمَّتْ عَلَى قَدَرٍ يَلْمُوسَى﴾ رجعت على أمر قد قدره الله، فيجوز أن تأتي بالنداء قبل الكلام ويجوز أن تأتي به بعد الكلام: يا موسى اذكر: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ﴾ ويجوز أن تقول كما في هذا: ﴿يَلْمُوسَى﴾ وقصة موسى من القصص العظيمة التي لو تدبرها الناس لعلموا عظيم ما يقاسيه الأنبياء والمرسلون من أجل تبليغ دين الله عز وجل.

### الآية التاسعة بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْتَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَٰى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨٠-٨١].

الشرح:

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** ممتنًا على بني إسرائيل: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْتَكُمُ﴾ نجيناكم، ﴿مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون، ﴿وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ يعني: على أن يقع منهم التوبة والإنابة ورفع الله عليهم الطور حتى يدخلوا في الباب سُجَّدًا ويقولون: حطة فأبوا أن يقولوا ذلك، وطلبوا النظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**، فَصَعِقُوا ثم أحياهم الله، ﴿وَزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ﴾ شيء مثل العسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طائر السَّنَامِي أو قريب منه فكانوا يشربون من العسل الذي هو المن، ويأكلون من ذلك السَّنَامِي، ومع ذلك ما أعجبهم طلبوا من قثائها وثومها وعدسها وبصلها، والطور: هو كل جبل عليه شجر، ﴿كُلُوا﴾ الأمر للإباحة والامتنان، ﴿مِن طَيِّبَاتِ﴾ حلالات: ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ من الطغيان: وهو مجاوزة الحد، ﴿فَيَجَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ ينزل بكم: ﴿غَضَبِي﴾ إثبات صفة الغضب لله **عَزَّوَجَلَّ**، ﴿وَمَنْ يَجَلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ أي: من غضب الله عليه فقد هلك: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فَأَعَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يرضى عن المؤمنين ويدخلهم دار رضوانه، ويغضب على الكافرين ويعذبهم بالمهانة في النار والجحيم.

الآية الحادية عشرة بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ

فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧].

### الشرح:

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ هذا خطاب من الله **عَزَّوَجَلَّ** لآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** محذراً له من إبليس: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ﴾ يترصد بك الدوائر، ﴿لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ أيضاً، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بمكره ووسوسته وتليسه، ﴿فَتَشْقَى﴾ يلحقك الشقاء في الدنيا، وفعلاً استطاع أن يتصر في هذا وأكل آدم من الشجرة، فأهبطه الله **عَزَّوَجَلَّ** وامرأته إلى

الأرض، وأمر الناس بالتكليف عند ذلك، فمن أطاع الله دخل الجنة، ومن عصاه وكفر كان من أهل النار.

وكان بعد ذلك وعد: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ﴾ (١١٨) وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُونَ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ ﴿١٢٠﴾ [طه: ١١٨-١٢٠].



## سورة الأنبياء

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١١٢)

الآية الثانية عشرة بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَازُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٦﴾ [الأنبياء: ٦٦].

## الشرح:

﴿قُلْنَا يَنْتَازُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٦﴾ وذلك: حين ألقوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النار؛ لإحراقه بسبب تكسيره لأصنامهم وألهتهم فسلمه الله عَزَّجَلَّ، وهذا هو النداء الثاني من الله عَزَّجَلَّ لغير المُكَلِّفِين في القرآن، تقدم معنا: ﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبَلَىٰ مَاءُكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأُسْتُوتَ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤٤﴾ [هود: ٤٤]، وهذه الآية الثانية.



## سورة الحج

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (٧٨)

الآية الثالثة عشرة بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوُنَّا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج: ١-٢].

## الشرح:

هذا نداء من الله **عَزَّجَلَّ** للناس بتقواه، والدخول في دينه، والأخذ بأمره، والابتعاد عن نبيه وزجره، فقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ﴾ بمعنى: اعبدوا ربكم ووحدهم بالتزام المأمور وترك المحذور، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: ما يقع من الزلازل يوم القيامة والأهوال: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ مهول شديد على الأنفس.

﴿يَوْمَ تَرَوُنَّا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ تذهل المرأة المرضع عن ولدها بينما في الدنيا قد تحرق نفسها في سلامة ولدها، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ تضع الحوامل ما في بطونها، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ أي: في مشيهم وفي تصرفاتهم؛ لشدة الأهوال التي تنزل بهم ولا يتحملونها، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ وهذا حين يُنادي الله **عَزَّجَلَّ** آدم فيقول: يَا آدَمُ فَمَ فَابَعْتُ بَعَثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَحَيْثُ يَشِيبُ الْمُؤَلَّدُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج: ١-٢].

[٢]، قَالَ: فَيَقُولُونَ: فَأَيُّ ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ»، أو كما قال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي سعيد الخدري وجاء عن غيره.

الآية الرابعة عشرة بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ نُّرَابٍ مِّن نُّظْفَةٍ نُّمَّ مِّن عَلَقَةٍ نُّمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج:٥].

### الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ في شك، ﴿مِّنَ الْبَعْثِ﴾ والنشور يوم القيامة: ﴿فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ فالدليل على البعث والنشور: أنا خلقناكم: ﴿مِّن نُّرَابٍ﴾ ولا يعجز الله شيء، وهذه خلقة آدم عَلَيْهِ السَّلَام، ﴿نُّرَابٍ مِّن نُّظْفَةٍ﴾ وهو ما يقع من التناسل بين الذكر والأنثى حيث تختلط ماء الرجل بماء المرأة فتكون مشيج، ﴿نُّمَّ مِّن عَلَقَةٍ﴾ وهي مثل قطعة اللحم الصغيرة التي تكون من الدم، ﴿نُّمَّ مِّن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة لحم بغير عظام، ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصورة وغير مصورة، ثم بعد ذلك يخلق الله عزوجل العظام ويتكون الإنسان على هيئته وشكله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ لنوضح ونجلي لكم قدرة الله عزوجل، ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ يبقى في الرحم تسعة أشهر وربما ستة أشهر، وربما فوق ذلك ودون ذلك لكن هذا أقل الحمل ستة أشهر والمعتاد تسعة أشهر، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم يعلمه الله، وقد أعلم به الكتبة، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ صغيراً يحتاج إلى رعاية وقيام بشأنه لا يستطيع أن يزيل الأذى من نفسه، ولا يستطيع أن يصلح له مكاناً لنومه، ولا يستطيع أن يفعل شيء ربما لو دخل عليه قط لأكله في ذلك الحال، لكن الله عزوجل يحفظه ويرعاه

برعاية أمه له حتى أنها تقوم من الليل عدة مرات؛ لإرضاعه ولإصلاح شأنه ولا تتعب منه ولا تمل وهذا من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** بالطفل، ﴿ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَشَدَّكُمْ﴾ تبالغوا الحُلم وأشدكم العقل، فلا يلزم من البلوغ بلوغ الأشد، فقد يبلغ الأشد في أربعين سنة، في ثلاثين سنة في أقل في أكثر، والبلوغ ربما كان في خمسة عشر سنة، ﴿وَمِنْكُمْ﴾ من الناس: ﴿مَنْ يَتُوفَى﴾ يموت قبل أن يصل إلى الهرم يموت شابًا أو طفلًا أو كهلاً، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾ يعود إلى أدنى العُمر حتى لا يستطيع أن يُطهر نفسه ولا أن يغسل ثوبه ولا يفقه شيئًا من أموره، والنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كان يستعيد من هذا الحال: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْهَرَمِ»، ﴿لِيَكَيْلًا يَعْلمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا﴾ ينسى العلوم والفهوم، وربما أُصيب بأمراض تؤدي إلى نسيانه لأهله، وإلى نسيانه لما هو عليه، كانت بعض النسوة في مكة وتتخيل أنها في خيمة وأن الغبار دخل البيت وتكلمهم هكذا غلقوا الباب من الغبار، نشوا الغبار، وتسألهم يدخل عليها ولدها ويسلم عليها وما تدري أنه ولدها، ويدخل عليها زوجها ويخاطبها ما تدري أنه زوجها، فالإنسان إذا لم يحفظ الله **عَزَّوَجَلَّ** له عقله يعود إلى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة قاحلة لا خضرة فيها ولا ماء، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ المطر، ﴿أَهْتَزَّتْ﴾ أنبتت عشبها واخضرت أشجارها: ﴿وَرَبَّتْ﴾ ظهر بركتها، ﴿وَأَنْبَتَتْ﴾ رد الإنبات إليها من حيث: أنها هي التي محل النبات وإلا المنبت هو الله **عَزَّوَجَلَّ**، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ في منظره وفي مطعمه ومخبره.

فهذه الأدلة تدل على أن الله بقادر على أن يحيي الموتى من بعد موتهم وتغير

أحوالهم.

## الآية الخامسة عشرة بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٤٩-٥٠].

## الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ويدخل فيها بقية الناس، ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أخوفكم من عذاب الله وبطشه، ﴿مُبِينٌ﴾ بكلام واضح بين لا إشكال فيه، ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نبيًا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ انقادوا، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ تجاوز عن العيوب وستر لها، وتوفيق لما في المستقبل، ﴿وَرِزْقٌ﴾ رزق حسي: وهو المال والبنون وما إليهم، ورزق معنوي: وهو العلم والعمل والإيمان، ﴿كَرِيمٌ﴾ عظيم النفع، وقد تُفسر الآية: بأن لهم الجنة، وتُفسر بزيادة إيمانهم.

## الآية السادسة عشرة بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

## الشرح:

هذا مثل ضربه الله عزوجل لعباد الأصنام والأوثان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۗ﴾ وعوه وتدبروه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا﴾ يوجدوا من العدم: ﴿ذُبَابًا﴾ هذا الكائن الصغير الضعيف الحقيقير، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ﴾ لو اجتمع من بأقطارها فضلًا عن هذه الحجارة الصماء البكماء، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ ولو يسيرًا، ﴿لَا

**يَسْتَنْقِذُوكُمْ مِنْهُ** ﴿٧٣﴾ مع أنه بين أيديهم، ﴿**ضَعَفَ الظَّالِمُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ ﴿٧٣﴾ ضعف الذي يريد أن يتحصل على ما فقد، وضعف المطلوب وهو الذباب، وهؤلاء كذلك يعبدون أصنامًا لا تنفع ولا تضر ضعيفة، ويتركون عبادة الواحد القهار مصرف الليل والنهار الذي لا يُعجزه شيء.

الآية السابعة عشرة بعد المائة (٥):

قال تعالى: ﴿**يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا**  
**الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

### الشرح:

﴿**يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ استجابوا لله، ﴿**أَرْكَعُوا**﴾ صلوا، وإنما ذكر الركوع والسجود؛ لأنه أشهر أركان الصلاة، ﴿**وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾ وحدوه وأفردوه بما يجب له، ﴿**وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ**﴾ في جميع شأنكم، ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ ﴿٧٧﴾ في ديناكم وأخراكم.

وهذه آية عامة جامعة: ﴿**وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ الصلاة خير، التوحيد خير، الصدقة خير، النصيحة خير، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير، طلب العلم من أفضل الخير، بر الوالدين خير، صلة الأرحام خير، الإحسان إلى الجيران خير كل ما أمر الله **عَزَّجَلَّ** به خير، وكل ما نهى الله **عَزَّجَلَّ** عنه تركه خير: ﴿**وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.



## سورة المؤمنون

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١١٨)

الآية الثامنة عشرة بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

﴿٥١﴾ [المؤمنون: ٥١].

## الشرح:

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الله أمر «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].».

﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ جمع رسول: وهو من أرسله الله عَزَّ وَجَلَّ بشرع يدعو الناس إلى توحيده وإلى إفراده بما يجب له، ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات التي أباحها الله لكم وأذن لكم فيها، بادروا إلى الطاعات والقربات والمبرات، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ فيجازيكم على أعمالكم الصالحة.



## سورة النور

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (٦٤)

الآية التاسعة عشر بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿ \* يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: ٢١].

## الشرح:

﴿ \* يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أقرؤا الله بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ﴿ لَا تَتَّبِعُوا ﴾ تتابعوا: ﴿ خُطُوَاتِ ﴾ فتن وزلات وبلاوي: ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ الرجيم إنه عدو لكم، ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ منكم، ﴿ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ما فحش من القول والفعل، ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ما أنكره الشرع وأشدّه الشرك، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ وهدايتكم وتوفيقكم إلى الإسلام والخير، ﴿ وَرَحْمَتُهُ ﴾ لكم بإخراجكم من الشرك والضير، ﴿ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ ما وقعت الزكاة لأحدكم، كان الإنسان بعيد عن سماع الحق والهدى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّى ﴾ [الأعلى: ١٤]، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩]، وفي الحديث: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»، ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، في آيات كثيرات يُخبر الله عزَّوجلَّ: أنه أرسل رسله لزكاة العباد، فلولا توفيق الله عزَّوجلَّ: ﴿ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ يكون كافرًا، مشرِّكًا، مبتدعًا، مندَّدًا نسأل السلامة، ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي ﴾ يوفى ويهدي ويرشد: ﴿ مَن يَشَاءُ ﴾ من عباده ممن علمه أهلاً، ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لدعاء عباده، وسميع لأقوالهم، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالهم.

## الآية العشرون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور: ٢٧].

## الشرح:

وهذا من آداب الاستئذان: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾  
 معناه: أن بيوتكم تدخلونها بدون إذن، ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ تستأذنونوا، ويسلم وهو على  
 جانب من الباب لا يُطلق بصره إلى الداخل، إنما جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر،  
 وطريق الاستئذان أن يقول: السلام عليكم أنا فلان إن احتاج إذا ذكر اسمه أدخل،  
 فإن أذنوا له دخل وإلا رجع: «الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ»، ﴿وَتُسَلِّمُوا  
 عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ حتى يدخل عليهم الأئسن والسلامة، إلا إذا كان قد أُذِنَ لك إذناً مطلقاً  
 كما أذن النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود قال له: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ تَرْفَعَ  
 الْحِجَابَ»، إذا وجد الحجاب مرفوع يدخل، أما إذا وجد الحجاب مسدول على باب  
 الباب لا يدخل، فبعضهم يقول: يا أخي ادخل متى شئت؛ لكن بشرط: أن يكون من  
 محارم النساء حتى لا يدخل على نساء الناس، أو يكون في مجلس لا اختلاط فيه ولا  
 دخول على المحارم، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: الاستئذان والسلام، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ  
 ﴿٢٧﴾﴾ تتعظون.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ  
 لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [النور: ٢٨]، ما تقول  
 لماذا ردني؟ قد يكون مشغول، قد يكون مريض، قد يكون بيته ضيق.

ثم قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ  
 لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩]، لا بأس إذا كان مثل المجلس، مثل سكن الطلاب، مثل المكتبة

أمور عامة؛ لكن مع العفة، مع عدم الأذى للغير.

الآية الحادية والعشرون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا  
الْحُلُمَ مِنْكُمْ تِلْكَ مَرْثَةٌ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ  
صَلَوةِ الْعِشَاءِ تِلْكَ عَوْرَاتُ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ  
عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ [النور: ٥٨].

### الشرح:

وهذه آية جامعة في طريقة الاستئذان في البيوت حتى لمن هو من أهل الدار: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قد يكون الرجل مع زوجته في وضع لا يجوز لأحد أن يدخل عليه، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ أيضًا يستأذنون في بعض المواطن، مع أنه مثلاً: يجوز له أن يدخل؛ لكن بعض المواطن تحتاج إلى استئذان: مواطن قيلولة، مواطن نوم، ﴿تِلْكَ مَرْثَةٌ﴾ كانت قيلولاتهم ورحاتهم في تلك الأوقات، ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ﴾ لأن الإنسان قد يكون نائم مع أهله، أو أبنائه أو بناته نائمات، وربما النائم يقع منه ما يقع من خروج بعض جسمه ونحو ذلك، فيحتاج الإنسان يستأذن حتى وإن كان يجوز له الدخول مُطلقاً لكن يستأذن، أبو هريرة رضي الله عنه كان يستأذن على أمه، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ القيلولة، ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ﴾ لأن هذه مضنات؛ لأن الرجل يكون على حال يحتاج فيه إلى ستر نفسه، ﴿تِلْكَ عَوْرَاتُ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا إذا كانوا محارم، أما غير المحارم لا يجوز لا في هذا الوقت ولا في غير هذا الوقت، لا يجوز أن يدخل على النساء؛ لكن هذا في حكم المحارم، محرم لهذا البيت يجب عليه أن يستأذن في مثل هذه الأوقات التي هي مضنة التستر والحاجة إليه، ﴿طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ

**بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴿٥٨﴾ أي: يطوف بعضكم على بعض صغار السن، وهكذا الموالي والعبيد، والإماء، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يوضع ويُجلي لكم: ﴿الآيَاتِ﴾ ﴿الْبينات الشرعية﴾، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلحكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ في أمره ونهيه. ثم كانت التتمة: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ [النور: ٥٩]، يعني: إذا كَبُرَ الأطفال وخرجوا عن سن الصغر يستأذِنوا كغيرهم. وسورة النور هي سورة آدب فيها آداب جميلة عظيمة.



## سورة النمل

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٩٣)

الآية الثانية والعشرون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝﴾ [النمل: ٩-١٠].

## الشرح:

﴿يَمُوسَىٰ﴾ نداء لكليمة موسى عَلَيْهِ السَّلَام، ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ أي: المتكلم حقيقة هو الله: ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمره وفعله.  
 ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ آية بينة على أنك رسول كريم، ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ بعد أن كانت يابسة، ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ كأنها ثعبان، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعني: ولى إلى الخلف خشي على نفسه من تلك الحية، ﴿يَمُوسَىٰ﴾ ناداه الله مرة أخرى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾ [النمل: ١١].



## سورة القصص

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٨٨)

الآية الثالثة والعشرون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِيٍّ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَوْلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّا كُنَّا مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣٦﴾ أَسْلَمَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٨﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ سَنُنَادُّ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٣٥-٣٩].

## الشرح:

وهذا كما ترى في شأن موسى عليه السلام حيث رأى النار: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ﴾، ناداه الله عز وجل، ﴿مِنْ شَلْطِيٍّ﴾ جانب: ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ الجهة اليمنى للوادي، ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ ومن بركتها: سماع كلام الله عز وجل منها، وحصول الخير لموسى عليه السلام عندها، ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: لم تكن الشجرة هي المتكلمة ولكن المتكلم هو الله حيث قال: ﴿أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ فلو كانت الشجرة هي المتكلمة كما يقول المبتدعة؛ لكان الخطاب: يا موسى إن الله رب العالمين، لكن هنا يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ فالتكلم هو الله.

ثم أمره الله: ﴿وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ جاء في سورة طه: أنه سأله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾

يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِرُ  
 أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَفَيْهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ ﴿طه: ١٧-٢٠﴾. ﴿فَلَمَّا  
 رَأَاهَا تَهَتَّرُ﴾ تضرّب في الأرض، ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ثعبان عظيم، ﴿وَلَوْ مُدِيرًا﴾  
 خائفاً، ﴿وَلَوْ يُعَقِّبُ﴾ لم يلتفت ويرجع، ﴿يَمُوسَى﴾ ناداه الله مرةً أخرى، ﴿أَقْبِلْ  
 وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾﴾ لا يُصيبك شر ولا بلاء.

ثم جعل الله له آيةً أخرى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ والجيب: هو مقدمة  
 الرداء الذي على الصدر، ليس الجيب الذي يعتبره الناس هذا يُسمى مخبأً، أما  
 الجيب هو هذا المكان في الصدر: ﴿وَلِيَصْرِيحَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. أي:  
 مقدمة الصدور، ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾ من غير برص؛ لأن البياض الشديد  
 برص وهو مرض؛ لكن هذه تخرج بيضاء مضيئة تدل على أنها آية، ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ  
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ إذا تخوفت اضمم إليك جناحك يعني: اليدين تُضم فيذهب  
 الخوف، ﴿فَدَانِكَ﴾ الذي تقدم: ﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ آيتان من ربك، العصا  
 تحولت إلى حية، وهكذا إدخال اليد في الجيب، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ حاشيته،  
 ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ كافرين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ وذلك: أنه قتل القبطي  
 خطأ.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ يقولون: هذه أعظم شفاعة في التاريخ؛ لأنه  
 شفع فيه أن يكون نبياً رسولاً، فاستجاب الله شفاعته، قيل: السبب في لطفة موسى  
 عَلَيْهِ السَّلَام: أنه أكل من الجمرة في بيت فرعون والله أعلم، ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ﴾ كما قال:  
 ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٤﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٥﴾ أَشَدَّ بِهِ أَرْزَى ﴿٣٦﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٧﴾ كَيْ  
 تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَتَذَكَّرُكَ كَثِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٢٩-٣٤]، وبهذه الآية استدل العلماء على أن

الداعي إلى الله يحتاج إلى من يعينه وينصره ويكون معه: ﴿رَدِّءَا يُصَدِّقُنِي﴾ أي: يكون لي ردئاً وعاوناً يصدقني فيما أقول، فإذا قلت لهم: إني رسول الله يقول: نعم هو رسول الله، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ تقويك بأخيك، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَنَا﴾ حجة ظاهرة، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بأذى، كما قال الله عزوجل في سورة طه: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ **أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴿طه: ٤٦﴾. وعدهم ألا يُصابا بأذى لا قتل، ولا ضرب، ولا سجن، وهذا والله من الآيات العظيمة لو كانوا يعقلون، يعني: فرعون الذي بلغ به البطش أن يقتل الأطفال الصغار لم يرحم ولم يشفق عليهم، يأتي عنده موسى وهارون ليسا معهما حرس ولا سلاح ولا شيء، ويدعوونه إلى توحيد الله عزوجل وهو يزعم أنه الرب، ومع ذلك لم يصل إليهما منه أذى؛ لأن الله عزوجل قد وعد بحفظهما: ﴿بِقَابِنَا﴾ حججنا الظاهرة، ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ﴾ لفرعون ومن معهم، وفعلاً أغرقهم الله بعد ذلك.

### الآية الرابعة والعشرون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَلْؤَلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٩﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٦٦-٦٩].

### الشرح:

﴿و﴾ اذكر يا محمد: ﴿يَوْمَ﴾ القيامة حين: ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ يناديهم الله عزوجل بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ أين الأصنام،

والأوثان، والآلهة التي زعمتم أنها شريكة لي؟ ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ بقولكم: أنهم آلهة وأنهم يشفعونكم ويشفعون لكم.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الكفار: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هؤلاء الذين كنا السبب في إغوائهم: ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ حرفناهم عن الصراط المستقيم كما كنا منحرفين عنه، هذه من البراءة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧]، وهذا يحصل كثيراً: الشيطان يتبرأ من عباده وأعوانه، وهكذا الكفار كل يتبرأ: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُؤُنَا آندَادًا﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ تبرأ بعضهم من بعض لكن هذه البراءة لا تنفع، هذه البراءة: أنني بريء مما تعبدون، لو كانت في الدنيا كانت نافعة، أما في الآخرة: ﴿الْأَخْلَاقَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الزخرف: ٦٧]، ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ هذه المعبودات تقول: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾، كما جاء في الآية الأخرى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [سبأ: ٤١]، فكانت عبادتهم للجن؛ ولذلك أنت لا تظن أن الحجارة هذه كانت عبارة عن حجر منصوب، ربما يسمعون منه كلاماً، ربما يجدون منه شيئاً وهي الجن تدخل في تلك الحجارة كما فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهدم العزى: فَأَتَاهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَتْ عَلَى تِلَالِ السَّمُرَاتِ، فَقَطَّعَ السَّمُرَاتِ وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا».

فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّدَنَةُ . وَهُمْ حُجَّابُهَا . أَمَعْنُوا فِي الْجَبَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عَزَّى خَبْلِيهِ، يَا عَزَّى عَوْرِيهِ، وَإِلَّا فَمَوْتِي بِرِغْمٍ، قَالَ: فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا تَحْتُوا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: «تِلْكَ الْعَزَّى»، أي: أنه قتل العزى، فهي كانت شيطان داخل الشجر، وربما يأكلون بعض طعامهم، وربما نادوهم، فكانوا يعبدون الجن.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ يقال لهم: ادعُ شركاؤكم يشفعون لكم، ينجوكم من هذا العذاب، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ كما كانوا في الدنيا لا ينفعون ولا يضررون، كذلك في الآخرة لا ينفعون ولا يضررون، ﴿وَرَأُوا الْعَذَابَ﴾ عيانًا حيث تُسحب النار لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١]، انظر إلى هذا الموقف لما يجتمعون في ذلك الصعيد وهم يرون النار تُسحب إليهم سحبًا وتقرب إليهم ليلقوا فيها، ولكن ليس لهم إلا أن يبقوا، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ إلى سبيل السلامة لكن لا سلامة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ لإقامة الحجة عليهم، ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] الذين أرسلتهم إليكم.

﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ اختلفت عليهم الأنباء والاعذار، بعضهم يقولون: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، وبعضهم يقول: ﴿فَأَرْحَمْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ٦٢]، وبعضهم يقول: كنا وكنا، ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وجاء في بعض المواطن: أنهم يتساءلون، فيحمل على أنهم في هذا الموطن لا يتساءلون، وفي بقيتها يتساءلون.

## الآية الخامسة والعشرون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿وَوَقَّامٌ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧٤-٧٥].

## الشرح:

﴿وَوَقَّامٌ يُنَادِيهِمْ﴾ يُخبر تعالى ويكرر أنهم يناديهم: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ أين شركائكم: ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ الذين كنتم تدعونهم وتعبدونهم وتتوسلون

٠٣٢

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ عليهم من أنفسهم، فالأنبياء يشهدون على أممهم، وأمة محمد تشهد على جميع الأنبياء، والملائكة يشهدون، وكتاب الله عز وجل فيه ما كان من شأنهم، ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا﴾ هلموا: ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ على أن الله شركاء ونظراء ومثلاء، ﴿فَعَلِمُوا﴾ عند ذلك لا ينفعهم العلم: ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ هو الإله المعبود بحق، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ذهب عنهم وتولى: ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ يكذبون.



## سورة العنكبوت

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٦٩)

الآية السادسة والعشرون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَعْبُدِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾  
[العنكبوت: ٥٦].

## الشرح:

هذا نداء من الله **عَزَّجَلَّ** للمؤمنين إذا ضيق عليهم في بلدة أن ينتقلوا إلى بلدة أخرى لعبادته؛ وليبشروا من الله **عَزَّجَلَّ** بالفرج والرزق الواسع الهني والخير العميم العظيم: ﴿يَعْبُدِي﴾ المراد بها العبادة الممدوحة التي هي عبادة التذلل والخضوع، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ انقادوا، ﴿إِنَّ أَرْضِي﴾ ﴿إِنَّ أَرْضَ اللَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ و**الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿وَاسِعَةٌ﴾ يمكنكم الفرار بدينكم، وفعلاً الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن جاءتهم مثل هذه الآيات فروا بدينهم إلى الحبشة، وفروا بدينهم إلى المدينة، ﴿فَأِنِّي فَاعِبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ وحدون.



## سورة الأحزاب

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (٧٣)

سُميت بهذا الاسم؛ لأن الأحزاب والقبائل تحزبوا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لاستئصاله، فحفظه الله وردهم خائبين: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].  
الآية الثامنة والعشرون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نادى الله عَزَّوَجَلَّ نبيه بالنبوة وهذا دليل على علو شأنه وعلى رفيع منزلته إذ لم يناديه باسمه أو بكنيته، والنبوة: مأخوذة من النبوة والارتفاع، ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ والأمر له أمر لأمته، فتقوى الله عَزَّوَجَلَّ خير زاد وخير لباس، وهي دليل على المكارم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣]، وتقوى الله تكون: بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يطلبونه منك ويأملونه، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يُظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فطاعة الكفار والمنافقين مهلكة فإنهم يوردونك الموارد، وبهذا يعلم المسلمون أنهم مستهدفون من الكفار، فإذا كانوا قد طمعوا في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فكيف بغيره: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يصلحكم وبكل شيء، ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيه، فحين ينهاك عن طاعة المنافقين والكافرين هذا لمصلحتك: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٥]، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

﴿[المتحنة:٢].﴾

الآية التاسعة والعشرون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب:٩].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ينادي الله المؤمنين ويذكرهم عظيم نعمه عليهم، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومن أجلها: السلامة من الأحزاب الذين تجمعوا بُعْدَهُمْ وَعَدَدَهُمْ؛ لاستئصال المسلمين، بل زاد الأمر أنهم تماثلوا مع قريظة، فجاءت الأحزاب من ثلاث جهات، وتماثلوا مع قريظة فنقضت العهد وجاءت من الجهة الرابعة، فصار المسلمون في مثل البوتقة قد أُحيط بهم من كل جانب؛ ولكنهم لم ييأسوا من روح الله **عَزَّجَلَّ**، ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكافرين كثير عددهم كثيرة عددهم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ جند من جند الله، فكيف إذا أرسل الله **عَزَّجَلَّ** عليهم جميع جنوده أو بعض جنود، وإنما أرسل عليهم ريحًا وأيضًا أرسل منها شيئًا يسيرًا، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ»، الصبا: هي الريح الشرقية، والدبور: هي الريح الغربية، وكان من شأن هذه الريح: أنها قلعت خيامهم، وأكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وسلم الله **عَزَّجَلَّ** المسلمين، ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ يرى ما هم فيه من ضيق الحال، وحفر الخندق، وشدة الجوع حتى قال جابر بن عبد الله لزوجته: **تُكِلْتِكِ أُمَّكِ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَا صَبْرِي عَلَيْهِ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟** فقالت: **عِنْدِي صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَعَنَاقٌ قَالَ: فَطَحْنَا الشَّعِيرَ، وَذَبَخْنَا الْعَنَاقَ، وَسَلَخْنَاهَا، وَجَعَلْنَاهَا فِي الْبُرْمَةِ وَعَجَنْتُ الشَّعِيرَ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَبِثْتُ**

سَاعَةً، ثُمَّ اسْتَأْذَنَتْهُ الثَّانِيَةَ فَأَذِنَ لِي، فَجِئْتُ، فَإِذَا الْعَجِيزُ قَدْ أَمَكَنَ، فَأَمَرْتُهَا بِالْحُبْزِ وَجَعَلْتُ الْقِدْرَ عَلَى الْأَثَائِي، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّمَا هِيَ الْأَثَائِي، وَلَكِنْ كَذَا قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّ عِنْدَنَا طُعِيمًا لَنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقُومَ مَعِيَ أَنْتَ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ مَعَكَ، فَقَالَ: «وَكَمْ هُوَ؟» قُلْتُ: صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَعَنَاقُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ وَقُلْ لَهَا لَا تَتْرَعِ الْقِدْرَ مِنَ الْأَثَائِي، وَلَا تُخْرِجِ الْحُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي» ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «قُومُوا إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ»، قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ حَيَاءً لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَقُلْتُ، لِأَمْرَائِي: نِكَلْتِكَ أُمَّكَ قَدْ جَاءَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، فَقَالَتْ: أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلَكَ: كَمْ الطَّعَامُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَدْ أَخْبَرْتَهُ بِمَا كَانَ عِنْدَنَا، قَالَ: فَذَهَبَ عَنِّي بَعْضُ مَا كُنْتُ أَجِدُ، وَقُلْتُ: لَقَدْ صَدَقْتَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَا تَصَاغَطُوا»، ثُمَّ بَرَكَ عَلَى التَّنُورِ وَعَلَى الْبُرْمَةِ، قَالَ: فَجَعَلْنَا نَأْخُذُ مِنَ التَّنُورِ الْحُبْزَ، وَنَأْخُذُ اللَّحْمَ مِنَ الْبُرْمَةِ، فَتَثَرَدُ وَنَعْرِفُ هُمُ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لِيَجْلِسَ عَلَى الصَّحْفَةِ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ» فَإِذَا أَكَلُوا كَشَفْنَا عَنِ التَّنُورِ، وَكَشَفْنَا عَنِ الْبُرْمَةِ، فَإِذَا هُمَا أَمْلَأُ مَا كَانَا، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّمَا فَتَحْنَا التَّنُورَ وَكَشَفْنَا عَنِ الْبُرْمَةِ، وَجَدْنَاهُمَا أَمْلَأُ مَا كَانَا حَتَّى شَبِعَ الْمُسْلِمُونَ كُلَّهُمْ، وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الطَّعَامِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ، فَكُلُوا وَأَطْعِمُوا» فَلَمْ نَزَلْ يَوْمَنَا نَأْكُلُ وَنُطْعِمُ.

فانظروا إلى فرج الله الذي جاءهم به نصرهم، وأطعمهم، وسلمهم، فكان عليهم

بحالهم.

## الآية الثلاثون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٣٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ هذا أمر من الله لنبية **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين وقع بينه وبين نساءه ما يقع بين الرجل وبين امرأته، وفي هذه تعزية لنا معشر الناس إذا وقع خلاف بيننا وبين أزواجنا فهاكم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد وقع بينه وبين أزواجه حتى أنه وجد عليهن وهجرهن شهراً؛ لشدة ما وقع في قلبه، واجتمع المسلمون في المسجد ليكونوا يعتبروا أن غضب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أشد من فارس والروم، فإن عمر بن الخطاب بينما هو في بيته إذ برجل يدق في الباب فقال: ما شأنك أجا غسان؟ قال: أمر أعظم من غسان، وهم كانوا يتخوفون أن تغزوهم غسان في تلك الأيام، فقال له: وما هو؟ قال: طلق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نساءه، فنزل عمر إلى المسجد فوجد الناس يبكون، ما يبكون على النساء، هب أنه طلق إحدى عشر أو تسع سيتزوج ما شاء، لكن يبكون من غضب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يلحقهم الهلكة بسبب غضبه، أو يلحقه الهم والغم، فعند ذلك استأذن عمر فلم يأذن له، ثم استأذن فلم يأذن له، ثم استأذن فأذن له فدخل عمر على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فجعل يحدثه حتى أدخل السرور عليه، فقال: يا رسول الله إنا كنا في قريش نغلب النساء يعني: كان شأن المرأة أنها لا تتدخل في شيء كما هو في بعض القبائل الآن المرأة لا تتدخل في شيء، ما هو من شأنها، قال: فأتينا الأنصار فوجدنا: أن النساء تغلبهم، قال: وفي يوم من الأيام راجعتني زوجتي فغضبت عليها قالت: ما شأنك والله إن نساء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يراجعنه، قال: فقلت أو يفعلن ذلك؟

قالت: نعم، قال: فاطلق إلى ابنته حفصة وقال لها: لا يغرنك حب رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لعائشة وحذرها، وانطلق إلى أم سلمة وحذرها فقالت: دعنا منك يا ابن الخطاب، فلما أخبر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ابتسم، وفرح عمر بإدخال السرور على رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ثم ما زال يحدثه حتى رأى أن الحصار قد أثر في جنب النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ونظر في المشرب الذي يسكن فيه النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فلم ير فيها شيئاً يملأ العين، فقال: يا رسول الله فارس والروم فيما هم فيه وأنت؟ قال: **«أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟، أَوْلَيْتَكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟»**، فلما قضى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تسعة وعشرين يوماً قالت عائشة: أعدهن خرج وبدأ بها، وخيرها بهذا التخير: **«إِنْ كُنْتَ تُرَدِّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ»** أعطيك منها، **«وَأَسْرَحَنَّ»** أطلقكن، **«سَرَّاحًا جَمِيلًا»** **﴿٢٨﴾** وقال لها: **«إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا، مَا أَحَبُّ أَنْ تَعَجَّلِي فِيهِ، حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ»**، انظر إلى شدة الحال الذي لحقه حتى ظن أن زوجته ربما تفارقه، يقول لها: استئذني أبويك، فقالت له: **«أَفِيكَ أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيْ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَذْكُرَ لِي امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ مَا اخْتَرْتُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنَّافًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيِّسَّرًا، لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتُ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا»**، فاخترته أزواجه؛ ولذلك قال ابن عباس: التخير ليس بطلاق، فإن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قد خير نساءه.

**فالشاهد: «إِنْ كُنْتَ تُرَدِّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا»** وبهجتهما وما فيها: **«فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ»** وأعطيك منها ما يسره الله، **«وَأَسْرَحَنَّ»** أطلقكن، **«سَرَّاحًا جَمِيلًا»** **﴿٢٨﴾** وهذا الذي ينبغي أن الإنسان إذا لم يستقم حاله مع زوجته أن يسرحها **سَرَّاحًا جَمِيلًا: «فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ»** [البقرة: ٢٢٩].

ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾﴾ بشرهن الله بالأجر العظيم والخير العميم.

ثم كان ما في:

الآية الواحدة والثلاثون بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُم بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٢﴾ \* وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُمْ كَأَحدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٤﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٥﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا بُشِّرْتُمْ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣٤].

### الشرح:

هذه آيات عظيمة فيها بركات كثيرات لمن أخذ بها لا سيما من نساء المسلمين: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُم بِفَاحِشَةٍ﴾ الزنا، وهنَّ محفوظات من هذا بحمد الله؛ لكن هذا على التهديد كما قال الله لنبية: ﴿لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولم يُشرك، ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة واضحة، ﴿يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ في الدنيا والآخرة؛ لهذا الجرم العظيم، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا يُعجزه شيء.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ تقوم على طاعة الله عزوجل، ﴿وَرَسُولِهِ﴾ وعلى طاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وهذا هو الواقع منهن رضوان الله عليهن، ﴿نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يُضاعف لها الأجر مرتين، فإذا كانت مثلها من

النساء تُعطى حسنة هي تُعطى حسنتين، وإذا كانت لتلك الحسنة بعشر أمثالها سيكون لها الحسنة بأكثر من ذلك، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ في الآخرة: ﴿رِزْقًا﴾ عطاءً واسعاً: ﴿كَرِيمًا﴾ ﴿٣٦﴾ جميلاً من كل ما لذ وطاب، وهن زوجات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في الجنة ومعه في منزلته لكن منزلة التابع؛ ولذلك أخطأ ابن حزم وذهب إلى تفضيل زوجات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على غيرهن من الصحابة بالنظر إلى الحُكم الأخروي وهذا خطأ؛ فإن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل من زوجات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وهن لهن مراتب عالية: خديجة بُشرت بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وغيرها كذلك بُشر بالخير.

﴿يَدْنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنًا كَأَحدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ يعني: الشأن يختلف، الآن لو هي زوجة رجل من عوام الناس أو من سقط الناس وفعلت أمراً لم يكن مثل زوجة رجل مُعتبر في المجتمع وتفعل أمراً مستقبِحاً، فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خير الأمة، فلو وقع من نسائه شيء والحمد لله لم يقع يعني: كان الأمر يكون أسوأ من ذلك: ﴿لَسَنًا كَأَحدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ فيجب أن يكون أمرهن على أحسن الحال؛ فلذلك قال: ﴿إِنَّ أَتَقِيَّتْنَ﴾ الله **عَزَّوَجَلَّ** بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: مع غير الزوج، الكلام مع غير الزوج ليس بحرام مُطلقاً، إنما الحرام: الخضوع بالقول، الذي يؤدي إلى فتنة المرأة وفتنة الرجل، أما بالمعروف فلا حرج، ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ وتعجب الآن كثير من الناس يقول له: يا فلان لا تدخل بين النساء خل النساء محتجبات الاختلاط حرام، يقول: أنتم قلوبكم مريضة أنا قلبي نظيف، هذا ما هو صحيح، لو كان قلبه نظيفاً؛ لا يتعد عن خُلطة النساء، الرجل مسكين أمام المرأة، حتى قيل لسفيان الثوري: ما معنى قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَحَلَقَ الْإِنْسَانَ صَعِيفًا﴾ ﴿٣٨﴾ [النساء: ٢٨]؟ قال: يمر بالمرأة فينظر إليها ويعلم أنه لا يناله منها شيء ومع ذلك ينظر إليها؛ لضعفه أمام المرأة، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٣٩﴾ قولاً موافقاً للشرع لا خضوع فيه

ولا ليونة ولا خنا.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ هذا هو الأصل: أن المرأة تقرر في البيت، العمل ليس من شأن المرأة لا سيما ما يتعلق بالوظائف، هذه الوظائف دخيلة على المجتمع المسلم، الله عزوجل يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]، والآن المرأة تتوظف، فتحتاج أن تنفق على نفسها وتحتاج أن تنفق على أبنائها، وربما تنمر على زوجها؛ لأنها صارت ذات شأن، بينما الواقع: أن الواجب عليهن أن يكون قرارهن في البيوت، ﴿وَلَا تَبَرَّحْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ من التزين، والتطيب، والخروج بين الناس، والاختلاط بهم، وعدم العفة، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ طاعة لله عزوجل، ﴿وَعَاتِبْنَ الزَّكَاةَ﴾ المفروضة إن بلغت أموالكن النصاب، وهذا أمر عام لنساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولغيرهن، ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأمر والنهي، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بهذه الأوامر والنواهي لكن: ﴿لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وهذا دليل على أن أهل البيت ليس فقط آل البيت كما يقول الرافضة، فزوجاته من أهل البيت وهن مطهرات مبررات من كل ما تهمن به من هؤلاء الفسقة الفجرة الكفرة، فالله عزوجل قد أذهب عنهم الرجس: وهو الخنا والباطل، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عمل بخصوص هذه الآية وإلا فعمومها دخول نسائه فيها: أنه دعا الحسن والحسين وعلي وفاطمة ثم جمعهم معه وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، وغلا الرافضة فقال بعضهم:

لِي خَمْسَةٌ أَطْفِي بِهِمْ ❀❀ نَارُ الْجَحِيمِ وَالْحَاطِمَةَ  
المُصْطَفَى وَالْمُرْتَضَى ❀❀ وابنيهما والفاطمة

﴿وَيُطَهِّرُكَ تَطْهِيرًا﴾ من الذنوب والمعاصي والمخالفات.

﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ القرآن

والسنة، وذكرها بالعمل بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بكم يُلطف بعباده حيث أعطاهم مثل هذه الأوامر ونهاهم عن هذه الزواجر، ﴿خَيْرًا﴾ ﴿٣٤﴾ عليم بما يُصلح أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم.

الآية الثانية والثلاثون بعد المائة (٥):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ أمر الله عَزَّوَجَلَّ بذكره في جميع الأحوال، وقد طبق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر، فكان يذكر الله عَزَّوَجَلَّ على كل أحيانه، ومن أكثر من ذكر الله أكثر الله له: إِذَا نُكِّثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ».

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ نزهوه في صباحكم ومساءكم عن المعائب والنقائص، فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو المتعال وهو العظيم الكبير الواسع: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

وقد امتدح الله الذاكرين في غير ما موطن: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

الآية الثالثة والثلاثون بعد المائة (٦):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَسْرًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نداء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ بعثناك إلى الناس،

﴿شَاهِدًا﴾ عليهم، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم بما لهم عند الله من الفضائل والمكارم، ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا لهم من عذاب الله وبطشه وغضبه.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ داعي إلى كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، **﴿بِإِذْنِهِ﴾** أي: بإذن الله؛ ولهذا قال شيخ الإسلام: من دعا إلى غير الله **عَزَّجَلَّ** فقد أشرك، ومن دعا إلى الله بغير إذنه فقد ابتدع، فمثلاً الآن: جماعة التبليغ، ومثل الجماعات الحزبية، ومثل كذلك الجماعات المتصوفة، والجماعات الرفضية وإن زعموا أنهم يدعون إلى الله **عَزَّجَلَّ**، فهم يدعون إلى الله على غير إذن الله، وعلى غير طريقة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فلا تُقبل الدعاوى ولا تُقبل الدعوة ولا تكون ناجحة إلا إذا كانت مبنية على أمرين:

**الأول:** دعوة إلى الله لا دعوة إلى شيخ، لا إلى حزب، لا إلى قبيلة، لا إلى جنس، لا إلى لون، لا إلى طائفة، دعوة إلى الله: أن نعبد الله **عَزَّجَلَّ** من كتاب الله وعلى وفق سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

**الثاني:** وأن تكون الدعوة أيضًا بإذن الله، لا تستحدث شيئاً لم يأذن الله به، سُئل شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن بعضهم كان في منطقة فيها كثير من اللصوص والسراق والزناة وأصحاب الزور والفجور، فقام واتخذ طبلاً ودُفًا، وجمعهم على شيء من الأناشيد الزهدية فانقطع كثير منهم عن الكبائر التي كانوا يتعاطونها وأقبلوا على هذه البدعة، فسُئل شيخ الإسلام عن هذا الأمر قال: هذا لا يجوز، هذا بدعة، هذه دعوة إلى الله بغير إذنه، فلا بد أن تدعو إلى الله ولا بد أن تدعو إلى الله بإذنه، فمثلاً الآن: الأناشيد التي يسمونها الإسلامية وهي مثل الأغاني هذه دعوة إلى الله بغير إذنه دعوة باطلة، الدعوة إلى الله بواسطة التلفاز والدشوش وما يُسمونها بالمسلسلات الإسلامية هذه دعوة باطلة؛ لأنها دعوة بغير إذن الله، دعوة بما حرم الله، الدعوة إلى

الله بالحزبية، بالديمقراطية، بالانتخابات هذه دعوة باطلة، لا بد أن تكون الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة، ندعو إلى إفراد الله بالعبادة ونمثل هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الدعوة، ﴿وَسِرَاجًا﴾ شبهه بالشمس، ﴿مُنِيرًا﴾ شبهه بالقمر. الآية الرابعة والثلاثون بعد المائة (٧):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

### الشرح:

هذه الآية مهمة كثير من الناس يجهلها؛ لأن النساء إذا تزوجت إما أن تُطلق قبل الدخول، وإما أن تُطلق بعد الدخول، فإن كان الطلاق بعد الدخول فيكون العدة ثلاثة قروء إن كانت تحيض، أو وضع الحمل إن كانت حامل، أو ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض يائسة أو صغيرة انتهيئا، أما إذا كان الطلاق لغير المدخول بها، عقد على امرأة ثم طلقها: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ يجوز أن تزوج ولو بعد الانتهاء من كلمة: أنت طالق، يقول أبوها أو وليها لفلان: زوجتك ابنتي فإن قال: قبلت صارت زوجة، وهذه مسألة يجهلها الكثير، وبعضهم بنى عليها مسألة تدل على الغلط العظيم، وهي مسألة: ما إذا تزوج رجل امرأة ثم مات عنها قبل أن يدخل بها، فيذهبون ويزوجنها من أخيه أو يزوجونها من غير في فترة العدة لا يجوز، المرأة الغير مدخول بها إذا مات زوجها قبل أن يدخل بها لا بد أن تعتد أربعة أشهر وعشرًا ولها المهر كاملاً ولها الميراث، فهذه مسائل مهمة، نُسأل أحياناً وتتعجب إما من المخالفة أو من الجهل بها.

فالله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ دليل على أنه لا

يجوز نكاح الكافرات إلا ما كان من الكتابيات إن كن محصنات، ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ فيه: أن الذي يُطلق المرأة قبل الزواج ما هو طلاق، بعضهم يقول: إن تزوجت ابنة فلان فهي طالق، هذا ليس بطلاق يُطلق امرأة ليست في عصمته وإن ذهب إليه بعض الفقهاء لكنه قول غير صحيح، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ المراد بالمساس هنا هل هو الجماع أم الخلوة؟ جمهور العلماء: على أنه لو اختلَى بها كان في حكم المساس، ومعنى الخلوة: أن يكون هو وهي في مكان ليس معهم أحد، كأن تُغلق عليهم أبواب، أو تُرد عليهم ستائر يجلسون فيها فترة من الزمن؛ لا، عند ذلك الصحيح أنها تُعتبر مدخول بها وإن قالت بأنه لم يُجامعها أو قال هو: بأنه لم يُجامعها، فقول جمهور العلماء: على أنها مدخول بها، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ وكم لها من المهر؟ لها النصف إن طلقها، انظر إلى اختلاف الحكم، الآن بمجرد أن يوصد هو وهي الباب فإن طلقها لها المهر كاملاً، بينما إن طلقها قبل الدخول بها لها نصف المهر، وإن طلقها بعد الخلوة بها عليها الهدية، وإن طلقها قبل ذلك ليس عليها عدة، ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: اعطوهن شيء من المتاع، ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلقها بتسريح جميل ما ترجع إلى الحاكم وتعضلها وتحتاج إلى محكمة وتؤخر زواجها وتدخل عليها العنت.

### الآية الخامسة والثلاثون بعد المائة (٨):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[الأحزاب: ٥٠].

## الشرح:

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أي: اللاتي تزوجتهن بعقد ومهر، ﴿الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ كمارية القبطية وغيرها أيضًا كما استمتع بغيرها، ﴿وَمِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ الفيء قد يُطلق على الغنيمة، وقد يُطلق على المال المأخوذ بالصلح، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ أيضًا أباح الله الزواج من بنات العم، ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ من بنات العمات، ﴿وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾ الأقارب، لكن هل تزوج منهن؟ الذي يظهر أنه لم يتزوج، عُرضت عليه ابنة حمزة لكن كان قد رضع وهو وأبوها من ثوية، فكانت ابنة أخيه من الرضاعة، ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ وهذا لا يكون إلا للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خاصة، لا يجوز لامرأة أن تهب نفسها لغير النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فما يقع الآن في كثير من المجتمعات من الزواج السري: وهي أن المرأة تتولى العقد بنفسها هذا زواج باطل، فإن المرأة لا تكون ولية لنفسها، ولا تكون ولية لغيرها، وعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** حين أرادت أن تزوج بعض جواربها أرسلت إلى بعض أوليائها الذكور أن يقوموا بهذا الأمر، فلو كان الأمر جائزًا للمرأة لقامت به عائشة، فليتفطن لهذا المسألة وإن كانت بحمد الله قد تكون غير منتشرة في اليمن إلا أنها منتشرة في كثير من الدول الخليجية، وبلاد الشام، وبلاد مصر وكثير من البلدان، تعمد المرأة إلى تزويج نفسها ربما تذهب إلى قاضي من هؤلاء القضاة الذين لا يُبالون بشرع الله، ويسمون زواج عرفي هذا زواج باطل، إذا زوجت المرأة نفسها زواجها باطل، يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّي»، تزويج المرأة لنفسها يُعتبر زنا، ليس بنكاح وإنما هو سفاح، ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بمعنى: أن هبة المرأة نفسها لغيرها لا يكون إلا للنبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعني: مما يجب عليهم ومما يجوز لهم، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من جواز وطئهن ولو بغير عقد ولو كن أكثر من أربع، ﴿لِيَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي: فيما أباح الله له من الحلال الطيب، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٣﴾.

الآية السادسة والثلاثون بعد المائة (٩):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَئِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُكَلِّمُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣].

### الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ وكانوا قبل ذلك يدخلون، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ وهذا بعد ضرب الحجاب، ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ غير منتظرين وناظرين إلى طبخه ونحو ذلك، ﴿وَلَئِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ مع غض البصر، ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ ما يبقى في البيت، قد تحتاج المرأة إلى الخروج والدخول، ﴿وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثِ﴾ أحاديث النساء، لكن إذا كان هناك مجلس في البيت فلا حرج أن يجلسوا فيه وبقوا على الحديث، لكن هذا كانت بيوتهم ضيقة وكانوا يجلسون وربما تحدثوا مع النساء قبل فرض الحجاب.

وسبب نزول هذه الآية: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تزوج زينب بنت جحش وعقد عليها، ثم دعاهم إلى الوليمة، فكان يدخل ويخرج يريد عند أهله وهم في

البيت قد استأنسوا الحديث فنهاهم الله **عَزَّجَلَّ** عن البقاء، ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِيهِ مِنْكُمْ** ﴾ يستحي أن يقول لهم: اخرجوا، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِيهِ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ أن يذكر مثل هذه المسألة حكماً عاماً للأمة، ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا** ﴾ أي: سألتن النساء أمراً من الأمور، ﴿ **فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ حتى لا تقع الفتنة بينكم وبينهن، ﴿ **ذَلِكَمْ أَظْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ فالقلوب ضعيفة والشبه خطافة، ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ** ﴾ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بالبقاء في بيته بعد الأكل، ﴿ **وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾ لأن بعضهم قال: لأن مات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لأنكحن فلانة من زوجاته، فأنزل الله **عَزَّجَلَّ** تحريم أمهات المؤمنين على غير رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فهن محرمات ولسن بمحارم، يعني الآن: الأم محرمة ومحرم، والأخت محرمة ومحرم، والخالة محرمة ومحرم؛ لكن زوجات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** محرمات ولسن بمحارم، بمعنى: أنه لا يجوز الزواج بهن ولا يجوز الخلوة بهن، لكن هذا الحكم قد ذهب بموتهن لكن من باب الاعتقاد، ﴿ **وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا** ﴾ لأنهن زوجاته في الآخرة، وأيضاً هذا إكرام لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾.

الآية السابعة والثلاثون بعد المائة (١٠):

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الشرح:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ في هذه الآية: حض من الله **عَزَّجَلَّ** للمؤمنين أن يكثروا من الصلاة على

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومن صلى على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، والصلاة من الله ذكر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في الملاء الأعلى، والصلاة من غير الله **عَزَّجَلَّ** هي الدعاء: ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾ [التوبة: ١٠٣].

### الآية الثامنة والثلاثون بعد المائة (١١):

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

#### الشرح:

في هذه الآية حث من الله **عَزَّجَلَّ** لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على أمر النساء بالحجاب وتغطية الوجه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ**﴾، المطهرات المبرعات المتقيات المؤمنات، ﴿**وَبَنَاتِكَ**﴾ التي بُشرت فاطمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: بأنها سيدة نساء العالمين، ﴿**وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ كالرميضاء، والغميضاء، وأسماء ومن إليهن ومع ذلك أمرن بالحجاب فكيف بنساء هذا الزمان؟ من باب أولى، ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ**﴾ أي: مما يلبسن من اللباس ويسترن وجوههن وجيوبهن، ﴿**ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ**﴾ هذا دليل على أنه يجب تغطية الوجه، وهذا رد على من أجاز كشف الوجه في الحجاب، وأن الوجه ليس بعورة، هذا كلام مبني على حديث ضعيف حديث أسماء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا»، هذا حديث ضعيف منكر لا يجوز الاحتجاج به ولا الأخذ به؛ لأن هذه الآية ترد عليه: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ**﴾ لو كانت كاشفة الوجه لعرفت وأذيت، وهكذا أباح الله **عَزَّجَلَّ** النظر إلى المخطوبة؛ لأن النساء يحتجبن، ﴿**وَكَانَ اللَّهُ**

عَفُورًا رَّجِيمًا ﴿٦١﴾ أي: لما كان قبل ذلك، ولمن تاب وأناب.

الآية التاسعة والثلاثون بعد المائة (١٢):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٩].

### الشرح:

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ﴾ هذا أمر من الله عز وجل

للمؤمنين أن يكونوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أحسن الأوجه والمعامل: إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أذرة: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فحلاً يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملائكة من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، والحديث في الصحيحين ولا مطعن فيه، ولا عبرة بمن ينكر مثل هذه الأحاديث.

ويجوز للرجل أن يغتسل عرياناً إذا كان وحده، وإن اغتسل بملابسه فهو أولى،

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ»، كما في حديث معاوية بن

حيدة، ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ أي: من الزور، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٢﴾﴾ عبداً

مرضياً طائعاً.

## الآية الأربعون بعد المائة (١٣):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

## الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: تكلموا بالحق، والهدى، والنصيحة، والأمر بالمعروف، واجتنبوا الكذب والزور، والبهت، والغيبة، والنميمة، وهكذا الأمر بالمنكر.

فإذا وقع منكم القول السديد: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فلا تعملون إلا الخير، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إن أخطأتم وأذنبتم، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ أفلح في دنياه وآخره: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ لا بعده ولا مثله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وفي هذا يقول الشاعر:

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ ❀❀❀ ❀❀❀ ❀❀❀ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادٌ  
وهذه الآية كان يأتي بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في خطبة الحاجة كما في حديث ابن مسعود عند أبي داود وغيره.



## سورة لقمان

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٣٤)

الآية السابعة والعشرون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

## الشرح:

**لقمان:** رجل صالح وليس بني على الصحيح، قيل: بأنه عبد نوبي كان له سيد فقال له: اذبح لي شاة. فذبح له شاة، فقال له: اثبتني بأطيب مضغتين فيها. فأتاه باللسان والقلب، فقال: أما كان شيء أطيب من هذين؟ قال: لا، فسكت عنه ما سكت، ثم قال له: اذبح لي شاة. فذبح له شاة، فقال له: ألق أحبها مضغتين، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين، فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تُلقي أحبها مضغتين، فألقيت اللسان والقلب. فقال: إنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا، ولا بأحب منهما إذا خبثا

ومن شأنه: يذكرون أنه قيل له: اعطني رمانة حلوة فأتاه برمانة حامضة أو مزة فقال له: كذا، قال: ما جعلتني عليها أكلاً إنما كنت لها حارساً، أي: أنه لا يميز بين المز من الحلو؛ لأنه لم يطعم ولم يأكل، بخلاف كثير من الناس الآن إذا اشتغل مع واحد في بقالة يأكل ولا يُيالي ولا ينظر ما أكل وما خرج، بل ربما يُكرم الضيوف من مال الغير ويُعطي المساكين من مال الغير إلى غير ذلك، ينبغي للإنسان أن يكون عفيفاً عن أموال الناس.

وله قصص عظيمة ذكر منها ابن كثير في تفسيره الشيء العظيم، ومنها الوصايا

التي تنقلها الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه، وهذه من أعظم الوصايا: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالْإِنْسَانِ يُولَدَيْهِ﴾ [لقمان: ١٣-١٤]، يعني: آيات عظيمة تتلى من قول هذا الرجل الصالح، وفي الحديث: «إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** إِذَا اسْتُدْعِيَ شَيْئًا حَفِظَهُ»، من حديث ابن عمر عند أحمد وسنده حسن، لكن أظن فيه كلام من حيث الوقف ونحو ذلك؛ لكنها كلمة عظيمة: «إِنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** إِذَا اسْتُدْعِيَ شَيْئًا حَفِظَهُ»، استدوع الله نفسك، أبناءك؛ ولذلك جاء: أن المسافر إذا سافر يُقال له: «أَسْتَدْعِي اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»، إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوا الله واعبدوه وافردوه بما يجب له، ﴿وَأَحْشَوْا يَوْمًا﴾ خافوا يوم القيامة حيث: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨]، وفي الحديث: «أَمَّا إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ»، بل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]. ﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٥-٣٥]، بل ربما يكون الوالد خصم لولده، والولد خصم لأبيه في ذلك اليوم، ربما الزوجة الآن الشفيقة تكون خصمة وتطالب بمثاقيل الذر من حسناتك إن كنت قد أسأت إليها، وولدك يُطالبك أيضًا بمثاقيل الذر إذا كنت قد ظلمته بغير وجه حق، والوالد كذلك، وهو يوم شديد الوقع، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث والنشور ومجازاة الناس على أعمالهم، ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ تفتنكم عن طاعة ربكم، ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْقُرُورُ﴾ الشيطان وأماني الشيطان.



## سورة سبأ

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٥٤)

سُميت: سبأ؛ لما ذكره الله **عَزَّوَجَلَّ** من قصة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ﴾ [سبأ: ١٥]، وكانت دولتهم في اليمن في مأرب.

الآية الواحدة والأربعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿\* وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ اٰوِيْ بِمَعْرِ وَاظْمِرُ وَاَنْتَا لَهٗ الْحَدِيْدُ ﴿١٠﴾ اِنْ اَعْمَلْ سَلِيْعَتٍ وَّقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاَعْمَلُوْا صٰلِحًا اِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠-١١].

## الشرح:

هذه الآية الثالثة التي ينادي الله **عَزَّوَجَلَّ** فيها الجماد: ﴿\* وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ﴾ النبي الكريم من بني إسرائيل أبو سليمان، ﴿مِنَّا فَضْلًا﴾ عظيمًا، ﴿يٰجِبَالُ﴾ نادى الله **عَزَّوَجَلَّ** الجبال، ﴿اٰوِيْ﴾ سبحي، ﴿مَعْرِ﴾ وشاركه فيما هو فيه من التغني بالزبور ونحو ذلك، ﴿وَاظْمِرُ﴾ أي: ونادى الطير أن تُشاركه في هذا الخير، ﴿وَاَنْتَا لَهٗ الْحَدِيْدُ﴾ ﴿١٠﴾ أي: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** سخر له الحديد يتشكل على الهيئة التي يُريد بدون كثير كلفة. ﴿اِنْ اَعْمَلْ سَلِيْعَتٍ﴾ دروع، ﴿وَّقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي: في الثوب التي تدخل فيها المسامير بحيث لا تكبر ولا تصغر، ﴿وَاَعْمَلُوْا صٰلِحًا﴾ من التوحيد فما دونه، ﴿اِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ﴾ ﴿١١﴾ مطلع.



## سورة فاطر

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٤٥)

وتسمى: بسورة الملائكة.

الآية الثانية والأربعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا يَعْمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

## الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا يَعْمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ هذا نداء من الله عزوجل أن يذكروا نعمة الله وهي نعمه، فالمفرد إذا أضيف فاد العموم، ونعمه كثيرة: حسنة ومعنوية، فمن المعنوية: الإسلام، ومن الحسية: الشراب والطعام، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ يعني: هل لكم خالق غير الله: ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؟ لا، هذا على سبيل الإنكار، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له في ملكه، ولا في خلقه، ولا في عبادته، ﴿فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٣﴾ تصرفون عن الحق والهدى؛ بسبب إعراضكم عن طاعة الله عزوجل.

الآية الثالثة والأربعون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥].

## الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ هذا نداء من الله عزوجل للناس: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ وهو الآخرة، والبعث والنشور: ﴿حَقٌّ﴾ لا يتخلف ولا يتغير، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ تفتنكم، ﴿الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا ﴿ وتلتهمون بزخرفها وزينتها عن طاعة الله، ﴿ وَلَا يَغُرِّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿٥﴾  
 الشيطان، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنَى  
 وَأَسَدًا فَفَرِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدِّ فَفَرِّكَ»، وفي الحديث الآخر:  
 «مَنْ كَانَتْ الْأَخِرَةُ هَمَّهُ، جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ،  
 وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَفَرَّقَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يُؤْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا  
 كُتِبَ لَهُ».

الآية الرابعة والأربعون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿٥﴾

[فاطر: ١٥].

الشرح:

هذه دعوة إلى عبادة الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأنه غني على عرشه وإنما ابتلانا واختبرنا بطاعته وعبادته فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ ﴿٥﴾ سواء كثرت أموالكم أم قلت، كنتم ملوكًا أو رعية، ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ ﴿٥﴾ في جميع أحوالكم، في دنياكم وأخراكم، ويوم بعثكم ونشوركم، فلو منعك الله الطعام لَمُتَ جوعًا، ولو منعك الشراب لَمُتَ عطشًا، بل أعظم من ذلك: جاء رجل إلى هارون كما يزعمون فقال له: يا هارون أرأيت لو عطشت حتى كدت أن تموت واشترط عليك رجل نصف ملكك على كأس من الماء، قال: أعطيه، قال: فإن مُنِعَ البول ولم يخرج منك إلا بالشرط الثاني من ملكك قال: أعطيه، قال: فَمَلِكٌ لا يُساوي شربة ماء لماذا تغتر به؟ المعنى: أن الإنسان فقير إلى الله في جميع أحواله ولحظاته سواء كانت أمواله كثيرة أم قليلة، بينما الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الغني **عَبْدًا** أم **كُفْرًا**، **شُكْرًا** أم **أَعْرَضَ** عنه، **أَطِيعَ** أم **عُصِيَ**.

وتتمة الآية: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر:١٦]، خير منكم،  
 كما قال عزوجل: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد:٣٨]

[محمد:٣٨].



## سورة يس

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٨٣)

وما جاء من الأحاديث في فضلها مثل: «**اقْرؤوا يس على موتاكم**»، «**يس قلب القرآن**»، كلها لا تثب، ولا أعلم حديثاً يثبت في فضلها، وهناك في المناطق التي فيها التشيع بدعة: أنهم يقرؤونها بين مغرب وعشاء كل ليلة من رمضان، ويطؤونها على غير طريقة القرآن، يعملونها مثلما يفعلوا الزوامل في المناطق الشمالية، الزوامل في الأعراس يجتمع ناس من هنا وناس من هنا وذلك يقول: كذا كذا، وذلك يرد عليه، وهؤلاء هكذا: ﴿يس﴾ [يس:١]، والثاني يقول: ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ ﴿٢﴾ [يس:٢]، والثالث يقول: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ [يس:٣-٤]، ومن هذه الأمور التي يفعلونها، ما أنزل الله بها من سلطان، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَوْزِيلًا﴾ ﴿٥﴾ [المزمل:٤]، ما قال يهذي به، والله المستعان.

الآية الخامسة والأربعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿\* أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦﴾ [يس:٦٠-٦١].

## الشرح:

هذا نداء يكون في الآخرة، ينادي الله عَزَّوَجَلَّ أهل الموقف: ﴿\* أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ ألم أمركم: ﴿يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، بل توحيدوا الله عَزَّوَجَلَّ فأبيتم وأعرضتم، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾ أي: الشيطان، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥﴾ عدواً ظاهراً بين لا يريد لكم الخير في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ وحدوني، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ طريق قويم.

وعندهم أيضًا اعتقادات: أن الذي يُقرأ عليه سورة يس ما أدري ماذا يلحقه؟ قالوا: كان هناك شخص يسرق من بيت شخص آخر ويقرأ عليه سورة يس ما وقع عليه شيء، وفي الأخير، قال له شخص: اعمل لك قدر حلبة وخضها ثم اجعلها له في الدرج إذا نزل يذهب، قالوا: المهم الرجل خرج يمشي من البيت أنزلت وكسر رجله، قالوا له: هذه يس، قال: يس الحلبة.

**وأيضًا:** يس أنه اسم للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لا دليل عليه، الصحيح: أنه من الأحرف التي يؤتى بها في أول القرآن من باب الإعجاز ونحو ذلك.

وهناك آية أخرى في سورة يس: ﴿يَحْصِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]، لم أذكرها؛ لأنهم اختلفوا فيها: هل القائل هو الله **عَزَّجَلَّ**؟ أو القائل غير الله **عَزَّجَلَّ**؟.



## سورة الصافات

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١٨٢)

وتسمى بسورة الملائكة أيضاً.

الآية السادسة والأربعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٣٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَجَزِي  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الصافات: ١٣٤-١٣٥].

## الشرح:

﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٣٤﴾﴾ أي: أن الله عزَّ وجلَّ نادى إبراهيم بصوت سمعه، وهو إبراهيم بن آزر أبو الأنبياء الثاني، فإن الأنبياء من ذريته بعده.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ من أنه يذبح ولده: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا نُوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٤﴾ [الصافات: ١٣٤]، ورؤيا الأنبياء وحي، ما يأتيك الشيطان على أنك تذبح ولدك وتقوم تذبح، تقول: أصدق الرؤيا، هذا نبي ورؤيا الأنبياء وحي، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ بَجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ أي: أن الله عزَّ وجلَّ فداه بذبح عظيم؛ بسبب إحسان إبراهيم، فسلم له الولد وأثابه وجعل شعيرة الهدى باقية إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



## سورة ص

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٨٨)

الآية السابعة والأربعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾﴾ [ص:٣٦].

## الشرح:

﴿يَدَاوُدُ﴾ نداء من الله عزوجل لنبى الله داود: وهو من خيرة أنبياء بني إسرائيل، وأنزل الله عزوجل عليه الزبور، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ يقوم بطاعة الله والدعوة إليها ويحقق التوحيد: ﴿فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والإنصاف، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ لا تمل إلى ما يجر إليه الهوى، وإنما يلزم الإنسان الحكم بالكتاب والسنة، وهذا النداء وإن كان لفظه خاصاً بداود عَلَيْهِ السَّلَام إلا أنه عام في جميع الأحكام، فيجب عليهم أن يلزموا الإنصاف وعدم الإجحاف مع القريب والبعيد، ومع العدو والصديق، ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ يحرفك: ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ موجع، ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾﴾ ولم يعملوا له، سُمِّيَ بيوم الحساب؛ لأن الناس يُحاسبون على أعمالهم وعلى مثاقيل الذر: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٢٠٢].

## الآية الثامنة والأربعون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿قَالَ يَإَيُّهَا ابْنُ آدَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَلَا تَخُذْ زِينَةَ ابْنِ آدَمَ إِنَّهُ كَانَ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [ص: ٧٥].

## الشرح:

هذا نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** لإبليس عليه لعنة الله حيث أمره الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يسجد لآدم فأبى واستكبر وزعم أنه خير منه، فقال الله له: ﴿قَالَ يَإَيُّهَا ابْنُ آدَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَلَا تَخُذْ زِينَةَ ابْنِ آدَمَ إِنَّهُ كَانَ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ وهو آدم **عَلَيْهِ السَّلَام** خلقه الله بيديه، وغرس جنة عدن بيديه، وخط التوراة بيديه كما في حديث ابن عمر وله حكم الرفع، وفيه: إثبات صفة اليدين لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي من الصفات الذاتية الخبرية: يدان حقيقتان، من فسرهما بالقوة أو بالقدرة أو بالنعمة فتفسيره باطل: «وَكِلْنَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينًا»، كما في حديث ابن عمر، ومما يدل على إثبات اليدين حقيقة: أنه يأخذ بهما ويبسطهما ويهزهما، وقد جاء في الحديث وصف الأصابع: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ»، الحديث، وهكذا الكف: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»، ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ وهذا هو الواقع: ﴿إِلَّا يَإَيُّهَا ابْنُ آدَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَلَا تَخُذْ زِينَةَ ابْنِ آدَمَ إِنَّهُ كَانَ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [البقرة: ٣٤]، فالكبر من أعظم الصوارف عن الحق: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ المتعاضمين في أنفسهم وهذا من الهلكة: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مِشِيئِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»، الحديث.

## سورة الزمر

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٧٥)

الآية التاسعة والأربعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَٱرْضُ ٱللَّهَ وَٱسْعَةً ۖ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١﴾ [الزمر: ١٠].

## الشرح:

﴿قُلْ يٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء من الله عزوجل لعباده المؤمنين الموحدين المنقادين المستسلمين، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ فعلوا الحسنى، أحسنوا مع الله بالتوحيد، وأحسنوا مع غيره: ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، والإحسان: أن تبعد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا أكمله وإلا فهو شامل لجميع أنواع إحسان القول والفعل وحتى الاعتقاد، ﴿فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ سعة في الرزق، وهدوء للبال، وانسراح للصدر، وطمأنينة للقلب، ونصر وغير ذلك، ﴿وَٱرْضُ ٱللَّهَ وَٱسْعَةً﴾ أي: إذا ضيق عليهم في بلد فلهم أن ينتقلوا إلى غيره مهاجرين: ﴿يٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا نَرْضَىٰ وَٱسْعَةً فِىٰٓآتِىٰ فَاَعْبُدُونِ ۝١﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١﴾ وهذا وعد من الله عزوجل لمن صبر فإنه يظفر وينال هذا الجزاء العظيم يوم القيامة، سواء كان صبره على أقدار الله عزوجل، أو كان صبره على طاعة الله وعن نواهي الله عزوجل.

وفيها: فضيلة الصبر حتى قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»، ويُنال الصبر بالتصبر: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ ٱللَّهُ»، أي: يعود

نفسه عدم التسخط وسيجد البركة في ذلك.

الآية الخمسون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ قَوْلِهِمْ ظُلْمٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْمٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۗ يَلْعَبُدُونَ قَاتِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

### الشرح:

الشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿يَلْعَبُدُونَ قَاتِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ نداء من الله عزَّجَلَّ لعباده بملازمة الأمور وترك المحظور والصبر على المقدور.

وأما أول الآية فهو وصف لحال أهل النار: ﴿لَهُمْ مِّنْ قَوْلِهِمْ ظُلْمٌ مِّنَ النَّارِ﴾ تغشى وجوههم، والحال كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]، فراش من نار، ﴿وَمِنْ قَوْلِهِمْ عَوَائِشٌ﴾ [الأعراف: ٤١]، أغطية تعطيه من النار، فهنا يقول: ﴿لَهُمْ مِّنْ قَوْلِهِمْ ظُلْمٌ مِّنَ النَّارِ﴾ نار محرقة سوداء شديدة، ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْمٌ﴾ أينما ذهبوا فهم في نار أكلهم نار، وشربهم نار، ولبسهم نار، وجميع شأنهم نار: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٦﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿١٧﴾﴾ [النبا: ٢٤-٢٥]، الآن لو دخل إنسان في نار يموت مباشرة أو هكذا قرب منها حتى لا يجد موضع نفسه يموت، بل لو أحرقت بعض جلده أو بعض جسمه ربما مات، ولكن في الآخرة جعلها الله عذابًا دائمًا: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ قَوْلِهِمْ عَوَائِشٌ﴾ [الأعراف: ٤١]، ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٨﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٩﴾ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: ١٩-٢١]، يحاولون الخروج منها فيردون: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ٢٢]، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [البلد: ٢٠]، مغلقة، بل: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الهمزة: ٩]، يوضعون في مثل الأعمدة، ويُمددون في النار تمديدًا مع تكبييلهم بالسلاسل العظيمة: ﴿حُدُودُهُمْ فَعَلُوهُ﴾

﴿ تُمْ الْجَحِيمَ صَلْوُهُ ﴾ ﴿٣١﴾ تُمْ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢]،  
 ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ المؤمنين فينزعرون ويرعونون خوفاً على أنفسهم من  
 هذه النار التي أمر الله باتقائها: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [آل  
 عمران: ١٣١].

### الآية الواحدة والخمسون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْمِئُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

### الشرح:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: يقول الله تعالى: ﴿ يَاعِبَادِيَ ﴾ نداء لعباد الله عزوجل، ﴿ الَّذِينَ ﴾  
 ﴿ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالمعاصي والسيئات، ﴿ لَا تَقْنَطُوا ﴾ تيأسوا: ﴿ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾  
 مهما كثرت ذنوبكم فإن الله عزوجل غفار لمن تاب وأناب ولو كان مشركاً: ﴿ قُلْ  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ  
 الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [الأنفال: ٣٨]، المصيبة: أن يموت الإنسان على الشرك أو البدعة أو  
 الكبيرة هذه هي المصيبة، أما ما دام في الحياة فمن تاب تاب الله عليه، ﴿ إِنَّ اللَّهَ  
 يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ هذا لمن تاب وأناب، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قول الله  
 عزوجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه  
 الآية في حق من مات على شركيات لا يغفرها الله، ومن مات على معاصي وسيئات  
 دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، أما هذا في الحياة مهما  
 فعل الإنسان من باطل وتاب إلى الله عزوجل بتوبة مستوفية للشروط تاب الله عليه؛ لأن

الآية نزلت في قوم زنوا فأكثروا، وقتلوا فأكثروا، وفعلوا أمورًا كثيرة فقالوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ، لَوْ تَخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** الآية.

وأيضًا أرسل بها عمر إلى هشام بن العاص وإلى غيره ممن كان قد فتن فافتتن، فجعل يقرأها ولا يدري ما فيها، ثم يقول: اللهم فهمنيها، فعلم أنها نزلت فيه فركب إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإياك أن تنقط من رحمة الله وأن تتعد عن التوبة الإنابة؛ لعظيم ذنب اقترفته، ما دامت روحك في جسدك قبل أن تغرغر أو تطلع الشمس من مغربها فعليك بالرجوع إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وستجد: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ غفور يستر، رحيم يعفو ويصفح ويوفق ويسدد، وهذا والله من رحمة الله بعباده المؤمنين: أنه لم يغلط عليهم باب التوبة، وإلا لو أغلق هذا الباب لهلكنا، ما منا إلا وهو مذنب ومفرط وعاصي وعنده قصور، لكن جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** بابًا قبل المغرب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس منه، تسرف في الليل تب في النهار، تسرف في النهار تب في الليل، بل لو تبت بعد الذنب مباشرة توبة صحيحة قبلت إن شاء الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ - **عَزَّوَجَلَّ** - يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءٌ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءٌ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا﴾.

﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ خالقكم، ورازقكم، ومدبركم، ﴿وَأَسْأَلُوا لَهُ﴾ استسلموا له بالتوحيد وانقادوا له بالطاعة، وكونوا على براءة من الشرك وأهله، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ الأليم الموجه، ﴿ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ ليس لكم من ناصرين: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]، ولا تمنعون من عذاب الله **عَزَّوَجَلَّ** إن أراد أن يبطل بكم.

﴿وَاتَّبِعُوا﴾ تابعوا: ﴿أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ القرآن والسنة كله وحي الله أنزله على محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾

على حين غرة، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ٥٥ أنه العذاب، ولا تشعرون بأسباب  
السلامة، وهذا كقول الله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾  
﴿١٧﴾ وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ  
اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].



## سورة فصلت

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٤٥)

الآية الثانية والخمسون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿ \* إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ [فصلت: ٤٧].

## الشرح:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلمها إلا هو: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿٤٢﴾ فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات: ٤٢-٤٥]، ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ الثمرة حين تخرج من عذقها وتبدأ في النضوج، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾ سواءً أنثى الإنسان أو أنثى الحيوان، ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ سواءً كان ذكراً أو أنثى، بل إنه يعلم ما سيكون من شأنهم من صلاح أو فساد، من خير أو شر، من سلامة أو مرض لا تخفى عليه خافية، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يوم القيامة ينادي جميع الناس ويدخل في النداء أهل الإِشْرَاقِ: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ أين الأصنام والأوثان التي كنتم تعبدونها من دون الله، ﴿قَالُوا ءَاذَنَّاكَ﴾ أعلمناك، ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ ما منهم من مطلع، وهذا دليل على أن أصنامهم وأوثانهم ومعبوداتهم لا تنفعهم من الله شيئاً.



## سورة الزخرف

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٨٩)

الآية الثالثة والخمسون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨].

## الشرح:

﴿يَعْبَادِ﴾ هذا نداء من الله عزوجل لعباده في يوم القيامة، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ مما يقدمون عليه، ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ على ما فاتهم فهم في خير عظيم.



## سورة محمد

وهي سورة مدنية، وآياتها: (٣٨)

الآية الرابعة والخمسون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾

[محمد:٧].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ هذا نداء من الله عَزَّجَلَّ لعباده المؤمنين الموحدين: أن النصر حليفهم ما نصروا الله عَزَّجَلَّ، وكيف يُنصر الله وهو القوي الغالب الذي لا يعجز؟ بامثال أمره وشرعه، وهذا كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ»، فالله غني عن العالمين، لكن على الإنسان أن ينصر دين الله إن أراد أن ينصره الله، وأن يلتزم شرع الله إن أراد أن ينصره الله، فقيده نصر الله لهم بنصرهم لأنفسهم بطاعة الله عَزَّجَلَّ، ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ عند ملاقاته عدوكم: ﴿وَمَا أَتَّصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

الآية الخامسة والخمسون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا

أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد:٣٣].

## الشرح:

﴿\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ هذا نداء من الله عَزَّجَلَّ يحث فيه المؤمنين على التزام طاعة الله عَزَّجَلَّ: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ»، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لأن طاعته طاعة الله عَزَّجَلَّ، وفي طاعة الله عَزَّجَلَّ وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

الخير العظيم فهي سبب الرحمات، وسبب رفع الدرجات، ودليل على مسألة الاستجابة لله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ٣٣ أي: يقع أحدكم في الردة فيبطل عمله؛ بسبب كفره بالله وكفره برسول الله **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وبهذا تعلم: أن العمل يحتاج إلى أن يُحافظ عليه وإلا فإنه قد تعمل الحسنة وتذهب وتؤخذ منك لسبب أو لآخر؛ لكن عليك أن تكون محافظاً على الأعمال الصالحات وعلى طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** وطاعة رسوله **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** إن رُمتَ لنفسك الخير وأردت لها السؤدد.



## سورة الحجرات

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٨)

الآية السادسة والخمسون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتُمْ أَلَّا اللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝﴾ [الحجرات: ١-٢].

## الشرح:

أنت ترى أن النداءات فيها ستة نداءات، خمسة تتعلق بالمؤمنين وواحد بالناس. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أقرأوا الله بالوحدانية، ولرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** بالرسالة، ﴿لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أمراً أو نهياً لم يأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** به ولم يأمر به رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، أو ينهى الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه أو ينهى عنه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، وما أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** به وأمر به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** يجب الوقوف عليه والأخذ به والأخذ بطريقته، ﴿وَأَنْتُمْ أَلَّا اللَّهُ﴾ بفعل المأمور ترك المحذور، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلَيْكُمْ ۝﴾ بأفعالكم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حتى قالوا: كاد الخيران أن يهلكا، اختلفوا في تولية بعضهم فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: والله ما أردت خلافاً، فارتفعت أصواتهما فأنزل الله الآية، فكان عمر بعد ذلك لا يحدث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** إلا كأخ السرار، واستحب العلماء وأخذوا من هذه الآية: أنه لا يُرفع صوت في مسجد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** ولا عند قبره بل ولا على سنته، فينبغي أن تكون متواضعاً متذلاً،

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي: مع الرفع تخاطبه كأنك تخاطب واحد عادي، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرنا الله أن نعززه ونوقره: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾﴾ [الفتح: ٩]، تسبحوا الله؛ ولذلك لما دخل ذلك الأعرابي: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْنَا: وَيْحَكَ، اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، فَإِنَّكَ قَدْ نُهِيتَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَغْضُضُ مِنْ صَوْتِي، أَعْرَابِي مَا يَعْرِفُ مَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ الْحَقُّ كَمَا يَعْرِفُهُ مَنْ لَازَمَهُ كَثِيرًا، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ تذهب حسناتها: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥﴾﴾ بذلك.

### الآية السابعة والخمسون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

### الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا أهل الإيمان: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ أي: مطعون بعدالته لم يتبين كذبه بعد؛ لأن الخبر يأتي عن ثلاثة:

**الأول:** صادق، نقبل خبره.

**الثاني:** كاذب، نرد خبره.

**الثالث:** فاسق، تثبت في خبره إن وافقه غيره فُبل وإلا رُد.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ جاء في قراءة: (تثبتوا)، ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ﴾ يتضررون منكم إما بحرب أو نحوه على خبر كاذب، ﴿فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾، وبهذه الآية استدلل العلماء: على وجوب التثبت في نقل الأخبار، وأنهم لا يروون الحديث عن كل من هب ودب، وإنما ينقلون الأحاديث عن الأثبات والثقات ومن علمت عدالته ورُفعت جهالته، وبهذا أيضًا يؤخذ باب منهج الجرح والتعديل، وعلى أن أهل الباطل

يُحذِرُ مِنْهُمْ وَتُرَدُّ مَرْوِيَاتِهِمْ، بَيْنَمَا الثَّقَةُ يُقْبَلُ خَبْرَهُ.

الآية الثامنة والخمسون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٨].

### الشرح:

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّن قَوْمٍ﴾، نهى الله عن السخرية؛ لشدة ضررها ولعظيم خطرهما، لا تسخر من غيرك لا لجماله ولا لشيء من شأنه، فلولا فضل الله عليك أنك مثله وربما تعجز عن إصلاح نفسك، فلا الرجال يجوز لهم أن يسخروا من الرجال والنساء، ولا النساء يجوز لهن أن يسخرن من الرجال أو النساء: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن صحابي فقير: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْيَةِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»، من المنافقين ونحوهم، ﴿وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ في الصفات، في الإيمان، في الأخلاق، ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: لا تتلامزوا بالأقوال السيئة، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ التي يبغضها كأعرج، يا أحول، يا كذا لا سيما إذا كان يبغضها، أما إذا كان لا يبغضها لا حرج أو كان على سبيل التعريف، يقول لك: أين فلان؟ تقول: من الأعرج؟ فيقول: نعم؛ لأن الناس يختلفون، ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: التنازع من الفسوق صاحبه فاسق في حال إيمانه، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من السخرية والاستهزاء والتنازع، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾﴾ الذين يستحقون العقوبة.

## الآية التاسعة والخمسون بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا﴾ احذروا وابتعدوا عن: ﴿كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ لأن أكثره حدس مبني على غير اليقين، وكل إنسان قد يظن بغيره على ما في نفسه عليه أو مما هو يتعاطاه؛ فلذلك ينبغي للإنسان أن يكون حذرًا من الظنون الفاسدة، عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: من أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وسريته إلى الله، ومن لم يظهر لنا خيرًا لم نؤمنه ولم نقر به وإن قال بأن سريته حسنة، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: ﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ﴾، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ نهي عن التجسس، وهذه الخصلة صارت لها وظيفة وصار لها أتباع، ولا يُمنع أن الإمام يجعل من يترصد أهل الباطل، أهل التكفير والتفجير، ويعلم من أحوالهم ما يؤدي إلى كبح ضررهم هذا قد يتعين، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** كان يُرسل العيون في شأن حروبه ونحو ذلك، لكن المذموم: هو التجسس على المسلمين عمومًا مع أن ظاهرهم السلامة، وربما وكلوا جواسيس يتجسسون على مساجد أهل السنة والجماعة ويكون الجاسوس إما اشتراكي، وإما رافضي، وإما علماني، وإما مبتدع ضال ممن يبغض هذه الطائفة وإذا به يرفع التقارير الكاذبة المزورة، وهؤلاء عندهم وعندهم وذاك مسكين يُصدق يرفع له الرتبة ويزيد له المعاش وما يدري أن صاحبه كاذب، وإلا كان شيخنا مقبل يقول: لو كان الجواسيس يرفعون كل ما يسمعون يعني: صدق بدون زيادة ولا نقصان؛ لكانوا دعاة إلى الله، يرفع تقرير إلى مديره:

اليوم تكلم الشيخ عن التوحيد، وذكر أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واليوم أعطى محاضرة في الصلاة فلو أنكم تأخذون بمثل هذه المحاضرات وتلزمون الناس بطاعة الله أمر طيب، واليوم أمر بالحجاب ودعا إلى الحجاب، الأمور طيبة يكون داعي إلى الله، لكن المشكلة جاسوس كذاب، مرة واحد رفع تقرير على مسجد الصحابة قال: عندنا أبو هريرة الصنعاني، ونحن لا عندنا أبو هريرة الصنعاني ولا صعفاني ولا قد علمنا بهذا الاسم، وجاء واحد يبحث عن سيارة كورلا يريد أن يشتري سيارة كورلا، ما عندنا كورلا، ولا عندنا تكفير، ولا عندنا تفجير، ولا عندنا شيء، ظاهرنا وباطننا في مسألة الدعوة ومسألة التعامل مع الغير سواء بفضل الله **عَزَّجَلَّ**، ما عندنا نفاق ولا تلون، ونتعبد لله **عَزَّجَلَّ** بعدم ذلك؛ لكن بعضهم جواسيس يكذبون كما يتنفسون؛ ولذلك شوهوا الدعوة، تجسسوا على شيخ الإسلام وشوهوه حتى مرة استدعاه الأمير وقال له: أحق ما بلغني عنك؟ قال: وما بلغك، قال: أنك تريد ملك القازان؟ قال: والله ملك القازان ما يساوي عندي درهمين، هو في خير وفي عزة وفي طاعة لكن دائماً يحاولون التشويه، وشوا بأبي إسماعيل الهروي، ذهبوا إلى عنده زاروه في المسجد وسلموا عليه كيف حالك يا أبا إسماعيل؟ قال: الحمد لله، ووضعوا له صنم صغير تحت السجادة، ثم ذهبوا إلى الأمير وقالوا: يا أمير أبو إسماعيل يعبد صنم قال: لا تكذبوا على الرجل الرجل معروف أنه من أئمة الدين، قالوا: والصنم في محرابه يصلي لصنم، قام أرسل إليه من يحضره جاءوا وأخذوه من مسجده وأخرجوا معه ذلك الصنم، فلما جاءوا به إلى الأمير قال له الأمير: ما هذا يا أبا إسماعيل؟ قال: له صنم من حجر، قال: يذكرون أنك تعبد، قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

**الشاهد يا إخوة:** التجسس حالة سيئة؛ ولذلك قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا**

**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»**، وابن مسعود يقول: نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَإِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ عَمَلْنَا

به، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ: لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، فَيَفْضَحْهُ وَكَوَّ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»، والله نحن نزلنا هذا المسجد كغيرنا من دعاة أهل السنة لا قصد لنا إلا أن نعلم القرآن والسنة، وإذا بذلك يرفع تقرير: على أننا ضد عمان، وهذا يرفع تقرير على أننا ضد التحالف، وذاك يرفع تقرير على أننا جئنا نغير الديمقراطية حق المهرة، وهذا يقول وهذا يقول ونحن ما نحن حول هذا كله، نحن حول أن ندل الناس على التوحيد والسنة، لا ندعو إلى أموالهم، ولا ندعو إلى انتخابات، ولا ندعو إلى ديمقراطيات، ولا نريد أن نكون مسؤولين، ولا وزراء ولا أمراء، وليطمئن الجميع من دعوة أهل السنة والجماعة ما هي حول الفتن أبداً، قد نبغض بعض الحكام لما هم عليه من البلاء؛ ولما عندهم من الشر، نبغض أهل البدع، نبغض المعاصي لكن أن نفتي بتكفير أو تفجير أو نرضى بالباطل هذا ليس من ديننا ولا من عقيدتنا أبداً، كم أنكرنا الثورات مع أننا كنا نبغض زين العابدين بن علي وأنكرنا الثورة التي حصلت في بلده، ونبغض القذافي وأنكرنا الثورة لما تجر إليه من الشر، ونبغض حسني مبارك ومع ذلك أنكرنا الثورة، وبالنسبة لي أنا أخرجت مقاطع صوتية تحذر المصريين من الاغترار بالقرضاوي في فتواه وفي قتل العساكر، وهكذا كنا نبغض من علي عبد الله صالح الديمقراطية، ونبغض من شأنه معصية الله **عَزَّ وَجَلَّ** مع ذلك أنكرنا الخروج، أنكرنا التكفير والتفجير، لله ما معنا منهم شيء، نقول هذا؛ لأن كثير من الجواسيس الذين يُرسلون على المراكز العلمية يزورون في تقاريرهم، فالجاسوس يحتاج إلى جاسوس عليه إذا كانوا يعقلون يرسلون جاسوس ويرسلون جاسوس آخر يتجسس عليه هل يرفع التقارير بالصواب أو أنه كذاب؛ لأن أغلب الجواسيس عندهم الكذب والبهت والنميمة والغيبة، وقد تكلمت على فساد طريقهم في كتابي: حكم التجسس على المسلمين، وذكرت جميع

المسائل والكبائر التي يقع فيها الجواسيس، نسأل الله السلامة والعافية.  
ما أخرجنا من دماج إلا الجواسيس بعد مكر الكفار، هم الذين كانوا يرفعون التقارير، كان عندنا واحد سويدي يعني: بليغ في اللغة العربية، حتى ظننا أن هذا سيكون من المجددين في أوروبا، وفي الأخير كان يأخذ بعض طلاب الأعاجم مساكين يقول لهم: ما رأيكم نعلمكم كيف تمسكوا السلاح، يعني: هم على نياتهم، وهو يطلع إلى الجبل ومعه من تلك الكاميرات الخفية التي في مثل الخاتم وغيرها ويقول: ونحن اليوم في عملية تدريبية ويرفع التقارير، والناس مساكين على وجوههم، والآخر جاء والناس يتمترسون من أجل الرفضة يدافعون عن أنفسهم من حرب الحوثي ويرفع تقرير: على أن عندهم عمليات وعمليات، والجزيرة تبث، وقناة المسيرة تبث، وصورونا على أننا أهل إرهاب، وأهل إجرام، وأنا لا ندري ماذا خلفنا؟ والله ما خلفنا شيء إلا أننا ندعو إلى الإسلام الحق، وأمريكا وإسرائيل وشلتهم يعلمون أننا ندعو إلى الإسلام الحق لكن أصحابنا المساكين هؤلاء الذين تلتبس عليهم المسائل، وتمالؤوا علينا جميعاً المجتمع الدولي وأخرجونا من دماج بسبب هذه التقارير الفاسدة حتى قال لي بعضهم: والله لو نعلم أن الشيخ يحيى هكذا ما خرج من دماج؛ لأنهم كانوا يظنون الرجل مدري ماذا تحته؟ ما هم داريين أنه رجل مسكين مشغول كيف يُصلي؟ وكيف يصوم؟ وكيف يقرأ القرآن وكيف يُعلم لا غير، فنسأل الله أن يكفيننا فتنة الجواسيس وفتنة كل شر، نسأل الله أن يخبت كل شرير، وأن يكفيننا شرهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ والغيبة: ذكر أخاك بما يكره في غيبته، قالوا: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ لَهُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»، ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؟ هذا لا يكون، بل لا يستطيع أن يأكل لحم أخيه وهو حي، الآن لو أقطع للواحد من يدي

يأكل ما سياًكل وهي لحمة طرية ما قد أنتنت، فكيف تصور يأكل لحم متن لحم ميت، فالمغتاب حاله كحال هذا، ويُعذب في قبره يחדش وجهه بأظفار من حديد، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ إلا من تاب وأناب ورجع، وتكون التوبة من الغيبة بالاستغفار للأخ وذكره بخير مما ذكر فيه من قبل، ولا يستعفي منه إلا إذا كان قد بلغته الغيبة، أما إذا كان لم تبلغه لا يذهب يقول له: يا أخي أنا اغتبتك فربما أدى إلى ضيق صدره، لكن يقول: عفا الله عن أخي، أو يقول لإخوانه الذين اغتابه عندهم: كنت أقول فيه كذا وكذا وظهر لي غير ذلك، أو يرسل إليه برسالة عامة أطلب منك العفو والمسامحة، أمور نحتاجها جميعاً.

### الآية الستون بعد المائة (٥):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ يُخبر الله عزوجل: ألا مفاضلة بين الناس من شأن ما يتعلق بأنسابهم، وما يتعلق كذلك بنوعهم هذا من الناحية الدينية؛ لأن الله عزوجل يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، فهذه أمور يشترك فيها الناس جميعاً، لكن الفضل بين الناس في التقوى، سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ»، وإلا فجملة الذكور أفضل من جملة الإناث هذا في الجملة، لكن من آحاد الإناث من هي أفضل من ملايين الذكور، كما قال بعضهم:

ولو كُنَّ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ❀❀ لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرَّجَالِ

وَمَا التَّائِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ❀❀❀ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

فَعِنْدَكَ عَائِشَةُ بِمَلَائِينَ، فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ بِمَلَائِينَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِمِلياراتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَكَذَا جِنْسُ الْعَرَبِ فِي الْجُمْلَةِ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الْعَجْمِ، لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَحَادِ الْعَرَبِ أَفْضَلُ مِنْ أَحَادِ الْعَجْمِ، فَمَنْ الْعَجْمُ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ مَلَائِينَ الْعَرَبِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْعَرَبِيُّ مُشْرِكًا مُنَدِّدًا، فَمَنْ الْعَجْمُ عُلَمَاءٌ، وَأُمَّةٌ، وَأَتْقِيَاءٌ مِمَّنْ نَصَرَ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ الشُّعُوبُ فِي الْعَجْمِ، ﴿وَقَبَائِلَ﴾ الْقَبَائِلُ فِي الْعَرَبِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ يَعْرِفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيَقَعُ التَّزَاوُرُ وَالتَّنَاقُحُ وَالْإِعَانَاتُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الْكِرَامَةُ بِالتَّقْوَى، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ، ﴿حَيْرٌ﴾ بِجَمِيعِ شَأْنِكُمْ.



## سورة الرحمن

وهي سورة مكية، وقيل: مدنية، وعدد آياتها: (٧٨)

الآية الواحدة والستون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٥].

## الشرح:

هذه الآية استدلت بها أصحاب الهيئة الجديد: على ما يتعلق بصعود القمر، وأن السلطان هنا: هو العلم، والذي عليه أهل التفسير: أن هذه الآية تحد من الله عزوجل للكافرين يوم القيامة: إن استطاعوا أن يفروا من عذاب الله.

فيقول تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ﴾ المعشر: الجماعة، ﴿الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ هم المكلفون، ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فراراً من الله عزوجل ومن عذابه ومقته وغضبه، ﴿فَانْفُذُوا﴾ اهربوا وفروا، ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ إلا بحجة وقوة وذلك ممتنع.

﴿فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ بأي نعم الله يقع التكذيب.  
﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ يوم القيامة، ﴿شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ أجزاء من النار ومن النحاس الحار فلا يقع النصر ولا السلامة.



## سورة الحديد

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (٢٩)

الآية الثانية والستون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحذور، ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبعوه: ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ يعطيكم، ﴿كِفْلَيْنِ﴾ حظين: ﴿مِن رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط يوم القيامة، وهكذا نور معنوي في الدنيا، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ويكفر عنكم سيئاتكم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ متجاوز، ﴿رَحِيمٌ﴾ بعباده.



## سورة المجادلة

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٢٢)

الآية الثالثة والستون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المجادلة: ٩].

## الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ أي: تحدثتم فيما بينكم، ﴿فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بما هو خلاف الشرع، وما هو من الغيبة والنميمة والبغي، ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ التمالؤ على معصية الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ﴾ وهو ملازمة الإحسان، ﴿وَالْتَّقْوَىٰ﴾ البُعد عن المعاصي والإجرام، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ يوم القيامة فتجازون على أعمالكم.

الآية الرابعة والستون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

## الشرح:

يقول الله عزوجل مخاطبًا للمؤمنين وحثًا لهم على جميل الآداب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ حتى يدخل أحدهم بينكم، ﴿فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا﴾ بحيث يُزاحم بعضهم بعضًا قليلًا حتى لا يبقى أحدهم خارج المجلس أو في وسط المجلس إلا لحاجة، ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما شاء في دنياكم وأخراكم، ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾

يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ وهذه من أعظم الآيات التي تدل على فضيلة العلم، وأنه من أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذه الآية لشمر من أراد الله عَزَّوَجَلَّ والدار الآخرة، وهم داخلون في قوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿٢﴾ ثم خصهم بالذكر؛ لبيان علو منزلتهم على غيرهم: ﴿دَرَجَاتٍ﴾ ﴿٣﴾ في الدنيا هو المقدم للصلاة، والمقدم في الخطبة، وهكذا عند الموت هو المقدم في قبره، كما في حديث جابر: «أَيُّهَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»، فيقدمونه في اللحد، وهكذا في الآخرة: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْرِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤﴾﴾ أي: مطلع.

### الآية الخامسة والستون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾ [المجادلة: ١٦].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ هذه الآية منسوخة نسخها الله عَزَّوَجَلَّ، وكان مبدأ الأمر: أن من أراد أن يتكلم بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقدم صدقة للمساكين والمحتاجين، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ عند ربكم وأرفع لدرجاتكم، ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ ما تتصدقون به، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عَفُورٌ﴾ متجاوز، ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ موفق للخير.



## سورة الحشر

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (٢٤)

وتسمى بسورة بني النضير؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أجلاهم فيها؛ حيث أرادوا قتله، ذهب إليهم ليعاونوه في الدية، فراق بعضهم على حصن وأراد أن يلتقى على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** صخرة كبيرة، فأعلمه جبريل بما عزموا عليه، فقام النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** راجعاً إلى المدينة ثم أجلاهم فجعلوا يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

الآية السادسة والستون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١﴾﴾ [الحشر: ٢].

## الشرح:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم يهود بني النضير، ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ حيث ذهبوا إلى الشام، ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لقوتهم ومناعتهم وكثرتهم، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ حتى لا تستطيعون الوصول إليهم، لكن الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لكن الله **عَزَّوَجَلَّ** قذف في قلوبهم الرعب، ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: من أنفسهم، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الخوف والجبن والهلع، فصالحوا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على أن يخرجوا بما حملته إبلهم، فكانوا يحملونها ما يخربون به البيوت، ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ قُطعت النخل حتى قيل:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ❀❀ حَرِيقُ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ

فَقَطَعَ بَعْضُهُ وَحُرِقَ بَعْدَهُ وَتَرَكَ بَعْضُهُ، قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخَرِي الْفَلْسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر: ٥]، ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ اتعظوا، ﴿يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ ﴿٥﴾﴾ القلوب المبصرة لا العيون، فكم من مبصر بالعين أعمى بالقلب، فهذا الذي يُريده الله **عَزَّجَلَّ** أن نتفكر بقلوبنا وأن نتعظ، انظر كيف كانوا قبيلة قوية يهاجم من حولهم، فلما عصوا الله وعصوا رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خرجوا أذلة حقراء فهذه هي المصيبة، انظروا إلى ما يقع الآن بالأمة في فلسطين سواء ما كان في غزة أو في غيرها، يضر بهم اليهود بأقوى وأشد الأسلحة وهم في ضعف وقلة منعة، ولو تأملنا السبب في ذلك لوجدناه ضعف الاستقامة، ضعف الانقياد، ضعف التوحيد، الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿إِنْ تَضَرُّوا اللَّهَ يَضُرُّكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، وكثير من الشعب العربي عموماً والشعب الفلسطيني خصوصاً إلا ما رحم ربي عندهم تعلق بالقبور، عندهم تعلق بالسحر، عندهم سفور، عندهم الأغاني، بل في كثير من البلاد الإسلامية الخمر، ويقول لك: يريد نصر، أنى يأتي النصر، اليهود مشركون وكثير من هؤلاء عندهم شرك، اليهود عندهم تبرج وكثير من المسلمين عندهم تبرج، اليهود عندهم الأغاني وكثير من المسلمين عندهم الأغاني، اليهود عندهم الخمر وكثير من المسلمين عندهم الخمر، اليهود عندهم الديمقراطية وكثير من المسلمين عندهم الديمقراطية، اليهود عندهم الاختلاط وكثير من المسلمين عندهم الاختلاط، اليهود أكلة الربا وكثير من المسلمين يأكلون الربا والبنوك في كل بلد، إذًا: ما بقي إلا أن اليهود في السلاح أقوى من هؤلاء، فالنصر في مثل هذا بقوة السلاح، لكن لو تمسك المسلمون بدينهم حقاً وصدقاً، ظاهرًا باطنًا عند ذلك: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

**الصَّابِرِينَ ﴿١٦٥﴾** [البقرة: ٢٤٩]، ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، بالنصر والتمكين والعز والرفعة.

انظر مثلاً الآن: هذه حركة حماس متمالئة مع الرفضة مع إيران سبابة أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، وإيران عندها عقود وعهود ومواثيق بينها وبين اليهود، هذا أمر معلوم ما فضيحة قرية النقيب التي نزلت فيها الطائفة من إسرائيل تنقل سلاح بين إسرائيل وإيران في أيام الحرب العراقية الإيرانية بعيدة، فعندهم معاهدات، ولا يُستبعد أن ما يحصل الآن من أجل إظهار إيران في قضية ما يُسمى بالاتفاقيات النووية على أنها قوة ضاربة ومدت غزة بالصواريخ، ومدت كذا وكذا أين الصواريخ التي تبلغ الآفاق، مدت الحوثيين في اليمن بصواريخ بلغت الرياض، بلغت حفر الباطن، قربت من دبي، أين هذه الصواريخ ما تعطيتها يوصلوها إلى تل أبيب، وعندهم نصر الله في لبنان لماذا ما يحرك قواته ويقول: سأساعد الحوثيين في اليمن، وعندهم كذلك فيلق القدس في سوريا لماذا ما يُحارب، لكنهم يكذبون، وكذلك بقية المسلمين عندهم ضعف استقامة، عندهم ضعف انقياد، عندهم ضعف متابعة لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** فتتابعت عليهم الأمم: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْتُ».

فنحن ندعو المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة إلى توبة نصوح، سب الله في فلسطين يعني: من أسهل الأمور إلا من رحم الله، والله بعضهم سب الله في الحرم، دخل يعتمر وجلس مع بعض الإخوة وإذا به يسب الله، سب الله منتشر عندهم؛ لأن الشوعية كانت عندهم، عندهم قبر الخليل يُعبد من دون الله، عندهم الفرقة والحزبية، عندهم السفور يعني: لا تكاد تفرق بين كثير من اليهوديات وكثير ممن هو من أبناء المسلمين في تلك البلاد من السفور والتبرج والأغاني.

ثم أيضًا ما الذي جاء بحركة حماس، وضعت حركة حماس في الأصل؛ لتفريق الصف الفلسطيني لما كانوا تحت ياسر عرفات، بما يُسمى بحركة فتح، فقاموا وأنشأوا حركة حماس، مثلما أنشأوا عندنا الحوثي أنشأوا حركة حماس في فلسطين، وحزب الله في لبنان، وهكذا في العراق الشيعة، فالمسألة متداخلة مترابطة، فانتصار الدولة الفلسطينية يكون بالعودة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وبترك هذه اللعبة السياسية وهذه الالتفاتات إلى إيران وإلى اليهود وإلى النصارى وإلى غير ذلك من البلاء العريض، ومع ذلك نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرفع البلاء والمحنة عن إخواننا في فلسطين، والله إن القلوب لتقطع لما ترى من بطش اليهود بالمسلمين في تلك البلاد، يلقون عليهم أطنان من الصواريخ وأطنان متفجرات وهم في ضعف، والله المستعان.

نسأل الله أن يُعاجل اليهود بما يزحزحهم عن بلدان المسلمين، وهنا تنبيه أيضًا: ليست عداوتنا مع اليهود من أجل الأرض فقط، نعم هم غصبوا الأرض لكن ينبغي أن تكون العداوة لهم؛ لأنهم أعداء الله وأعداء رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، أما إذا أعطاك الأرض خلاص صار حبيبك، وإذا أخذ الأرض صار بغضك؛ لا، اليهودي عدونا، والنصراني عدونا، أخذوا أراضينا أم أعطونا أراضيهم هم أعداؤنا في جميع الحالات واللحظات، فعلى المسلمين أن يصححوا العقائد.

### الآية السابعة والستون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر: ١٨].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** لعباده المؤمنين: أن يتقوا الله بفعل المأمور وترك المحذور، وأن يستدعوا لآخرتهم: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

**لِعَدِّ** ﴿ من الأعمال الصالحة أو السيئة، فإن كانت من أصحاب الأعمال الصالحة يُرجى لها الخير، وإن كانت من أصحاب الأعمال السيئة يُخاف عليها الشر والضرير، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ مطلع على جميع أفعالكم وأقوالكم. وهذه الآية ربما جاء بها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في خطبة الحاجة كما في حديث جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ وذلك لأهميتها.

وسبحان الله كم هي الآيات التي فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا﴾؛ لأن تقوى الله هي مفتاح لكل خير، وترك ذلك هو سبب لكل شر وضرير، فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في جميع أحوالكم ينصركم الله، ويعزكم الله، ويمكنكم الله، ويرزقكم الله، ويحفظكم الله، ويسدّدكم الله، ويدافع عنكم الله.



## سورة الممتحنة

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٣)

وكان نزولها بعد الحديدية.

الآية الثامنة والستون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّيَ أَوْلِيَاءَ تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقَعْ لَهُ مِنْكُمْ فَذَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١].

## الشرح:

هذه الآية نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث كتب لأهل مكة يُخبرهم بمسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إليهم، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يريد أن يأتيهم على غرة، فإنه كان إذا خرج لغزوة ورى بغيرها، فأوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى نبيه بهذا الشأن، فأرسل علي بن أبي طالب والزيبر بن العوام، ووجدوا امرأة عند روضة خاف، فأمرها أن تُعطي الكتاب فأنكرت فقال لها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لتخرجن الكتاب أو لتخلعن الثياب، فعند ذلك أخرجت الكتاب من بين قرنيها وإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش وفيها خبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد سأله فقال: والله يا رسول الله ما بي نفاق، وإنما ما منكم من أحد إلا وله قرابة من قريش إلا أنا كنت امرًا لصيقًا بهم فأردت أن تكون لي بهذا عندهم يد، يعني: كان يخشى أن يتتصر

الكفار على المسلمين .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء من الله **عَزَّجَلَّ** للمؤمنين، ﴿لَا تَخْذُوا عِدْوِي﴾ الكافر، ﴿وَعَدُوكُمْ﴾ الذي يترصد بكم الدوائر، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تنصرونهم وتحبونهم وتودونهم، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تلقون إليهم الحب والرضا وهذا لا ينبغي ولا يجوز، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو القرآن ومبعث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ومن صنيعهم أيضًا: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاهُ﴾ من مكة، والسبب في إخراجهم لكم: ﴿أَن تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، فكيف تفعلون ذلك: ﴿إِن كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جَهْدًا فِي سَبِيلِي﴾ لإعلاء كلمة الله، ﴿وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ طلب رضوان الله، ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تكتبون إليهم سرًا بما يؤدي إلى مودتهم والقرب منهم، ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ في نفوسكم وصدوركم، ﴿وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَفَدَّ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ هذه الآية يستدل بها الخوارج على تكفير الحكومات، والآية فيها رد عليهم فإن الله **عَزَّجَلَّ** نادى حاطبًا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** باسم الإيمان مع ما قد وقع منه من هذه المكاتبة، فنهاه الله **عَزَّجَلَّ** عن ذلك .

استدل ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** بقصة رسالة حاطب إلى جواز قتل الجاسوس على المسلمين، سواء كان كافرًا أو كان مسلمًا إلا أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ترك قتل حاطب؛ لما تقدم وإلا فقد أقر عمر على قوله: دعني أضرب عنق هذا المنافق.

## الآية التاسعة والستون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ  
بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ  
لَهُنَّ وَءَاثُوهنَّ مَآ أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ  
الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ جُنَاحٌ ۗ اللَّهُ يَخْتِمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ  
[الممتحنة: ١٠].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ نزلت في ابنة سهيل بن عمرو  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومن معها، ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ اختبروهن هل سبب الهجرة محبة الدين أم أنه  
طلب الزوج وغير ذلك مما تفعله النساء، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ مطلع على ما في  
قلوبهن من الإيمان ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ عرفتموهن: ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي: بعد الاختبار  
علمتم الصدق فيهن وعدم الكذب، ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ وهذا مستثنى من ذلك  
الصُّلْح: أن من جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من قريش يرده إليهم، ومن جاء منه  
إلى قريش لا يردونه إليه، استثنى الله عَزَّجَلَّ النساء؛ لضعفهن وسرعة الافتتان منهن:  
﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ والسبب في ذلك: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا  
هُم يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ أي: الأزواج الكفار لا يحلون للمؤمنات، ولا المؤمنات يحلن لهم،  
﴿وَءَاثُوهنَّ مَآ أَنفَقُوا﴾ من المهور يعني: إذا جاء يُطالب بها قل له: هذا مهرك وهذا مالك  
وليس لك عليها سبيل، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: بعد الاستبراء، وتستبرئ  
بحيضة إلا إذا أسلم زوجها قبل نكاحها فإنها ترجع إليه كما أسلم العاصم بن الربيع  
بعد أربع سنوات ورجعت إليه زينب، ولم يُذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أتى بعقد  
جديد أو مهر جديد، وأما إذا استبرأت بحيضة ولم يكن قد أسلم ولحقها وأحبت أن

تتزوج فلا جناح عليها عند ذلك أن تتزوج، ﴿إِذَاءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، لم يكن نكاح متعة، ﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ لما ذكر الله عزوجل شأن المؤمنات وأنها لا تحل للكافر بحال حذر كذلك المؤمنين من البقاء مع الكافرات: ﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ أي: تجعلوهن في نكاحكم بل فارقوهن حالاً، ويستثنى من هذا الكتابية اليهودية والنصرانية، ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أي: من المهور والأموال إذا رجعن إلى قريش، ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا﴾ إذا أتين النساء إليكم، ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما هو من مصالح العباد ومن جميع الشؤون، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تقديره وفي خلقه وفعله.

وهذه الآية كان فيها فرج بعد شدة إذ أن المرأة إذا جاءت إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مهاجرة من مكة إلى المدينة ثم يقوم بردها يعني: ربما فيها ثقل كبير على المرأة، وربما فُتنت وربما زوجها من غير كُفء لها في الإسلام، والله المستعان.

وفي هذه الآية رد على حزب التحرير والترابي ومن إليهم الذين جوزوا زواج المسلمة من الكافر اليهودي أو النصراني مخالفين لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ما لم يقع منهم الإسلام، وانظر إلى أم سليم تقول: يا أبا طلحة إني مسلمة وأنت كافر، فإذا أردت الزواج بي فأسلم يكن ذلك مهري منك؛ لأنه قد علم أن المسلمة لا يجوز بحال أن تكون تحت كافر: ﴿وَالْأَمَةُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ وَلَا تَكُونُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَعَبَدُوا مُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ﴾ [البقرة: ٢٢١]، انظروا كيف يجوزون للمسلمة نكاح الكتابي الكافر، ثم يُكيلون التهم على أهل السنة والجماعة: أنهم هم الذين ضيعوا فلسطين وأنهم هم الذين فعلوا وفعلوا؛ لا والله ما أضاع فلسطين إلا

هؤلاء الذين يقربون من اليهود والنصارى، أما أهل السنة لو كان الأمر إليهم ولديهم القدرة والاستطاعة ما تخلفوا عن إعلاء كلمة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ثم أيضًا هذه القتالات التي تقع مع أننا نتألم على المسلمين في فلسطين، ونتحسر لما نرى مما يقع عليهم كثير منها غير منضبطة، الجهاد ينبغي أن يعلنه الإمام ويقوم عليه الإمام سواء جهاد الدفع أو جهاد الطلب، وينظر الإنسان للمصلحة الشرعية في دفع البغاة أو في الصبر عليه.

ثم أيضًا قد تمزق المسلمون إلى دويلات وقذف الله **عَزَّوَجَلَّ** في قلوبهم خوف الكفار وإلا لو قام المسلمون قومة واحدة أكيد يستطيعون عمل شيء بل أشياء، لكن بسبب التمزق الذي هم عليه عجزوا ورضوا بالتنديد، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يعين البلاد والعباد على طاعته.

وفي نفس الوقت الحُكَّام قد ضعفوا بسبب هؤلاء المبتدعة بسبب الحزبيين؛ لأن الحزبية جاءت من قبل الديمقراطية والماسونية وقوموهم على الحُكَّام فأضعفهم، يعني: ربما أنت تذهب تحارب إسرائيل كما يقولون، وهذا يقوم عليك بانقلاب داخل البلاد يقوم عليك بثورة، فأضعفوا حُكَّامهم بسبب مكرهم وبغيهم، فتداخلت القضية وأصبح الناس في حيص بيص إلا أن الأمل في الله عظيم أن ينصر دينه ويُعلي كلمته، واليهود بغيهم يعود عليهم: ﴿فَلَمَّا أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣]، ثم كثير من الناس يظن أنه ينصر فلسطين بالمظاهرات، المظاهرات ما تنصر فلسطين، ولا تنصر الحق، المظاهرات أصلها باطل فكيف تنصر بل تتخذل وإنما هي تخدير للشعوب، يعني: إذا أرادوا أن يخدروا الشعب عمل مظاهرة يخرج إلى الشوارع يصيح يخرج ما في نفسه وظن أنه انتصر لا سيما عندنا في اليمن يرجع يخزن وينظر في التلفزيون وهو يُظاھر: الموت لأمریکا الموت لإسرائيل وما فعل في إسرائيل شيء ولا فعل في أمريكا شيء،

بل ربما هذه الأيام يأخذ هؤلاء الذين خرجوا للمظاهرة للقدس إلى مأرب يُحاربون معهم، فوالله أن الرافضة ما هم حول القدس لكن لمن تقول؟ ما هم حول القدس لا فيلق القدس، ولا حزب الله، ولا إيران ولا أحد من هؤلاء، إنما هو المكر والكيد، وأما القدس لن يحررها إلا أهل السنة في الزمن الماضي: عمر بن الخطاب، ثم صلاح الدين الأيوبي، ثم سيأتي أهل السنة ويحررونها أيضًا، أما هؤلاء إنما يهزمون الولدان، المبتدعة لا يأتي منهم خير للمسلمين أبدًا.

### الآية السبعون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

[الممتحنة: ١٢].

### الشرح:

هذه تُسمى ببيعة النساء، والنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** لم يُصافح امرأة قط إنما كان يُجيبهن بالكلام، وقد بايع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** الرجال أيضًا على هذه البيعة.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ مسلمات منقادات، ﴿يَبَايَعْنَكَ﴾ يُعاهدنك، ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ لا في الربوبية، ولا في الألوهية، ولا في الأسماء والصفات بل يلزم التوحيد والسنة؛ لأن الشرك ظلم عظيم وذنوب جسيم يؤدي إلى الخلود في النار، ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أموال الغير المحرزة، ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ بفروجهن متعاطيات للحرام، ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ سواء الواد: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]، أو غير ذلك مما يفعلنه، ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ سواء من الزنا أو غير ذلك، ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ الطاعة فيما استطعن وأطقن، ﴿فَبَايَعْنَهُنَّ﴾

يعني: عاقدهن على ذلك، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ مما يقع من التقصير؛ لأن النساء ضعيفات، وكان مما بايعهن عليه: ألا ينحن على الأموات، وهذا قد خالفه الكثير منهن، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ يستر ويعفو.

الآية الواحدة والسبعون بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿بَيَّأَتْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الممتحنة: ١٣].

### الشرح:

في هذه الآية النهي عن تولي الكفار، ففي أول السورة النهي عن توليهم، وفي آخر السورة النهي عن ذلك: ﴿بَيَّأَتْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا﴾ الكفار، وشأنهم أنهم: ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بسبب كفرهم وبيعهم، ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ لا يؤمنون بآخرة ولا بعث ولا نشور، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ﴿١٣﴾ كما يئس الكفار من خروج أصحاب القبور الذين قد صاروا ترابًا ورميمًا، فعلى المسلم أن يكون بعيدًا عن كل هذه الأخلاق السيئة المردية والله المستعان.



## سورة الصف

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٤)

سُميت بالصف؛ لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا** **كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ [الصف: ٤].  
الآية الثانية والسبعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ **كَبُرَ مَقْتًا** **عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢-٣].

## الشرح:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾، هذا نداء من الله **عَزَّوَجَلَّ** للمؤمنين يحذرهم أن يقولوا أقوالاً بألسنتهم يخالفونها بأفعالهم، وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ** ذاماً لليهود: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ٤٤]، فالأحرى: أن الإنسان يبدأ بنفسه:

**إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَاجَ عَنْ عِيَّهَا** ❀❀❀ **فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ**  
فعند ذلك حتى الناس يستفيدون منك، أما إذا رأى الناس أنك في بُعد عن الاستقامة وإن كنت تدعو إليها بلسانك قل أن يستجيبوا لك إذ لسان حالهم يقول: لو كان خيراً لسبقنا إليه.

ومما يذكره اليمينون في مجالسهم: أن رجلاً كان يقول: يا أيها الناس تصدقوا، يا أيها الناس افعلوا، فذهب ولده وأخرج العشاء للمسكين، فلما رجع ولم يجد العشاء قال: أين العشاء؟ قال: أخرجته للمسكين وأنت تقول: يا أيها الناس تصدقوا قال: أنا أقول يا أيها الناس ما أقول يا أيها نحن، الشاهد: أن الإنسان يبدأ بنفسه ما استطاع إلى

ذلك سبيلاً، فإن كان مقصراً لا يمنع أن ينصح غيره، قال ابن النَّحَّاس: لا يمنع متعاطي الكؤوس أن ينصح بعضهم بعضاً.

انظر كيف يقول تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ بغضاً: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ يمقت الله عزَّوجلَّ هذا الصنف ويبغضه، وربما بغضه إلى عبادته.  
الآية الثالثة والسبعون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيعُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ تَوَمُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

[الصف: ١٠-١١].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقول الله عزَّوجلَّ مخاطباً للمؤمنين: ﴿هَلْ أَذْكَرُ﴾ أرشدكم، ﴿عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾ إلى تجارة، فعلى وإلى تأتي بمعنى واحد كثيراً، ﴿تُجِيعُكُمْ﴾ تسلمكم: ﴿مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿١١﴾ موجه في الدنيا والآخرة.

﴿تَوَمُّونَ بِاللَّهِ﴾ رباً، ﴿وَرَسُولِهِ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نبياً، فتخلصون العمل لله وتخلصون المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من أجل إعلاء كلمته وإظهار دينه: ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ قدم الجهاد بالمال؛ لأن الجهاد بالنفس لا يكون إلا مع المال، ربما إذا أراد أن ينتقل من مدينة إلى مدينة ما يستطيع إلا بمال، وإذا أراد السلاح لا يستطيع إلا بمال فالمال شأنه عظيم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ وأكمل أنواع الجهاد: أن يُجاهد الإنسان بنفسه وماله، ثم أن يُجاهد بنفسه، ثم أن يجاهد بماله، وقد يتقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في حال القلة والحاجة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿١١﴾

ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٢].

الآية الرابعة والسبعون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَامْتَنَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤].

### الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ يأمر الله عزوجل المؤمنين أن ينصروا دينه وينصروا رسوله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، وكلمة: أنصار الله، وحزب الله ينبغي أن لا تكون دعاية إعلامية وكلمة ظاهرية والباطن سيء، فأنصار الله: هم الذين ينصرون دين الله، وهذا الخطاب للمؤمنين وقد دخلوا فيه ابتداءً وقاتلوا مع رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** وناصروه وعزروه ووقروه، ثم يأتي أناس في آخر الزمان يُسمون بأنصار الله ويطعنون في هؤلاء، يطعنون في صحابة رسول الله **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، وربما دعوا إلى الشرك والتنديد، وقتلوا المسلمين، وفعلوا الأفاعيل المشينة ويُسمون أنفسهم: أنصار الله وهم أنصار الشيطان، وأنصار الشر، وأنصار الفتنة والبلاء:

وَالدَّعَاوِي إِنْ لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا ❀❀ بَيْنَاتٍ أَصْحَابُهَا أَدْعِيَاءُ  
فاليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه  
ومع ذلك لم تنفعهم هذه الدعوى، بل هم أعداء الله ويبغضهم الله ويعذبهم الله، وقال  
عنهم: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٦٨]، ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ الذين آمنوا

به واتبعوه وناصروه، الحواري: الناصر، ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من ينصروني في تبليغ دين الله والعمل به والدعوة إليه، ﴿قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ظاهرًا باطنًا، ﴿فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ وهم اليهود، ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ عالين منتصرين، وفعلاً أن النصاري قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علوا على اليهود وكانوا هم أهل الظهور حتى كان اليهود في حالة استضعاف، بل إن هرقل حين رأى نجم الختان قد ظهر أمر بقتل اليهود، كان يظن أن هذا النبي سيكون منهم، فبينما رجل من العرب في الشام قضى حاجةً فراه بعضهم أنه مختون فأخبر هرقل بذلك فسأله: هل تختنون؟ قال: نعم، فعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سيكون من العرب؛ لأن الختان هو شعيرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم، قيل: موضع اسمه القدوم، والصحيح: أنه بالقدوم المعروفة هذه التي يُضرب بها الخشب، لم يكن لديه آلة وأراد أن يُطبق هذه الشعيرة وهذه الفطرة فاختتن، أما النصاري إلى الآن لا يختنون حالهم سيء في باب النجاسات لا يتورعون أن يُجامعوا المرأة في حال حيضها، وكذلك لا يستنجون من بولهم ولا من غائطهم، واليهود إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت لا يؤاكلوها ولا يُجالسوها ويعتبرونها نجسة، والإسلام جاء بأعدل الأمور في هذا الباب وفي غيره فالمرأة تُجالس وتؤاكل وربما كانت مع زوجها على الفراش إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ حرم عليه غشيانها في حال حيضها.

**فالشاهد:** أن الله عَزَّوَجَلَّ ينادي المؤمنين أن يكونوا أنصارًا له مع أنه غني عن العالمين؛ لكن الحال: ﴿إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧﴾ [محمد: ٧]، «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحِمْهُ مُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ أعنا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الكافر، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ عالين

كما تقدم، فإذا أراد المسلمون أن يؤيدهم الله **عَزَّوَجَلَّ** وأن ينصرهم على عدوهم اليهودي، والنصراني، والرافضي، والبوذي، والهندوسي ما عليهم إلا أن يرجعوا إلى الله بتوبة صادقة، وأن يخلصوا له العبادة ويخلصوا لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** المتابعة، هذا هو الذي تقوى به الأمة وتتنصر وتُعز، أما المظاهرات والسير خلف الكافرين لا يُجدي ولا يأتي بخير، والله ما سلط الله **عَزَّوَجَلَّ** اليهود على المسلمين لكرامتهم فاليهود قد لُعِنوا وطُرِدوا من رحمة الله على لسان داود وعيسى بن مريم من زمن قديم، ولكن وقع ما وقع منهم بسبب البُعد والقصور والضعف العلمي والعملية، العرب قبل مبعث النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لم تكن لهم دولة، كانوا عبارة عن قبائل، القبيلة القوية تأكل الضعيفة، والضعيفة تدخل تحت القوية، والقبائل التي قريب من الشام بعضها مع الفرس وبعضها مع الروم، والبلاد اليمنية دخلها الأحباش وأخذوها وتملكوها، كان شأنهم دون في جميع الأمور حتى بعث الله **عَزَّوَجَلَّ** محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فلما ناصروه وعزروه ووقروه، وآمنوا به، وعملوا بأمره، وانتهوا عن نهبه وزجره أعزهم الله، غزوا فارس بعدد ليس بالكثير بالنسبة لجنود فارس، وغزوا الروم بعدد ليس بالكثير بالنسبة لجنود الروم، كانت المعارك تقع بين فارس والروم أكثر من سبعمائة معركة لم يقع من أحدهم استئصال للآخر، والمسلمون في قريب من أربعة عشر سنة قضوا على الدولتين بفضل الله **عَزَّوَجَلَّ** ونصره وعونه ثم بسبب الاستقامة على الإسلام.

قال المغيرة بن شعبه: لما دخل على كسرى أو على الهرمزان فقال له: أنتم أيها العرب كنتم تأكلون الميتة وتأكلون الجيف وتفعلون وتفعلون، والآن نعطيكم أموالاً وترجعون من حيث جئتم، قال: كنا نفعل ونفعل ونفعل، فجاءتنا رسالة من ربنا على لسان نبينا، وأخبرنا أن من عاش منا أخذ أرضكم، ومن مات منا كان إلى الجنة، لم يجبه بغير هذا الجواب، وهرقل يقول لأبي سفيان: إن يكن ما تقول حق فسيملك

موضع قدمي هاتين، فالآن نفس الأمر: على المسلمين أن يعودوا إلى الله، نحن نتألم على فلسطين من الذي لا يتألم على فلسطين، الذي ما يتألم على المسلمين قلبه قلب حمار ما هو قلب إنسان يحس ويتألم: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، نتألم على ما يقع للمسلمين في سوريا، في العراق، في اليمن، في بورما، في الهند في أي بلاد من بلدان الله الواسعة، لكن بسبب البعد عن التمسك بالدين تجد الناس في حال قيد وتكبير، لا الحاكم يستطيع يفعل شيء، ولا المحكوم يستطيع يفعل شيء السبب المعاصي، ليست القضية قضية حُكام لماذا لا يحركون الطائرات؟ لماذا لا يحركون الأساطيل، لماذا لا يفعلوا؟ هم مُكبلون كما نحن مُكبلين كل واحد مكبل كبلتنا المعاصي والذنوب: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، إذا أردنا من الحُكام أن يقيموا بأمر الله **عَزَّجَلَّ** كما يجب علينا أن نقوم بأمر الله كما يجب قبلهم: أن ندعوا لهم، وأن نوجه النصائح عند ذلك يقع النصر، يقع الظهور، يقع العز، أما كما قال بعضهم: كأن يدعو إلى قيام الدولة الإسلامية ويقول: الانتخابات من أجل نطبق الإسلام، قال له شخص آخر: والله لو قامت الدولة الإسلامية يعني: كما تريدون ما يبقى أحد إلا أقيم عليه حد أو فُعلَ به أمر؛ لأنهم مخالفون: هذا في السرقة، هذا في الزنا، هذا في الخمر، هذا في اللواط، هذا يُعني، هذا يزمر، هذا وهذا، فمجتمع هذا حاله ماذا تنتظر منه ينتصر؟ ما سيبتصر، والله لو يكون معه القبلة الذرية، والنووية، والهدروجينية، والقنابل الفسفورية، والقنابل الفراغية ما سيبتصر؛ لأنه مهزوم من الله بسبب بالذنوب والمعاصي: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله، فالأمر سهل على الجميع: نعود إلى الله نتمسك بكتابه ونأخذ بسنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وستجدون أن النصر حليفنا.

الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى يقول: اليهود سيخرجون من فلسطين وهذا عندنا عقيدة؛ لكن من سيخرجهم؟ سيخرجهم أهل التوحيد وأهل الإيمان، أما الآن يعني:

إذا قمت تحدث بعضهم عن التوحيد ربما يتنكر لك، الزيارات الشركية عندهم شيء عادي شيء طبيعي كما يقولون، انظروا في شعبان كم تتوجه من الزيارات هنا عندنا في اليمن إلى قبر هود، إلى قبر العطاس، إلى قبر العيدروس، إلى قبر المحضار، إلى قبر ابن عيسى، إلى قبر فلان، كم من أسماء نسميها ولا أحد يتألم ولا أحد يقول: هذا منكر وهذا باطل مع أن هذا من أعظم الباطل في الأرض ومن أعظم الظلم في الأرض، وإذا قمت تنهاهم في خطبة جمعة عن معصية أو تأمرهم بطاعة قالوا: هذا متشدد، هذا متمت، هذا متعنت، يتنكرون للحق وتنشر صدورهم للباطل، كيف يقع النصر؟ هذا إذا كان عندنا كيف في فلسطين عندهم قبور كثيرة، في السودان قبور كثيرة، في العراق قبور كثيرة، في إيران حدث ولا حرج، في أفغانستان، في باكستان، في الهند، في إندونيسيا أغلب البلاد الإسلامية ملغمة بالقبور، ملغمة بالشركيات، ملغمة بالبدع والخرافات فأنتي يُنصرون وأنتي يُمكنون، هذا يتعارض مع قدر الله الكوني فضلاً عن القدر الشرعي: أن أهل الباطل يعني: تكون لهم دولة مستمرة إنما هي جولة ثم يمكن الله **عَزَّوَجَلَّ** لأوليائه، فلنستبشر إن تبنا إلى الله وعندنا إليه وناصرنا دينه وناصرنا سنة نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأحبنا أهل الإسلام، وأبغضنا أهل الكفر والطغيان، وتبنا إلى الله من المعاصي والسيئات عند ذلك سيأتي الخير العظيم، النصر ليس بالكثرة ولا بالعتاد والعدة النصر من عند الله، نصر المسلمين في بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، ونصر طالوت بثلاثمائة وثلاثة عشر، طالوت خرج معه آلاف مؤلفة، فلما وصلوا إلى البلدة التي يريد عصوا الله **عَزَّوَجَلَّ** بشربة ماء، الأمر ليس عائد إلى شربة ماء أو إلى كذا، الأمر عائد لماذا تخالف أمر الله **عَزَّوَجَلَّ**؟ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، يعني: مختبركم بنهر: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ولن يكون في جيشي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾

[البقرة:٢٤٩]، يكون معي ناصر ومؤيد وقائم بالأمر، ثم أذن الله **عَزَّوَجَلَّ** لمن كان في شدة عطش ونحو ذلك: أن يأخذ غرفة من ماء يجعل الله فيها بركة، فشربوا منه جميعاً إلا قليلاً منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدة أهل بدر، عند ذلك قالوا: ﴿**لَا طَاقَةَ لَنَا**

**الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾ [البقرة:٢٤٩]، جالوت معه آلاف، وطالوت الآلاف ذهبوا بقي طائفة يسيرة، فكان الوعد من الله: ﴿**كَمِ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً**

**بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٤٩]، ﴿**وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ**

**وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكُ**﴾ [البقرة:٢٥١]، انتصر المسلمون في وقائع كثيرة، هذه وقعة واحدة ووقعة بدر وقعة واحدة، وكم هي الوقائع التي أعز الله فيها أهل الإسلام، وأذل الله **عَزَّوَجَلَّ** فيها أهل الشرك والطغيان والإجرام.

نسأل الله أن يرفع البلاء عن المسلمين، وأن يقبل بقلوبهم على طاعته وعبادته.



## سورة الجمعة

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٤)

الآية الخامسة والسبعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الجمعة: ٦].

## الشرح:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ هذا نداء من الله عزوجل لليهود الذين زعموا: أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أهل الجنة، قال: إن كان الأمر كما قلت: ﴿فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾﴾ ولو تمنوه لوقع بهم؛ ولذلك رهبوا وخافوا: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

الآية السادسة والسبعون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

## الشرح:

يقول الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وهو النداء الذي يكون عند صعود الإمام على المنبر، وهو الذي كان على عهد النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأما النداء الذي كان على الزوراء وإنما جعله عثمان بن عفان رضي عنه لتذكير الناس بالوقت لما كثروا، ولم يكن على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا عهد أبي بكر ولا عمر، وهذا النداء إذا صعد الإمام على المنبر يحرم معه البيع والشراء وجميع العقود، فلا يجوز حتى عقد النكاح ولا عقد الإجارة ولا عقد البيع؛ لأن الحضور واجب على كل ذكر حر مقيم غير مريض، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوْ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ»، والمراد بالصلاة التي ذكرت في هذا الموطن هي صلاة الجمعة، ﴿فَأَسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى خطبة الجمعة وما كان من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ والشراء، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: التبكير إلى الجمعة، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دينكم ودنياكم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١ ذلك.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ والأمر للإباحة، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ من رزقه، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ذكر اللسان، ويدخل فيه ذكر القلب والجوارح، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ٢ والفلاح: هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.



## سورة المنافقون

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١١)

الآية السابعة والسبعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ءَمِّنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ءَأَوْلِيَاكُمْ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ٩].

## الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا معشر من آمن بلسانه وقلبه وانقاد لأمر الله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم: ﴿ءَمْوَالُكُمْ﴾ التي تطلبونها وتبحثون عنها، ﴿وَلَا ءَوْلَادُكُمْ﴾ الذين تؤملون فيهم، ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ عن طاعة الله، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ءَأَوْلِيَاكُمْ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾﴾ في الدنيا والآخرة، وسيأتي بيان ذلك في آية سورة التغابن.



## سورة التغابن

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٨)

الآية الثامنة والسبعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

[التغابن: ١٤].

## الشرح:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ زوجاتكم، وأيضا للنساء الأزواج، ﴿وَأَوْلَادِكُمْ﴾ ذريتكم، ﴿عَدُوًّا لَكُمْ﴾ من حيث أنهم يشغلونكم عن طاعة الله، وربما أوقعوكم في معصية الله، ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ كونوا على حذر من فتنهم، ﴿وَإِنْ تَعَفَوْا﴾ وتتجاوزوا، ﴿وَتَصَفَحُوا﴾ لا تؤاخذوهم بما صنعوا، ﴿وَتَغَفَرُوا﴾ تستروا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ لكم، والمراد بالعداوة هنا ليست العداوة التي هي مظنة الاقتتال، لكن عداوة من حيث أنهم يشغلون عن طاعة الله، فكم من إنسان يترك طلب العلم من أجل زوجه أو ولده، وكم من إنسان يُشغل بالدنيا من أجل زوجه وولده؛ ولذلك أخبر الله أنهم فتنة: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، مع أنهم زينة: ﴿رُؤْيَى لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، لكن الاشتغال بهم قد يُلهي عن طاعة الله ويشغل عن ذكر الله.



## سورة الطلاق

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٢)

الآية التاسعة والسبعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

[الطلاق: ١].

## الشرح:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ ينادي الله عزوجل نبيه وهو أمر لأتمته؛ لأنه قال بعد: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ والطلاق بيد الزوج: ﴿إِنَّمَا الطَّلَاقُ لِمَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ﴾، والطلاق يكون للزوجة فلا يجوز للرجل أن يطلق زوجة غيره إلا إذا وكله بذلك، ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي: لحال عدتهن: وهو ما جاء عن ابن عمر: أنه طلق زوجته فأخبر عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «مُرُهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضَ حَيْضَةً أُخْرَى، ثُمَّ تَطْهَرَ، ثُمَّ يُطَلِّقُ بَعْدُ، أَوْ يُمْسِكُ»، وهذا هو الطلاق السني: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، أو يطلقها حاملاً، وأما الطلاق في طهر جامعها فيه فهو طلاق بدعي، وهل يقع أو لا يقع؟ الصحيح: أنه يقع؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مُرُهُ فَلْيُرَاجِعْهَا»، والرجعة هنا هي الرجعة الشرعية اللغوية على ما قال بعضهم، وحسبت عليه طلقة، وأما ما جاء من طريق أبي الزبير: أنها لم تحسب عليه فقد أعلها أبو داود وغيره من أهل العلم وهي مخالفة لما في الصحيحين، وقد بينا ما يتعلق بهذه المسألة بتوسع في شرحنا على عمدة الأحكام،

﴿وَأَحْضُوا أَلْعَدَّةَ﴾ عدة الطلاق وهي: ثلاثة قروء، للمرأة التي تحيض، وللحامل بالوضع؛ لحديث أم سلمة في قصة سبيعة الأسلمية، وهكذا الآية أو الصغيرة التي لم تحض بثلاثة أشهر، وأما غير المدخول بها فليس عليها عدة كما تقدم في سورة الأحزاب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيهِ وزجره، ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بِيُوتِهِنَّ﴾ هذا في الطلاق الرجعي لا تخرج من البيت ولا زوجها يخرجها؛ لأنهما قد يتراجعان فيما بينهما ويصلح شأنهما، وأما الطلاق البائن فلا سُكنى ولا نفقة كما جاء في حديث فاطمة بنت قيس: إذا جاءت إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تُطالب بالسكنى والنفقة فأخبرها ألا سكنى لها ولا نفقة، وأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وكان رجل أعمى، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ الزنا، فعند ذلك لا سكنى لها ولا نفقة سواء كان الطلاق الأول أو الثاني أو الثالث، ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: المذكورات من الأحكام: ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حدها الله فلا يجوز أن تُخالف وتنتهك، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ غير ملتفت إلى أمر الله ونهيهِ: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بالمعصية، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وبهذا الوجه استدلت فاطمة بنت قيس على عمر بن الخطاب قالت: وأي شيء يحدثه الله بعد ذلك، قد مضى طلاق الثلاث ما هناك إحداث، إنما الإحداث فيما كان دون الثلاث لعله أن يقع بينهما المراجعة وترجع إلى عصمته ويقوم بشأن زوجته.

### الآية الثمانون بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ للكافرين، وهذا دليل على وجود النار الآن، ﴿عَذَابًا

شَدِيدًا ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ يَا أَيُّهَا آلَ آدَمَ ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: اتقوا الله يا معاشر المؤمنين، ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٥﴾ ﴾ وهو القرآن والسنة، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يذكرهم بما لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ.



## سورة التحريم

وهي سورة مدنية، وعدد آياتها: (١٢)

الآية الواحدة والثمانون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴿١﴾ [التحريم: ١].

## الشرح:

جاء في هذا: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كان يخرج بعد العصر وربما دخل عند زينب فشرب عندها عسلاً، فتمالأت حفصة وعائشة رضوان الله عليه فلما خرج قالت أحدهن له: **أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟** «لا، سَقَيْتَنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ»، فقُولِي لَهُ: **جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ**، فحرم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على نفسه العسل وقال: **«وَاللَّهِ لَا أَشْرَبُهُ»**، وفي رواية: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كان يدخل على بعض جواريه فعتبت عليه بعض نسائه فحرمها على نفسه، فعتب الله عليه هذا الفعل وقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ سواء كانت العجارية أو كان العسل، فلا يجوز للإنسان أن يُحرم ما أحل الله له، ذهب بعض أهل العلم: إلى أن الحرام طلاق، والصحيح: أنه ليس بطلاق، وذهب بعضهم: إلى أنه يمين، والصحيح: أنه ليس بيمين، وإنما حرم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على نفسه العسل أو العجارية بصيغة اليمين، قال: **«فَوَاللَّهِ لَا أَقْرِبُهَا»**، أو **«وَاللَّهِ لَا أَشْرَبُهُ»**، فسماه الله تحريماً من هذا الوجه وإلا قال ابن عباس: ما أبالي حُرِّمَتْ امْرَأَتِي أَوْ حُرِّمَتْ قَضَعُهُ مِنْ ثَرِيدٍ، ولا يلزم من حلف بالحرام كفارة على الصحيح؛ لأن اليمين المنعقدة التي تكفر هي ما كانت بأسماء الله أو بصفاته، ﴿تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: بهذا التحريم تطلب رضا الزوجات، والمرأة في الغالب

لا ترضى لا سيما امرأة المعدد، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١﴾ متجاوز وصافح وساتر.  
﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [التحریم: ٢]، وهو  
إطعام عشرة مساكين أو كستوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.  
**الآية الثانية والثمانون بعد المائة (٢):**

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ  
عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾  
[التحریم: ٦].

### الشرح:

يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يا معشر المؤمنين: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ اسعوا في  
سلامة أنفسكم، ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ وفي سلامة أهاليكم من أزواجكم وأبنائكم من هذه  
النار: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هل تُعذب الحجارة؟ قيل: هي الأصنام،  
والصحيح: أن الحجارة لا تُعذب وإنما يُعذب بها الناس، وذهب بعضهم: إلى أن  
هذه الحجارة هي الكبريت فإنها تكون شديدة الحرارة، المهم: أن الناس يُعذبون في  
النار ومن أنواع عذابهم: يعذبون بالحجارة المحممة، ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على النار،  
﴿مَلَكَةٌ﴾ خزنة، ﴿غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ فيهم غلظة وشدة على الكفار لا يرحمونهم  
ولا يشفقون عليهم، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ لَا  
يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾  
به، وبهذا تعلم: أن الله عزوجل عبادًا قد سخرهم لطاعته وعبادته ومرضاته، وإنما هذا  
الإنسان المُكلف والجني المكلف للاختبار والابتلاء فإن أطاع الله ووحده كان من  
أهل الجنة، وإن عصاه وكفر به كان من أهل النار إلا أن يكون عصيانه فيما دون  
الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

## الآية الثالثة والثمانون بعد المائة (٣):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٧﴾ [التحريم: ٧].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا خطاب من الله عزَّ وجلَّ للكافرين يوم القيامة، وليس في القرآن خطاب للكافرين بهذا اللفظ إلا هذا، ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة بحيث تقولون: ﴿فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، أو: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وغير ذلك من الاعترافات والاعتذارات، ﴿وَأِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾ فما زلتم على الإشراك تُعذبون على إشراككم بالخلود في النار.

## الآية الرابعة والثمانون بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا﴾ ارجعوا: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ عزَّ وجلَّ من ذنوبكم: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ توبة صادقة قد أخلصتم فيها، قيل النصوح: أن يتوب ثم لا يرجع في الذنب، ورد هذا فإن الإنسان قد يذنب ويتوب توبةً صحيحة ثم تغلبه نفسه وشهوته وهواه وشيطانه فيعود إلى المعصية، لكن يلزمه توبةً صحيحةً أخرى بتوفر شروطها وواجباتها وأركانها، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ وعسى في حق الله موجبة، ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ ﴿ يتجاوز عنها ويرفع لكم الدرجات، ﴿ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي: تجري فيها الأنهار، والجنة: البستان العظيم، ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ يعني: يكون هذا في يوم لا يخزي الله النبي وهو يوم القيامة، ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ ﴿ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ ﴾ ﴿ [آل عمران: ١٨٥]، والآية الأخرى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ ﴿ [آل عمران: ١٩٢]، والذين معه أيضًا لا يخزيهم الله، بل يكرمهم ويحسن إليهم ويتجاوز عنهم، وحالهم: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ هذا على الصراط يعطي الله عزوجل المؤمن نورًا يمر به، والكافر يتقاع في النار تقاع الفراش، والمنافق يُعطى نورًا بقدر ما كان يُظهر من الإسلام، فإذا صعد على الصراط انطفأ نوره فيقول للذين آمنوا: ﴿ أَنْظِرُونَا نَفْتِسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿ وَيَأْمِنُ بِهِمْ ﴾ يعني: أمامهم وعن أيمانهم، ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ حتى نصل الجنة ونسلم من السقوط في النار، ﴿ وَأَغْفِرْ لَنَا ﴾ ذنوبنا، ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ لا يعجزك شيء في السماوات ولا في الأرض، وبهذا تعلم أن الإنسان يتوسل إلى الله عزوجل بشيء من أسمائه وصفاته؛ وذلك أحرى أن تستجاب الدعوات.

### الآية الخامسة والثمانون بعد المائة (٥):

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿ [التحريم: ٩].

### الشرح:

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ بالسنان واللسان، ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ باللسان؛ لأنهم لم يُعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جاهدهم بالسنان، ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ اشدد عليهم

في خطابك وفي فعلك؛ لأنهم يستحقون ذلك لكثرة إعراضهم، ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ﴾ مآلهم: ﴿جَهَنَّمَ﴾ يصلونها: ﴿وَيَشْسُ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم، وهذه الآية جاءت في القرآن في موطنين: في هذا الموطن، وفي سورة التوبة.



## سورة المزمّل

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٢٠)

الآية السادسة والثمانون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُنَا الْمَزْمَلُ ۝١ فَرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ ۝٣ أَوْ أَنْفُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٤ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ۝٥ وَرَزَقَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٦ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٧﴾ [المزمّل: ١-٥].

## الشرح:

﴿يَتَّيِبُنَا الْمَزْمَلُ ۝١﴾ هذا نداء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أنه حين رجع من غار حراء وقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، «دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي»، ناداه الله عَزَّوَجَلَّ بهذا النداء: وهو الدعوة إلى القيامة بشأن الله من صلاة، وعبادة، ودعوة وغير ذلك كما يأتي في سورة المدثر.

﴿فَرُّ اللَّيْلِ ۝٢﴾ بهذا الأمر كانت صلاة الليل فريضة وقام الناس سنة كاملة حتى أنزل الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك التخفيف، ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٣﴾ نم فيه وارتاح؛ لأن للنفس حقًا. ﴿نِصْفَهُ ۝٤﴾ قم نصف الليل في صلاة وعبادة وتهجد ليس على وسائل اللعب واللهو، ﴿نِصْفَهُ ۝٥ أَوْ أَنْفُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٦﴾ ما عندهم ساعات يُقدرون تقديرًا إما نصف الليل أو نصف الليل إلا قليل.

﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ۝٧﴾ يُزاد على نصف الليل، ﴿وَرَزَقَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٨﴾ اقرأه مجودًا محسنًا: «مَا أذِنَ اللَّهُ لشيءٍ، مَا أذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»، وفي الحديث: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»، وفي حديث أبي موسى: «لَقَدْ أوتِيَ أَبُو مُوسَى مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٧﴾ من حيث العمل به والثبات عليه وإلا فهو

يسير: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٧﴾﴾ [القمر:١٧]، لكن كثير من الناس ينقطعون عن العمل، وهذا دليل على فضيلة قيام الليل، وقد قال الله عزَّوجلَّ في شأن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء:٧٩]، وفي هذا دليل: أن الطاعة سبب لليسرية والتسهيل، فأمره الله عزَّوجلَّ حيث أخبر أنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً بالصلاة والدعاء والذكر، والأوامر هنا أوامر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولأمته، فالقول بالخصوصية يحتاج إلى دليل.



## سورة المدثر

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٥٦)

جاء أنها أول سورة أنزلت من القرآن كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصحيح: أنها أول سورة من حيث النزول بعد فترة الوحي، وأما الأولية المطلقة فهي لخمس آيات من سورة اقرأ.

الآية السابعة والثمانون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٧].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ﴿١﴾﴾ نداء لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما في الصحيح من حديث عائشة: أن النبي عاد إلى خديجة ترتجف بواده وقال: «دَثْرُونِي، دَثْرُونِي»، وانقطع الوحي.

ثم جاءه بعد ذلك: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾﴾ الأمة قريش خوفهم بالله، وحذرهم من الشرك والتنديد، وبلغهم ما أوحاه الله إليك.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ عظم ربك، وأخلص العبادة له، ووحده.

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ للصلاة، فلا تجوز الصلاة في نجس من الملابس، وأيضاً طهر نفسك؛ لأن الطهارة طهارة حسية وطهارة معنوية، فالطهارة الحسية: بإزالة النجس ورفع الحدث، والطهارة المعنوية: بتطهير القلب من الشراكيات والبدع والخرفات وهكذا الجوارح، قال:

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤْبَ فَاجِرٌ ❀ ❀ لَيْسَتْ وَلَا مِنْ غَدْرَةِ أَتَقَنَّعُ

وقد فسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الثوب بالدين كما في حديث ابن عمر: «وَعَرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ».

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥﴾ الأَصْنَامُ وما إليها من الباطل يُهْجَرُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿وَلَا تَمُنْ تَسْتَكْبِرُ ٦﴾ إذا أعطيت لا تمنن على الناس مستكثراً لعطائك، فالله هو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي أولاك وأسدئ إليك هذا الخير العظيم.

﴿وَلِيْلِكَ فَأَصْبِرْ ٧﴾ اصبر على حكمه الكوني، واصبر على حكمه الشرعي. وفي هذا دليل على أهمية الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتعين ذلك، والأوامر هنا أوامر عامة يدخل فيها الدعوة إلى الله والعلماء إلى غير ذلك.



## سورة الانفطار

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (١٩)

الآية الثامنة والثمانون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦].

## الشرح:

﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ هذا نداء لعموم الإنسان لا سيما المسرف على نفسه، ﴿مَا غَرَّكَ﴾ وجرأك على الشرك والبدع والخرافات، ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ والكريم من شأنه: أنه يعفو ويصفح ويتجاوز ويمهل؛ ولكنه إذا أخذ لم يرحم أخذ أخذ عزيز مقتدر، وكان في الأمثال العربية السائرة: (احذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته)، فمن أسماء الله عزوجل: الكريم والأكرم: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٣]، والكرم له معنيان:

**المعنى الأول:** العطاء والبذل.

**والمعنى الثاني:** الاتصاف بالصفات الجميلة العظيمة الجليلة مثل: الرحمة، والإحسان، والرضى وغير ذلك من المعاني التي تدخل تحته؛ ولذلك وصف الله العرش بأنه كريم، ومن هذا إذا قيل في شهر رمضان: كريم لا حرج، ليس معنى الكريم: أنه الذي يُعطي فقط كما يقول بعضهم، بل لفظ الكرم أعم من الاعطاء.



## سورة الانشقاق

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٢٥)

الآية التاسعة والثمانون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٦].

## الشرح:

وليس في القرآن: ﴿يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ﴾ إلا هاتان الآيتان: في الانفطار، والانشقاق.  
 ﴿يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ سائر: ﴿إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يعني: تسير من حالة إلى حالة، ومن وقت إلى وقت مع شدة عناء ومجاهدة، ﴿فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾ تلقاه يوم القيامة، وهذا من أدلة النظر إلى وجه الله **عَزَّجَلَّ** فَإِنَّ اللَّقِيَّ يكون مع النظر كما هو تقرير أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، ذكر هذه المسألة ابن خزيمة وغيره، وهذا على التهديد سواء الآية الأولى وهذه، بما أنك قادم إلى الله **عَزَّجَلَّ** فكن عاملاً بالخيرات، فاعلاً للمبرات قبل أن لا تستطيع ذلك.



## سورة الفجر

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٣٠)

الآية التسعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي ﴿٢٩﴾ فِي عِبَادِي ﴿٣٠﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٣١﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

## الشرح:

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ وقد جاء خطاب النفس الخبيثة في السنة، وهذا خطاب لنفس، وهذا خطاب لنفس المؤمن حين يموت ويُبشر بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ الأنفس ثلاث:

**الأولى:** مطمئنة: وهي نفس المؤمن، مطمئنة بالإيمان منسرحة به مرتاحة إليه.

**الثانية:** النفس الأمارة بالسوء: وهي نفس الفاجر إذا تمحضت وقد توجد في غيره، قد يجد الإنسان من نفسه أن نفسه تأمره بالسوء وتؤزه عليه، لكن إذا أطاع الله **عَزَّوَجَلَّ** صارت نفسه مطمئنة، ونفسه المطمئنة هي التي تحثه على الخير.

**والثالثة:** النفس اللوامة: إن فعل الخير لامته عليه، وإن فعل الشر لامته عليه، لماذا فعلت؟ لماذا لم تفعل؟ وتلومه على الترك، فالله **عَزَّوَجَلَّ** خاطب النفس المطمئنة مبشراً لها دون غيرها.

﴿ارْجِعِي﴾ أي: بعد موتك، ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الذي خلقك، ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أولاك من النعم العظيم والآلاء الجليلة الجسيمة، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ من الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لِسَعِيدِهَا رَاضِيَةٌ ﴿١﴾﴾ [الغاشية: ٩]، فهي راضية عن نفسها، وراضية عن فعلها، وراضية بما أولاها ربها، وهكذا الرب **عَزَّوَجَلَّ** قد رضي عنها، كما في حديث أبي سعيد: «أَجِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ﴿٢١﴾ أي: في جملة عباد الله الذين يدخلون الجنة، والمراد بالعبودية هنا: عبودية الطاعة والقربة.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ﴿٣٠﴾ الجنة التي أعدها للمؤمنين والملتقين.  
ومن البدع: كتابة هذه الآية على النعش أو كذلك إحداث المخاطبة للميت بها.



## سورة الكافرون

وهي سورة مكية، وعدد آياتها: (٦)

الآية الواحدة والتسعون بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون: ١-٦].

## الشرح:

وهي آخر السور التي فيها النداءات حيث أن جملة السور التي فيها النداءات دون جملة السور التي هي عد المصحف فليس كل سورة فيها نداء.

وسورة الكافرون تُسمى بسورة الإخلاص؛ لأن سورة الإخلاص التي هي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١]، تمحضت في الدلالة على توحيد الأسماء والصفات، وهذه تمحضت في الدعوة إلى توحيد الألوهية: وهو أفراد الله **عَزَّجَلَّ** بما يجب له، وقد مَنَّْ الله عليَّ بطباعة تفسير لهما بعنوان: النبراس في تفسير سورتي الإخلاص، وكان سببه: محاضرة إلى بعض إخواننا في بلاد المغرب الأقصى.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ ۝﴾ المشركون المنددون.  
 ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝﴾ من الأصنام والأوثان، بل أمرت أن أشرك بها.  
 ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ مع كفركم وشرككم: ﴿عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝﴾ وهو الله **عَزَّجَلَّ**.  
 ﴿وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝﴾ تأكيد من البراءة من معبوداتهم وأوثانهم وأصنامهم.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝﴾ ما دتم على شرككم وبعدهم حتى يتم التوبة النصوح.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ﴿٦﴾ لكم عبادتكم ولي عبادتي، هذه الآية ضل كثير ممن يدعي العلم بسبب عدم الفهم لها حيث زعم أن هذه الآية فيها تقرير للكفار على كفرهم وللمشركين على شركهم، ويستدل بها كثير من أصحاب الدعوة إلى وحدة الأديان، ولا دلالة لهم فيها فإن الآية على البراءة: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ﴿٨٤﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، فهي ليست على التخيير وليست على التقرير، وإنما هي على البراءة والتهديد: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الباطل وستلقون الله عَزَّوَجَلَّ ويؤاخذكم بجريرتكم وجرمكم، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ﴿٦﴾ الحق أعمل به وأتعبد لله عَزَّوَجَلَّ به.

ويُسن أن يؤتى بهذه السورة في صلاة الوتر، وفي ركعتي الفجر، وفي ركعتي الطواف، وجاء أنه يأتي بها في صلاة المغرب عند النسائي وغيره ولكن الحديث مُعل. بهذا نكون قد انتهينا من هذا الدرس الذي منَّ الله عَزَّوَجَلَّ علينا به في شهر رمضان وحقه أن ينتهي في رمضان إلا أنها زادت أربعة دروس بسبب بعض الاختصار في بعض الأيام.

وقد تضمن من السور التي فيها النداءات: تسعة وأربعون سورة من مجموع مائة وأربعة عشر سورة، وعلمنا أن النداءات شأنها عظيم إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ ينادي عباده المؤمنين بأمر عظيمه يصلح بها أحوالهم ويصلح بها مآلهم وتصلح بها عباداتهم. ودراسة نداءات الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن مهمة؛ لأن الإنسان لو أراد أن يذكر ما يتعلق بندايات القرآن جميعها لطلال المقام، ففيه من النداءات الشيء العظيم، بعضها يصلح أن يكون في جزء مستقل مثل: نداءات لقمان لولده، ومثل: نداءات إبراهيم لأبيه، وكثير من النداءات من نداءات الأنبياء لأقوامهم، ونداء الجنة، ونداء النار، ونداء الملائكة، فهو باب عظيم وعلم واسع، لكن أردنا الاختصار والاقتصار على ما يتعلق

بنداءات الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لما نرجو فيها من البركات وعظيم الهبات، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، ونسأله المزيد من فضله.

ونكون قد انتهينا من هذا الدرس اليوم العاشر من شهر شوال لعام اثنين وأربعين وأربعمائة وألف، والحمد لله على التمام، ونسأل الله التوفيق والسداد.

**وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.**



# البيان لآيات الدعاء في القرآن

## آيات الدعاء في القرآن

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على رسول الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمد عبده، ورسوله صفوت الخلق أجمعين

**أما بعد:**

فكما هي العادة التي سرنا عليها في (دار الحديث بمسجد الصحابة بالغيضة) في كل عام من رمضان على اختيار موضوع من القرآن، وقد وقع الاختيار في عامنا هذا الرابع، والأربعون، وألف من هجرة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على أدعية القرآن، وبيان ما فيها من الأحكام، وذلك لأمر:

**الأول:** أن أدعية القرآن من جوامع الدعاء، والدعاء بجوامع الدعاء أنفع من غيره.

**الثاني:** أن كثيرًا منها أدعية الأنبياء، والمرسلين، والصالحين، وهم أعلم بالله، وبما يوصل إليه، ويرضيه من غيرهم.

**الثالث:** أن الدعاء بها أرجى في الإجابة.

**الرابع:** أنها متضمنة للحمد، والشأن، وإظهار الضعف بين يدي الله **عَزَّوَجَلَّ**.

**الخامس:** بيان الأدعية التي لا يجوز الدعاء بها؛ لما فيها من الاعتداء.

**السادس:** بيان عجز الأصنام، والأوثان، والمقبورين عن إجابة داعيها.

**السابع:** أن شهر رمضان مظنة لاستجابة الدعاء، ولذلك ذكر الله الأمر به في سياق

آياته فقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

**الثامن:** أن الدعاء من أفضل العبادات، فيكون الداعي فيه متأسياً برسول الله **عَزَّوَجَلَّ** كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

**التاسع:** بيان عظمة القرآن، وسعة علومه مصداقاً لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]. على من فسر الكتاب بالقرآن.

**العاشر:** التحذير من الأدعية المبتدعة، والتوسلات المخالفة للكتاب، والسنة الصحيحة مثل: التوسل بذوات الصالحين، ونحو ذلك.

**الحادي عشر:** الدعوة إلى التخصص في العلوم والمسائل، فإنه أقرب إلى الاستفادة.

**الثاني عشر:** بيان عظيم كرم الله **عَزَّوَجَلَّ** في تفريغ كربات المكروبين، وإجابة دعوة المضطرين.

**الثالث عشر:** بيان فضيلة من أكرمه الله **عَزَّوَجَلَّ** باستجابة دعائه.

**الرابع عشر:** بيان باب الفرج بعد الشدة، وبيان سعة فضل الله تعالى.

**الخامس عشر:** بيان تعين طلب المرغوب، والاستعاذة من المرهوب.

**السادس عشر:** بيان تعين فعل الأسباب، ومنه الدعاء، والرد على من زعم أن الدعاء ينافي التوكل، مستدلين بما لا يثبت سنداً ولا متناً، علمه بحالي يغنيه عن

سؤالي، فقد لزم الأنبياء الدعاء مع عظيم توكلهم على الله **عَزَّوَجَلَّ**.

**السابع عشر:** بيان حاجة العبد إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وفقره.

**الثامن عشر:** بيان أهمية تعلق القلب بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وانتظار فرجه، فإن انتظار الفرج عبادة.

**التاسع عشر:** فيها الدعوة إلى عدم القنوط، واليأس من روح الله **عَزَّوَجَلَّ** فإن الله لا يعجزه شيء فقد أخرج يونس من بطن الحوت، وسلمه في حالة الموت.

**العشرون:** بيان الطريقة المشروعة للدعاء، فيبدأ بالثناء على الله **عَزَّوَجَلَّ**، والصلاة على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** على ما يأتي.

**الحادي والعشرون:** الرد على من غلا في الأنبياء، والصالحين، ودعاهم من دون الله **عَزَّوَجَلَّ** مع أن الأنبياء، والمرسلين، وغيرهم من الصالحين دعاؤهم، ورجاؤهم في رب العالمين، وقد أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ** لنبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. إلى غير ذلك من الأسباب، والله تعالى أعلم.



## تعريف الدعاء

**في اللغة:** الدَّالُّ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ. تَقُولُ: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً<sup>(١)</sup>.

**في الاصطلاح:** هو استدعاء العبد ربه **عَزَّوَجَلَّ** العناية واستمداده إياه المعونة **عَزَّوَجَلَّ**.  
وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله **عَزَّوَجَلَّ**، وإضافة الجود، والكرم إليه؛ ولذلك قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «الدعاء هو العبادة»<sup>(٢)</sup>.



(١) "مقاييس اللغة" لابن فارس (٢/ ٢٧٩)..

(٢) "شأن الدعاء" للخطابي (٤).

## أنواع الأُمر

**الأمر هو:** الطلب، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

**الأول:** الطلب من الأعلى إلى الأدنى يسمى (أمرًا)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

**الثاني:** الدعاء وهو الطلب من الأدنى إلى الأعلى كقول: اللهم اغفر لي، فهو

طلب المغفرة.

**الثالث:** الالتماس: وهو الطلب من المماثل كأن تقول لزميلك: أعطني قلمًا.



## أنواع الدعاء

١- الدعاء المطلق، وهو: مطلق الطلب من الله **عَزَّوَجَلَّ**.

٢- الاستعانة، وهي: طلب العون على مطلوب، ويسمى باللوذ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٣- الاستغاثة، وهي: طلب الغوث، وإزالة شدة من مرهوبٍ ويسمى بـ(العوذ) قال

الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

وفي ذلك قال الشاعر:

يَا مَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أَحَاذِرُهُ ❀❀ وَمَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُحَاوِلُ  
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ❀❀ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

٤- الاستعاذة، وهي: الالتجاء، والاعتصام بالله **عَزَّوَجَلَّ** قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَنْزِعَنَّكَ

مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وكل هذه الأنواع يجمعها مسمى الدعاء.



## حكم دعاء غير الله عزَّجَلَّ

دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عزَّجَلَّ شرك أكبر مخرج من الملة قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

ويجوز سؤال الحي الحاضر القادر أما سوى ذلك فلا؛ فإن الدعاء عباده بل هي من أظهر العبادات حتى قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»<sup>(١)</sup>.

فتلخص أن من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ومن ذلك ما يفعله عباد القبور من دعاء غير الله عزَّجَلَّ.

رحم الله ابن الأمير إذ يقول في "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد" (ص: ٦٢): "وكذلك تسمية القبر مشهداً، ومن يعتقدون فيه ولياً، لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن؛ إذ هم مُعاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج بيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويُخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكلُّ قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند يدعون (عبد القادر الجيلي).

وأهل التهائم لهم في كلِّ بلد ميتٌ يهتفون باسمه، يقولون: (يا زيلعي!) (يا ابن العجيل!)، وأهل مكة وأهل الطائف: (يا ابن العباس!)، وأهل مصر: (يا رفاعي!) (يا

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩).

بدوي!) و(السادة البكرية!)، وأهلُ الجبال: (يا أبا طير!)، وأهل اليمن: (يا ابن علوان!).

وفي كلِّ قرية أمواتٌ يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهذا هو بعينه فعلُ المشركين في الأصنام، كما قلنا في الأبيات النجدية:

أعادوا بها معنى سواع ومثله ❀❀ يغوث وود، بسئ ذلك من وُدِّ

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ❀❀ كما يهتف المضطر بالصَّمد الفرد

وكم نحروا في سوحها من نحيرة ❀❀ أهلَّت لغير الله جهراً على عمد

وكم طائف حول القبور مقبلاً ❀❀ ويستلم الأركان منهنَّ باليد

هـ.



## بما يدعى الله عزَّوجلَّ

يدعى الله سبحانه بأسمائه الحسنی، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والأسماء الحسنی هي المذكورة في الكتاب، والسنة الصحيحة ويدخل فيها الدعاء بالأسماء المركبة كقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»<sup>(١)</sup>.

### حكم دعاء صفة الله عزَّوجلَّ:

صفات الله **عَزَّوَجَلَّ** يتوسل بها، ويستعاذ بها، ففي البخاري عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فَقَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «هَذَا أَيْسَرُ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذَاتَ لَيْلَةٍ مِّنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(٣)</sup>.

ولا يجوز دعاء الصفة بحال بل قد نقل شيخ الإسلام كفر قائله حيث قال: "إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤). عن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٨).

(٣) رواه أحمد (٢٥٦٥٥).

صفاته وكلماته فكفر باتِّفاق المسلمين؛ فهل يقول مسلم: يا كلام الله! اغفر لي وارحمني وأعطني أو أعني، أو: يا علم الله، أو: يا قدرة الله، أو: يا عزة الله، أو: يا عظمة الله ونحو ذلك؟! أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا ذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يطلب من الصِّفة جلب منفعة أو دفع مضرّة أو إعانة أو نصرًا أو إغاثة أو غير ذلك؟! (١)

**قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:** "لا يجوز لأحد من المسلمين أن يدعو صفات الله، عند جميع أهل العلم، كأن يقول: يا وجه الله، أو يا علم الله، أو يا رحمة الله أو ما أشبه ذلك. وإنما الواجب أن يدعو سبحانه بأسمائه الحسنى؛ لقول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾﴾** [الأعراف: ١٨٠]. فيقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، ونحو ذلك، ويستحب التوسل بصفات الله فيقول: اللهم إني أسألك بأنك عظيم، أو بقدرتك العظيمة، أو بحلمك ونحو ذلك. والله وليّ التوفيق" (٢).



(١) الرد على البكري لشيخ الإسلام (ص ٧٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨ / ٤٠٣).

## بيان أن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد معلوم لنا

ففي البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَايَةً قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، -مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا- لَا يَخْفِظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ». أخرجه و، بلفظ: «مَنْ أَحْصَاهَا».

بهذا الحديث استدل بعض المتأخرين: كابن حزم، أن أسماء الله تعالى محصورة بتسع وتسعين اسمًا فقط، وقد رد العلماء هذا الاستدلال منه لمخالفة ما عليه السلف.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>: قوله «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا» فيه: إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء؛ لأنها أشهر الأسماء، وأبينها معاني وأظهرها، وجملة قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة في خبر «إِنَّ» في قوله: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، لا في قوله: «تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، وإنما هو بمنزلة قولك: إن لزيد ألف درهم أعددها للصدقة، وكقولك: إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعهما عليه. وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالة: أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب، والذي يدل على صحة هذا التأويل حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ذكره محمد بن إسحق بن خزيمة في المأثور: -وذكر حديث عبد الله - «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ

(١) في "شأن الدعاء" (ص ٢٤)..

أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، فهذا يدل على أن الله أسماء لم ينزلها في كتابه، حجبها عن خلقه، ولم يظهرها لهم اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد اهـ<sup>(١)</sup>.



(١) في "شفاء العليل" (٢٧٧).



## فصل آداب الدعاء

على المسلم أن يكون حريصاً على استجابة دعائه، ويكون ذلك بأمور:

**الأول:** الإخلاص لله **عَزَّجَلَّ** حال الدعاء فإنه عبادة، وشرط العبادة الإخلاص.

**الثاني:** المتابعة لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فإن متابعته شرط في قبول أي عمل،

فعن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ

أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>، ومن ذلك الدعاء بما ثبت عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**؛ لأنه يدعو بجوامع

الدعاء.

**الثالث:** الثناء على الله، والتوسل بالأسماء والصفات.

كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وعن فضالة بن عبيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: "سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** رجلاً يدعُو في

صلاته لم يُعجِدِ الله ولم يُصلِ على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فقال رسول الله

**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «عَجَلْ هذا»، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ

بِتَعْجِيدِ رَبِّهِ وَالتَّنَائِي عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»<sup>(٢)</sup>

(٢)

**الرابع:** الصلاة على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** للحديث السابق.

**الخامس:** حضور القلب فإن الله لا يستجيب لغافل لاه.

**السادس:** عدم الاعتداء، وسيأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّجَلَّ**.

**السابع:** تحري أوقات الإجابة، وسيأتي بيانها.

(١) متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(٢) رواه أبو داود (١٤٨١).

**الثامن:** اتقاء السجع والتكلف في الدعاء.

**التاسع:** التذلل، والانكسار بين يدي الله عند الدعاء.

**العاشر:** الدعاء على طهارة فإنه أكمل.

وليس بشرط فيه فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» متفق عليه.

**الحادي عشر:** رفع اليدين في حال بعض الدعاء.

**الثاني عشر:** الإسرار بالدعاء.

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَيَّ وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ» متفق عليه.

**الثالث عشر:** الإكثار من الدعاء.

أَنَّ عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِيْتِمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذَا نُكِّثُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ»<sup>(١)</sup>.

**الرابع عشر:** التوسل بالأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ

وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفِرَ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٣).

مِنَ الْجَبَلِ، فَانطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَبِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ أَرَعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمِ الشَّجَرِ، فَلَمَّ آتٍ حَتَّى أُمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمَّ يَزَلُ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ أَحَبُّبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَحِيرًا بِفَرَقِ أَرْزُ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَعَبَ عَنْهُ، فَلَمَّ أَرَلُ أَرْعَهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرِعَائِهَا، فَخَذَهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئِي بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقْرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ»

متفق عليه.

الخامس عشر: الجزم في الدعاء.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعُ مَا شَاءَ، لَا مُكْرَهَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

**السادس عشر:** استقبال القبلة حال الدعاء.

فَعَنْ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثٌ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾<sup>(٢)</sup> [الأنفال: ٩]<sup>(٣)</sup>.

**السابع عشر:** الدعاء ثلاثاً.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُو ثَلَاثًا وَيَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا»<sup>(٣)</sup>.

**الثامن عشر:** أكل الحلال الطيب على ما يأتي.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٩) ..

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٢٤).

## أوقات وأماكن استجابة الدعاء

وهذا باب واسع، ومهم حتى يتحرى المسلم لاستجابة دعائه، ونذكر منها:

**الأول:** الدعاء بين الأذان والإقامة.

ففي سنن الإمام أبي داود **رَحْمَةُ اللَّهِ** وغيره: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** الدعاء دبر الصلاة.

أي: بعد التشهد قبل السلام فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بعد أن ذكر التشهد قال كما في الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبُهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو»<sup>(٢)</sup>.

**الثالث:** الدعاء في السجود.

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهَدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَمَنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»<sup>(٤)</sup>.

**الرابع:** الدعاء في آخر ساعة من يوم الجمعة.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢١) والترمذي في سننه (٢١٢) وصححه الألباني في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٢).

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ: «يُقَلِّلُهَا يُزِيدُهَا»<sup>(١)</sup>.

وهي آخر ساعة من اليوم؛ ففي سنن الإمام أبي داود **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي سنن الإمام ابن ماجه **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** جَالِسٌ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ»، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ» قُلْتُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةً صَلَاةً، قَالَ: «بَلَى إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ، لَا يَجْسِبُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٣)</sup>.

**الخامس**: الدعاء في الثلث الأخير من الليل.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٥٢).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٠٤٨)، والإمام النسائي في سننه (١٣٨٩)، وصححه الإمام الألباني

**رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى برقم (٢٣٨).

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (١١٣٩)، وقال الإمام الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى فيه: حسن صحيح. وكذلك

في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٢)، وقال فيه: حسن صحيح.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

**السادس**: الدعاء في الطواف حول البيت.

ففي سنن الإمام أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث عبد الله بن السائب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

**السابع**: الدعاء على الصفا والمروة، وبينهما.

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** الطويل في حجة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وفيه قال: "ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى النَّبِيَّ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ...»<sup>(٣)</sup>.

**الثامن**: الدعاء يوم عرفة لاسيما عند الصخرات.

- (١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٨٥).  
 (٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٨٩٢)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في صحيح، وضعيف أبي داود، وهو حديث ضعيف لكن صح عن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الدعاء بها في الطواف.  
 (٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٦٨).

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ**: من حديث عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**: إِنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمٍ عَرَفَتْ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يَبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَذَا؟»<sup>(١)</sup>.

**التاسع**: الدعاء عند الجمرات.

ففي البخاري: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، ثُمَّ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيُسْهِلُ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشُّمَالِ فَيُسْهِلُ وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، وَيَقُولُ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يَفْعَلُ»<sup>(٢)</sup>.

**العاشر**: الدعاء في السفر.

ففي سنن أبي داود **رَحِمَهُ اللهُ**: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»<sup>(٣)</sup>.

**الحادي عشر**: الدعاء في حال الصيام.

ففي سنن الإمام ابن ماجه **رَحِمَهُ اللهُ**: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٥٢).

(٣) أخرجه أبي داود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** في صحيح أبي داود.

يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْعَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»<sup>(١)</sup>.

**الثاني عشر:** دعوة المظلوم.

ففي سنن أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ:** من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،** أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»<sup>(٢)</sup>.

بل وفي الصحيح عن معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(٣)</sup>.

**الثالث عشر:** دعاء الوالد لولده، أو على ولده.

ففي صحيح مسلم: عن عبادة بن صامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وفي سنن أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ:** من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،** أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»<sup>(٥)</sup>.

**الرابع عشر:** الدعاء في الاضطرار.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٥٢)، وقال الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح، وضعيف ابن ماجه: ضعيف وصح منه شطره الأول لكن بلفظ المسافر، وفي رواية الوالد مكان الإمام، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادي **رَحِمَهُ اللَّهُ** برقم (١٣٥٨).

(٢) أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه مسلم (١٩) ..

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٥) أخرجه أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح أبي داود.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ كُرْحُلْفَاءَ الْأَرْضِ أُولَاءَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فمعرفة هذا الباب من أهم المهمات؛ إذ أنه لا غنى لمكلف عن دعاء الله **عَزَّوَجَلَّ** وذكره، فعند أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ** وغيره: من طريق عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيُّ، عَنِ الصَّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِيبُكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِيبُكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعُنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الصَّنَابِحِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ <sup>(١)</sup>.

**الخامس عشر**: الدعاء ليلة القدر.

عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَاَفَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ نَجِيبٌ الْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي» <sup>(٢)</sup>.

**السادس عشر**: الدعاء في الليل.

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» <sup>(٣)</sup>.

**السابع عشر**: الدعاء عند الانتباه من النوم.

فعن عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٢٢)، والنسائي في سننه (١٣٠٣)، وصححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح السنن.

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** برقم (١١٠٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥١٣)، وابن ماجه برقم: (٣٨٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (٧٥٧).

قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،  
ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ<sup>(١)</sup>.

**الثامن عشر:** الدعاء عند ختم القرآن. حدثنا عفان ثنا جعفر بن سليمان حدثنا

ثابت قال: "كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم"<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (١١٥٤).

(٢) أخرجه الدارمي (٣٤٧٤).

## بيان بعض موانع استجابة الدعاء

**الأول:** الاعتداء في الدعاء.

يقول الله عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۗ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَقَطْمًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

**قال شيخ الإسلام رحمه الله:** "فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات، وتارة يسأل ما لا يفعله الله مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية: من الحاجة إلى الطعام والشراب، ويسأله بأن يطلعه على غيبه، أو أن يجعله من المعصومين، أو يهب له ولدًا من غير زوجة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله.

وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضًا في الدعاء وبعد: فالآية أعم من ذلك كله وإن كان الاعتداء بالدعاء من جملة المراد، والله لا يحب المعتدين في كل شيء دعاء كان أو غيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وعلى هذا فيكون أمر بدعائه وعبادته، وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم يدعون معه غيره فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا؛ فإن أعظم العدوان الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٥].

ومن العدوان أن يدعو غير متضرع؛ بل دعاء هذا كالمستغني المدل على ربه وهذا من أعظم الاعتداء لمنافاته لدعاء الذليل، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد.

ومن الاعتداء أن يعبد به بما لم يشرع ويشني عليه بما لم يثن به على نفسه، ولا أذن فيه فإن هذا اعتداء في دعائه الثناء والعبادة وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** التعجل في الاستجابة.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»<sup>(٢)</sup>.

**الثالث:** أن يدعو بإثم، أو قطعة رحم.

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قِطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يُسْتَجَبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

**الرابع:** تعاطي الحرام لبساً، وشرباً، وأكلاً.

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٥ / ٢٢) ..

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٥) ..

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٥).

**الخامس:** الدعاء من قلب غافل لاه ساهٍ.

ففي سنن الإمام الترمذي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»<sup>(١)</sup>.

**السادس:** التألي على الله.

عَنْ جُنْدَبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»<sup>(٢)</sup> أَوْ كَمَا قَالَ.

**السابع:** اليأس من الله.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمِينِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»<sup>(٣)</sup>.

\* **تنبيه:** لا يلزم من استجابة الدعاء حصول المطلوب؛ بل إن للاستجابة ثلاث حالات:

**الأولى:** حصول المطلوب.

**الثانية:** دفع مثله من المرهوب.

(١) أخرجه الإمام الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الإمام الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في صحيح، وضعيف الترمذي

والحديث ضعيف صحيح، ومعناه صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥).

**الثالثة:** ادخار الأجر إلى يوم القيامة، فعن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِيمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ دَخَرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٧٣)، وأحمد برقم: (١١١٣٣).

## مذاهب الناس في الدعاء

وقد اختلفت مذاهب الناس في الدعاء نذكرها من باب التنبيه.

\* **الطائفة الأولى:** لا معنى للدعاء ولا طائل له؛ لأن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة، والدعاء لا يزيد فيها، وتركه لا ينقص شيئاً منها.

وقد قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «قَدَّرَ اللهُ الْمُقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وروي عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: أنه قال: «جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ»<sup>(٢)</sup>، وروي عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَرْبَعٌ قَدْ فَرَعَ اللهُ مِنْهَا: الْعُمُرُ، وَالرِّزْقُ، وَالخَلْقُ»<sup>(٣)</sup>. أو كما قال.

\* **الطائفة الثانية:** الدعاء واجب. وهو يدفع البلاء، ويرد القضاء.

واحتجوا بما روي عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ»<sup>(٤)</sup>، وبما روي: «لَا يُغْنِي حَذْرٌ مِنْ قَدْرِ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٥)</sup>.

\* **الطائفة الثالثة:** الدعاء واجب، إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء.

وهذا المذهب هو الصحيح، وهو قول أهل السنة والجماعة، وفيه الجمع بين الأخبار المرورية على اختلافها، والتوفيق بينها.

فأما من ذهب إلى إبطال الدعاء، فمذهبه فاسد؛ وذلك أن الله سبحانه أمر بالدعاء، وحض عليه، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

(١) رواه أحمد (٦٥٧٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٦٨٥٤) عن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٣) "المعجم الكبير" للطبراني حديث رقم: (٨٩٥٢).

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢١٣٩).

(٥) "المستدرک علی الصحیحین" حديث رقم: (١٨١٣)، عن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**.

وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٧٧].

**قال الخطابي في "شأن الدعاء" (١/ ١١):** فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتُمُوهُ مِنْ أَنْ الدُّعَاءَ: لَا يَذْفَعُ ضَرَرًا، وَلَا يَجْلِبُ نَفْعًا، لَمْ يَكُنْ جَرَى بِهِ الْقَضَاءُ، فَمَا فَائِدَتُهُ؟ وَمَا مَعْنَى الْأَشْتِعَالِ بِهِ

**فَالجَوَابُ:** إِنْ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْبَابِ الَّذِي وَقَعَ التَّعَبُّدُ فِيهِ بِظَاهِرِ مِنَ الْعِلْمِ، يَجْرِي مَجْرَى الْأَمَارَةِ الْمُبَشِّرَةِ، أَوْ الْمُنْذِرَةِ، دُونَ الْعِلَّةِ الْمَوْجِبَةِ، وَذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِتَكُونِ الْمُعَامَلَةُ فِيهِ عَلَى مَعْنَى التَّرَجِي، وَالتَّعَلُّقِ بِالطَّمَعِ الْبَاعِثِينَ عَلَى الطَّلَبِ دُونَ الْيَقِينِ الَّذِي يَقَعُ مَعَهُ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ، فَيُقْضَى بِصَاحِبِهِ إِلَى تَرْكِ الْعَمَلِ وَالْإِخْلَادِ إِلَى دَعَاةِ الْعُطْلَةِ. فَإِنَّ الْعَمَلَ الدَّائِرَ بَيْنَ الظَّفَرِ، بِالْمَطْلُوبِ وَبَيْنَ مَخَافَةِ فَوْتِهِ، يُحْرِكُ عَلَى السَّعْيِ لَهُ، وَالذَّابِ فِيهِ، وَالْيَقِينَ يُسْكِنُ النَّفْسَ، وَيُرِيحُهَا، كَمَا الْيَأْسُ يُبَلِّدُهَا وَيُطْفِئُهَا.

وَقَدْ قَضَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُمْتَحِنًا، وَمُسْتَعْمَلًا، وَمُعَلَّقًا بَيْنَ الرَّجَاءِ، وَالْخَوْفِ اللَّذِينَ هُمَا مَدْرَجَتَا الْعِبُودِيَّةِ؛ لِيُسْتَخْرَجَ مِنْهُ بِذَلِكَ الْوِظَائِفِ الْمَضْرُوبَةُ عَلَيْهِ، الَّتِي هِيَ سِمَةٌ كُلِّ عَبْدٍ، وَنُصْبَةٌ كُلِّ مَرْبُوبٍ، مُدَبَّرٍ، وَعَلَى هَذَا بُنِيَ الْأَمْرُ فِي مَعَانِي مَا نَعْتَقِدُهُ فِي مَبَادِيءِ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ الْأَقْدَارُ، وَالْأَقْضِيَّةُ، مَعَ التَّزَامِنَا الْأَوَامِرِ الَّتِي تُعَبِّدُنَا بِهَا، وَوَعْدُنَا عَلَيْهَا فِي الْمَعَادِ، الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَلَمَّا عَرَّضَ فِي هَذَا مِنَ الْإِشْكَالِ، مَا سَأَلَتِ الصَّحَابَةُ: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا "أَرَأَيْتَ أَعْمَالَنَا هَذِهِ أَشْيَاءٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهَا، أَمْ أَمْرٌ نَسْتَأْنِفُهُ فَقَالَ:

«بَلْ هُوَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ»، فَقَالُوا: فَفِيمَ الْعَمَلِ إِذَا؟ قَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ». قَالُوا: فَنَعْمَلُ إِذَا<sup>(١)</sup>.

أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ عَلَّقَهُمْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَرَهَنْهُمْ بِسَابِقِ الْقَدْرِ الْمَفْرُوعِ مِنْهُ، ثُمَّ أَلَزَمَهُمُ الْعَمَلَ الَّذِي هُوَ مَدْرَجَةٌ التَّعْبِيدِ، لِتَكُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالُ أَمَّا ثَرٌ مُبَشِّرَةٌ، وَمُنْذَرَةٌ، فَلَمْ يُبْطِلِ السَّبَبَ - الَّذِي هُوَ كَالْفَرْعِ - بِالْعِلَّةِ الَّتِي هِيَ لَهُ كَالْأَصْلِ، وَلَمْ يَتْرِكْ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ لِلْآخِرِ.

وَأَخْبَرَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فَائِدَةَ الْعَمَلِ هُوَ الْقَدْرُ الْمَفْرُوعُ مِنْهُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَكُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ». يُرِيدُ: أَنَّهُ مَيْسِرٌ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ لِلْعَمَلِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ الْقَدْرُ بِهِ قَبْلَ وَقْتِ وُجُودِهِ، وَكَوْنِهِ، إِلَّا أَنْ الْوَاجِبَ. عَلَيْكَ هَا هُنَا أَنْ تَعْلَمَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَيْسِرِ، وَالْمُسْخَرِ، فَتَفْهَمَهُمْ.

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي بَابِ الرِّزْقِ، وَفِي التَّسَبُّبِ إِلَيْهِ بِالْكَسْبِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ فِي الْأَصْلِ، لَا يَزِيدُهُ الطَّلَبُ، وَلَا يَنْقُصُهُ التَّرِكُ.

وَنَظِيرُ ذَلِكَ؛ أَمْرُ الْعُمْرِ، وَالْأَجَلِ الْمَضْرُوبِ فِيهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

ثُمَّ قَدْ جَاءَ فِي الطِّبِّ، وَالْعِلَاجِ، مَا جَاءَ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَامَةٌ أَهْلِ الدِّينِ مِنَ السَّلَفِ، وَالْخَلْفِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَقْدَارِ، وَالْأَفْصِيَةِ لَا يَدْفَعُهَا التَّعَالُجُ بِالْعَقَاقِيرِ، وَالْأَدْوِيَةِ.



(١) رواه مسلم (٢٦٥٠) [بلفظ قريب منه].

## مسائل في باب الدعاء

## مسألة: حكم طلب الدعاء.

ويجوز طلب الدعاء من العبد الصالح الحي، ولا ينافي ذلك التوكل لكن لا يبقى طالباً في كل مسألة، ومن كل أحد؛ لأن ذلك قد يضعف التوكل، ودعاء العبد لنفسه لاسيما مع الاضطرار، والحاجة من أسباب الاستجابة، ويدعو المسلم لأحبه بظهر الغيب، ولو من غير طلب لعظيم ذلك.

**ففي مسلم<sup>(١)</sup>**: عَنْ صَفْوَانَ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ -، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَاتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمَّ أَجِدُهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ» قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ يَرُويهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**قال شيخ الإسلام رحمه الله:** "ومن المشروع في الدعاء دعاء غائب لغائب ولهذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وطلبنا الوسيلة له، وأخبر بما لنا في ذلك من الأجر إذا دعونا بذلك فقال في الحديث: «ذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدَّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه، وممن هو دونه، فقد روي طلب الدعاء من الأعلى والأدنى؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودع عمر إلى العمرة وقال: «لَا تَسْئَلُنَا مِنْ دُعَائِكَ يَا أَخِي»؛ لكن

(١) برقم (٢٧٣٣).

**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن من صلى عليه مرة صلى الله بها عليه عشراً وأن من سأل له الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك.

وفرق بين من طلب من غيره شيئاً لمنفعة المطلوب منه ومن يسأل غيره لحاجته إليه فقط وثبت في الصحيح أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ذكر أويسا القرني وقال لعمر: «إن استطعت أن تستغفر لك فافعل»، وفي الصحيحين أنه كان بين أبي بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** شيء فقال أبو بكر لعمر استغفر لي لكن في الحديث أن أبا بكر ذكر أنه حتى على عمر، وثبت أن أقواماً كانوا يسترقون، وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يرقهم.

**وثبت في الصحيحين:** "أن الناس لما أجذبوا سألوا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أن يستسقي لهم فدعا الله لهم فسقوا"، وفي الصحيحين أيضاً: أن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** استسقى بالعباس فدعاه فقال: "اللهم إنا كنا إذا أجذبنا نتوسل إليك بنينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون"<sup>(١)</sup> هـ

**قال الشيخ ابن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:** "ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته، حتى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لا يمكن أن يدعو لأحد بعد موته، ولهذا لم يتوسل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** إلى الله بطلب الدعاء من رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، بعد موته، فإن الناس لما أصابهم الجذب في عهد عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" فقام العباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فدعا الله تعالى، ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً ووسيلة صحيحة لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**؛ لأن إجابة دعاءه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، أقرب من إجابة دعاء العباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فالمهم أن التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من ميت توسل باطل لا يحل ولا يجوز"<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٧٠).

(٢) فتاوى أركان الإسلام (ص: ١٨٢).

**مسألة: حكم مسح الوجه بعد الدعاء.**

أخرج أبو داود في سننه (١٤٩٢): عن السائب بن يزيد عن أبيه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَعَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَسَحَ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ». وهذا حديث ضعيف مثله لا تقوم به حجة، فبسند عبد الله بن لهيعة ضعيف، وكذا حفص بن هاشم بن عتبة مجهول.

وأخرج الترمذي (٣٣٨٦): عن حَمَّادِ بْنِ عِيسَى الْجُهَنِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الْجُمَحِيِّ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَطْطِمْهَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهَا وَجْهَهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى فِي حَدِيثِهِ: لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهَا وَجْهَهُ».

وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ وَهُوَ قَلِيلُ الْحَدِيثِ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ النَّاسُ.

وفي الباب عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَوْتَ اللَّهَ فَادْعُ بِبَاطِنِ كَفْيِكَ، وَلَا تَدْعُ بِظُهُورِهِمَا، فَإِذَا فَرَعْتَ فَاْمَسَحْ بِهَا وَجْهَكَ»<sup>(١)</sup> وفي سننه عائذ بن حبيب وقد كذب، وصالح بن كيسان منكر الحديث، فعلى هذا لم يثبت في الباب شيء، وتحري هذا وتقصده من البدع، والله المستعان.

**مسألة: حكم الدعاء بغير اللغة العربية في الصلاة، وغيرها.**

يجوز للشخص أن يدعو الله **جَلَّ وَعَلَا** باللغة التي يعرفها من لغة عربية، أو إنجليزية أو أوردية، أو غيرها من اللغات؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (١١٨١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١ - (٧/ ١١٤).

**مسألة: الدعاء بالرحمة لمن مات على الكفر.**

لا يجوز للمنافقين، والكافرين بالرحمة ونحوهما، فقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ فَسَيَقُولُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوَدِعَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

**مسألة: أنواع التوسل.**

**والناس في التوسل ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:**

**القسم الأول:** أناس سلكوا مسلك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في استخدام الوسائل المشروعة الموصلة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

**القسم الثاني:** أناس جعلوا بينهم وبين الله **عَزَّوَجَلَّ**، وسائط في مسألتهم. وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

**القسم الأول:** مشركون منددون وهم من دعوا وسألوا غير الله أن يقضي حوائجهم أو يفرج كربهم أو يزيل همومهم أو غير ذلك.

**القسم الثاني:** أصحاب توسل بدعي لم يشرعه الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهم الذين يتوسلون بذات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كقولهم بحق، أو جاه، أو منزلة محمد، أو حق القرآن، أو حق الفاتحة، أو حق عيسى، أو حق فلان وفلان.

**القسم الثالث:** من لم ينظر إلى الوسائل من أصلها، ولم يطلب القرب من الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ثم إن التوسل من حيث هو، ينقسم إلى قسمين:

**الأول:** مشروع.

**والثاني:** ممنوع.

\* **الأول:** (التوسل بأسماء الله وصفاته):

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

**والآية الأولى:** تدل على أن من أسباب الوسيلة والقرب من الله عزَّ وجلَّ دعاء الله

عزَّ وجلَّ بأسمائه وصفاته إما على الإجمال، أو التفصيل.

**لك أن تقول:** (اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تغفر ذنبي

وأن تستر عيبي وأن تصلح شأني وأن تصلح ذريتي) إلى غير ذلك.

**ولك أن تقول:** (اللهم إني أسألك بأنك أنت الرزاق ذو القوة المتين أن توسع لي في

رزقي وأن ترزقني العلم والعمل) إلى غير ذلك.

**ولك أن تقول:** (اللهم اغفر لي ذنبي إنك أنت الغفور الرحيم).

وربما يكون التوسل بصفة بعينها: كقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]..

وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتوسل بالصفات كثيرا فكان يقول: «يا مقلب

القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٢) من

حديث أم سلمة رضي الله عنها، وكلا الحديثين يصحهما الإمام الألباني: في صحيح سنن الترمذي. وجاء

من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في مسند أحمد، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي: برقم

(١١٨٠)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وكان يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»<sup>(١)</sup>.  
 وكان يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك  
 من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(٢)</sup>.  
 وكان يقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان  
 الرجيم»<sup>(٣)</sup>.

ويقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على كل شيء أحيني إذا  
 كانت الحياة خيري وامتنني إذا كان الموت خيري»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك،  
 وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنت علامُ  
 الغيوب، اللهم إن كنت تعلمُ أن هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ودنياي وعاقبَةِ أمري وآخره  
 فيسره لي ويسرني له»<sup>(٥)</sup> أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه.

ويكون الاسم المتوسل به أو الصفة مناسبٌ للسؤال الذي يطلب من الله **عَزَّجَلَّ**.  
 \* **الثاني**: توسل العبد إلى الله تعالى بالعمل الصالح.

أي: بالعمل الذي أخلص فيه لله كقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا  
 الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣]. وقد تقدم أيضاً حديث عبد الله  
 عمرو رضي الله عنهما.

\* **الثالث**: التوسل بدعاء الرجل الصالح. وقد تقدم بيان ذلك.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦) من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي: (٨٥) وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٤) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٥٥) وصححه الإمام الألباني: في صحيح سنن النسائي.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٨٢).

وأما الممنوع فينقسم إلى قسمين:

**الأول:** دعاء غير الله **عَزَّوَجَلَّ** فيما لا يقدر عليه إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** . وهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

**الثاني:** التوسل بذوات الصالحين . بجاه محمد، أو حقه، ونحو ذلك . لأن السلف رضوان الله عليهم أحرص الناس على الخير، وما قالوا نسألك بجاه محمد ولا بجاه أبي بكر ولا فاطمة ولا الحسين ولا الحسن ولا خديجة ولا عمر ولا عثمان ولا طلحة إلى غير ذلك .

**مسألة: الحكمة من الدعاء مع العلم بمضي القدر.**

**أخرج الترمذي (٢١٣٩):** عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ» .

**قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الداء والدواء" (٢٦/١ - ٣٠):** "وهنا سؤال مشهور وهو: أن المدعو به إن كان قد قُدِّرَ لم يكن بدَّ من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدعُ . وإن لم يكن قد قُدِّرَ لم يقع، سواء سأله العبد أو لم يسأله .

فظنت طائفة صحة هذا السؤال، فتركت الدعاء، وقالت: لا فائدة فيه! وهؤلاء - مع فرط جهلهم وضلالهم - متناقضون، فإن طردَ مذهبهم يُوجب تعطيلَ جميع الأسباب .

فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والريُّ قد قُدِّرَا لك فلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل . وإن لم يقدِّرَا لم يقعا، أكلت أو لم تأكل، وإن كان الولد قُدِّرَ لك فلا بد منه، وطئت الزوجة والأمة أو لي تطأ . وإن لم يقدِّرَ لم يكن، فلا حاجة إلى التزوُّج والتسرِّي، وهلمَّ جرًّا، فهل يقول هذا عاقل أو آدمي؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته . فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلاً .

وتكاسيس بعضهم، وقال: الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض، يثيب الله عليه الداعي، من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما.

ولا فرق عند هذا الكيس بين الدعاء وبين الإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب، وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت، ولا فرق.

وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء: بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله سبحانه أمانة على قضاء الحاجة. فمتى وفق العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمانة على أن حاجته قد قضيت. وهذا كما إذا رأينا غيمًا أسود باردًا في زمن الشتاء، فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر.

قالوا: وهكذا حكم الطاعات مع الثواب، والكفر والمعاصي مع العقاب، هي أمارات محضة لوقوع الثواب والعقاب، لا أنها أسباب له.

وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار، والحريق مع الإحراق، والإزهاق مع القتل. ليس شيء من ذلك سببًا ألبتة، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا مجرد الاقتران العادي، لا التأثير السببي.

وخالفوا بذلك الحس، والعقل، والشرع، والفطرة، وسائر طوائف العقلاء، بل أضحكوا عليهم العقلاء! والصواب أن ها هنا قسمًا ثالثًا غير ما ذكره السائل، وهو أن هذا المقدور قُدر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء. فلم يقدر مجردًا عن سببه، ولكن قدر بسببه. فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور.

وهذا كما قُدر الشبع والريّ بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه، وكذلك قُدر دخول الجنة بالأعمال، ودخول النار بالأعمال.

وهذا القسم هو الحق، وهو الذي حُرّمه السائل ولم يوفق له.

وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب. فإذا قُدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال! وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب. ولما كان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أعلم الأمة بالله ورسوله، وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم.

وكان عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنديه، وكان يقول للصحابة: لستم تُنصرون بكثرة، وإنما تُنصرون من السماء. وكان يقول: إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همَّ الدعاء. فإذا أُلهمت الدعاء فإنَّ الإجابة معه.

وأخذ الشاعر هذا، فنظمه، فقال:

ولم تُردِ نيلَ ما أرجو وأطلبه ❀❀ من جودِ كَفِّك ما عودتني الطلبا  
فَمَنْ أُلْهِمَ الدعاءَ فقد أريد به الإجابة، فإنَّ الله سبحانه يقول: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ**  
**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**  
**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦]. اهـ.



## سورة الفاتحة

١- (١) قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ [سورة الفاتحة: ١-٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يقرأ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فِيهَا خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرَ تَمَامٍ.

فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «أَقْرَأُ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (٣٩٥).

## سورة البقرة

١- (٢) قال تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿٣٧﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

[البقرة: ٥٨].

٢- (٣) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ

الْثَمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ

عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦].

٣- (٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

٤- (٥) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَإِرْنَا

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨].

٥- (٦) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

٦- (٧) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

« مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، يَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي

مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجْرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوِّفِيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

٧- (٨) قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ فَلَيْسَتْ حَاجِبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٨- (٩) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٩].

٩- (١٠) قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ

ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا

لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٠٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠١].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي

الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ

فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ

إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ:

اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٩١٨)..

(٢) رواه البخاري (٦٣٨٩).

(٣) رواه مسلم (٢٦٨٨).

١٠- (١١) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ

عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٥٠].

١١- (١٢) قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا

كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا

بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

[البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا

فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ

يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وَسَلَّمْنَا» قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِلَّهِ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ

(١) رواه مسلم (١٢٦)..

**اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾** [البقرة: ٢٨٤].  
 قَالَ: فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَاتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، كُفَلْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿**ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾** [البقرة: ٢٨٥]. فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿**لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿٢٨٦﴾** قَالَ: «نَعَمْ»، ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿٢٨٦﴾** [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ»، ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿٢٨٧﴾** قَالَ: «نَعَمْ»، ﴿**وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٧﴾** [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه مسلم (١٢٥).

## سورة آل عمران

١- (١٣) ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].

وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ» وَكَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانَ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يُخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا قَالَ: «يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

عَبَدَ اللَّهُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

٢- (١٤) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ [آل عمران: ١٦].

٣- (١٥) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي

مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ [آل عمران: ٣٥].

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٣٠) وجاء بلفظ «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» عند ابن ماجه (١٩٩).

(٢) رواه أحمد (٩٤٢٠).

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٤).

٤- (١٦) قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً

طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١٦﴾ [آل عمران: ٣٨]

٥- (١٧) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ ﴿١٧﴾ [آل عمران: ٥٣].

٦- (١٨) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً، وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»<sup>(١)</sup>.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو

بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي،

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا

قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ

الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧١٩).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَالَ:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضِدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ»<sup>(٢)</sup>.

٧- (١٩) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٩﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(١) رواه مسلم (٤٨٣)..

(٢) رواه أبو داود (٢٦٣٢).



اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَ الْمُؤَدُّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ<sup>(١)</sup>.

٩- (٢١) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الفِئِمَّةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الأَمْعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٥].



(١) أخرجه مسلم (٧٦٣).

## سورة النساء

١- (٢٢) قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: ٣٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاخَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا»<sup>(١)</sup>.

٢- (٢٣) قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥].



(١) رواه مسلم (٢٧٢٩).

## سورة المائدة

١ - (٢٤) قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كَهَيْعَصَ﴾، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَافِقَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لِيَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلَقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ<sup>(١)</sup>.



(١) رواه أحمد (١٧٤٠).

## سورة الأنعام

١- (٢٥) قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٥-٢٦].

٢- (٢٦) قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَبْجَدْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٦٣].

عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ - أَوْ قَالَ: أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَإِلَٰمَ تَدْعُو؟ قَالَ: «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضَرٌّ فَدَعْوَتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةِ فَدَعْوَتُهُ أَنْبَتَ لَكَ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفِرٍ فَأَضَلَّتْ فَدَعْوَتُهُ رَدَّ عَلَيْكَ». قَالَ: فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ: «لَا تَسْبَنَّ شَيْئًا» - أَوْ قَالَ أَحَدًا: شَكََّ الْحَكْمُ - قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ شَيْئًا بَعِيرًا، وَلَا شَاءَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

٣- (٢٧) قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُوَ أَصْحَابُ يَدْعُوتهٖ إِلَى الْهُدَىٰ اثْبَتْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٧١].



(١) رواه أحمد (٢٣٢٥).

## سورة الأعراف

١- (٢٨) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢- (٢٩) قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ [الأعراف: ٢٩].

٣- (٣٠) قال تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ [الأعراف: ٤٧].

٤- (٣١) قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣١﴾

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

٥- (٣٢) قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن كُنتُمْ عَلِيمِينَ ﴿٣٢﴾

مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى

اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٨٩].

٦- (٣٣) قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا

أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفِقًا مُّسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ١٢٦].

٧- (٣٤) قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ

يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ [الأعراف: ١٢٨].

٨- (٣٥) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ

إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِن نَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا

تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٩- (٣٦) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

١٠- (٣٧) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

١١- (٣٨) قال تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَنُهِلُكُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

١٢- (٣٩) قال تعالى: ﴿\* وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَابَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

١٣- (٤٠) قال تعالى: ﴿وَأَذِ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف: ١٦١].

١٤- (٤١) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه.

وقد تقدم معنا: أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين لنا، فلا داعي للتكرار.

١٥- (٤٢) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيمًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَيْنًا فَاتَيْنَاهَا صَلِيحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧٨﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩-١٨٠].

١٦- (٤٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ يُجِيبُوا لَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤].



## سورة الأنفال

١ - (٤٤) قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ

مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾ [الأنفال: ٩].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ

تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾

[الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوِطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمَ حَيْرُومَ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوِطِ فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ

مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَتَقَلُّوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارِيَّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا

تَرُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارِيِّ؟»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ

تَأْخُذَ مِنْهُمْ فَنَدِيَّةٌ فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا

أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمْكِنَ عَلَيَّا مِنْ عَقِيلٍ  
فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ الْكُفْرِ  
وَصِنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ،  
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ،  
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ  
بِكَيْتٍ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْكِي  
لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَدَاؤُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ  
الشَّجَرَةِ - شَجَرَةَ قَرِيْبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ  
لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُبْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا  
عَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللَّهُ الْمُغْنِيْمَةَ لَهُمْ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

## سورة التوبة

١- (٤٥) قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَاءَ انْتَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ [التوبة: ٥٩].

٢- (٤٦) قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ

صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾ [التوبة: ١٣٣].

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا آتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ» فَأَتَاهُ أَبِي، أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»<sup>(١)</sup>.

٣- (٤٧) قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩].



(١) متفق عليه.

## سورة يونس

١- (٤٨) قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانٌ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۗ كَذَٰلِكَ نُزَيِّنُ لِامْسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

٢- (٤٩) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّ يَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِن آتَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٣].

٣- (٥٠) قال تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَابْسِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨-٨٥].

٤- (٥١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].



## سورة هود

١- (٥٢) قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٣].

٢- (٥٣) قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٢].

٣- (٥٤) قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٩٠].

٤- (٥٥) قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٢].

عَنْ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِالأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الأَسْتِغْفَارُ؟» قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه مسلم (٥٩١).

## سورة يوسف

- ١- (٥٦) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].
- ٢- (٥٧) قال تعالى: ﴿\* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١١﴾﴾ [يوسف: ١١].



## سورة الرعد

- ١- (٥٨) قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].



## سورة إبراهيم

١ - (٥٩) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَخْفِي وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١].



## سورة النحل

١- (٦٠) قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلَقُوا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ [النحل: ٨٦].



## سورة الإسراء

- ١- (٦١) قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(١)</sup>.
- ٢- (٦٢) قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].
- ٣- (٦٣) قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

٤- (٦٤) قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكُمْ فَلَمَّا

تَجَدَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧].

٥- (٦٥) قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ

وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ [الإسراء: ٨٠].

٦- (٦٦) قال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا

صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ

وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾، «فِيَسْمَعَ

الْمُشْرِكُونَ قِرَاءَتَكَ﴾ ﴿وَلَا تَخَافُوا بِهَا﴾ «عَنْ أَصْحَابِكَ أَسْمِعْهُمْ الْقُرْآنَ، وَلَا تَجْهَرُ ذَلِكَ

الْجَهْرَ﴾ ﴿بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾، «يُقُولُ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمُخَافَةِ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (٤٤٦).

## سورة الكهف

- ١- (٦٧) قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١٠].
- ٢- (٦٨) قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٤].
- ٣- (٦٩) قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِيَّى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].



## سورة مريم

- ١- (٧٠) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتَضِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٤-٦].
- ٢- (٧١) قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَاكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٨].



## سورة طه

١- (٧٢) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٥٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٥٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝٥٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٥٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝٥٩ هَازِنًا لِي بِمَا أَرْزَىٰ ۝٦٠ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ۝٦١ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٦٢ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٦٣ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٦٤﴾ [طه: ٢٥-٣٥].

٢- (٧٣) قال تعالى: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

عن أم سلمة رضي الله عنها، تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبْرِ الْفَجْرِ إِذَا صَلَّى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه أحمد (٢٦٧٠٠).

## سورة الأنبياء

١- (٧٤) قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْحِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٧٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَعَاقَبْتَهُ أَهْلَهُ وَوَسَّلْنَا لَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

٢- (٧٥) قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمْرِ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُّسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

٣- (٧٦) قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجَهُهُ مَرْيَمَ فَكَانُوا بِسَعْدِ عُرْوَتٍ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].



(١) رواه الترمذي (٣٥٥).

## سورة الحج

١- (٧٧) قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج: ١١-١٣].

٢- (٧٨) قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].



## سورة المؤمنون

١- (٧٩) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ [المؤمنون: ٢٦].

٢- (٨٠) قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

٣- (٨١) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ [المؤمنون: ٣٩].

٤- (٨٢) قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣-٩٤].

٥- (٨٣) قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

عَنْ أَبِي الْيَسْرِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالْهَرَمِ، وَالْغَرْقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ أَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَنْ أَمُوتَ لِدَيْعًا»<sup>(١)</sup>.

٦- (٨٤) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٦﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

٧- (٨٥) قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧].

\* وهذه الدعوات لا يدعى بها، إنما هي إخبار من الله عز وجل عن حال الكفار.

(١) رواه أحمد (١٥٥٢٤).

٨- (٨٦) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا

وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٦﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

٩- (٨٧) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا

حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

﴿١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٦-١١٧].

عن أبي مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي»<sup>(١)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ تُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةٌ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه مسلم (٢٦٩٧) ..

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣٤).

## سورة الفرقان

١- (٨٨) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ ﴿الفرقان: ٦٥-٦٨.﴾

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَسْأَلُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ. وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْزُهُ»<sup>(١)</sup>.

٢- (٨٩) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ ﴿الفرقان: ٧٣-٧٤.﴾

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

٣- (٩٠) قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ ﴿الفرقان: ٧٧.﴾



(١) رواه أحمد (١٢٤٣٩).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٩).

## سورة الشعراء

١- (٩١) قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ  
التَّعْوِيرِ ﴿٨٥﴾ وَأَعْفِرْ لِأَيِّئِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٤-  
٨٧].

وَعَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قَالَ: "صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ  
فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

٢- (٩٢) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي  
وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

٣- (٩٣) قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: ١١٦].

٤- (٩٤) قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿١١٣﴾﴾  
[الشعراء: ١١٣].



(١) رواه أحمد (١٨٠٥٦).

## سورة النمل

١- (٩٥) قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ  
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي  
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٥﴾ [النمل: ١٩].

عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنِّي  
لَأُحِبُّكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ. قَالَ: «فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِكَلِمَاتٍ تَقْوَهُنَّ فِي  
كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

٢- (٩٦) قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ  
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٩٦﴾ [النمل: ٦٢].



(١) رواه أحمد (٢٢١٢٦).

## سورة القصص

١- (٩٧) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ [القصص: ١٦].

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>(١)</sup>.

٢- (٩٨) قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْفِي حَتَّىٰ يَصِدَرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٨﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١٩﴾ [القصص: ١٦-١٩].

٣- (٩٩) قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ

إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ [القصص: ٨٨].



(١) رواه البخاري (٦٣٢٦).

## سورة العنكبوت

١- (١٠٠) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي لَفِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣٠-٣٢].

٢- (١٠١) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [العنكبوت: ٤٢].

٣- (١٠٢) قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].



## سورة لقمان

١- (١٠٣) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا عَشِيتُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ فإِنَّهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٠-٣٢].



## سورة السجدة

١- (١٠٤) قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

\* وهذا الدعاء لا يدعى به إلا في أمر كان في الدنيا ثم تاب منه.



## سورة الأحزاب

١- (١٠٥) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصَلْنَا السَّبِيلَ

﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضِعَفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨].

\* وهذا لا يدعى بها، وإنما هي إخبار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

٢- (١٠٦) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) رواه مسلم (٩٤٦).

## سورة سبأ

١- (١٠٧) قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَدْرٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَلِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾  
[سبأ:٢٢].



## سورة فاطر

١- (١٠٨) قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٠٨﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤].

٢- (١٠٩) قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [فاطر:٣٧].

\* وهذه لا يدعى بها، وإنما هي إخبار عن حال أهل النار.



## سورة الصافات

١- (١١٠) قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٠].



## سورة ص

١- (١١١) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي

إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

\* وهذا دعاء مختص بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا يجوز الدعاء به.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِّنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَكَّنِي مِنْهُ فَدَعْتُهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةِ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ - ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِتًا»<sup>(١)</sup>.

٢- (١١٢) قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ

وَعَذَابٍ ﴿٦١﴾﴾ [ص: ٤١].

٣- (١١٣) قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِيدَهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ

﴿٦١﴾﴾ [ص: ٦١].

(١) رواه مسلم (٤٨٠٨).

\* هذا إخبار عن أهل النار، ولا يدعى به.

٤- (١١٤) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [ص: ٧٩].

\* وهذا دعاء لا يجوز الدعاء به فهو من الاعتداء في الدعاء على ما تقدم.



## سورة الزمر

١- (١١٥) قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ

نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ

بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ [الزمر: ٨].

٢- (١١٦) قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ

أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِيهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ [الزمر: ٣٨].

٣- (١١٧) قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نُهُمَ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ

إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ [الزمر: ٤٩].



## سورة غافر

١- (١١٨) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧-٩].

٢- (١١٩) قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤].

٣- (١٢٠) قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].  
وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»<sup>(١)</sup>.

وجاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٣٧١)، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ»، ولا يثبت في سنده عبد الله بن لهيعة.

٤- (١٢١) قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].



(١) رواه أحمد (١٨٣٥٢).

## سورة الزخرف

١- (١٢٢) قال تعالى: ﴿وَلَا يَمَلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ

شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].



## سورة الدخان

١- (١٢٣) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الدخان: ١٤].

عَنْ مَسْرُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَأَرْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٤﴾﴾ قَالَ: يَا أَيُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيُقِلِّ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيُقِلِّ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ فَتَاهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا، أَنْ قَرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَمَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةَ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَقَالَ: « لِمُضَرٍّ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ » قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلُ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ قَالَ: فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَّةُ، قَالَ: عَادُوا إِلَيَّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلُ: ﴿يَعْنَى النَّاسَ هَذَا عَذَابُ الْيَوْمِ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿يَوْمَ نَبِطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ متفق عليه.

٢- (١٢٤) قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الدخان: ٢٢].



## سورة الأحقاف

١- (١٢٥) قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأحقاف: ٤-٥].

٢- (١٢٦) قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].



## سورة الطور

١- (١٢٧) قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٨].

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيُّ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ: " أَنَّهَا قَرَأَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَدَابَ﴾



السُّمُورِ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ دَعْوُهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ [الطور: ١٧]، فقالت: اللَّهُمَّ  
 مَنْ عَلَيْنَا وَقِنَا عَذَابَ السُّمُومِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ: قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ:  
 نَعَمْ<sup>(١)</sup>.



## سورة القمر

٢- (١٢٨) قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ  
 مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ  
 نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.



(١) تفسير أبي حاتم (١٨٦٨٦).

(٢) متفق عليه.

## سورة الحشر

١- (١٢٩) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ [الحشر: ١٢٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(١)</sup>.



## سورة الممتحنة

١- (١٣٠) قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [الممتحنة: ١-٥].



(١) رواه مسلم (٢٥٤٠).

## سورة المنافقون

١- (١٣١) قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

\* وهذه من الدعوات التي لا تستجاب لقولها بعد فوات الأوان، والله المستعان. فعلى المرء أن يكون مبادراً العمل الصالح في قوته، ونشاطه. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه أحمد (٩٣٧٨).

## سورة التحريم

- ١- (١٣٢) قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحريم: ٨].
- ٢- (١٣٣) قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ [التحريم: ١١].



## سورة القلم

- ١- (١٣٤) قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ [القلم: ٣٣-٣٤].



## سورة نوح

١- (١٣٥) قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٣٥﴾﴾ [نوح: ١٣٥].

٢- (١٣٦) قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّكَ

إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَقَارًا ﴿١٣٧﴾﴾ [نوح: ١٣٦-١٣٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ «فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ نُوحٌ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» متفق عليه.



## سورة الجن

١- (١٣٧) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٣٧﴾﴾ [الجن: ١٣٧].

\* يدخل في هذا دعاء المسألة، والعبادة، فلا يجوز أن يشرك مع الله عز وجل غيره، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا.

٢- (١٣٨) قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا ﴿١٣٨﴾ قُلْ

إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٣٩﴾﴾ [الجن: ١٣٨-١٣٩].



عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ فِي قَوْلِ الْحِجْنِ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ﴾، قَالَ: "لَمَّا رَأَوْهُ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ، وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، وَيَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ، وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ، تَعَجَّبُوا مِنْ طَوَاعِيَةِ أَصْحَابِهِ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، قَالُوا: إِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -، يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا"<sup>(١)</sup>.



### سورة المزمل

١ - (١٣٩) قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءآخُرُونَ بِضُرِّيهِمْ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وءآخُرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَ أَن يَكُونَ لَكُم مِّنَ اللَّهِ غُورًا رَّحِيمًا ۗ﴾ [المزمل: ٢٠].



(١) رواه الإمام أحمد (٢٤٣٢).

## سورة الفلق

١- (١٤٠) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾ [الفلق: ١-٥].

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرْ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.



## سورة الناس

١- (١٤١) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ الْحَسَنِ ③ ﴾ [الناس: ١-٦].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه مسلم (٨١٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧١).

## الفهرس

- ٢ ..... المهمات من معاني سورة الفاتحة وآية الكرسي
- ٣ ..... المقدمة
- ٤ ..... من نعم الله عز وجل إنزال القرآن
- ٧ ..... هل البسملة آية
- ١٠ ..... معاني البسملة
- ١٦ ..... والفرق بين الحمد والثناء
- ٣٨ ..... المهمات من معاني آية الكرسي
- ٤١ ..... ومن شأنها: أنه يحال بين العبد وبين الشياطين حين قرأتها
- ٦٤ ..... ما يؤخذ من الآية الكريمة، آية الكرسي
- ٦٧ ..... وقفات وعبر من قصة يوسف عليه السلام
- ٦٨ ..... وقفات وعبر من قصة يوسف عليه السلام
- ٧٠ ..... الوقفة الأولى
- ٧٠ ..... الوقفة الثانية
- ٧٢ ..... الوقفة الثالثة
- ٧٢ ..... الوقفة الرابعة
- ٧٢ ..... الوقفة الخامسة
- ٧٣ ..... الوقفة السادسة
- ٧٣ ..... الوقفة السابعة
- ٧٤ ..... الوقفة الثامنة
- ٧٤ ..... الوقفة التاسعة
- ٧٥ ..... الوقفة العاشرة
- ٧٥ ..... الوقفة الحادية عشرة
- ٧٦ ..... الوقفة الثانية عشرة
- ٧٦ ..... الوقفة الثالثة عشرة

٧٧	الوقفه الرابعة عشرة.....
٧٧	الوقفه الخامسة عشرة.....
٧٨	الوقفه السادسة عشرة.....
٧٨	الوقفه السابعة عشرة.....
٧٨	الوقفه الثامنة عشرة.....
٧٨	الوقفه التاسعه عشرة.....
٧٩	الوقفه العشرون.....
٧٩	الوقفه الواحدة والعشرون.....
٨٠	الوقفه الثانيه والعشرون.....
٨٠	الوقفه الثالثه والعشرون.....
٨١	الوقفه الرابعه والعشرون.....
٨١	الوقفه الخامسه والعشرون.....
٨٥	الوقفه السادسه والعشرون.....
٨٧	الوقفه السابعه والعشرون.....
٨٧	الوقفه الثامنه والعشرون.....
٨٨	الوقفه التاسعه والعشرون.....
٨٨	الوقفه الثلاثون.....
٨٩	الوقفه الواحدة والثلاثون.....
٨٩	الوقفه الثانيه والثلاثون.....
٨٩	الوقفه الثالثه والثلاثون.....
٩٠	الوقفه الرابعه والثلاثون.....
٩١	الوقفه الخامسه والثلاثون.....
٩١	الوقفه السادسه والثلاثون.....
٩٢	الوقفه السابعه والثلاثون.....
٩٣	الوقفه الثامنه والثلاثون.....
٩٣	الوقفه التاسعه والثلاثون.....
٩٤	الوقفه الأربعون.....
٩٤	الوقفه الواحد والأربعون.....
٩٥	الوقفه الثانيه والأربعون.....
٩٥	الوقفه الثالثه والأربعون.....
٩٦	الوقفه الرابعه والأربعون.....
٩٦	الوقفه الخامسه والأربعون.....

٩٧	الوقفه السادسة والأربعون
٩٧	الوقفه السابعة والأربعون
٩٧	الوقفه الثامنة والأربعون
٩٨	الوقفه التاسعة والأربعون
٩٨	الوقفه الخمسون
٩٩	الوقفه الواحدة والخمسون
٩٩	الوقفه الثانية والخمسون
١٠٠	الوقفه الثالثة والخمسون
١٠٠	الوقفه الرابعة والخمسون
١٠١	الوقفه الخامسة والخمسون
١٠١	الوقفه السادسة والخمسون
١٠٢	الوقفه السابعة والخمسون
١٠٢	الوقفه الثامنة والخمسون
١٠٣	الوقفه التاسعة والخمسون
١٠٣	الوقفه الستون
١٠٤	الوقفه الواحدة والستون
١٠٥	الوقفه الثانية والستون
١٠٦	الوقفه الثالثة والستون
١٠٦	الوقفه الرابعة والستون
١٠٦	الوقفه الخامسة والستون
١٠٧	الوقفه السادسة والستون
١٠٧	الوقفه السابعة والستون
١٠٧	الوقفه الثامنة والستون
١٠٨	الوقفه التاسعة والستون
١٠٨	الوقفه السبعون
١٠٨	الوقفه الواحدة والسبعون
١٠٨	الوقفه الثانية والسبعون
١٠٩	الوقفه الثالثة والسبعون
١٠٩	الوقفه الرابعة والسبعون
١١٠	الوقفه الخامسة والسبعون
١١٠	الوقفه السادسة والسبعون
١١١	الوقفه السابعة والسبعون

١١٢	الوقفة الثامنة والسبعون
١١٢	الوقفة التاسعة والسبعون
١١٣	الوقفة الثمانون
١١٣	الوقفة الواحدة والثمانون
١١٤	الوقفة الثانية والثمانون
١١٤	الوقفة الثالثة والثمانون
١١٥	الوقفة الرابعة والثمانون
١١٥	الوقفة الخامسة والثمانون
١١٥	الوقفة السادسة والثمانون
١١٦	الوقفة السابعة والثمانون
١١٦	الوقفة الثامنة والثمانون
١١٧	الوقفة التاسعة والثمانون
١١٨	الوقفة التسعون
١١٩	الوقفة الواحدة والتسعون
١١٩	الوقفة الثانية والتسعون
١١٩	الوقفة الثالثة والتسعون
١٢٠	الوقفة الرابعة والتسعون
١٢١	الوقفة الخامسة والتسعون
١٢١	الوقفة السادسة والتسعون
١٢٢	الوقفة السابعة والتسعون
١٢٢	الوقفة الثامنة والتسعون
١٢٣	الوقفة التاسعة والتسعون
١٢٣	الوقفة المتممة للمائة
١٢٤	الوقفة الواحدة بعد المائة
١٢٤	الوقفة الثانية بعد المائة
١٢٤	الوقفة الثالثة بعد المائة
١٢٥	الوقفة الرابعة بعد المائة:
١٢٥	الوقفة الخامسة بعد المائة
١٢٦	الوقفة السادسة بعد المائة
١٢٦	الوقفة السابعة بعد المائة
١٢٧	الوقفة الثامنة بعد المائة
١٢٧	الوقفة التاسعة بعد المائة

- ١٢٧ ..... الوقفة العاشرة بعد المائة.
- ١٢٨ ..... الوقفة الحادية عشرة بعد المائة.
- ١٢٨ ..... الوقفة الثانية عشرة بعد المائة.
- ١٢٨ ..... الوقفة الثالثة عشرة بعد المائة.
- ١٢٩ ..... الوقفة الرابعة عشرة بعد المائة.
- ١٣٠ ..... الوقفة الخامسة عشرة بعد المائة.
- ١٣٠ ..... الوقفة السادسة عشرة بعد المائة.
- ١٣١ ..... الوقفة السابعة عشرة بعد المائة.
- ١٣١ ..... الوقفة الثامنة عشرة بعد المائة.
- ١٣٢ ..... الوقفة التاسعة عشرة بعد المائة.
- ١٣٣ ..... الوقفة العشرون بعد المائة.
- ١٣٣ ..... الوقفة الواحدة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٤ ..... الوقفة الثانية والعشرون بعد المائة.
- ١٣٥ ..... الوقفة الثالثة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٥ ..... الوقفة الرابعة عشرة بعد المائة.
- ١٣٥ ..... الوقفة الخامسة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٦ ..... الوقفة السادسة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٦ ..... الوقفة السابعة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٧ ..... الوقفة الثامنة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٧ ..... الوقفة التاسعة والعشرون بعد المائة.
- ١٣٧ ..... الوقفة الثلاثون بعد المائة.
- ١٣٨ ..... الوقفة الواحدة والثلاثون بعد المائة.
- ١٣٨ ..... الوقفة الثانية والثلاثون بعد المائة.
- ١٣٩ ..... الوقفة الثالثة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤٠ ..... الوقفة الرابعة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤١ ..... الوقفة الخامسة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤٢ ..... الوقفة السادسة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤٤ ..... الوقفة السابعة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤٤ ..... الوقفة الثامنة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤٥ ..... الوقفة التاسعة والثلاثون بعد المائة.
- ١٤٥ ..... الوقفة الأربعون بعد المائة والأخيرة.
- ١٤٦ ..... تأملات في سورة (ق).

- ١٤٧..... تأملات في سورة ق
- ١٥٩..... الإيلاف في تفسير سورة (ق)
- ١٦٠..... تفسير سورة ق
- ١٦٤..... تفسير سورة ق
- ١٦٤..... أول المَفْصَل: .....
- ٢٨٩..... سورة (ق) جامعة لأصول الأيمان.....
- ٢٩١..... براهين المعاد في القرآن مبنية على أصول ثلاث.....
- ٢٩٤..... القيامة قيامتان: صغرى وكبرى .....
- ٣٠٢..... فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر.....
- ٣٠٣..... فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر.....
- ٣٠٩..... الإيلاف يزيد وينقص .....
- ٣٢١..... النبراس في تفسير سورتي الإخلاص .....
- ٣٢٢..... المقدمة .....
- ٣٢٣..... سورة الإخلاص.....
- ٣٢٣..... فضلها.....
- ٣٢٥..... بيان معانيها:.....
- ٣٢٨..... أنواع الصفات.....
- ٣٢٩..... وجوب افراد الله تعالى بالعبادة.....
- ٣٣٤..... خاتمة تفسير سورة الإخلاص.....
- ٣٣٦..... سورة الكافرون.....
- ٣٤٣..... أحسن طرق تفسير القرآن.....
- ٣٤٥..... البيان لنداءات الله عز وجل في القرآن.....

٣٤٦	المقدمة
٣٥٤	معنى قوله تعالى:
٣٥٦	سورة البقرة
٣٥٦	الآية الأولى
٣٥٧	الآية الثانية
٣٥٩	الآية الثالثة
٣٦١	الآية الرابعة
٣٦٢	الآية الخامسة
٣٦٣	الآية السادسة:
٣٦٣	الآية السابعة
٣٦٥	الآية الثامنة:
٣٦٦	الآية التاسعة:
٣٦٧	الآية العاشرة
٣٦٨	الآية الحادية عشرة
٣٦٩	الآية الثانية عشرة
٣٧١	الآية الثالثة عشرة
٣٧٢	الآية الرابعة عشرة
٣٧٢	الآية الخامسة عشرة
٣٧٤	الآية السادسة عشرة
٣٧٥	الآية السابعة عشرة
٣٧٦	الآية الثامنة عشرة
٣٧٨	الآية التاسعة عشرة والأخيرة من سورة البقرة
٣٨٤	سورة آل عمران
٣٨٤	الآية عشرون (١)
٣٨٥	الآية الواحدة والعشرون (٢)
٣٨٦	الآية الثانية والعشرون (٣)
٣٨٧	الآية الثالثة والعشرون (٤)
٣٨٧	الآية الرابعة والعشرون (٥)
٣٨٨	الآية الخامسة والعشرون (٦):
٣٨٩	الآية السادسة والعشرون (٧)

- ٣٩٠ ..... الآية السابعة والعشرون (٨)  
 ٣٩١ ..... الآية الثامنة والعشرون (٩)  
 ٣٩١ ..... الآية التاسعة والعشرون (١٠)  
 ٣٩٣ ..... الآية الثلاثون (١١)  
 ٣٩٤ ..... الآية الواحدة والثلاثون (١٢)  
 ٣٩٥ ..... سورة النساء  
 ٣٩٥ ..... الآية الثانية والثلاثون (١)  
 ٣٩٦ ..... الآية الثالثة والثلاثون (٢)  
 ٣٩٨ ..... الآية الرابعة والثلاثون (٣)  
 ٤٠٠ ..... الآية الخامسة والثلاثون (٤)  
 ٤٠٣ ..... الآية السادسة والثلاثون (٥)  
 ٤٠٤ ..... الآية السابعة والثلاثون (٦)  
 ٤٠٥ ..... الآية الثامنة والثلاثون (٧)  
 ٤٠٦ ..... الآية التاسعة والثلاثون (٨)  
 ٤٠٧ ..... الآية الأربعون (٩)  
 ٤٠٨ ..... الآية الواحدة والأربعون (١٠)  
 ٤١١ ..... الآية الثانية والأربعون (١١)  
 ٤١٢ ..... الآية الثالثة والأربعون (١٢)  
 ٤١٣ ..... الآية الرابعة والأربعون (١٣)  
 ٤١٦ ..... الآية الخامسة والأربعون (١٤)  
 ٤١٧ ..... سورة المائدة  
 ٤١٧ ..... الآية السادسة والأربعون (١)  
 ٤١٨ ..... الآية السابعة والأربعون (٢)  
 ٤٢٠ ..... الآية الثامنة والأربعون (٣)  
 ٤٢٦ ..... الآية التاسعة والأربعون (٤)  
 ٤٢٦ ..... الآية الخمسون (٥)  
 ٤٢٧ ..... الآية الواحدة والخمسون (٦)  
 ٤٢٨ ..... الآية الثانية والخمسون (٧)  
 ٤٢٩ ..... الآية الثالثة والخمسون (٨)  
 ٤٣٠ ..... الآية الرابعة والخمسون (٩)  
 ٤٣٢ ..... الآية الخامسة والخمسون (١٠)

٤٣٤	..... الآية السادسة والخمسون (١١)
٤٣٦	..... الآية السابعة والخمسون (١٢)
٤٣٦	..... الآية الثامنة والخمسون (١٣)
٤٣٧	..... الآية التاسعة والخمسون (١٤)
٤٣٨	..... الآية الستون (١٥)
٤٣٩	..... الآية الواحد والستون (١٦)
٤٤٠	..... الآية الثانية والستون (١٧)
٤٤١	..... الآية الثالثة والستون (١٨)
٤٤٣	..... الآية الرابعة والستون (١٩)
٤٤٤	..... الآية الخامسة والستون (٢٠)
٤٤٦	..... الآية السادسة والستون (٢١)
٤٤٧	..... الآية السابعة والستون (٢٢)
٤٤٨	..... الآية الثامنة والستون (٢٣)
٤٤٨	..... الآية التاسعة والستون (٢٤)
٤٥٠	..... الآية السبعون (٢٥)
٤٥١	..... الآية الواحدة والسبعون (٢٦)
٤٥٣	..... سورة الأنعام
٤٥٣	..... الآية الثانية والسبعون (١)
٤٥٤	..... الآية الثالثة والسبعون (٢)
٤٥٥	..... سورة الأعراف
٤٥٥	..... الآية الرابعة والسبعون (١)
٤٥٦	..... الآية الخامسة والسبعون (٢)
٤٥٧	..... الآية السادسة والسبعون (٣)
٤٥٨	..... الآية السابعة والسبعون (٤)
٤٥٩	..... الآية الثامنة والسبعون (٥)
٤٥٩	..... الآية التاسعة والسبعون (٦)
٤٦١	..... سورة الأنفال
٤٦١	..... الآية الثمانون (١)
٤٦٢	..... الآية الواحدة والثمانون (٢)
٤٦٣	..... الآية الثانية والثمانون (٣)

- ٤٦٥ ..... الآية الثالثة والثمانون (٤).
- ٤٦٥ ..... الآية الرابعة والثمانون (٥).
- ٤٦٦ ..... الآية الخامسة والثمانون (٦).
- ٤٦٧ ..... الآية السادسة والثمانون (٧).
- ٤٦٨ ..... الآية السابعة والثمانون (٨).
- ٤٦٩..... سورة التوبة.
- ٤٦٩ ..... الآية الثامنة والثمانون (١).
- ٤٧٠ ..... الآية التاسعة والثمانون (٢).
- ٤٧١ ..... الآية التسعون (٣).
- ٤٧٣ ..... الآية الواحدة والتسعون (٤).
- ٤٧٤ ..... الآية الثانية والتسعون (٥).
- ٤٧٦ ..... الآية الثالثة والتسعون (٦):
- ٤٧٨ ..... الآية الرابعة والتسعون (٧).
- ٤٨٠..... سورة يونس
- ٤٨٠ ..... الآية الخامسة والتسعون (١).
- ٤٨١ ..... الآية السادسة والتسعون (٢).
- ٤٨٢ ..... الآية السابعة والتسعون (٣).
- ٤٨٥ ..... الآية الثامنة والتسعون (٤).
- ٤٨٧ ..... سورة هود.
- ٤٨٧ ..... الآية التاسعة والتسعون (١).
- ٤٨٧ ..... الآية المائة (٢).
- ٤٨٨ ..... الآية الأولى بعد المائة (٣).
- ٤٨٩ ..... الآية الثانية بعد المائة (٤).
- ٤٩٠..... سورة الحجر
- ٤٩٠ ..... الآية الثالثة بعد المائة (١).
- ٤٩١..... سورة مريم
- ٤٩١ ..... الآية الرابعة بعد المائة (١).
- ٤٩١ ..... الآية الخامسة بعد المائة (٢).

- ٤٩٢ ..... الآية السادسة بعد المائة (٣).
- ٤٩٣ ..... سورة طه
- ٤٩٣ ..... الآية السابعة بعد المائة (١).
- ٤٩٤ ..... الآية الثامنة بعد المائة (٢).
- ٤٩٥ ..... الآية التاسعة بعد المائة (٣).
- ٤٩٦ ..... الآية الحادية عشرة بعد المائة (٤).
- ٤٩٨ ..... سورة الأنبياء
- ٤٩٨ ..... الآية الثانية عشرة بعد المائة (١).
- ٤٩٩ ..... سورة الحج
- ٤٩٩ ..... الآية الثالثة عشرة بعد المائة (١).
- ٥٠٠ ..... الآية الرابعة عشرة بعد المائة (٢).
- ٥٠٢ ..... الآية الخامسة عشرة بعد المائة (٣).
- ٥٠٢ ..... الآية السادسة عشرة بعد المائة (٤).
- ٥٠٣ ..... الآية السابعة عشرة بعد المائة (٥).
- ٥٠٤ ..... سورة المؤمنون
- ٥٠٤ ..... الآية الثامنة عشرة بعد المائة (١).
- ٥٠٥ ..... سورة النور
- ٥٠٥ ..... الآية التاسعة عشر بعد المائة (١).
- ٥٠٦ ..... الآية العشرون بعد المائة (٢).
- ٥٠٧ ..... الآية الحادية والعشرون بعد المائة (٣).
- ٥٠٩ ..... سورة النمل
- ٥٠٩ ..... الآية الثانية والعشرون بعد المائة (١).
- ٥١٠ ..... سورة القصص
- ٥١٠ ..... الآية الثالثة والعشرون بعد المائة (١).
- ٥١٢ ..... الآية الرابعة والعشرون بعد المائة (٢).
- ٥١٥ ..... الآية الخامسة والعشرون بعد المائة (٣).

- ٥١٦ ..... سورة العنكبوت
- ٥١٦ ..... الآية السادسة والعشرون بعد المائة (١)
- ٥١٧ ..... سورة الأحزاب
- ٥١٧ ..... الآية الثامنة والعشرون بعد المائة (١)
- ٥١٨ ..... الآية التاسعة والعشرون بعد المائة (٢)
- ٥٢٠ ..... الآية الثلاثون بعد المائة (٣)
- ٥٢٢ ..... الآية الواحدة والثلاثون بعد المائة (٤)
- ٥٢٥ ..... الآية الثانية والثلاثون بعد المائة (٥)
- ٥٢٥ ..... الآية الثالثة والثلاثون بعد المائة (٦)
- ٥٢٧ ..... الآية الرابعة والثلاثون بعد المائة (٧)
- ٥٢٨ ..... الآية الخامسة والثلاثون بعد المائة (٨)
- ٥٣٠ ..... الآية السادسة والثلاثون بعد المائة (٩)
- ٥٣١ ..... الآية السابعة والثلاثون بعد المائة (١٠)
- ٥٣٢ ..... الآية الثامنة والثلاثون بعد المائة (١١)
- ٥٣٣ ..... الآية التاسعة والثلاثون بعد المائة (١٢)
- ٥٣٤ ..... الآية الأربعون بعد المائة (١٣)
- ٥٣٥ ..... سورة لقمان
- ٥٣٥ ..... الآية السابعة والعشرون بعد المائة (١)
- ٥٣٧ ..... سورة سبأ
- ٥٣٧ ..... الآية الواحدة والأربعون بعد المائة (١)
- ٥٣٨ ..... سورة فاطر
- ٥٣٨ ..... الآية الثانية والأربعون بعد المائة (١)
- ٥٣٨ ..... الآية الثالثة والأربعون بعد المائة (٢)
- ٥٣٩ ..... الآية الرابعة والأربعون بعد المائة (٣)
- ٥٤١ ..... سورة يس
- ٥٤١ ..... الآية الخامسة والأربعون بعد المائة (١)

- ٥٤٣ ..... سورة الصافات
- ٥٤٣ ..... الآية السادسة والأربعون بعد المائة (١)
- ٥٤٤ ..... سورة ص
- ٥٤٤ ..... الآية السابعة والأربعون بعد المائة (١)
- ٥٤٥ ..... الآية الثامنة والأربعون بعد المائة (٢)
- ٥٤٦ ..... سورة الزمر
- ٥٤٦ ..... الآية التاسعة والأربعون بعد المائة (١)
- ٥٤٧ ..... الآية الخمسون بعد المائة (٢)
- ٥٤٨ ..... الآية الواحدة والخمسون بعد المائة (٣)
- ٥٥١ ..... سورة فصلت
- ٥٥١ ..... الآية الثانية والخمسون بعد المائة (١)
- ٥٥٢ ..... سورة الزخرف
- ٥٥٢ ..... الآية الثالثة والخمسون بعد المائة (١)
- ٥٥٣ ..... سورة محمد
- ٥٥٣ ..... الآية الرابعة والخمسون بعد المائة (١)
- ٥٥٣ ..... الآية الخامسة والخمسون بعد المائة (٢)
- ٥٥٥ ..... سورة الحجرات
- ٥٥٥ ..... الآية السادسة والخمسون بعد المائة (١)
- ٥٥٦ ..... الآية السابعة والخمسون بعد المائة (٢)
- ٥٥٧ ..... الآية الثامنة والخمسون بعد المائة (٣)
- ٥٥٨ ..... الآية التاسعة والخمسون بعد المائة (٤)
- ٥٦٢ ..... الآية الستون بعد المائة (٥)
- ٥٦٤ ..... سورة الرحمن
- ٥٦٤ ..... الآية الواحدة والستون بعد المائة (١)

- ٥٦٥ ..... سورة الحديد
- ٥٦٥ ..... الآية الثانية والستون بعد المائة (١)
- ٥٦٦ ..... سورة المجادلة
- ٥٦٦ ..... الآية الثالثة والستون بعد المائة (١)
- ٥٦٦ ..... الآية الرابعة والستون بعد المائة (٢):
- ٥٦٧ ..... الآية الخامسة والستون بعد المائة (٣):
- ٥٦٨ ..... سورة الحشر
- ٥٦٨ ..... الآية السادسة والستون بعد المائة (١)
- ٥٧١ ..... الآية السابعة والستون بعد المائة (٢)
- ٥٧٣ ..... سورة الممتحنة
- ٥٧٣ ..... الآية الثامنة والستون بعد المائة (١)
- ٥٧٥ ..... الآية التاسعة والستون بعد المائة (٢)
- ٥٧٨ ..... الآية السبعون بعد المائة (٣)
- ٥٧٩ ..... الآية الواحدة والسبعون بعد المائة (٤)
- ٥٨٠ ..... سورة الصف
- ٥٨٠ ..... الآية الثانية والسبعون بعد المائة (١)
- ٥٨١ ..... الآية الثالثة والسبعون بعد المائة (٢)
- ٥٨٢ ..... الآية الرابعة والسبعون بعد المائة (٣)
- ٥٨٨ ..... سورة الجمعة
- ٥٨٨ ..... الآية الخامسة والسبعون بعد المائة (١)
- ٥٨٨ ..... الآية السادسة والسبعون بعد المائة (٢)
- ٥٩٠ ..... سورة المنافقون
- ٥٩٠ ..... الآية السابعة والسبعون بعد المائة (١)
- ٥٩١ ..... سورة التغابن
- ٥٩١ ..... الآية الثامنة والسبعون بعد المائة (١)

- ٥٩٢ ..... سورة الطلاق
- ٥٩٢ ..... الآية التاسعة والسبعون بعد المائة (١)
- ٥٩٣ ..... الآية الثمانون بعد المائة (٢)
- ٥٩٥ ..... سورة التحريم
- ٥٩٥ ..... الآية الواحدة والثمانون بعد المائة (١)
- ٥٩٦ ..... الآية الثانية والثمانون بعد المائة (٢)
- ٥٩٧ ..... الآية الثالثة والثمانون بعد المائة (٣)
- ٥٩٧ ..... الآية الرابعة والثمانون بعد المائة (٤)
- ٥٩٨ ..... الآية الخامسة والثمانون بعد المائة (٥)
- ٦٠٠ ..... سورة المزمل
- ٦٠٠ ..... الآية السادسة والثمانون بعد المائة (١)
- ٦٠٢ ..... سورة المدثر
- ٦٠٢ ..... الآية السابعة والثمانون بعد المائة (١)
- ٦٠٤ ..... سورة الانفطار
- ٦٠٤ ..... الآية الثامنة والثمانون بعد المائة (١)
- ٦٠٥ ..... سورة الانشقاق
- ٦٠٥ ..... الآية التاسعة والثمانون بعد المائة (١)
- ٦٠٦ ..... سورة الفجر
- ٦٠٦ ..... الآية التسعون بعد المائة (١)
- ٦٠٨ ..... سورة الكافرون
- ٦٠٨ ..... الآية الواحدة والتسعون بعد المائة (١)
- ٦١١ ..... البيان لآيات الدعاء في القرآن
- ٦١٢ ..... آيات الدعاء في القرآن

- ٦١٥ ..... تعريف الدعاء
- ٦١٦ ..... أنواع الأمر
- ٦١٧ ..... أنواع الدعاء
- ٦١٨ ..... حكم دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ
- ٦٢٠ ..... بما يدعى الله عَزَّوَجَلَّ
- ٦٢٠ ..... حكم دعاء صفة الله
- ٦٢٢ ..... بيان أن أسماء الله الحسنی غير محصورة بعدد معلوم لنا
- ٦٢٤ ..... فصل آداب الدعاء
- ٦٢٨ ..... أوقات وأماكن استجابة الدعاء
- ٦٣٥ ..... بيان بعض موانع استجابة الدعاء
- ٦٣٩ ..... مذاهب الناس في الدعاء
- ٦٤٢ ..... مسائل في باب الدعاء
- ٦٤٢ ..... مسألة: حكم طلب الدعاء
- ٦٤٤ ..... مسألة: حكم مسح الوجه بعد الدعاء
- ٦٤٤ ..... مسألة: حكم الدعاء بغير اللغة العربية في الصلاة، وغيرها
- ٦٤٥ ..... مسألة: الدعاء بالرحمة لمن مات على الكفر
- ٦٤٥ ..... مسألة: أنواع التوسل
- ٦٤٨ ..... مسألة: الحكمة من الدعاء مع العلم بمضي القدر
- ٦٥١ ..... سورة الفاتحة
- ٦٥٢ ..... سورة البقرة

- ٦٥٦..... سورة آل عمران
- ٦٦٠..... سورة النساء
- ٦٦١..... سورة المائدة
- ٦٦٢..... سورة الأنعام
- ٦٦٣..... سورة الأعراف
- ٦٦٦..... سورة الأنفال
- ٦٦٨..... سورة التوبة
- ٦٦٩..... سورة يونس
- ٦٧٠..... سورة هود
- ٦٧١..... سورة يوسف
- ٦٧١..... سورة الرعد
- ٦٧٢..... سورة إبراهيم
- ٦٧٣..... سورة النحل
- ٦٧٣..... سورة الإسراء
- ٦٧٥..... سورة الكهف
- ٦٧٥..... سورة مريم
- ٦٧٦..... سورة طه



- ٦٧٧ ..... سورة الأنبياء
- ٦٧٨ ..... سورة الحج
- ٦٧٩..... سورة المؤمنون
- ٦٨١..... سورة الفرقان
- ٦٨٢..... سورة الشعراء
- ٦٨٣ ..... سورة النمل
- ٦٨٤ ..... سورة القصص
- ٦٨٥..... سورة العنكبوت
- ٦٨٦ ..... سورة لقمان
- ٦٨٦ ..... سورة السجدة
- ٦٨٧ ..... سورة الأحزاب
- ٦٨٨ ..... سورة سبأ
- ٦٨٨ ..... سورة فاطر
- ٦٨٩ ..... سورة الصافات
- ٦٨٩ ..... سورة ص
- ٦٩٠ ..... سورة الزمر
- ٦٩١..... سورة غافر



- ٦٩٢ ..... سورة الزخرف
- ٦٩٢ ..... سورة الدخان
- ٦٩٣ ..... سورة الأحقاف
- ٦٩٣ ..... سورة الطور
- ٦٩٤ ..... سورة القمر
- ٦٩٥ ..... سورة الحشر
- ٦٩٥ ..... سورة الممتحنة
- ٦٩٦ ..... سورة المنافقون
- ٦٩٧ ..... سورة التحريم
- ٦٩٧ ..... سورة القلم
- ٦٩٨ ..... سورة نوح
- ٦٩٨ ..... سورة الجن
- ٦٩٩ ..... سورة المزمل
- ٧٠٠ ..... سورة الفلق
- ٧٠٠ ..... سورة الناس
- ٧٠١ ..... الفهرس

